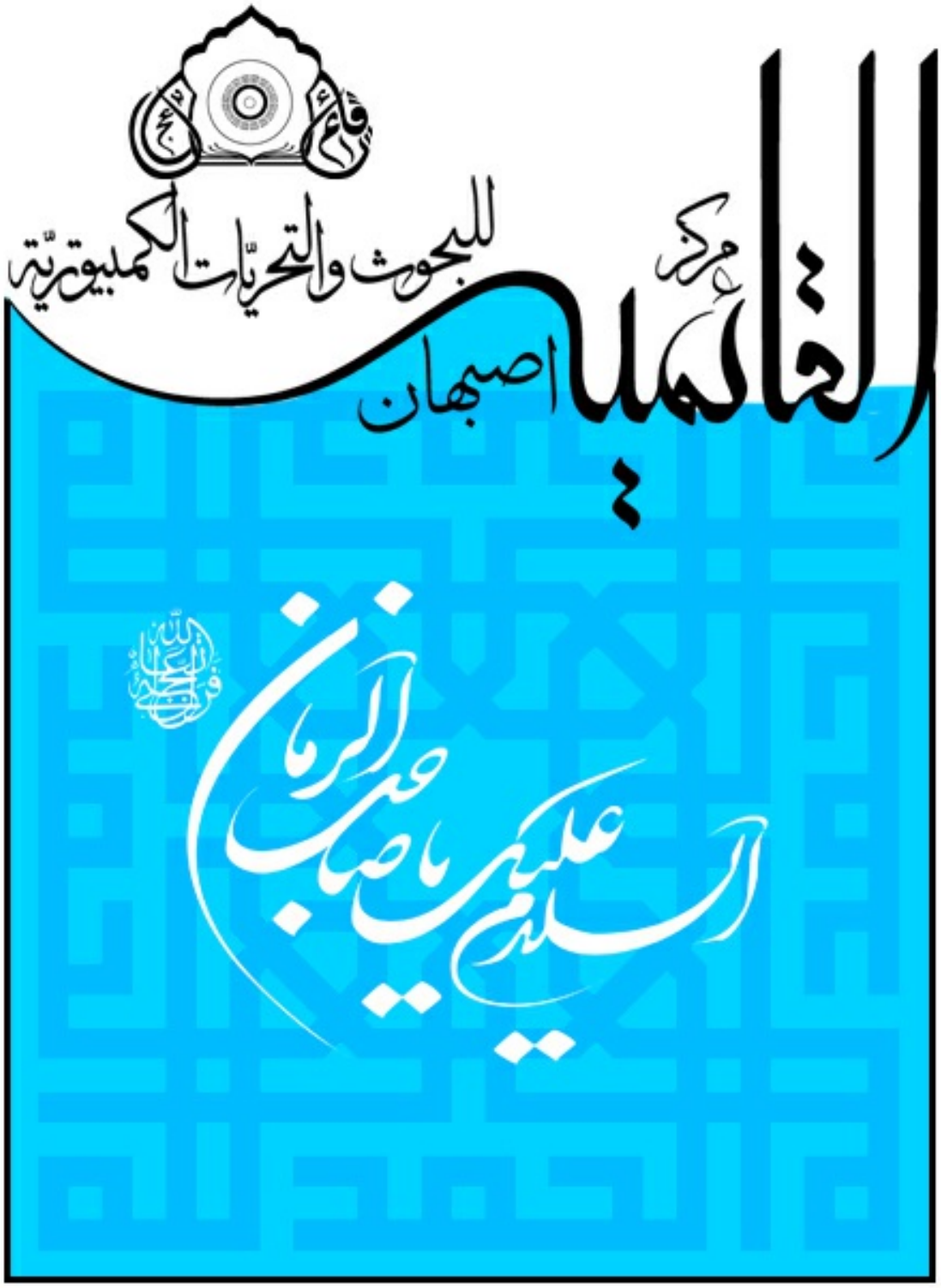

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

العباس
بن أمير المؤمنين عليه السلام
حامل اللواء في كربلاء
السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

بسم الله الرحمن الرحیم

العباس ابن اميرالمؤمنين حامل لواء الحسين عليهم السلام

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

مولف

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

العباس ابن اميرالمؤمنين حامل لواء الحسين عليهم السلام 18

اشارة 18

اشارة 18

الديباجة 22

المقدمة 32

الفصل الأوّل: في نسب العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(صلي الله عليه واله) 46

اشارة 46

سلسلة آبائه الكرام إلي عدنان 47

1- عدنان بن أد: 49

2 - معد بن عدنان: 51

3 - نزار بن معد بن عدنان: 53

4 - مضر بن نزار الملقّب بمضر الحمراء: 55

5 - إلياس بن مضر: 57

6 - مدركة بن الياس بن مضر: 60

7 - خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر: 63

8 - كنانة بن خزيمة بن مدركة: 65

9 - النضر بن كنانة: 67

10 - مالك بن النضر بن كنانة: 69

12- غالب بن فهر بن مالك: 73

14 - كعب بن لؤي بن غالب: 75

15- مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب: 78

16 - كلاب بن مرّة: 79

17- قصي بن كلاب: 80
18 - عبد مناف بن قصيّ: 83
19- هاشم بن عبد مناف: 85
20- عبد المطلب بن هاشم: 89
21- أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم: 91
23- أمير المؤمنين ويعسوب الدين ووصيّ رسول ربّ العالمين وقائد الغرّ المحجلين أبو الحسن علي بن أبي طالب(عليهما السلام): 96
الأمهات 106
1 - فاطمة بنت أسد بن هاشم: 106
نسبها من الآباء 107
نسبها من الأمهات 108
نبذة من فضائلها: 110
2- أمّ العباس فاطمة الكلابية(عليهما السلام): 114
اسمها(عليها السلام) 114
كنيتها 115
نسبها 116
نكات مهمّة 117
النكتة الأولي: التقاء نسبها ونسب أمير المؤمنين(عليه السلام) 117
النكتة الثانية: آباء موحّدون 118
الشاهد الأوّل: امتناعهم عن محاربة النبي(صلي الله عليه واله) 119
الشاهد الثاني: كلام أحد الأجداد 119
الشاهد الثالث: كلامهم في بلاط كسري 122
الشاهد الرابع: قول معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب 124
النكتة الثالثة: اهتمام أمير المؤمنين(عليه السلام) بنسب أمّ البنين(عليها السلام) 125
النكتة الرابعة: الخلاف في اسم أبيها 128
النكتة الخامسة: الاختلاف في كونها من أقرباء لبيد الشاعر 128

النكتة السادسة: الاختلاف في اسم جدّها 130
النكتة السابعة: نسبتها 134
آباء أمّ البنين(عليها السلام) 136
أُمهات أمّ البنين(عليها السلام) 139
نجوم في سلسلة النسب 141
بنو عامر: 141
الحمس: 142
الرئاسة والشجاعة 148
بنو كلاب 150
ربيعة المقترنين 152
معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب 153
الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ((فارس قرزل)) 154
أبو براء ملاعب الأسنّة 154
براء بن أبي براء 156
ربيعة بن أبي براء 156
نهشل بن عبيدة نزال المضيق 157
مدرك الثأر خالد بن جعفر بن كلاب 157
الأحوص بن جعفر بن كلاب 161
عوف بن الأحوص 162
شريح بن عوف بن الأحوص 164
يزيد بن الصعق الكلابي 164
أبو عقيل لبيد بن ربيعة 165
أربد الحتوف الجعفري الكلابي 167
عروة الرحّال الكلابي 168
الضحّاك بن سفيان الكلابي 169

أبو الفضل العباس(عليه السلام) معمّ مخول 172
عمومة العباس(عليه السلام) 177
1 - طالب بن أبي طالب: 177
شعر طالب: 178
2 - عقيل بن أبي طالب: 179
صفة عقيل وبعض حكاياته: 182
3 - جعفر الطيار مع الملائكة في الجنّة: 184
سرور رسول الله(صلي الله عليه واله) بقدوم جعفر(عليه السلام): 186
الخصال التي شكرها الله لجعفر وهي تدلّ علي وفور عقله: 187
شبه جعفر برسول الله(صلي الله عليه واله): 188
الجراحات التي أصابت جعفر يوم شهادته: 189
نعي جعفر(عليه السلام) والنياحة عليه: 190
تسليم جعفر علي النبي(صلي الله عليه واله) بعد شهادته ورد النبي(صلي الله عليه واله) عليه: 191
مكانة جعفر ومنزلته عند أمير المؤمنين(عليه السلام): 192
الافتخار بجعفر الطيار(عليه السلام): 192
تأبين جعفر(عليه السلام): 196
إخوة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) 198
أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام): 200
أشقاء العباس: : 202
عبد الله بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام): 204
عثمان بن علي بن أبي طالب: : 208
جعفر بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام): 212
الفصل الثاني: في ولادة العباس (عليه السلام) وكناه و القباه. وصافتة النفسيه والبدنية. و ما يناسب ذالك. 217
اشارة 217
ولادة العباس الأكبر(عليه السلام) ومقدار سنّه 218

نشأة العباس الأكبر 220
كني العباس بن علي(عليهما السلام) 221
الكنيتان القديمتان 221
الكنيتان الحديثتان 222
أبو فرجة 223
ألقاب العباس الأكبر(عليه السلام) 225
الألقاب القديمة 226
السقّاء أو سقّاء عطاشي كربلاء 227
السقاية وأقسامها 227
السقاية السلمية 229
النوع الأوّل من السقاية السلمية 229
أمّا الاستسقاء في الجدب: 230
النوع الآخر من السقاية السلمية 230
السقاية الحربية 231
سقاية الحسين(عليه السلام) لأهل العراق 232
فضل سقي الماء 235
سقاية أبي الفضل(عليه السلام) لعطاشي كربلاء 237
السقاة يوم الطفّ السقاة يوم كربلاء ثلاثة: 237
أمّا سقاية العبّاس(عليه السلام): 238
السقاية الأولي 239
كبش الكتيبة 244
اختصاص أبي الفضل(عليه السلام) بكبش كتيبة الحسين(عليه السلام): 246
حامي الظعن، أو حامي ظعينة كربلاء 246
حماية العباس(عليه السلام) للظعائن: 248
حامل اللواء 251

حمل اللواء عند الأُمم: 251
حماية اللواء الأعظم: 253
ألوية الحسين(عليه السلام) ورايته في حربه 255
من ألقاب العباس(عليه السلام) 256
الطيار 257
ألقاب العبّاس(عليه السلام) في الموروث الشعبي 260
المتستعجل 260
المضهضب 261
أبو الشارة 261
أبو راس الحار 262
الترهب بيانه 262
باب الحوائج وقاضي الحاجات 263
المصفّي (بالياء المنقّطة) 263
أبو فرجة 264
صفات العبّاس الأكبر(عليه السلام) 267
الصفات البدنيّة للعبّاس(عليه السلام) 267
أثر الضخامة في إرهاب العدو ومدح البسطة الجسمّية: 268
امتداد القامة في قبيلة بني هاشم 270
الطوال من بني هاشم: 271
البطولة واجتماع خصالها في العبّاس الأكبر(عليه السلام) 273
حسنه وجماله(عليه السلام) 276
أنواع الجمال: 278
جمال أبي الفضل العبّاس(عليه السلام): 279
صفات العبّاس الأخلاقية 281
كرم العبّاس الأكبر وسخاؤه 285

علم العبّاس الأكبر(عليه السلام) وفقهه 289
فصاحة العبّاس الأكبر(عليه السلام) 297
شجاعة العبّاس الأكبر(عليه السلام) 300
معني الشجاعة لغة: 302
الشجاعة بين نقيضين 304
ثمرة الشجاعة وفوائدها: 304
غايات الشجعان ومقاصدهم: 304
من مقاصد أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين علي(عليهما السلام): 305
شجاعة العبّاس الأكبر: 306
حضوره صفّين: 306
دفاع الشيخ المظفررحمه الله عن التواريخ الفارسيّة 311
شجاعة العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) 315
ترجيح قول الطريحي : 321
وفاء العبّاس الأكبر(عليه السلام) 323
مظاهر الوفاء: 323
معني الوفاء لغة: 325
معني الوفاء عرفا وعقلاً: 325
مدح الوفاء وتوكيد الالتزام به: 326
ثمرة الوفاء وفوائده: 327
وفاء العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) والنصّ عليه: 327
إباء العبّاس الأكبر(عليه السلام) 328
معني الإباء لغة: 330
أسباب الإباء وثمراته: 331
إباء أبي الفضل بن أمير المؤمنين(عليهما السلام): 334
مواساة العباس بن علي(عليهما السلام) 339

الفرق بين الموساة والإيثار: 340
معني الموساة لغة: 341
أقسام الموساة 341
حثّ الشارع علي المواساة 342
فائدة الموساة وثمرتها: 344
مواساة العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام): 344
المناصحة لسيّد شباب أهل الجنّة 348
معني المناصحة 349
معني النصيحة والمناصحة لغة: 349
مظاهر النصيحة وأسبابها وثمراتها: 350
أسباب المناصحة: 351
ثمرات المناصحة: 352
الأدلّة علي فضيلة المناصحة: 352
الحثّ علي قبول النصيحة: 353
ردّ النصيحة مقرون بالنكبة: 353
نصيحة برير بن خضير الهمداني المشرقي: 359
نصيحة زهير بن القين 361
المناصحة للإمام المعصوم(عليه السلام): 363
أمّا المناصحة الفعليّة: 365
الشعر في مدح العباس(عليه السلام) بالمناصحة 370
الإيثار 372
معني الإيثار لغة: 372
مراتب الإيثار وأقسامه 373
القسم الأوّل من الإيثار: بذل النفس 373
إيثار أمير المؤمنين(عليه السلام) 374

إيثار أنصار سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) له: 375
القسم الثاني: بذل القوت 378
الدلالة علي رجحان الإيثار: 379
إيثار العبّاس الأكبر ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام): 381
الزهد والنسك 387
معني الزهد لغة: 389
الزهد في الأحاديث: 389
مدح الزهد ورجحانه: 390
زهد العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام): 391
العبادة 398
معني العبادة 398
عبادة العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام): 399
أثر السجود 401
الدلالة علي عبادة العباس(عليه السلام) 405
البصيرة والإيمان 406
معني الإيمان لغة: 407
معني الإيمان شرعاً: 408
البصيرة في الدين: 410
معني البصيرة لغة: 410
إيمان العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) وبصيرته: 411
آداب العبّاس الأكبر(عليه السلام) 418
معني الأدب في اللغة: 418
أنواع الأدب: 420
الأدب العربي: 420
الأدب الشرعي: 421

الأدب العرفاني: ---- 421
آداب أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين ---- 422
الفصل الثالث : في مقتله (عليه السلام) و في ذكر وظائفه،وبعض الخطط الحربية و مدفنه و كرامته ---- 431
اشارة ---- 431
منزلة أبي الفضل العباس(عليه السلام) عند الله تعالي ---- 432
الولاية والتسليم والبراءة ---- 432
الجهاد ---- 433
تعليم الجاهل ---- 434
التقوي ---- 435
الزهد ---- 435
الصبر ---- 436
الشكر ---- 436
اليقين ---- 437
وجوه منزلته عند الله ---- 437
المنزلة والدرجة في الجنان ---- 438
الحياة الخالدة ---- 438
الحياة البرزخية ---- 438
بقاء الشعائر ---- 440
منزلة الغبطة ---- 441
منزلة أبي الفضل العبّاس عند أخيه الحسين(عليهما السلام) ---- 450
حزن سيّد الشهداء علي أبي الفضل العباس(عليهما السلام) وتأبينه له ---- 451
تأبين الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين لأخيها الحسين(عليهما السلام): ---- 459
معرفة منزلة العباس عند الحسين من الحزن عليه وتأبينه ---- 469
الوظائف السامية التي للعباس الأكبر عند الإمام الحسين(عليهما السلام) ---- 473
السفير ---- 474

معني السفارة: 475
معاني السفير: 477
سفارة العباس(عليه السلام) 478
العميد 478
خصال العميد ووجه التسمية 479
معني العميد لغة: 480
العباس عميد عسكر الحسين(عليه السلام) 481
الحاجب والمرافق 484
معني المرافق لغة وعرفاً: 485
وظيفة المرافق 485
مرافقا الحسين 486
الحجابة والحاجب 490
إلفات نظر مهم 490
حقيقة الحجاب: 491
معني الحجاب لغة: 491
ذم الحجاب للرجال: 492
حجابة العباس الأكبر(عليه السلام) كيف كانت؟ 493
الدخول إلي الحرب تشكيل الخطط الحربية بكربلاء 498
خطة الدفاع: 499
تعبئة الحسين(عليه السلام) لجنده: 500
تعبئة جيش عمر بن سعد لعنه الله: 502
اختيار ابن سعد للكردسة شأن الضعيف مع القوي: 508
وسائل الظفر التي أتخذها جيش العدو: 525
صفة القتال يوم كربلاء وشهادة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) 531
أمّا وقت شهادته(عليه السلام): 531

شهادته(عليه السلام) 535
كيفية شهادته(عليه السلام): 537
بكاء سيّد الشهداء(عليه السلام) 553
قاتل العباس 555
انتقام الله تعالي من قتله العباس(عليه السلام): 556
صفة قتل الطائي: 556
أما صفة قتل ابن الرقاد: 557
أمّا صفة قتل ابن الكاهن: 558
مرقد العباس(عليه السلام) 564
السرّ في إبقائه حيث سقط: 564
دفن الشهداء وأين دفنوا؟ 571
الجهة الأُولي: قبور الشهداء 575
الجهة الثانية: بقاء الأجساد الطاهرة بلا دفن ثلاثاً 578
الجهة الثالثة: الإمام لا يدفنه إلا إمام 580
حضور الإمام زين العابدين(عليه السلام) 584
المزارات الأربعة لباب الحاجات أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) 597
مشهد رأسه الكريم 606
ما جري علي رأس أبي الفضل العباس(عليه السلام): 607
مزار رأس أبي الفضل العباس(عليه السلام) بالشام: 610
مزار الكفين لأبي الفضل العباس(عليه السلام) 612
مزار الكفّ اليمني: 614
مزار الكف اليسري: 614
عمارة المشهدين المقدّسين الحسيني والعباسي 619
ماء كربلاء القديمة أو نهر العلقمي: 632
أولاد العباس بن علي(عليه السلام) وأحفاده 638

عبيد الله بن العباس: 639
محمد والقاسم الشهيدان مع عمّهما الحسين(عليه السلام): 644
أحفاد العباس بن أمير المؤمنين(عليه السلام) 646
عبيد الله الثاني (الأمير): 646
الحمزة بن عبيد الله الثاني: 647
محمد بن الحمزة بن عبيد الله الثاني: 647
العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس(عليه السلام): 647
الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس(عليه السلام): 648
من كرامات العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) 650
كرامة: وفا بحاجته وزيادة 656
كرامة: شفاء من السلّ القتّال 657
كرامة 658
تأبين أبي الفضل العباس(عليه السلام) ومراثيه 663
قصيدة الأزري 663
قصيدة السيّد صالح الحلّي 675
قصيدة الشيخ المظفر 679
تعريف مركز 694

العباس ابن اميرالمؤمنين حامل لواء الحسين عليهم السلام

اشارة

العباس ابن اميرالمؤمنين حامل لواء الحسين عليهم السلام

سيدعلي سيد جمال اشرف الحسيني

زبان: عربي

صفحات: 613 ص

موضوع: حضرت ابوالفضل العباس عليه السلام

خيراندیش دیجیتالي : بیادبود مرحوم حاج سید مصطفي سید حنایي

ص: 1

اشارة

العباس ابن اميرالمؤمنين حامل لواء الحسين عليهم السلام

سيدعلي سيد جمال اشرف الحسيني

ص: 3

الديباجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا إله إلّا هو الملك الحقّ المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأوّل غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرّت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربّنا في السَّماواتِ الْعُلي الرَّحْمنُ عَلَي الْعَرْشِ اسْتَوي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّري، فأنا أشهد بأنّك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا واضع لما رفعت، ولا معزّ لمن أذللت، ولا مذلّ لمن أعززت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت(1).

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرائِفَ صَلَواتِك، وَنَوامِيَ بَرَكَاتك عَلَي مُحَمَّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا

1- بحار الأنوار : 83/332 باب 45.

وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَي نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّي أَوْرَي قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَي الْخَلْقِ(1).

اللهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك علي عترة نبيك العترة الضائعة الخائفة المستذلّة، بقية الشجرة الطيّبة الزاكية المباركة، وأعل – اللهم – كلمتهم، وأفلج حجّتهم، واكشف البلاء واللأواء، وحنادس الأباطيل والعمي عنهم، وثبّت قلوب شيعتهم وحزبك علي طاعتهم وولايتهم ونصرتهم وموالاتهم، وأعنهم وامنحهم الصبر علي الأذي فيك، واجعل لهم أياماً مشهودة، وأوقاتاً محمودة مسعودة، توشك فيها فرجهم، وتوجب فيها تمكينهم ونصرهم، كما ضمنت لأوليائك في كتابك المنزل، فإنّك قلت – وقولك الحقّ –:)وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً(2).

والعن اللهم أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد، وآخر تابع له علي ذلك، اللهم واهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيداً،

1- نهج البلاغة : 101 خ 72 .

2- مصباح المتهجد : 785 .

واستهلّ به فرحاً ومرحاً، وخذ آخرهم كما أخذت أوّلهم، وأضعف اللهم العذاب والتنكيل علي ظالمي أهل بيت نبيك، واهلك أشياعهم وقادتهم، وأبر حماتهم وجماعتهم(1).

وصلّ اللهم علي الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، المتحقّق بصفات الله، والدليل علي ذات الله، أفضل ثقاة الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القتيل المرجوم، الإمام الشهيد، الولي الرشيد، الوصي السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيب الوفي، الإمام الرضي، ذو النسب العلي، المنفق الملي، أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام.

منبع الأئمة، شافع الأمّة، سيّد شباب أهل الجنّة، وعَبرة كلّ مؤمن ومؤمنة، صاحب المحنة الكبري، والواقعة العظمي، وعَبرة المؤمنين في دار البلوي، ومن كان بالإمامة أحقّ وأولي، المقتول بكربلاء، ثاني السيّد الحصور يحيي ابن النبي الشهيد زكريا(عليهما السلام)، الحسين بن علي المرتضي(عليهما السلام).

زين المجتهدين، وسراج المتوكّلين، مفخر أئمة المهتدين، وبضعة كبد سيّد المرسلين(صلي الله عليه واله)، نور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية،

1- مصباح المتهجد : 785 .

وشـرف غرس الأحساب الرضويـة، المقتول بأيدي شـرّ البريّة، سـبط الأسـباط، وطالب الثأر يوم الصـراط، أكرم العتر، وأجلّ الأسـر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّم، مكرّم، موقّر، منظّف مطهّر..

أكـبر الخلاـئق في زمـانه في النفس، وأعزّهم في الجنس، أذكـاهم في العرف، وأوفـاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمـل الخلق، وأحسـن الخلق، قطعـة النور، ولقلب النبي(صـلي الله عليه واله) سـرور، المنزّه عن الإفـك والزور، وعلي تحمّـل المحن والأـذي صـبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبي الملك الغالب، الحسين بن علي بن أبي طالب:(1).

الذي حمله ميكائيل، وناغاه في المهد جبرائيل، الإمام القتيل، الذي اسـمه مكتوب علي سـرادق عرش الجليل ((الحسـين مصـباح الهدي، وسفينة النجاة))، الشافع في يوم الجزاء، سيّدنا ومولانا سيّد الشهداء(عليه السلام) (2).

الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: . . وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء

درجة، جعلت كلمتي التامّة معه، والحجّة البالغة عنده، وبعترته أثيب وأعاقب(3).

الذي قال فيه جدّه المبعوث رحمة للعالمين(صلي الله عليه واله):

1- المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي أشرف: 10/113.

2- معالي السبطين : 61 .

3- كمال الدين : 2/290 ح 1 .

حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً(1).

وقال رسول الله(صلي الله عليه واله)، وهو الصادق الأمين: إنّ حبّ علي قذف في قلوب المؤمنين، فلا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين، فلا تري لهم ذامّاً(2).

فمن أيّ المخلوقات كان أولئك المردة العتاة، وأبناء البغايا الرخيصات، الذين قاتلوه بغضاً لأبيه، وسبوا الفاطميات، ولم يحفظوا النبي(صلي الله عليه واله) في ذراريه.

قال الإمام سيّد الساجدين(عليه السلام): .. أيّها الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم إجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين،)إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ(.

فوالله لو أنّ النبي(صلي الله عليه واله) تقدّم في قتالنا كما تقدّم اليهم في الوصاية بنا لما إزدادوا علي ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا اليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظّها، وأقطعها، وأمرّها، وأفدحها، فعند الله نحتسبه فيما أصابنا، وما بلغ بنا، إنّه عزيز ذو إنتقام(3).

ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد،

1- بحار الأنوار : 45/314 .

2- المناقب :، بحار الأنوار : 43/281 باب 12.

3- بحار الأنوار : 45/147 .

واقشعرّت له أظلّة العرش، وبكي له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، وما بينهن، ومن يتقلّب في الجنّة والنار من خلق ربّنا، وما يري وما لا يري، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنّه قتيل الله وابن قتيله، وثار الله وابن ثاره، ووتر الله الموتور في السماوات والأرض(1)

حتّي ((يبعث الله قائماً يفرج عنها الهمّ والكربات)).

قال الحسين(عليه السلام): يا ولدي، يا علي، والله لا يسكن دمي حتّي يبعث الله المهدي(2).

فذلك قائم آل محمد: يخرج، فيقتل بدم الحسين(عليه السلام) بن علي . . وإذا قام – قائمنا – انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين(3).

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين(صلي الله عليه واله) فقال: لمّا أسري بي إلي السماء أوحي إليّ ربّي – جلّ جلاله – فقال: يا محمد، إنّي اطلعت علي الأرض اطلاعة فاخترتك منها، فجعلتك نبيّاً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً، وجعلته وصيّك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريّتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلي، وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم علي الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين.

1- انظر بحار الأنوار : 98/151 باب 18.

2- المناقب :.

3- بحار الأنوار : 52/376.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتّي ينقطع، ويصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم، فما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ.

فقال عزّ وجلّ: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، وإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسي بن جعفر، وعلي بن موسي، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، و((م ح م د)) بن الحسن القائم في وسطهم، كأنّه كوكب درّي .

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحلّل حلالي، ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللّات والعزي طريين فيحرقهما، فلفتنة الناس – يومئذٍ – بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري(1).

وروي عبد الله بن سنان قال: دخلت علي سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمد(عليهما السلام) في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممّ بكاؤك؟ لا أبكي الله عينيك.

1- كمال الدين : 1/252 باب 23 ح 2، بحار الأنوار : 52/379 ح 185.

فقال لي: أو في غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة علي شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ علي رسول الله صلي الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا – يومئذٍ – حيّاً لكان صلّي الله عليه وآله هو المعزّي بهم.

قال: وبكي أبو عبد الله(عليه السلام) حتّي اخضلّت لحيته بدموعه..

ثم علّمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم الي أن قال: ثم قل:

اللهم عذّب الفجرة الذين شاقّوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان منهم فخب وأوضع معهم، أو رضي بفعلهم لعناً كثيراً.

اللهم وعجّل فرج آل محمد(صلي الله عليه واله)، واجعل صلواتك عليه وعليهم، واستنقذهم من أيدي المنافقين المضلّين، والكفرة الجاحدين، وافتح لهم فتحاً يسيراً، وأتح لهم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك علي عدوّك وعدوّهم سلطاناً نصيراً..

اللهم إنّ كثيراً من الأمّة ناصبت المستحفظين من الأئمة، وكفرت

بالكلمة، وعكفت علي القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسنّة، وعدلت عن الحبلين اللّذين أمرت بطاعتهما، والتمسّك بهما، فأماتت الحقّ، وجارت عن القصد، ومالأت الأحزاب، وحرّفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها، وضيّعت حقّك، وأضلّت خلقك، وقتلت أولاد نبيك، وخيرة عبادك، وحملة علمك، وورثة حكمتك ووحيك .

اللهم فزلزل أقدام أعدائك، وأعداء رسولك، وأهل بيت رسولك.

اللهم وأخرب ديارهم، وافلل سلاحهم، وخالف بين كلمتهم، وفتّ في أعضادهم، وأوهن كيدهم، واضربهم بسيفك القاطع، وارمهم بحجرك الدامغ، وطمّهم بالبلاء طمّاً، وقمّهم بالعذاب قمّاً، وعذّبهم عذاباً نكراً، وخذهم بالسنين والمثلات التي أهلكت بها أعداءك، إنّك ذو نقمة من المجرمين .

اللهم إنّ سنّتك ضائعة، وأحكامك معطلة، وعترة نبيك في الأرض هائمة، اللهم فأعن الحقّ وأهله، واقمع الباطل وأهله، ومنّ علينا بالنجاة، واهدنا إلي الإيمان، وعجّل فرجنا، وانظمه بفرج أوليائك، واجعلهم لنا ودّاً، واجعلنا لهم وفداً(1).

والصلاة والسلام علي أصحاب الحسين(عليه السلام) الذين كشف لهم سيّد الشهداء(عليه السلام) ((الغطاء حتّي رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم

1- مصباح المتهجد : 784، بحار الأنوار : 98/305 باب 24.

يقدم علي القتل ليبادر إلي حوراء يعانقها، وإلي مكانه من الجنّة(1))،

ووعدهم ربّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة علي أعدائهم فقال:)ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ(يخاطب بذلك أصحاب الحسين(عليه السلام) (2).

1- علل الشرائع : 1/229 باب 163 ح 1، بحار الأنوار : 44/297 باب 35 ح1.

2- تأويل الآيات الظاهرة : 272.

المقدمة

لم يختلج في الفكر ويخطر في الذهن إفراد ترجمة ل-((أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام))) ذاك البطل المجاهد، والسيّد العظيم المتفادي عن الانقياد للمذلّة أنفة وإباء، الناهض بالدفاع عن الإمام والإمامة معاً غيرةً وحماساً، الذي أحيا مآثر الإيمان، وأسّس للدفاع عن الأخلاق أسساً محكمة رصينة، وأعطي للمتديّنين في الدفاع عن الإمام والإمامة والدين دستوراً صحيحاً، وقانوناً واجب الاتباع، وعلّم البشر كيفية الإخلاص للعظماء المحقّين، ونهج لهم سبيل التفاني أمام أئمة الدين الراشدين(عليهم السلام).

فرأينا من واجب حقّه علينا خدمته، وخشينا أن يدركنا الأجل ولم نوفق لذلك، فاستعجلنا الزمن، وسابقنا الأيام، وحاولنا إحياء ساعات العمر تعرّضاً لنفحات روح أبي الفضل العباس(عليه السلام)، فربما لم يسع الزمن بعد اليوم أن نعيش بعض الأيام في رحابه الفواحة بأريج التسليم والوفاء والنصيحة لسيّد شباب أهل الجنّة(عليه السلام)، والعبقة بروح الغيرة والثبات والاستقامة والدفاع عن حريم الله، وحريم رسوله، وناموس

الدين، وحرم أمير المؤمنين(عليه السلام).

فاخترنا كتاب ((بطل العلقمي)) للشيخ المحقّق الشهير عبد الواحد المظفر(1)

باعتباره موسوعة بعيدة الغور، مترامية الأطراف في

1- تجد بعض ترجمته في : ماضي النجف وحاضرها 3/367، شعراء الغري 6/161، معجم المؤلفين العراقيين، مؤلفين كتب جابي /214، الذريعة إلي تصانيف الشيعة، من أعلام الفكر والأدب : 302 . العلامة المؤرخ المتتبّع الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ جواد ابن الشيخ حسين ابن الشيخ مظفر، آل المظفر النجفي . ولد في النجف الأشرف في شهر محرم سنة 1310 ه-، ونشأ في أسرة دينية اشتهر رجالها بالفضل والعلم، ولها علماء بارزون . تخرّج علي أعلام النجف ومراجعها، وثابر علي التحصيل حتي حاز المراتب العالية، وجدّ في الأخذ والطلب حتي عدّ من أفاضل الحوزة . من أساتذته في الفقه والأصول : شيخ الشريعة الأصبهاني، الشيخ علي بن الباقر الجواهري، الشيخ مهدي المازندراني، ميرزا محمد حسين النائيني، السيد أبو الحسن الأصفهاني، الشيخ ضياء الدين العراقي، الشيخ محمد حسن كاشف الغطاء، والشيخ أحمد كاشف الغطاء. عالم متقن، باحث محقّق واسع الإطلاع، كثير القراءة في متنوّع الكتب المتصدّية لمختلف الثقافات، لم يقنع في أبحاثه قطّ باليسير من التنقيب والفحص . كان وديعاً في أخلاقه، متواضعاً لجلسائه، هادئاً في أحاديثه، عفيفاً عمّا في أيدي الناس، بعيداً عن الملق، متّصفاً بخلال إنسانية نبيلة، نشطاً في مطالعاته مع شيخوخته. كان ذا سعة في الآفاق العلمية، والسخاء في العطاء، لا يبخل أبداً ببذل ما رزقه الله - تعالي - من العلم والمعرفة . قال الشيخ جعفر محبوبة : ((له خبرة واسعة وإطلاع تامّ علي التاريخ الإسلامي، خصوصاً سيرة أهل البيت: وسيرة أحوالهم .. انقطع في مقتبل عمره وعنفوان شبابه لسبر كتب السير والتاريخ حتي مهر في هذا الموضوع، ألّف كثيراً من الكتب في هذا الموضوع وغيره من المواضيع المفيدة، فاضل ملمّ جامع وأديب وشاعر ...)). انصرف إلي التأليف والتصنيف مع طول نفس في البحث والتنقيب، وتشعّب في الموضوع، وخلّف آثاراً جيدة في مواضيعها، مستقصاة في مراميها، طبع بعضها في النجف الأشرف، وأكثرها غير مطبوع. انتقل إلي مدينة ((الدير)) بالبصرة داعياً مرشداً لأحكام الدين، وإماماً لجماعة المؤمنين في مسجدها الجامع الكبير. أما كتبه، فهي : 1 - الأساليب الخلابة . ردّ علي ابن حزم في تفضيل الصحابة علي القرابة . 2 - إعجاز القرآن في ما اكتشفه العلم الحديث . 3 - أعلام النهضة الحسينية ((ستّة أجزاء)) . 4 - الأمالي المنتخبة في العترة المنتجبة ((طبع في ثلاثة أجزاء)) . 5 - البشري ببعثة البشير . 6 - البطل الأسدي حبيب بن مظاهر ((طبع سنة 1370)) . 7 - بطل العلقمي ((طبع في النجف بثلاثة أجزاء سنة 1375 - 1396، وأعيد طبعه في قم المقدّسة . 8 - تقرير أبحاث النائيني في أصول الفقه . 9 - توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض ((مطبوع)) . 10 - حياة النبي(صلي الله عليه واله). 11 - ردع الناكب عن فضيلة المواكب. 12 - ديوان شعره . 13 - سفير الحسين(عليه السلام) : مسلم بن عقيل(عليه السلام). 14 - سلمان المحمدي ((طبع سنة 1371 وأعيد في قم)) . 15 - السياسة العلوية شرح عهد مالك الأشتر . 16 - سيدة النسوان : سكينة بنت الحسين(عليهما السلام). 17 - شبيه رسول الله(صلي الله عليه واله) علي بن الحسين الأكبر(عليهما السلام). 18 - فارس ذي الخمار مالك بن نويرة . 19 - قائد القوات العلوية مالك الأشتر ((طبع 1370)) . 20 - كشف المستور ((أنجز منه أربعة أجزاء)) . 21 - المستدرك علي مقاتل الطالبيين ((جزءان كبيران)) . 22 - معراج النبي(صلي الله عليه واله). 23 - الميزان الراجح ((كبير في الرجال)) . 24 - نزهة الأبصار في الأدب . 25 - النقد والحلّ لمسائل الدين . 26 - ولادة النبي(صلي الله عليه واله). 27 - وفاة أمير المؤمنين(عليه السلام). 28 - وفاة النبي(صلي الله عليه واله) ((طبع سنة 1370)) . توفي في ((الدير)) شهر جمادي الآخرة سنة 1395 ه-، ونقل جثمانه إلي النجف الأشرف، ودفن به، وأرّخ وفاته

بعضهم بقوله : جنّات عدن تباهت والحور بالشوق أكثر بالخلد نادي فأرّخ داعي الوحيد المظفر

الحديث عن حياة هذا البطل الهاشمي الذي ارتفعت هامته علي الرماح.

وكان الشـيخ المؤلف قـد بذل جهده وصـبّه في ترجمة حافلة جامعة بين التاريخ والفلسـفة والآداب والفقه، ونظمها في كتاب ضـخم حاوي لجميع ما يحتاج إليه المؤرّخ والفلسفي والخطيب الحسيني فيما يخصّ الفصول التي أدرجها فيه...

ص: 18

بيـد أنّنا رأينا فيه استرسالاً واسـتطراداً يبتعـد بالقاريء عن ضـفاف العلقمي، ويشـرد به إلي مسافات شاسـعة تغيّبه عن مشـهد كربلاء، وربما أشـعرت القاريء بوجود قامات تقارب قامـة أبي الفضل العباس(عليه السـلام) شـموخاً وارتفاعاً من خلال ذكر الأمثلـة، وبعث الرجال من بطون الكتب وطيّـات صـفحات التاريـخ، وهـذا مـا لاـ ينـاسب المقـام حيث أنّ موقف أبي الفضـل(عليه السـلام) ومـا رسـمه لنـا في يوم الحسين(عليه السلام) علي ضفاف العلقمي لا يمكن أن يقاس بيوم أو بموقف أو بقامة ترتفع في أيّ فترة من فترات التاريخ...

وربما اسـتطرد في كثير من الأحيان لبيان فكرة لا تـدخل في ثنايا الترجمة إلاّ بمؤونة ثقيلة تخرق نسـيج الذهن المتابع للمشـهد الكربلائي، وتضيّع عليه معالم الصورة.

ويبدو أنّ المؤلف كتب كتابه في خضم أجواء خاصّة أضفت علي دواته باعتباره موسوعة بعيدة الغور، مترامية الأطراف في الحديث عن حياة هذا البطل الهاشمي الذي ارتفعت هامته علي الرماح.

وكان الشـيخ المؤلف قـد بذل جهده وصـبّه في ترجمة حافلة جامعة بين التاريخ والفلسـفة والآداب والفقه، ونظمها في كتاب ضـخم حاوي لجميع ما يحتاج إليه المؤرّخ والفلسفي والخطيب الحسيني فيما يخصّ الفصول التي أدرجها فيه...

بيـد أنّنا رأينا فيه استرسالاً واسـتطراداً يبتعـد بالقاريء عن ضـفاف العلقمي، ويشـرد به إلي مسافات شاسـعة تغيّبه عن مشـهد كربلاء، وربما أشـعرت القاريء بوجود قامات تقارب قامـة أبي الفضل العباس(عليه السـلام) شـموخاً وارتفاعاً من خلال ذكر الأمثلـة، وبعث الرجال من بطون الكتب وطيّـات صـفحات التاريـخ، وهـذا مـا لاـ ينـاسب المقـام حيث أنّ موقف أبي الفضـل(عليه السـلام) ومـا رسـمه لنـا في يوم الحسين(عليه السلام) علي ضفاف العلقمي لا يمكن أن يقاس بيوم أو بموقف أو بقامة ترتفع في أيّ فترة من فترات التاريخ...

وربما اسـتطرد في كثير من الأحيان لبيان فكرة لا تـدخل في ثنايا الترجمة إلاّ بمؤونة ثقيلة تخرق نسـيج الذهن المتابع للمشـهد الكربلائي، وتضيّع عليه معالم الصورة.

ويبدو أنّ المؤلف كتب كتابه في خضم أجواء خاصّة أضـفت علي دواته الشـريفة ألواناً فرضـتها تلك الأيام، فربما تجد قلمه الشـريف يسيل حبره أكثر وهو يذكر العروبة والقومية والأمجاد العربية، وما شاكل من مصطلحات ذاعت وانتشرت يومذاك.

فالكتاب يعـدّ أكبر موسوعـة في حياة ((بطل العلقمي)) غير أنّ مواضـيعه ليست كلّها في رحاب العلقمي وبطله، فأردنا أن نختصـر المسافة بيننـا وبين تأليف كتاب عن أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السـلام)، ونقـدّم ما يخصّ بطل العلقمي للقاريء الكريم دون أن يسافر بعيداً علي صفحات كتاب الشيخ المظفر حتّي يصطاد معلومة

ذكرها عن العباس(عليه السلام) من بين أكداس الأحداث التاريخية، ويميّز اسمه من بين الأعداد الضخمة لأسماء الرجال المذكورين في عداد اسمه، ولعلّه يضطرّ إلي قراءة موقف أو مشهد لبعض رؤوس الشرك أو الضلال قبل وبعد الإسلام لكي يتوصّل إلي موقف أبي الفضل(عليه السلام) أو تدفعه ضرورة مسايرة المؤلف إلي المرور تحت رايات الفجرة واللئام الكفرة من أجل الوقوف تحت ظلال راية العباس(عليه السلام).

فحذفنا ما رأيناه غريباً عن الموضوع، واختصرنا ما رأيناه زائداً، ومحونا ما شممنا منه رائحة المدح أو التقرير لفعل الظلمة الذين وقفوا في وجه أهل البيت:، وأضفنا إليه ما تصوّرناه تتميماً للكتاب، وإن كان لا يعدو كونه كقبسة عجلان.

وربما فرض علينا السياق التقديم والتأخير، أو إضافة عنوان أو حذف آخر، وهكذا علي أمل أن نوفّق في مستقبل العمر إن بقي فيه بقية أن نكتب كتاباً عن حامل لواء الحسين(عليه السلام) وفق منهجنا وطريقتنا في دراسة التاريخ.

ورتّبناه علي ترتيب المؤلف في فصول ثلاثة:

الفصل الأوّل:

في نسبه من جهة الآباء والأمّهات والأعمام والأخوال والإخوة مع الاقتصاد في التراجم.

الفصل الثاني:

في ولادة العباس(عليه السلام)، وكناه وألقابه، وصفاته النفسية والبدنية، وما يناسب ذلك.

الفصل الثالث:

في مقتله(عليه السلام)م، وفي ذكر وظائفه، وبعض الخطط الحربية، ومدفنه وكراماته.

باذلين في ذلك الوسع، مؤدّين الجهد خدمة لسيّد الشهداء(عليه السلام)، وقضاءاً لشيء يسير من الحقّ الواجب لهذا البطل العظيم الذي كانت له مرتبة سامية، ومكانة مكينة عند الله ورسوله(صلي الله عليه واله) وأئمة أهل البيت الهداة:، لا من حيث فدي بروحه إمام الحقّ المفترضة طاعته علي الخلق أجمعين فحسب، وضحّي نفسه في سبيل الدين خاصّة، وجعل حياته الثمينة ثمناً لساعات من حياة سيّد الشهداء(عليه السلام) وإمام الزمان ولشرع سيّد المرسلين(صلي الله عليه واله) وحرس حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين والإمامين الحسنين: فقط، بل لما كان فيه من السجايا الحميدة، والمزايا الفاضلة، والخصال المحبوبة، وقد جمع أبو الفضل خصالاً كثيرة من خصال الفضل، وكلّها سببت له محبّة الله ورسوله(صلي الله عليه واله) والأئمة الميامين: والمؤمنين، بل الخلق الأجمعين، مثل: الزهد، والعبادة، والحلم، والشجاعة، والحزم، والثبات، والبصيرة في الدين، والشهامة، والسخاء، وحسن الخلق، والإيثار، والوفاء، والفصاحة، والصباحة.

قال الشاعر:

لقد قال الرسول مقال صدقٍ

وخير القول ما قال الرسول

إذا الحاجات فرّت فاطلبوها

إلي من وجهه حسنٌ جميلُ

وقد وسمه الله أيضاً بسمات بدنية كمالية غير الصباحة، كالقوّة، والبسطة في الجسم، فإنّه(عليه السلام) كان أيّداً قويّاً، مديد القامة طوالاً، عظيم الهامة، وهي سمة السيادة.

وقد امتنّ الله – تعالي – علي من حباهم هذه الصفات واختصّهم بها، فقال

– تعالي – ممتنّا علي قبيلة عاد الشهيرة بقوله:)وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً(»(1).

وقد امتنّ علي طالوت بقوله: «)وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ(»(2).

وقد امتنّ علي نبيّه موسي بن عمران(عليه السلام) حاكياً ما اقتصّه من خبره عن ابنة العبد الصالح شعيب:)يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ((3).

فلاجتماع هذه المزايا والخصال لإبي الفضل العباس(عليه السلام) حاز شرفاً شريفاً وفخراً فاخراً، امتاز علي ما عدا أهل العصمة في الدنيا والآخرة.

أمّا الدنيا: فهذا مرقده الشريف، وقبّته المنيفة مقصد الزائرين،

1- الاعراف : 69 .

2- البقرة : 247 .

3- القصص : 26 .

وملجأ ذوي الحاجات، يقصـده الناس من البلاد النائيـة، والأقطار الشاسـعة، للزيارة وطلب الحوائـج، فإليه وإلي أبيه وأخيه تشدّ الرحال من الشرق والغرب.

وأمّا في الآخرة: فقد أخبرنا بمنزلته السامية ومرتبته العظيمة الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين(عليهما السلام) حيث يقول: ((إنّ لعمّي العباس درجة يغبطه بها جميع الشهداء)).

ومن كان يغبطه جميع الشهداء علي درجته ومنزلته، فهو المقدّم بلا ارتياب.

وإنّما غبطه جميع الشهداء لعلوّ درجته، واستوجب علوّ الدرجة عليهم بأمور إنفرد بها عنهم، منها:

إنّه قاسـي أكثر ممّا قاسوه عناءاً، وكابـد أشـدّ ممّا كابـدوه محناً، وقد جاء في الأثر: ((الأجر علي قدر المشـقّة))، وقد اختصّ(عليه السـلام) بالإيثار الذي سـنذكره، وبتضـحية أشـقّائه نصب عينيه الواحد تلو الآخر، كانوا ثلاثة لأمّه شباب لا أعقاب لهم، وبتضحية ولديه نصب عينيه أحدهما عقيب الآخر، ولم نعلم أنّ هذين الأمرين إجتمعا لواحد من الشهداء سوي أخيه الحسين(عليه السلام).

أمّا المحن التي كابـدها دون الشـهداء، فالعطش الـذي أصابه يوم القتال، ومـداراة نساء مـذعّرات ترهب هجمات الأعـداء آونة فآونة، وترقب الأسر ساعة فساعة، ومداراة أطفال صغار أرعبهم ضجيج

الأعداء، ووقع سنابك الخيل، وأرهبهم ومض الأسلحة وبريقها ولمعانها المدهش.

وكابد من المحن أن شاهد مصارع الأحبّة من إخوته وذوي قرباه الذين لم يسمح الدهر لهم بنظير.

ومن المحن التي شاهدها، وقد غطّت علي كافة المحن أن شاهد وحدة أخيه الحسين(عليه السلام) وندائه ((وا قلّة ناصراه، وا غربتاه)).

ومن المحن التي شاهدها، وهي ممّا يؤلم مهجة الغيور، ويقرح قلب الأبيّ المتحمّس، صراخ العائلة، وهتاف العقائل المخدرات ينادين ((أبا عبد الله! ردّنا إلي حرم جدّنا))، وهو يقول لسيّدتهنّ زينب الحوراء(عليها السلام): ((هيهات، جري القضاء وجفّ القلم)).

فهذه المحن مع تلك الخصائص والخصال قد أوجبت له زيادة فضل علي الشهداء، فكان به من مجموع أجر الشهادة، وأجر الصبر علي الإبتلاءات العظيمة، ودوران الأمر بين حياته وحياة سيّد شباب أهل الجنّة في ساعة من ساعات الزمن في طفّ كربلاء، درجة يغبطه بها جميع الشهداء.

ومن جهة ثانية: إنّ الشهادة نوعين:

شهادة للدعاية في سبيل إشادة الدين، والدعوة إلي الإسلام، وذاك سبيل الغزاة والمجاهدين.

وشـهادة للـدفاع عن حشاشة المعصوم، والمدافعة عن حياته، والذبّ عن ناموس الله وحرم رسوله، وهذه سبيل الخلّص والخواص، وهي بلا ريب أفضل الشهادتين،

لأنّ حفظ النبي والإمام(عليهما السـلام) أفضل من جلب رجل إلي الإسـلام، ولـذلك كانت وقعـة بـدر أفضل الوقائع، والبدري أفضل من غيره، وشـهيد بدر أفضل من سائر الشـهداء، لأنّها لم تكن غزوة في سبيل توسـعة الإسلام، بل كانت دفاعاً عن حشاشة رسول الله(صلي الله عليه واله) ووقاية له.

ثم وقعة أحد، وهي دونها رتبة في الفضل، وإنّما كانت دونها في الفضل، وقد اشتركتا معاً في الدفاع عن حشاشة النبي(صلي الله عليه واله)، لأنّها كانت أكثر عدداً، وأحسن عُدداً، فإنّ من شـهد بدراً أقلّ ممّن شهد أحداً من الصحابة بالضعف، أو أقلّ منه، ومن شهد أحداً أكثر عدداً وأكمل عُـدداً، وبالقرب منهم المدينـة، وهي حصن حصـين، وفيها جمع تخلّفوا عن الحرب، فكانت محنـة أهل بدر أعظم، وموقفهم أشـدّ حراجة، فاذا كانت المحنة أقوي والشدّة أعظم كان الجزاء أوفر، والحباء أكبر.

وممّا لا يستراب فيه أنّ محنـة شـهداء كربلاء أعظم المحن، وبلاءهم أشـدّ البلاء من حيث قلّة العدد، وانقطاع المدد، وبعد الأهل والوطن، وهم في حصار شديد في فلاة قاحلة وبادية جرداء عُدم فيها الماء، وعزّت الأقوات، وأدهشـهم مع ذلك البلاء المبرم صـراخ النسوة، وصـياح الصبية.

كلّ هذا – ونحوه – ممّا لم يبتلي به أهل بدر لإمكان مجيء المدد اليهم لو

طلبوه، وحصول النجدة إن أرادوها، والأهل والوطن منهم قريب لو أرادوا إنسحاباً، ووجود الماء عندهم، وحصول الأقوات لديهم.

فمن أجل إجتماع هـذه المحن الظاهرة للعيان وغيرها من الأسـرار التي لا ينظمها بيان نال أهل كربلاء الدرجات العلي، وقد أصاب الشاعر نعتهم بقوله:

هم خير أنصار براهم ربّهم

للدين أوّل عالم التكوين وقوله:

هم أفضل الشهداء والقتلي الأولي

مُدحوا بوحي في الكتاب مبين

***

وأخيراً: ما كان في هذا الكتاب رضا لله ولرسوله وللأئمة الطاهرين فهو رضا لنا وللقارئين، وما كان خلافاً لذلك فنحن والقارئ منه براء.

ونرجو من الله السـميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل، ويرضي عنّا العباس بن أمير المؤمنين وأخو الإمامين الحسن والحسين:، وعـمّ الأئمة النجباء الميامين، وحامي خـدر العقائل من بني ياسـين، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا خليل، ولا يحرمنا وأزواجنا وذرّيّاتنا خـدمة زين السـماوات والأرضـين سـيّد الشـهداء الحسـين(عليه السلام) في الدنيا والآخرة، وينوّر أبصارنا بالنظر إلي وجهه الكريم في الدنيا وعند الموت وفي القبر والآخرة، ويجعل عملنا وحبّنا واعتقادنا فيما يرضيه ويرضي

النبي الأمين(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين(عليه السلام)، وذرّيّته الطاهرين، بحقّ سيّدنا ومولانا مهيّج أحزان يوم الطفوف وأخته فاطمة المعصومة التي يدخل الشيعة الجنّة بشفاعتها أجمعين.

الله اغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذرّيّاتنا وإخواننا المؤمنين وعجّل فرج وليّ أمرنا، آمين ربّ العالمين.

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

16/8/1432

ص: 27

الفصل الأوّل: في نسب العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(صلي الله عليه واله)

اشارة

وفيه ذكر آبائه من أمير المؤمنين(عليه السلام) إلي عدنان، وذكر أمّهاته وأخواله وأعمامه وإخوته.

ص: 28

سلسلة آبائه الكرام إلي عدنان

اتّفق علمـاء الأنسـاب وقـالوا قولاً واحـداً في اتصال نسب رسول الله(صـلي الله عليه واله) إلي عـدنان، واختلفوا فيما بين عـدنان وآدم(عليه السلام)، ونحن نورد ما اتّفقوا فيه، ونترك ما اختلفوا فيه.

ذكر ابن اسـحاق برواية ابن هشام في سـيرته، والسـيّد الداوودي في عمدته، وابن قتيبة في معارفه، والمسـعودي في مروجه، والقلقشـندي في نهايته، وابن واضح في تاريخه، والطبري في تاريخه، والحلبي والدحلاني في سيرتيهما، وغيرهم من النسّابين، وجميع ما ذكرنا ينسبون رسول الله(صلي الله عليه واله)، ونحن نوصله بالعباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)، فنقول: هو:

أبو الفضل العباس الأكبر، ابن وصي رسول الله علي، بن أبي طالب، بن شيبة الحمد عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

هذا نسب اتّفق عليه النسابون، ولكلّ واحد من هؤلاء الآباء الكرام شرف ورئاسة، ومجد ضخم، وكلّ واحد منهم في عصره سيّد قومه، وزعيمهم المقدّم عليهم، بما امتاز به من كرم الأصل، ومكارم الأخلاق، لأنّ كلّ فرد منهم لا يشبهه من في عصره – لا عربي ولا أعجمي – في جميع المكارم، وسائر السجايا والشيم، فهو الممتاز من حيث الصفة البدنية، كالصباحة، وحسن الملامح، والسيماء التي يتفرّس منها كلّ خير، وكما كساه الله الجمال والبهاء كساه المهابة والجلالة وحسن الهيئة وبجّله في أعين الناظرين، وجعل له رهبة في قلوب المناوئين.

أمّا من حيث الصفات النفسيّة النفيسة فقد أربي عليهم وفاقهم كمالاً كما راقهم جمالاً، فلا يدانيه رئيس ولا متوّج في جلّ المحامد، كالبطولة، والنشاط الذاتي لاقتناء المكارم، نحو الشجاعة والسخاء والفصاحة وسائر المفاخر المنتخبة، والمكارم المتخيّرة عند عامّة العقلاء، وكلّ واحد منهم قاد قومه في الحروب، وكان مع تفوّقه بفنّ القيادة مظفّراً منصوراً.

ونحن نختصر لكلّ عظيم منهم علي ترجمة مختصرة من مطوّلات آثاره، ونورد موجزاً من المبسوط في أحواله ممّا به الكفاية، إن شاء الله.

1- عدنان بن أد:

الجدّ الأعلي لرسول الله(صلي الله عليه واله)، وإليه ينتهي النسب المتّفق عليه.

قال زيني دحلان في سيرته عن الزبير بن بكار: إنّ أوّل من وضع أنصاب الحرم عدنان.

وقيل: هو أوّل من كسي الكعبة..

وجاء إنّما سمّي عدنان من العدن، وهو الإقامة، لأنّ الله أقام ملائكة لحفظه، وسبب ذلك: أنّ أعين الإنس والجنّ كانت إليه مصروفة، وأرادوا قتله، وقالوا: لئن تركنا هذا الغلام حتّي يدرك مدارك الرجال ليخرجنّ من ظهره من يسود الناس، فوكّل الله به من يحفظه...

وذكر مثله الديار بكري في تاريخ الخميس، والمسعودي في إثبات الوصية، وزاد بعد قوله ((من يحفظه)): فنشأ أحسن أهل زمانه خلقاً وخُلقاً.

وفي تاريخ الخميس: إنّ الملك الموكّل بحفظه علّمه ملّته، وإنّ فيه نور رسول الله(صلي الله عليه واله).

وذكر ابن واضح شرفه، وأنّه أوّل من وضع أنصاب الحرم وكسي

الكعبة.

وذكر هؤلاء كلّهم: إنّ عـدنان أصل القبائل العدنانيـة كلّها، ومنه تفرّقت شـعوبها وقبائلها، وولـد له ولـدان: عك بن عدنان، واختلط باليمن، فانتسب اليهم، ومعد بن عدنان، وهو الأصل الثاني للقبائل العدنانية الإسماعلية.

وفي قصيدة الناشيء الشاعر الشهير، وذكرها جماعة من المؤرّخين منهم ابن كثير في البداية، يقول فيها:

وما زال عدنان إذا عدّ فضله

توحّد فيه عن قرين وصاحب

فتزوّج معد معانة ابنة جوشم [جوشن] بن جلهمة، فولدت له نزار بن معد.

ولد عدنان:

معد وعك.

ص: 32

وعن السهيلي: الحارث بن عدنان أيضاً، والمذهب بن عدنان.

وعن غير السهيلي: الضحاك خامساً، وعدن، وأبين ابنا عدنان، نسب هذا القول للطبري.

كلّ هذا حكاه ابن كثير في تاريخ البداية والنهاية علي خلاف في الأربعة، وإتفاق في معد وعك.

2 - معد بن عدنان:

أشهر العرب في عصره، وأعظمهم فخراً، وهو الأصل الثاني للعرب العدنانية، حتّي كان يقال في تقسيم العرب هكذا: عدناني ومعدي.

قال ابن واضح في تاريخه(1) .: كان معد أوّل من وضع رحلاً علي جمل وناقة، وأوّل من زمّها بالنساع..

كان معد بن عدنان شـريفاً زعيماً قائداً مظفّراً منصوراً، وبطلاً شـجاعاً، وسـخيّاً جواداً، ومؤمناً موحّداً، ذا عفّة وشـهامة، وجدّ وصرامة، مرهوباً مهاباً، مسـدّد الرأي، مجـدوداً موفّقاً، ذا غارات ومغازي، يصاحبه فيها النصـر والظفر، وكان سـرّ تلك الغلبـة هو التأييد الربّاني، ومن لحظته العناية الربّانية استعلي، وكان نور النبي(صلي الله عليه واله) يتلألأ في غرّته، وتسطع أنواره في جبينه.

ولمّا مات أبوه عدنان احتوي علي ميراثه المجدي، وحاز تراثه الشـرفي، من لواء وقوس، وأفراس وأسلحة وغيرها، وذاك اللواء هو لواء شيث بن آدم، أو لواء الخليل إبراهيم علي الرأيين التاريخيين، والقوس هي العربية قوس إسماعيل(عليه السلام)، وإنّما حاز ذلك معد، لأنّه أكبر إخوته وأنبلهم، وأسـيرهم ذكراً، وأبعدهم صـيتاً ومغاراً، وأكثرهم مآثراً وآثاراً، فله الصوت الأوّل في أندية المجد، والصيت الذائع في أرجاء الجزيرة العربية.

1- تاريخ اليعقوبي 1/183 طبعة النجف .

ومنـذ اسـتقلّ معـد بالزعامة مع ما فيه من الكفاءة، واجتماع غرائز الفضل والمواهب الإلهية نهض بأعباء الزعامة أفضل نهوض، وقام بشؤون الرئاسـة القيام المرضـي، فحمل اللواء، ونشـر عَلَمَه المظفّر الخافق بالنصـر والغلبة، وقاد جيشه المؤلّف من أربعين جنديّاً من ولده وأسـرته، فكان يلقي بذلك الجيش الصغير الجيوش الكبيرة، ويصدم بذلك العدد النزر الأعداد الكثيرة.

قال المسعودي: في إثبات الوصية(1): إنّما سمّي معداً، لأنّه كان صاحب حروب وغارات... ولم يواقع أحداً إلاّ رجع منصوراً مظفّراً، فجمع من المال ما لم يجمعه أحد في زمانه.

وقال الديار بكري في تاريخ الخميس(2): وأمّا معد بن عدنان، ففيه نور رسول الله(صلي الله عليه واله).

وقـد صـرّحوا أنّه كان علي دين إبراهيم(عليه السـلام)، نصّ عليه الطبري، ورواه عنه الدحلاني(3)، ولفظه: روي الطبري في تـاريخه عن ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد علي ملّة إبراهيم، فلا تذكروهم إلاّ بخير...

ولو استوفينا الأقوال في إثبات إيمانهم لخرجنا عن الموضوع، وفي بائية الناشيء:

1- إثبات الوصية : 73 ط النجف .

2- تاريخ الخميس 1/166 الطبعة الأولي بمصر .

3- السيرة الدحلانية : 1/13 بهامش السيرة الحلبية .

وكان معد عدّة لوليّه

إذا خاف من بطش العدوّ المحارب

ولد معد

أمّا ولد معد بن عدنان منهم: نزار، وقضاعة، وقنص، وأياد، قاله ابن إسحاق(1).

وتفصيل أحوالهم يستدعي تطويلاً، فراجع كتاب الأنساب..

3 - نزار بن معد بن عدنان:

كان نزار من سادات العرب وحكمائهم، وقد فاق أهل زمانه جمالاً وكمالاً، ففي بائية الناشئ:

وحلّ نزار من رياسة أهله

محلاً تسامي عن عيون الرواقب

قال ابن واضح في تاريخه(2): كان نزار بن معد سيّد بني أبيه وعظيمهم، ومقامه بمكة.

زاد في تاريخ الخميس(3): أنّ قبره وقبر ابنه ربيعة بذات الجيش قرب المدينة.

1- سيرة ابن هشام 1/10 ط الأولي .
2- تاريخ اليعقوبي : 1/183 .
3- تاريخ الخميس : 1/167 .

وفي السيرة الدحلانية(1): إنّ نزار لمّا ولـد نظر أبوه إلي نور النبي(صـلي الله عليه واله) بين عينيه، ففرح فرحاً شديداً، ونحر وأطعم، وقال: إنّ هذا كلّه نزر – أي قليل – في حقّ هذا المولود، فسمّي ((نزاراً))، وكان أجمل أهل زمانه، وأكبرهم عقلاً.

وفي السيرة(2): إنّه أوّل من كتب الكتاب العربي.

وقـال الماوردي في أعلام النبوة(3)، بعـد أن ذكر أباه معـداً: ثم ازداد العزّ بولـده نزار، وأبسـطت به اليـد، وتقـدّم عنـد ملوك الفرس، واجتباه بشتاسف ملك الفرس.

وقال الأب لويس اليسوعي(4): نزار بن معـد بن عـدنان: هو من العرب المسـتعربة، ولد له أربعة أولاد، وهم: مضـر، وربيعة، وأياد، وأنمار، تفرّع منهم قبائل كثيرة.

واتفق علماء النسب أنّه لا عقب له غير هؤلاء الأربعة، ونزار هو الأصل الثالث للقبائل العدنانية، فيقال: عدناني، ومعدي، ونزاري، ولا جامع لهم بعد نزار.

1- السيرة الدحلانية : 1/11 هامش الحلبية .

2- الحلبية السيرة الحلبية 1/19 .

3- أعلام النبوة : 118 .

4- شرح مجاني الأدب : 1/23 .

4 – مضر بن نزار الملقّب بمضر الحمراء:

جدير بالذي افتخر به أن يعطس شامخاً، ويتنحنح باذخاً، ويلمس السماء قاعداً، ويتناول الثريّا ساجداً.

قال ذلك الشاعر – ومهما بالغ في الافتخار فالشعر أعذبه أكذبه –:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي

وقام بنصري حازم وابن حازم

عطست بأنف شامخ وتناولت

يداي الثريّا قاعداً غير قائم

وفي بائية الناشئ:

وفي مضر يستجمع الفخر كلّه

إذا اعتركت يوماً زحوف المقانب

لا غرو لو استجمعت المفاخر كلّها في مضر، وهل المفاخر إلاّ مواهب يفيضها الله – تعالي – علي من يشاء من عباده، إنّ مضر بن نزار تفرّد من ناحية الفيض الربّاني عن أقرانه بما حباه الله به من الخصال الحسنة، وتميّز علي معاصريه بما اكتسبه من الفضائل التي دلّته عليها الفطرة، فأصبح بمعنوية هذين الأمرين فريد وقته، ونادرة عصره، وإليه انتهي مجد العدنانية، وفخر المعدية، فكانت له الرئاسة والزعامة علي كافة ولد عدنان، وله أعظم مكرمة، وأجل منقبة نال بها شرف المحيا والممات ما حواه صلبه، وتلألأت به غرّته الغراء من نور سيّد البشر وخاتم الأنبياء نبيّنا محمد(صلي الله عليه واله).

ص: 37

ففي السيرتين الحلبية والدحلانية(1)، واللفظ للأخير: إنّ مضـراً إنّما سـمّي مضراً، لأنّه كان يمضر القلوب – أي يأخذها – لحسنه وجماله، ولـم يره أحد إلاّ أحبّه، وكان يشاهد في وجهه نور النبي(صلي الله عليه واله).

ومن كلاـمه: خير الخير أعجله، فاحكموا أنفسـكم علي مكروهها، واصـرفوها عن هواها فيما أفسـدها، فليس بين الصـلاح والفساد إلاّ صبر فواق، وهو ما بين الحلبتين.

وهو أوّل من حدي للإبل، وكان من أحسن الناس صوتاً، ويقال له: مضر الحمراء، وقبره بالروحاء.

وقال ابن واضح(2): وأمّا مضر بن نزار، فسيّد ولد أبيه، وكان كريماً حكيماً.

فذكر لتسمية مضر وجوها أربعة أشهرها عند المؤرّخين: اختصاصه بالحمر من الإموال.

قال المسـعودي في إثبات الوصية(3): إنّما سـمّي مضـر، لأنّه أخـذ بالقلوب، فلم يره أحـد إلاّ أحبّه، وكان كلّ واحـد منهم – يعني أجـداد النبي(صـلي الله عليه واله) – يأخذ علي ابنه أن لا يتزوّج إلاّ أطهر النساء في زمانه، وكانت الكتب تعلّق في البيت الحرام، فلم تزل معلّقة من لدن إسماعيل

1- السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية : 1/13 .

2- تاريخ اليعقوبي 1/186 .

3- إثبات الوصية : 74 .

إلي أيام الفيل.

وقال الـديار بكري في تاريخ الخميس(1): وتزوّج نزار امرأة يقال لها ((عبيـدة))، فولـدت له مضـر، وكان مسـلماً علي ملّة إبراهيم، وفيه نور رسول الله(صلي الله عليه واله)، وإنّما سمّي مضر، لأنّه أخذ بالقلب، ولم يكن يراه أحد إلاّ أحبّه.

يقال: إنّه هو أوّل من سنّ الحداء للإبل، وكان من أحسن الناس صوتاً.

وفي الإكتفاء: ولـد نزار بن معـد أربعـة بنين: مضـرّ وربيعة، وأنمار، وإياد، وإليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكره الزبير، وقد ذكر هو والحلبي وغيرهما أحاديثاً من طرقهم تصرّح بإسلامه.

أولاد مضر:

لم يكن لمضر غير رجلين أحدهما إلياس، والثاني إلناس.

5 - إلياس بن مضر:

رأس العدنانية بعد أبيه مضر، وزعيمها المطاع.

وفي بائية الناشئ:

1- تاريخ الخميس 1/167 .

وللياس كان اليأس منه مقارناً

لأعدائه قبل إعتداد الكتائب

كـان إليـاس بن مضـر مطاعاً في العرب لا يرد له رأي، ولمّا اسـتلم زمام الرئاسـة بعـد أبيه مضـر نهض بأعبائه نهوضاً حسـناً، وازداد مجـده، وتضاعف سؤدده، وهابته العرب وعظّمته، وألقت إليه أزمة الطاعة، واعترفت له بالسـيادة، وأذعنت لجودة رأيه، فاستكانت خاضعة، فجدّد لها سنن إبراهيم الخليل(عليه السلام) بعد أن تركها حقباً، وبلغ من شرفه عند العرب أن سمّت داء الحبن، أو داء الاستسقاء داء إلياس، لأنّه توفيّ فيه.

قال ابن واضـح في تاريخه(1): كان إلياس بن مضـر قد شـرف وبان فضـله، وكان أوّل من أنكر علي بني إسـماعيل ما غيّروا من سنن آبائهم، وظهرت منه أمور جميلة رضوا به رضا لم يرضوا بأحد من ولد إسماعيل(عليه السلام)، فردّهم إلي سنن آبائهم حتّي رجعت سننهم تامّة علي أوّلها، وهو أوّل من أهـدي البـدن إلي بيت الله، وأوّل من وضع الركن بعـد هلاك إبراهيم(عليه السـلام)، فكانت العرب تعظّم إلياس تعظيم أهل الحكمة.

وقـال علي دده الحنفي في كتـاب محاضـرات الأوائل والأواخر(2): وأوّل من أرسـل البـدن إلي البيت إليـاس بن مضـر، وكان يسـمع تلبية النبي(صلي الله عليه واله) في صلبه، وهو أوّل من وضع مقام إبراهيم(عليه السلام) للناس بعد الطوفان، ولم

1- تاريخ اليعقوبي 1/187 .

2- محاضرات الأوائل والأواخر : 60 .

تزل العرب تعظّمه، وقال رسول الله(صلي الله عليه واله): لا تسبّوا إلياس بن مضر، وهو من مؤمني أهل الفترة.

وذكر الحلبي والدحلاني الشافعيان، واللّفظ للأخير(1): وتواتر أنّ جدّه(عليه السلام) إلياس

كان يسمع من صلبه تلبية رسول الله(صلي الله عليه واله) المعروفة في الحجّ، وكان كبيراً عند العرب، يدعونه سيّد العشيرة، ولا يقضون أمرا دونه، وهو أوّل من أهدي البدن، وجاء في الحديث: لا تسبّوا إلياس، فإنّه كان مؤمناً، وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قوله.

وقال الدياربكري في تاريخ الخميس: وتزوّج مضر خزيمة، فولدت له إلياس.. ثم ذكر مثلما ذكروا وقال: إنّ العرب كانت تعظّمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه.

وكان يدعي كبير قومه، وسيّد عشيرته، ولا يقطع أمر ولا يقضي دونه.

وقال ابن واضح(2): كان إلياس قد أصابه السلّ، فقالت خندف امرأته: لئن هلك لا أقمت ببلد مات فيه، وحلفت أن لا يظلّها بيت، وأن تسيح في الأرض.

فلمّا مات خرجت سائحة في الأرض حتّي هلكت حزناً عليه، وكانت وفاته يوم الخميس، فكانت تبكيه، وإذا طلعت الشمس في

1- السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية 1/11 .

2- تاريخ اليعقوبي 1/187 .

ذلك اليوم بكت حتّي تغيب، فصارت مثلاً.

قيل لرجل من إياد هلكت امرأته ألا تبكيها؟ فقال:

ولو أنّه أغني بكيت كخندف

علي الياس حتّي ملّها السر تندب

إذا مونس(1) لاحت خراطيم شمسه

بكت غدوة حتّي تري الشمس تغرب

والرباب زوجة سيّد الشهداء الحسين بن علي(عليهما السلام)، وان لم تسح في الأرض، لكنّها أبت أن يظلّها ظلّ في حرّ وفي برد، وتنوح كلّ يوم تطلع في الشمس إلي أن تغيب.

للشيخ المظفر :

فإن تك ليلي بنت حلوان فاتها

من الياس نجم من نجوم المكارم

فإنّ ابنة الكلبي في يوم كربلا

لقد فقدت شمس الضحي بابن فاطم

فإن تك ساحت في البسيطة خندف

وناحت لفقد إلياس نوح الحمائم

فإنّ ابنة الكلبي طول حياتها

أليفة نوح وانعقاد مآتم

أولاد إلياس

أولاد إلياس ثلاثة باتفاق النسابين، وهم: مدركة، وطابخة، وقمعة، وهذه ألقاب لهم.

6 - مدركة بن الياس بن مضر:

1- مونس : يوم الخميس عند العرب القدماء .

كان مدركة – واسمه عمرو علي الراجح، ويقال: عامر – من سادات العرب، وأشراف أهل اللّسان الفصيح، وكان جواداً شجاعاً فصيحاً، حسن الوجه حلو الشمائل، كريم السجايا والطباع جم الفضائل، ممدوحاً عند العرب.

في بائية الناشيء:

ومدركة لم يدرك الناس مثله

أعفّ وأعلي عن دني المكاسب

وفي السيرة الحلبية(1) وابن إسحاق: قيل له مدركة، لأنّه أدرك كلّ عزّ وفخر كان في آبائه، وكان فيه نور رسول الله(صلي الله عليه واله).

وقال ابن واضح(2): كان مدركة بن إلياس سيّد ولد نزار، قد بان فضله، وظهر مجده.

وفي تاريخ الخميس(3): فتزوّج إلياس بن مضر امرأة يقال لها ((مخة)) – وفي حياة الحيوان: خندف – فولدت له مدركة، وكان اسمه عامر.

وقال الطبري في التاريخ(4): اسمه عمرو وأمّه خندف، وربيعة ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأمّها ضريّة بنت ربيعة

1- السيرة الحلبية 1/28 .

2- تاريخ اليعقوبي 1/188 .

3- تاريخ الخميس 1/169 .

4- تاريخ الطبري 3/189 .

بن نزار، قيل: بها سمّي حمي ضرية.

وإخوة مدركة لأبيه وأمّه: عامر وهو طابخة، وعمرو وهو قمعة.

ويقال: إنّه أبو خزاعة.

وفي تاريخ ابن الأثير(1): اسمه عمرو، ويكني ((أبا هذيل))، ويقال: أبا خزيمة.

أولاده:

عند ابن إسحاق أنّه له ولدين: أحدهما خزيمة، والثاني هذيل.

وذكر ابن عبد البرّ في الانباه علي أسماء الرواة(2): إنّ أمّها هند بنت وبرّة أخت كلب بن وبرّة.

7 - خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر:

كان خزيمة عظيم الرئاسة، ضخم الشرف، محكم العقل، ذا حنكة وتجارب، ورفق وأناة، وكان من حكّام العرب والقضاة المشهورين فيهم، لا ترّد له قضية قضاها، ولا يخالف له حكم حكم به، وكان من الأجاود الكرماء، والخطباء ذوي اللسن والفصاحة، واحد الشجعان

1- الكامل في التاريخ 2/13 ط 1 .

2- الانباه علي أسماء الرواة : 37 .

الأبطال، وكان ظاهر الوسامة باهر الجمال.

في بائية الناشيء:

ومن قبله أبقي خزيمة حمده

تليد تراث عن حميد الأقارب

قال المسعودي في إثبات الوصية(1): إنّما سمّي خزيمة لأنّه خزم نور آبائه.

وقال ابن الواضح في تاريخه(2): كان خزيمة أحد حكام العرب، ومن يعدّ له الفضل والسؤدد.

وفي السيرتين الحلبية والدحلانية واللفظ للأخير(3): وخزيمة قيل: إنّه تصغير خزمة، وإنّما سمّي ذلك، لأنّه خزم - أي جمع فيه - نور النبي(صلي الله عليه واله) الذي كان في آبائه.

وفي تاريخ الخميس(4): فولد مدركة بن إلياس بن مضر نفراً، منهم: خزيمة بن مدركة، وهذيل بن مدركة، وأمّهما امرأة من قضاعة، قيل: هي سلمي بنت سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وقيل: اسم أمّ خزيمة قزيمة.

وإنّما سمّي خزيمة، لأنّه خزم نور آبائه، وفيه نور رسول الله(صلي الله عليه واله)، فبقي

1- إثبات الوصية : 74 .

2- تاريخ اليعقوبي : 1/189 .

3- السيرة الدحلانية : 1/12 بهامش الحلبية .

4- تاريخ الخميس : 1/170 .

سنين لا يدري كيف يتزوّج حتّي أري في منامه أنّه تزوّج برّة بنت طابخة، فتزوّجها، وكانت – يومئذٍ – سيّدة قومها في الحسن والجمال، فولدت له كنانة.

وفي الاكتفاء: فولد خزيمة بن مدركة كنانة وأسداً وأسدة والهون.

وخزيمة هذا اسمه لا خلاف في ذلك.

8 – كنانة بن خزيمة بن مدركة:

حاز كنانة شرفاً، وأربي علي كلّ شرف، وامتاز بمآثر مجد جديدة أبقاها لأعقابه مفخراً، وقد اكتسبها بجدّه ومساعيه، وحصّ لها بجهوده العظيمة، فضمّ إلي كرم الآباء ومآثر الأسلاف فضائل النفس، ونتائج الأعمال الصادقة، والأفعال الصالحة، فاصبح محبوباً للعرب بإخلاصه وتفانيه في سبيل تخليد مجدهم، وبما منحه الله – تعالي – من صدق الفراسة والحدس، وحسن الذكاء والفطنة، أصبح حكماً وحكيماً للعرب تقصده خاصّ تها وعامّتها للاستفادة من فضائله وفواضله، فمن راغب في الحكميات، ومن طالب لفصل الخصومات، ومستجد للنوال، ومستجير من عاديات الرجال.

في بائية الناشئ:

لعمري لقد أبقي كنانة قبله

محاسن تأبي أن تطوع لغالب

ذكر الحلبي والدحلاني في سيرتيهما(1)، واللفظ للأخير: ومن ذلك ما نقل عن جـدّه(صـلي الله عليه واله) كنانة بن خزيمة أنّه كان شـيخاً عظيماً تقصـده العرب لعلمه وفضـله، وكان يقول: قـد آن خروج نبي من مكـة يـدعي ((أحمـد)) يدعو إلي الله والي البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً، وعزّاً إلي عزّكم، ولا تفنّدوا ما جاء به فهو الحقّ.

وقال ابن واضح في تاريخه(2): وظهر في كنانة بن خزيمة فضائل لا يحصي شرفها وعظمتها.

وذكر في تاريخ الخميس ما لفظه(3): وفي كنانة نور رسول الله(صـلي الله عليه واله)، وإنّما سـمّي كنانة لأنّه لم يزل في كنّ من قومه، تزوّج كنانة ريحانة، فولدت له النضر بن كنانة.

أولاد كنانة

أمّا أولاد كنانة فأربعة علي المشهور: النضر، ومالك، وملكان...

وذكر ابن عبد البرّ في كتاب الأنباه(4) عن ابن الكلبي أنّهم أكثر من عشرة، ولكن لم يذكر أسمائهم.

1- سيرة الدحلانية : 1/11 .

2- تاريخ اليعقوبي : 1/191 .

3- تاريخ الخميس : 1/171 .

4- الأنباه : 67 .

9 - النضر بن كنانة:

اعتلا شـرف النضـر علي شرف آبائه اعتلاءاً مفرطاً، وفاق كلّ عربي في عصره بجميع سمات الفضل ومزاياه، وبلغ من السؤدد المرتبة السامية حتّي أنّ عظماء الملوك تسعي في توطيد رئاسته، وتوكيد وثائق سيادته.

في بائية الناشئ:

وللنضر طول يقصر الطرف دونه

بحيث التقي ضوء النجوم الثواقب

والنضر هو قريش علي الراجح من الأقوال.

قال الداوودي في عمدة الطالب(1): النضر واسمه قيس، وإنّما سمّي النضر لجماله ووضائته.

وقال المسعودي في إثبات الوصية(2): وإنّما سمّي النضر لأنّ الله - تعالي - اختاره وألبسه نضرة، وسمّي النضر قريشاً.

فكلّ من ولد النضر قرشي، وهو الذي قال: رأيت كأنّما خرجت من ظهري شجرة خضراء حتّي بلغت عنان السماء، وأنّ أغصانها نور في نور، فلمّا انتبهت أتيت الكعبة، وأخبرت من فيها بذاك، فقالوا: إن صدقت رؤياك صرف إليك العزّ والكرم، وخصصت بالحسب

1- عمدة الطالب : 11 طبع الهند .

2- إثبات الوصية : 47 .

والسؤدد، فاعطاه الله – تعالي – ذلك.

ونظر الله – تعالي – نظرة إلي الأرض، فقال لملائكته: انظروا من أكرم أهل الأرض اليوم عندي، وأنا أعلم وأحكم.

فقالت الملائكة: ربّنا وسيّدنا! ما نري أحداً يعبدك بالوحدانية مخلصاً إلاّ نوراً واحداً في ظهر رجل من ولد إسماعيل.

فقال الله – تعالي –: اشهدوا اخترته لنطفة حبيبي محمد(صلي الله عليه واله).

قال: فبسط له الحرم بالعزّ والشرف.

وقال الدياربكري في تاريخ الخميس(1): اسمه قيس، وإنّما سمّي النضر لنضارة وجهه وجماله.

وفي السيرتين الحلبية والدحلانية(2)، واللفظ للأخير: والنضر إنّما لقّب به لنضارة وجهه وإشراقه وجماله من نور النبي(صلي الله عليه واله).

وقال ابن الأثير في تاريخه(3): يكنّي أبا يخلد، كني بابنه يخلد، وعامّة النسابين يذكر ((مخلد))، فلعلّه هنا كان تصحيفاً.

واسم النضر قيس، وقيل: إنّ النظر بن كنانة كان اسمه قريشاً.

وقيل: لمّا جمعهم قيل لهم، والتقرّش التجمّع.

وقيل: لمّا ملك قصي الحرم وفعل أفعالاً جميلة قيل له ((القرشي))،

1- تاريخ الخميس : 1/170 .

2- السيرة الدحلانية : 1/12 .

3- الكامل في التاريخ : 2/12 .

وهو أوّل من سمّي به، وهو من الاجتماع أيضاً، أي: لاجتماع الخير فيه.

وقد قيل في تسمية قريش قريشاً أقوالاً كثيرة لا حاجة إلي ذكرها.

أولاد النضر بن كنانة:

قال ابن الأثير في التاريخ(1): بعد قوله ((أمّه برّة)): وإخوته لأبيه وأمّه: نضير، ومالك، وملكان، وعامر، والحرث، وعمرو، وسعد، وعوف، وغنم، ومخرمة، وجرول، وغزوان، وجدال.

10 - مالك بن النضر بن كنانة:

وقد ساد مالك بن النضر بني إسماعيل، وترأّس علي سائر ولد عدنان، فعظم شرفه في العرب، فانقادوا به وأطاعوه، وكان جواداً كريماً، ملك القلوب بمكارمه

وجودة أخلاقه، وهو قريش علي بعض الأقوال التي ذكرها صاحب عمدة الطالب.

وفي بائية الناشئ:

وما زال منهم مالك خير مالك

وأكرم مصحوب وأكرم صاحب

قال الحلبي في سيرته(2): قيل له: مالك، لأنّه ملك العرب، ومثله في

1- الكامل في التاريخ 2/12 .

2- السيرة الحلبية : 1/18 .

إثبات الوصية للمسعودي(1) وتاريخ الخميس للدياربكري.

وقال ابن واضح في تاريخه(2): وكان مالك بن النضر عظيم الشأن.

وكـان لمالـك أخوان: يقال لأحـدهما ((يخلـد))، فـدخلت يخلـد في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانـة، فخرجوا من جماع قريش، والآخر منهما يقال له ((الصلت)) لم يبق من ذرّيّته أحد.

وقال ابن الأثير في التاريخ(3): وكنيته أبو الحارث، وأمّه عاتكة بنت عدوان، وهو الحرث بن قيس عيلان، ولقبها عكرشة، وقيل غير ذلك.

11 – فهر بن مالك بن النضر بن كنانة:

وهو الأصل الثاني لقريش قبل أن تسـمّي قريشاً، فيقال لهم: بنو فهر وبنو النضـر، أو هو قريش – علي قول مشهور – ترأس فهر بعد أبيه مالك رياسة عامّة وازداد ملكه ضـخامة واعتلا مجده وشـرفه سناءاً ورفعة وإليه تنسب أعظم القبائل العربية فيقال: الفهرية، وتوسمت سمات الخير والفضل عليه، وعرفت سجايا المجد منه في حياة أبيه، فتوسّم منه الخير في زمن الطفولية:

إنّ الهلال إذا رأيت نموّه

أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً

1- إثبات الوصية : 74 .

2- تاريخ اليعقوبي 1/193 .

3- الكامل في التاريخ : 2/12 .

والفهر في لغة العرب: الهاون من الحجارة سمّي به الرجل، ولأسباب اختارت العرب هذه الأسماء ذكرها هنا يؤدي بنا إلي الشذوذ.

وكان الفهر من العلماء والأجواد والشـجعان والأبطال، وكان مظفراً في حروبه، منصوراً علي الخصماء، خدمته السعادة في حياته حتّي مات، وهو قريش في أحد الأقوال.

في بائية الناشئ:

وكانت لفهر في قريش خطابة

يعوذ بها عند اشتجار المخاطب

قال ابن واضح في تاريخه(1): وظهر في فهر بن مالك علامات فضل في حياة أبيه، فلمّا مات أبوه قام مقامه.

فيروي أنّ فهر بن مالك قال لابنه غالب حين حضرته الوفاة:

أي بني! إنّ في الحـذر انغلاق النفس، وإنّما الجزع قبل المصائب، فاذا وقعت مصـيبة ترتجز لها، وإنّما القلق في غليانها، فاذا قامت فبرّد حرّ مصـيبتك بما تري من وقع المنيّة أمامك وخلفك، وعن ويمينك وعن شـمالك، وما تري في آثارها من محق الحياة، ثم اقتصـر علي قليلك، وإن قلّت منفعته، فقليل ما في يدك أغني لك من كثير ممّا أخلق وجهك إن صار اليك.

وقال الماوردي في أعلام النبوة(2): كان فهر في زمانه رئيس الناس

1- تاريخ اليعقوبي : 1/233 ط دار صادر .
2- أعلام النبوة : 123 .

في مكـة، وقصـدها حسان بن عبـد كلال في حمير وقبائل اليمن ليهـدم الكعبة، وينقل أحجارها إلي اليمن، ليبني بيتاً في اليمن يجعل حجّ الناس إليه، فنزل نخلة، وأغار علي سرح مكة، فسار إليه فهر في كنانة وأحلافهم من قبائل مضر، فانهزمت حمير، وأسر الحارث بن بهر حسان بن عبد كلال، فبقي في يد فهر ثلاث سـنين أسـيراً بمكة، حتّي فدا نفسه وخرج، فمات بين مكة واليمن، فعظم بهذا الشأن فهر، وعزّت قريش حين حمي مكة ومنع من هدم الكعبة.

وفي لفظ الحلبي بعد سياق القصّة(1): فهابت العرب فهراً وعظّموه وعلا أمره.

قال في تاريـخ الخميس: فتزوّج مالك بن النضـر جندلـة بنت الحارث بن جنـدل بن عامر بن سـعد بن الحارث بن مضاض الجرهمي، فهي جرهمية، وحادية عشرة من الجدّات النبوية، فولدت له فهر بن مالك، وهو جماع قريش عند الأكثر.

وفي الاكتفاء: إنّ قريشاً هو اسمه الذي سمّته به أمّه، ولقّبته فهراً، ومثله في تاريخ الطبري.

وذكر ابن الأثير أنّه كان يكنّي ((أبا غالب))، وأنّه ناهض حسان الحميري بقريش وكنانة وخزيمة وأسد وجذام وغيرهم...

1- السيرة الحلبية : 1/18 .

أولاد فهر:

قال ابن كثير في البداية والنهاية: وولد فهر غالباً ومحارباً وحارثاً وأسداً، وأمّهم ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة، قال ابن هشام: وأختهم لأبيهم جندلة بنت فهر.

12- غالب بن فهر بن مالك:

ساد غالب بعد أبيه فهر، وترأّس بمكة، ونال شرفاً ومجداً، وكان من رجال العرب المبرّزين وذوي النباهة والصيت، وكان من المبجّلين المحترمين عند ملوك عصره، وهو الأصل الأوّل لقريش البطاح، وكان مفخرهم وعزّهم، ويجدون في الانتماء إليه مفخرة، ويجدون في الحرب تحمّساً إذا تنادوا ((يا آل غالب)).

وفي بائية الناشئ:

وفي غالب بأس أبي اليأس دونهم

يدافع عنهم كلّ قرن مغالب

قال ابن واضح في التاريخ(1): فلمّا مات فهر، شرف غالب بن فهر وعلا أمره..

وفي تاريخ ابن كثير: قال ابن اسحاق: فولد غالب بن فهر لؤي بن غالب، وتيم بن غالب، وهم الذين يقال لهم ((بنو الأدرم))، وأمّهما

1- تاريخ اليعقوبي : 1/192 .

سلمي بنت عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام: وقيس بن غالب، وأمّه سلمي بنت كعب بن عمرو الخزاعي، وهي أمّ لؤي.

13 – لؤي بن غالب بن فهر:

كانت ملامح لؤي بن غالب ترجمان شرفه، وأسارير غرّته عنوان مجده، فكان يتوسّم فيه الخير في عهد أبيه، لذكائه وفطنته وجودة حدسه، ولمّا توفّي أبوه وساد قومه لم يقتصر علي مآثر الأسلاف ومفاخر الآباء التالدة، بل ضمّ إليها فضائل نفسية عصماء.

وفي بائية الناشئ:

وألوي لؤي بالعداة فطوّعت

له همم الشمّ الأنوف الأغالب

قال ابن قتيبة في المعارف: وأمّا لؤي بن غالب، فينتهي إليه عدد قريش وشرفها.

وقال ابن واضح في تاريخه: قد كان لؤي بن غالب سيّداً شريفاً بيّن الفضل.

قال الطبري في التاريخ: وأمّ لؤي – فيما قال هشام – عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة، وهي أوّل العواتك التي ولدن رسول الله(صلي الله عليه واله) من قريش، وله أخوان من أبيه وأمّه يقال لأحدهما: تيم، والآخر: الأدرم، وما زاد ابن الأثير علي ما في الطبري سوي الكنية، فإنّه قال:

يكنّي ((أبا كعب)).

أولاد لؤي بن غالب:

قال ابن كثير في البداية والنهاية: قال ابن اسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعباً، وعامراً، وسامة، وعوفاً.

وفي مناهـج الألباب المصـرية ما لفظه: قـد كان لماويـة امرأة لؤي بن غالب أولاد منه، فقالت يوماً: أيّ بنيك أحبّ اليك؟ قال: الذي لا يردّ بسط يـده بخل، ولا يلوي لسانه عجر – بالراء المهملـة أي لكنة – ولا يلوّن طبيعته سـفه، وهو أحد ولدك بارك الله فيك، يعني كعب بن لؤي أحد أجداده(صلي الله عليه واله).

14 – كعب بن لؤي بن غالب:

كلّ وصف ربما يتجاوز الواصف فيه قدر موصوفه في المدح والتفريط مبالغة وإغراقاً في الإطراء والثناء إلاّ ما كان من وصف آباء النبي(صـلي الله عليه واله)، فإنّ الواصف لهم يقصّر، وإن ظنّه السامع مبالغاً في الثناء وغالياً في الإطراء، ولا إغراق في قولنا: إنّ كعب بن لؤي إن لم يكن ملكاً سياسياً، فإنّ له عظمة الملوك وقدر السلاطين، لأنّ رياسة عظيمة في مكة وضواحيها بشكل مملكة حاطها بالعدل والإحسان، وحصّنها بالمعروف، وحماها بالعزم من كلّ معتد، ومنعها من الغزاة والطامعين، وضمّ إلي أخلاقه ومزاياه مجد الأسلاف ومآثر الآباء، فقل

بلا تحاش: إنّه أجود العرب نائلاً، وأعظم العرب وأكثرهم فواضلاً وفضائلاً.

في بائية الناشئ:

وكعب علا عن طالب المجد كعبه

فنال بأدني السعي أعلا المراتب

قال الماوردي في أعلام النبوة: وأفضت معالم الحجّ من أوزاع مضر الي قريش فوليها منهم كعب بن لؤي بن غالب، فكان يجمع الناس في كلّ يوم جمعة ويخطب فيه علي قريش، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويقول:

حرمكم عظّموه وتمسّكوا به، فسيأتي له جلي نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم.

وهو أوّل من أفصح بالنبوة حين شاهد آثارها، وعرف أسرارها من انقياد العرب إليه تديّنا بحرمهم، وإعظاما لكعبتهم...

ذكر أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة(1) وابن واضح في تاريخه(2) واللفظ للأخير:

فأمّا كعب بن لؤي، فكان أعظم ولد أبيه قدراً واعظمهم شرفاً، وكان أوّل من سمّي يوم الجمعة ب-((الجمعة))، وكان يسمّي ((عروبة))، فجمعهم فيه، وكان يخطب عليهم ويقول:

1- دلائل النبوة : 1/22 طبع حيدر آباد .
2- تاريخ اليعقوبي : 1/194 طبع النجف .

اسـمعوا وتعلّموا وأقيموا واعلموا أنّ الليـل سـاج، والنهـار ضـاح، والأـرض مهـاد، والسـماء عمـاد، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأوّلون كالآخرين، والإنباء ذكر، فصـلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمّروا أموالكم، فهل رأيتم من هلك رجع؟ أو من مات نشر؟ الدار أمامكم، والظنّ غير ما تقولون، وحرمكم زيّنوه وتمسّكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم.

ثم يقول:

نهار وليل كلّ أوب بحادث

سواء علينا ليلها ونهارها

يؤبان بالأحداث حين تأوّبا

وبالنعم الضافي علينا ستارها

صروف وأنباء تغلّب أهلها

لها عقد ما يستحلّ مرارها

علي غفلة يأتي النبي محمد

يخبّر أخباراً صدوقاً خبارها

ثم يقول:

فياليتني شاهد فحواء دعوته

وإذ قريش تبغي الحقّ خذلانا

لو كنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجل لتنصّبت إليه تنصّب الجمل،

ولأرقلت إليه إرقال الفحل، فرحاً بدعوته، وجذلاناً بصرخته.

فلمّا مات كعب أرّخت قريش بموت كعب .. وفي دلائل أبي نعيم: إنّ بين موته ومبعث النبي(صـلي الله عليه واله) أو مولده سـتمائة وستون سنة، وكذلك في السيرتين الدحلانية والحلبية.

وفي الحلبية: أنّه قيل له ((كعب)) لعلوّه وارتفاعه، لأنّ كلّ شيء علا

وارتفع فهو كعب، ومن ثم قيل للكعبة ((كعبة))، ولعلوّه وارتفاع شأنه أرّخوا بموته، حتّي كان عام الفيل أرّخوا به، وبعد عام الفيل أرّخوا بموت عبد المطلب.

أولاد كعب بن لؤي:

وهم ثلاثة: مرّة، وعدي، وهصيص، قاله في البداية والنهاية عن ابن إسحاق.

15- مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب:

كان رجلاً شريفاً سيّداً مطاعاً مسموع الكلمة عند العرب، نافذ الأمر عند عشيرته، انتقلت إليه الزعامة العدنانية، وولاية الحرم الشريف بعد أبيه كعب، وإنّ هذه النفسية التي حواها مرّة لتمثّل الإباء الحرّ والمجد والصميم، وإنّ الروح التي فيه لجديرة باكتساب كلّ خصال الكمال، فأصبح في أمّ القري مثالاً للكمالات.

وفي بائية الناشئ:

ومرّة لم يحلل مريرة عزمه

سفاه سفيه أو محوبة حائب

قال ابن واضح(1): كان مرّة بن كعب سيّداً هماماً...

1- تاريخ اليعقوبي : 1/195 .

ويكنّي ((أبا يقظة))، قاله في سبائك الذهب.

قال في تاريخ الخميس(1): وتزوّج كعب وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، فهي فهرية أيضاً، وسابعة الجدات النبويات، فولدت له مرّة.

أولاد مرّة:

قال ابن كثير في البداية والنهاية: وولد مرّة ثلاثة: كلاب بن مرّة، وتيم بن مرّة، ويقظة بن مرّة، من أمهات ثلاث.

ويذكر ابن الأثير في تاريخه: أنّ أمّ كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر.

16 - كلاب بن مرّة:

واسمه حكيم، وقد قرّر قواعد الزعامة تقريراً متقناً، وقد أقامها علي أسس محكمة، وكان مع شرف الأرومة ومجد المحتد كسوباً للمكارم، فعّالاً للفضائل، وقد ساد العدنانية بعد أبيه، وهابته القبائل العربية، واعترف له بالرئاسة.

1- تاريخ الخميس 1/173 .

وقال ابن واضح(1): وشرف كلاب بن مرّة وجلّ قدره، واجتمع له شرف الأب والجدّ من قبل الأمّ.

وفيه يقول الشاعر:

حكيم بن مرّة ساد الوري

ببذل النوال وكفّ الأذي

أباح العشيرة أفضاله

وجنّبها طارقات الردي

17- قصي بن كلاب:

قال الداودي في العمدة(2): قصـيّ، واسـمه زيد، وإنّما سمّي قصيّاً لأنّ أمّه فاطمة بنت سعد بن شبل الأزديّة من أزد شنؤة تزوّجت بعد أبيه كلاب ربيعة بن حزام بن سـعد بن زيد القضاعي، فمضي إلي قومه، وكان زهرة بن كلاب كبيراً، فتركته عند قومه وحملت زيداً معها، لأنّه كان فطيماً، فسـمّي قصيّاً، لأنّه أقصي عن داره، وشبّ في حجر ربيعة بن حزام، لا يدري إلاّ أنّه أبوه إلي أن كبر، فتنازع مع بعض بني عذرة، فقال له العذري: الحق بقومك، فإنّك لست منّا، قال: وممّن أنا؟ قال: سل أمّك تخبرك.

فسألها، فقالت: أنت - والله - أكرم منهم نفساً ووالداً ونسباً، أنت ابن كلاب بن مرّة آل الله وعند بيته، فكره قصيّ المقام دون مكة،

1- تاريخ اليعقوبي : 1/195 .

2- العمدة : 10 .

فأشارت عليه أمّه أن يقيم حتّي يدخل الشهر الحرام، ثم يخرج مع حجّاج قضاعة، ففعل.

فلمّا سار إلي مكـة الشـريفة تزوّج إلي حليل بن حبشـية الخزاعي ابنته حبّي، وكان حليل يلي أمر الكعبة، وعظم أمر قصـيّ حتّي اسـتخلص البيت من خزاعـة، وحاربهم وأجلاهم عن الحرم، وصارت إليه السدانة والرفادة، وجمع قبائل قريش – وكانت متفرّقة في البوادي – فأسـكنها في الحرم، ولذلك سمّي مجمعاً.

قال الشاعر:

أبوكم قصيّ كان يدعي مجمعاً

به جمع الله القبائل من فهر

وبني دار الندوة، وهي أوّل دار بنيت بمكة، فلم يكن يعقد أمر تجتمع فيه قريش إلاّ فيها، فصار له مع السدانة والرفادة والسقاية الندوة(1)...

قال الماوردي في أعلام النبوة بعـد أن ذكر إجلاء خزاعة عن مكة وجمعه قبائل قريش: وكانت إليه الحجابة والسـقاية والرفادة والندوة واللواء، وصـارت سـنّته في قريش كالـدين لاـ يعمـل بغيره، فزادت القوّة بجمعهم حتّي عقـد الألويـة، وجـدّد بنـاء الكعبـة، وهو أوّل من بناهـا بعد إسماعيل(عليه السلام)، وبني دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور، وهي أوّل

1- دار الندوة كمحكمة سياسـية تفصل الدعاوي والخصومات، وبها تشـهر الحرب، ويعقد الصلح والهدنة، وتقع المشاورة، وتعقد الألوية، وتنفذ سائر الأحكام .

دار بنيت بمكة(1).

ثم قال: فولي قصـيّ البيت، وأمر مكـة، وجمع قومه من منازلهم إلي مكة، وتملّك علي قومه وأهل مكة، فملّكوه، فكان قصـيّ أوّل بني كعب أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كلّه، وقطع مكة أرباعاً بين قومه، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها.

فسـمّته قريش مجمعـاً لما جمع من أمرها، وتيمّنت بأمره، فما نكحت امرأة، ولا تزوّج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر نزل بهم إلاّ في داره، ولا تدرع امرأة من قريش إلاّ في بيته، ولا يخرج عير من قريش فيرحلون إلاّ من داره، ولا يقدمون إلاّ نزلوا داره، فكان أمره في حياته وبعد موته كالدين المتّبع لا يعمل بغيره، واتّخذ لنفسه دار الندوة.

قيل: كانت في جهة الحجر والميزاب عند المقام الحنفي اليوم، وجعل بابها إلي مسـجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصيّ إلاّ ابن أربعين سنة، وكان يدخلها ولده كلّهم وحلفاؤهم..

مات قصيّ عام أربعمائة وثمانين ميلادية مسيحية، قاله مير علي في تاريخ العرب.

1- أمّا الباقون كالطبري والدياربكري واليعقوبي والسير الثلاثة، فقد أطنبوا في ذلك.

18 - عبد مناف بن قصيّ:

انتهي الشرف القرشي والمجد العدناني إلي عبد مناف بن قصيّ، وحاز مآثر أبيه، قال الحلبي والدحلاني في سيرتيهما واللفظ للأخير(1): وعبد مناف واسمه المغيرة، وكان يقال له ((قمر البطحاء)) لحسنه وجماله.

قال: ووجد كتاب في حجر: أنا المغيرة بن قصيّ، أوصي قريشاً بتقوي الله - جلّ وعلا -، وصلة الرحم.

وقال الداودي في العمدة(2): وعبد مناف اسمه المغيرة، وكان يدعي ((القمر)) لجماله، ويدعي ((السيّد)) لشرفه وسؤدده، ومثله ذكر الطبري(3).

وقال الماوردي في أعلام النبوة(4): ثم أفضت رئاسة قريش بعد قصيّ إلي ابنه عبد مناف، فجدّ وزاد وساد، حتّي قال فيه الشاعر:

((كانت قريش بيضة فتغلّقت))

وكان اسمه المغيرة، وكان سمّي ((القمر)) لجماله، واستحكمت رئاسته بعد أبيه لجوده وسياسته، ثم بنيه.

وقال ابن واضح: ورأس عبد مناف بن قصيّ، وجلّ قدره، وعظم

1- السيرة الدحلانية : 1/7 .

2- العمدة : 12 .

3- تاريخ الطبري : 1/181 .

4- أعلام النبوة : 123 .

شرفه، ولمّا كبر أمر عبـد مناف بن قصـيّ جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزّوا به، فعقد بينهم الحلف الذي يقال له ((حلف الأحابيش))، وكان مدبّر بني كنانة الذي سأل عبد مناف الحلف عمرو بن هاني بن معيص بن عامر، وكان تحالف الأحابيش علي الركن يقوم رجل من قريش والآخر من الأحابيش، فيضعان أيديهما علي الركن فيحلفان:

((وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام علي النصر علي الخلق جميعاً حتّي يرث الله الأرض ومن عليها، وعلي التعاقد والتعاون علي كلّ من كادهم من الخلق جميعاً، ما بلّ بحر صوفة، وما قام حراء وثبير، وما طلعت شمس من مشرقها إلي يوم القيامة)).

ونقل السويدي عن ابن الأثير أنّه قال: كان له الشوكة في قريش.

وقال القلقشندي في نهاية الأرب: كان يسمّي ((فخر البطحاء))، وكان له الشوكة في قريش.

وفي تاريخ الخميس عن الواقدي أنّه قال: مات قصـيّ بمكة، فدفن في الحجون، فتنافس الناس بعده علي الدفن في الحجون، وكان نور رسول الله(صلي الله عليه واله)في عبد مناف، وكان في يده لواء نزار وقوس إسماعيل.

وفي شفاء الغرام: فلم تزل السقاية والرفادة والقيادة لعبد مناف بن قصيّ يقوم بها حتّي توفي.

19- هاشم بن عبد مناف:

إنّ هاشم بن عبد مناف شـهرته تغني عن توصـيفه، لم يلد إسماعيل في هذه السلالة الكريمة أجلّ ولا أعظم من هاشم، ولا أفخر، ولا أذكر، ولو كان يسـتغني أحد عن شـرف الآباء ومجد الأسـلاف لاسـتغني عنه هاشم بنفسه، لأنّ نفسه ذات الشـمائل الكريمة والسجايا الفاضلة قد ابتدعت له مجداً لا يدرك، وعزّاً لا ينال، من حيث تمامية الخلقة، كالجمال واعتدال القامة، وحسن التشـكيل والتخطيط البدني، ومن حيث تمامية الأخلاق، كالكرم والشجاعة والفصاحة، وما لا أستطيع له عدّاً.

فاذا أضيفت هذه الأخلاق إلي كرم النجار ومجد الأرومة كان سيّد العرب غير مدافع، ولست أقول: إنّ هاشم فخر قريش علي العرب خاصّة، بل أقول: فخر العرب علي الأمم قاطبة، وهو الذي سنّ الرحلتين.

وكان هو الأصل في الانتساب الفارق بين الأشـراف وسائر قريش، فاذا قيل: هاشـمي، فقد بلغ المنتمي إليه أقصـي الفخر، وولّد في قلب كلّ قرشي حسرة إذ لم ينتمي إليه.

وسـرّ آخر لم تصل إليه أفكارنا أنّ الانتساب إليه باق ما بقي الدهر، علي أنّك لم تعرف قرشـياً بعينه في الدنيا غير قبيلته، والأموي يكتم نسـبه حذراً من الوصمة التي تلحقه من أعمال بني أميّة الفاجرة.

وفخراً آخر لهاشم، هو أعظم من كلّ ما ذكرنا: أنّه والد الذريّة الطاهرة، فالنبوة

والإمامة جعلهما الله في ولده.

قال الداودي في عمدة الطالب: هاشم، اسمه عمرو، ويقال: عمرو العلا، ويكني أبا نضلة، وإنّما سمّي بهاشم لهشمه الثريد للحاجّ، وكانت إليه الرفادة، وهو سنّ الرحلتين، رحلة الشتاء إلي اليمن، ورحلة الصيف إلي الشام، ومات بغزّة من أرض الشام، وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه

ورجال مكة مسنتون عجاف

وكان هاشم يدعي ((القمر))، ويدعي ((زاد الركب))(1).

قال الماوردي في أعلام النبوة(2): وملك هاشم الرفادة والسقاية، واستقرّت له الرئاسة، وصارت له قريش تابعة تنقاد لأوامره، وتعمل برأيه، وتنافرت قريش وخزاعة إليه، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة، فقال في خطبته:

1- أزواد الركب من قريش: هاشم هذا، وأبو طالب عليهماالسلام، وأبو أميّة المخزومي، والد أمّ سلمة زوجة النبي صلي الله عليه و آله، وقد سمّي بهذا آخرون .

2- أعلام النبوة : 24 .

أيّها الناس! نحن آل إبراهيم، وذريّة إسـماعيل، وبنو مضـر، وبنو النضـر بن كنانة، وبنو قصيّ بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب، ومعدن المجد، ولكلّ في كلّ خلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته إلاّ ما دعا إلي عقوق عشيرة أو قطع رحم.

يا بني قصيّ أنتم كغصني شجرة، أيّهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يصان إلاّ بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه، ومن أمحكه اللجاج أخرجه إلي البغي.

أيّهـا الناس! الحلم شـرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سـفه، والأيام دول، والـدهر غير، والمرء منسوب إلي فعله، ومأخوذ بعمله،

فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضل تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم، وحاموا عن الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم.

وعليكم بمكارم الأخلاق، فإنّها رفعة، وإيّاكم والأخلاق الدنيئة، فإنّها تضع الشرف، وتهدم المجد.

ألا وإنّ نهنة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به.

فقالت قريش: رضينا بك أبا نضلة – وهي كنيته –.

فانقلبوا إلي ما أمر به من شريف الأخلاق، ونهي عنه من مساوئ

الأفعال، فهل صـدر إلاّ عن غزارة فضل، وجلالـة قـدر، وعلوّ همة، وما ذاك إلاّ لاصـطفاء يراد، وذكر يشاد، لأنّ توالي ذلك في الآباء يوجب تناهيه في الأبناء...

في تاريخ الخميس: كان أوّل بني عبد مناف موتاً هاشم، مات بغزّة من أرض الشام، واختلف في سـنّه حين مات: فقيل: سنّه 20، وقيل: سنّه 25.

وفي المنتقي: كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم، وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السـراء والضـراء، وكان يحمل ابن السبيل، ويأوي الخائف، وكان نور رسول الله(صـلي الله عليه واله) في وجهه يتوقّد شـعاعاً، ويتلألأ ضـياءاً، ولا يراه حبر من الأحبار إلاّ قبّل يديه، ولا يمرّ بشـيء إلاّ سجـد إليه، تفـد إليه قبائل العرب ووفود الأحبار، ويحملون بناتهم ويعرضونهن عليه ليتزوّج بهن، حتّي بعث إليه هرقل ملك الروم وقال: إنّ لي بنتاً لم تلد النساء أجمل منها، ولا أبها وجهاً، فاقدم إليّ حتّي أزوّجكها، فقد بلغني جودك وكرمك، وإنّما أراد بذلك نور رسول الله(صلي الله عليه واله) الموصوف عندهم في الإنجيل، وكان هاشم يأبي، وكان ينطلق إلي جبل ثبير يسأل الله ثم يرجع.

ثم ساق الكلام إلي تزويجه بسلمي أمّ عبد المطلب ووفاته بغزّة من أرض الشام، وكانت سنة 510 للميلاد، قاله مير علي في تاريخ العرب.

ص: 69

20- عبد المطلب بن هاشم:

عبـد المطلب، وما أدراك ما عبـد المطلب؟! هو لباب المجـد، ومحض السؤدد.. عبـد المطلب ملك الجزيرة العربيـة، وسـلطان العـدنانية والقحطانية، عاهلها العظيم، وزعيمها القدير، سـمت به همّته العليا، وشـيمته الشـماء الي ارتقاء المرتبة السامية، والرقي إلي الدرجة العالية، وتمّ له الفخر بثلاثته التي لا ينازع فيها: كرم الأصل، ومجد الأرومة، وعزّة النفس، وحسن السجايا، وفخر السلالة والعترة.

فإنّ رجلاً ينتظم في سلسـلة آبائه هاشم، فقصـيّ، فكعب، فالنضر، فمضر، فمعد، فعدنان، فإسماعيل ذبيح الله(عليه السلام)، فإبراهيم خليل الله(عليه السلام).

وفي سلسـلة السلالة النامية محمد رسول الله(صلي الله عليه واله)، فعلي وصي رسول الله(عليه السلام)، فالحسنان سبطا هذه الأمّة(عليهما السلام)، فمهديّها(عليه السلام)، فالطيار، فحمزة(عليهما السلام).

وفي سلسـلة صـفاته، سيادة البطحاء، فسقاية الحجاج، فإطعام طير السماء والوحش، ويدعي بالفيّاض، وذي الحوضين، ومن سجد له الفيل، ونصر بالأبابيل، واسسقي به الغمام، فذاك أعظم رجل قامت عنه الحرائر، وأجلّ شخص ولدته العقائل.

قال الماوردي في أعلام النبوة(1): وانتقلت السقاية والرفادة والرئاسة إلي عبد المطلب، وأخذ نوفل عهداً من الأكاسرة بالعراق، وصارت

1- أعلام النبوة : 136 .

رحلته إليها، وأخـذ عبـد المطلب عهـداً من ملوك الشام وأقيال حمير في اليمن، وصارت رحلته إليها، وحفر عبد المطلب حين قوي واشـتدّ زمزم، وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحارث الجرهمي من غزالي الكعبة، وحجر الركن، فضرب الغزالين صفائح ذهب علي الكعبة، ووضع الحجر في الركن.

وصار عبـد المطلب سـيّداً عظيم القـدر، مطاع الأمر، نجيب النسل، حتّي مرّ به أعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالأسد، فقال: إذا أحبّ الله إنشـاء دولـة خلق لها أمثال هؤلاء، فأنشأ لهم بالنبوة دولـة خلّد بها ذكرهم، ورفع بها ذكرهم، حتّي سادوا الأنام، وصاروا الأعلام، وصار كلّ من قرب إلي رسول الله(صلي الله عليه واله) من آبائه أعظم رئاسة وتنوّهاً، وأكثر فضلاً وتألّها...

قال في تاريخ الخميس: رأي هاشم في منامه أن تزوّج سلمي بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، فهي نجارية، وثانية الجدّات النبويات، وكانت كخديجة في زمانها! لها عقل وحلم، فولدت له عبد المطلب، واسـمه شيبة الحمد، وقد قيل: عامر، وفيه نور رسول الله(صلي الله عليه واله).

وروي أنّ عبد المطلب كان حجّة، وأبو طالب كان وصيّه(1).

وفي الإكتفاء: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمسة نسوة:

1- بحار الأنوار : 15/117 .

عبـد المطلب وأسـد – وهو أبو فاطمة أمّ علي(عليهما السـلام) – وأبا صـيفي – واسـمه عمرو – ونضـلة، والشـفاء، وخالدة، وصـفيّة، ورقيّة، وحمنة، وأمّ عبد المطلب منهم سلمي بنت عمرو النجارية... وساق نسبها.

وكانت وفاته عام 579 ميلادية، قاله مير علي في تاريخ العرب(1).

ومن شعره الحكمي:

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة

ولو تسلّت أسلناها علي الأسل

لا ينزل المجد إلاّ في منازلنا

كالنوم ليس له مأوي سوي المقل(2)

21- أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم:

وهنا يفترق العباس عن رسول الله(صـلي الله عليه واله)، لأنّه(صـلي الله عليه واله) ابن عبد الله بن عبدالمطلب:، ووالد العباس علي بن أبي طالب بن عبد المطلب:.

انتهي كلّ مجد وشـرف وسؤدد في الآباء الكرام والأسـلاف العظام إلي أبي طالب(عليه السـلام)، وقد ساد أبو طالب(عليه السـلام) في حياة عبد المطلب، وتكاملت فيه آلات الرئاسة، فكان معتمد عبد المطلب، وأوثق بنيه في نفسه، ولا يعوّل في المهمّات إلاّ عليه، ولهذا لمّا عرض له أعظم مهـمّ يهتمّ به بعد موته، وهو رعاية رسول الله(صلي الله عليه واله) وكفالته، لـم يجد للتوصية به أهلاً إلاّ ولده أبا طالب(عليه السلام)، فلذلك قال مخبراً عن ثقته به أن يقوم بما أوصاه فيه

1- تاريخ العرب : 7 .

2- مناهج الألباب : 71 .

من هذا المهم قائلاً:

وصّيت من كنّيته بطالب

عبد مناف وهو ذو تجارب

هذا بعد أن قال له:

أوصيك يا عبد مناف بعدي

بمؤتم بعد أبيه فرد

فكانت محاماة أبي طالب(عليه السلام) عن رسول الله(صلي الله عليه واله) ودفاعه دونه وذبّه عنه من فضائله العظيمة، ومكارمه ذات الشأن، لأمرين لا يستريب فيهما إلاّ جاهل:

أحدهما: أنّ النبي(صلي الله عليه واله) تمكّن بتلك المحاماة من تبليغ الرسالة، ونشر الدعوة الإلهية، فكان أبو طالب(عليه السلام) عضده وناصره، فالإسلام والدين طالبي علوي.

ثانيهما: كفاه مؤنة الإهتمام لمصالحه الشخصية، وفرّغه بما كفاه من أموره لمصالح الدعاية الربّانية، وبث مواد الإصلاح والمهمّات الدينية، فكان رسول الله(صلي الله عليه واله) طول حياة أبي طالب(عليه السلام) يأوي إلي كافل كافي، وناصر قوي.

فلمّا مات أبو طالب(عليه السلام) نالت قريش من رسول الله(صلي الله عليه واله)بغيتها، وكابد منها أهوالاً، ولاقي أموراً صعاباً حتّي كان يتجوّل في القبائل والعشائر، فلم يجد مأوي، ولم يصب ناصراً، فقصد ثقيفاً وعامراً وربيعة وغيرهم، فلم يلقي منهم من يجيره من قومه ليبلّغ رسالة ربّه، حتّي قال(صلي الله عليه واله):

((ما أسرع ما وجدنا فقدك يا عمّ))

فما ظنّك برجل كانت حياته عزّ الإسلام، ووفاته ثلمة

لا تسدّ فيه، فهل تجد بربّك شرفاً يقارب هذا، أو مجداً يدانيه؟...كلاّ.

قال ابن أبي الحديد الكاتب:

فلولا أبو طالب وابنه

لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكّة آوي وحاما

وهذا بيثرب لاقي الحماما

إنّ أبا طالب(عليه السلام) زعيم قريش وسيّدهم، وعظيم أهل مكة.

وجملة الأقوال في اسمه ثلاثة:

أحدهما: إنّ اسمه كنيته.

وثانيهما: عمران.

وثالثهما: عبد مناف.

قال ابن واضح(1): فكفل رسول الله(صلي الله عليه واله) بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب(عليهما السلام) عمّه، فكان خير كاف، وكان أبو طالب(عليه السلام) سيّداً شريفاً مطاعاً مهيباً.

وخرج به(صلي الله عليه واله) إلي بصري من أرض الشام، وهو ابن تسع سنين، قال: والله لا أكلك إلي غيري، وربّته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب(عليها السلام)، وأمّ أولاده جميعاً.

1- تاريخ اليعقوبي : 2/20 .

ثم قال(1): وتوفي أبو طالب بعد خديجة(عليهما السلام) بثلاثة أيام، وله 86 سنة، وقيل: 90 سنة.

ولمّا قيل لرسول الله(صلي الله عليه واله): إنّ أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثم قال: يا عمّ، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً، ومشي بين يدي سريره، وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً.

وقال: اجتمعت علي هذه الأمّة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيّهما أنا أشدّ جزعاً، يعني مصيبة خديجة وأبي طالب(عليهما السلام).

ثم قال: واجترأت قريش علي رسول الله(صلي الله عليه واله) بعد موت أبي طالب(عليه السلام)، وطمعت فيه، وهمّوا به مرّة بعد أخري، وكان رسول الله(صلي الله عليه واله) يعرض نفسه علي قبائل العرب في كلّ موسم، ويكلّم شريف كلّ قوم، لا يسألهم إلاّ أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم، إنّما أريد منكم أن تمنعوني ممّا يراد بي من القتل، حتّي أبلّغ رسالات ربّي، فلم يقبله أحد، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به...

وقال الداودي في عمدة الطالب: وكان أبو طالب مع شرفه وتقدّمه

1- تاريخ اليعقوبي : 2/23 .

جمّ المناقب، غزير الفضل، ومن أعظم مناقبه كفالته لرسول الله(صلي الله عليه واله)، وقيامه دونه، ومنعه إياه من كفار قريش، حتّي حاصروه في الشعب ثلاث سنين.

ثم قال: ومن مناقبه أنّه استسقي بعد وفاة أبيه عبد المطلب، فسقي...

وقال ابن أبي الحديد الكاتب في الشرح: قال الزبير: فأمّا أبو طالب بن عبد المطلب، واسمه عبد مناف، وهو كافل رسول الله(صلي الله عليه واله) وحاميه من قريش وناصره، والرفيق به والشفيق عليه، ووصيّ عبد المطلب فيه، فكان سيّد بني هاشم في زمانه.

قال الزبير: وأبو طالب أوّل من سنّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنّة في الإسلام، وكانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب، ثم سلّمها إلي أخيه العباس.

قال: وكان أبو طالب شاعراً مجيداً...

وفي تاريخ الخميس: كان عبد المطلب بعد هاشم يلي الرفادة، فلمّا توفي قام بذلك أبو طالب في كلّ موسم حتّي جاء الإسلام، وهو علي ذلك، وقد كان النبي(صلي الله عليه واله) أرسل بمال يعمل به الطعام سنة 9، ثم عمل به النبي(صلي الله عليه واله) في حجّة الوداع سنة

10، وهو طعام الموسم الذي كان الحكّام يطعمونه أيام الحجّ بمكة وبمني حتّي تنقضي أيام الموسم.

وقال ابن حجر العسقلاني في الإصابة بعد ذكر نسبه: واشتهر بكنيته، واسمه عبد مناف علي المشهور، وقيل: عمران.

وقال الحاكم: أكثر المتقدّمين علي أنّ اسمه كنيته، ولد قبل النبي

ب-((35 سنة))، ولمّا مات عبد المطلب أوصي بمحمد(صلي الله عليه واله) إلي أبي طالب، فكفله وأحسن تربيته، وسافر به إلي الشام وهو شاب، ولمّا بعث قام بنصرته وذبّ عنه من عاداه، ومدحه عدّة مدائح، منها قوله لمّا استسقي أهل مكة فسقوا:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه

ثمال اليتامي عصمة الأرامل

ومنها قوله من قصيدة:

وشقّ له من اسمه ليجلّه

فذو العرش محمود وهذا محمد

وذكر الدحلاني والحلبي وسبط ابن الجوزي في التذكرة، واللفظ للثاني(1): إنّه لمّا حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب، فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد(صلي الله عليه واله) وما اتبعتم أمره، فاطيعوه ترشدوا...

23- أمير المؤمنين ويعسوب الدين ووصي رسول ربّ العالمين وقائد الغرّ المحجلين أبو الحسن علي بن أبي طالب(عليهما السلام):

قال الشيخ المظفر :

إمام هدي لم ينظر الخلق مثله

سوي المصطفي المختار من ولد آدم

إنّ الكاتب مهما مكّنته البلاغة من أساليب البيان وفنون التبيان،

1- السيرة الدحلانية 1/150، السيرة الحلبية : 383، تذكرة الخواص : 5 .

ليقف موقف البكيّ العاجز عن تحديد أقلّ صـفاته، وأدني مناقبه، فمهما سطّر من الكلم المرصفة، والألفاظ المتخيّرة، لا يبلغ أدني مرقاة في مدح من قال الله فيه:

)إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ((1).

فهـذا ثنـاء من أعظم الثناء، إذ قرن الفلاح بموالاته، وجعل ولايته كولايته وولايـة رسوله(صـلي الله عليه واله)، وهيهات أن يصف الواصف، وينعت الناعت من تاهت الأفكار في توصيفه، أو يبلغ المطري حقيقة من تحيّر ذوو العقول في نعوته، حتّي قيل:

إن قلت ذا بشر فالعقل يمنعني

وأخشي الله من قولي هو الله

فالواجب علينا ترك الخوض في جميع ما زلّت به الأقدام فيه من كلا طرفي الإفراط والتفريط، ونسير علي الجادة الوسطي، ونقول:

إنّه الإمام الحقّ، المفترض الطاعة، الواجب الاتباع بالنصّ عليه من الله ورسوله(صلي الله عليه واله).

وإذا رجعنا إلي صفاته، قلنا:

هو أخو رسول الله(صلي الله عليه واله)، وصنوه، وصهره، ووارثه، ووصيّه، وأبو سبطيه، وزوج ابنته، وحامل لوائه، وساقي حوضه، وكاشف

1- المائدة : 55 و 56 .

الكرب عن وجهه، ومنجز عدته، وقاضي دينه، ووزيره، وناصره، وأحبّ الناس إليه، وأقدمهم عنده، وأخصّهم به، وآثرهم وأحظاهم...

ومن جهة ثانية نقول: هو أوّل الناس إيماناً، وأقدمهم إسلاماً، صلّي إلي القبلتبن، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقمع نخوة الشرك ببدر وأحد وحنين، وسائر المشاهد، أشدّ الناس اجتهاداً في العبادة، وأعظمهم جدّاً في الطاعة، وأكثرهم في الجهاد أثراً.

ومن جهة ثالثة نقول: هو إمام البررة، وقاتل الفجرة، ومرغم الكفرة، صاحب المناقب والسوابق، وأبو الذريّة الطاهرة، وزوج البتول المطهّرة، باب مدينة العلم، ويعسوب الدين، وسيّد المسلمين...

ومن جهة رابعة نقول: هو أعلمهم، وأحلمهم، وأكرمهم، وأشجعهم، وأكثرهم مناقب، وأعظمهم فضائل....

ومن جهة خامسة نقول: أسيسهم للأمّة حيث ألّف بين فريقين يبرء أحدهما من الآخر: العثمانية والعلوية، فجمعهم بسياسته، وحارب بهم أعداءه، وأعدلهم، وأورعهم، وأزهدهم، وأفصحهم، وأصلحهم لخلق الله، وأعبدهم، وأعفّهم، وأوعاهم لقول رسول الله(صلي الله عليه واله) لمّا نزلت: ((وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ)) سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي، إلي آخر ما لا نطيق له عدّاً.

ومن جهة سادسة: من حيث الخصائص التي له، كالولادة في الكعبة، والرقي علي منكب النبي(صلي الله عليه واله) لمّا أراد(عليه السلام) تكسير الأصنام التي في ظهر الكعبة، والتربية النبويّة في حجر النبوة، فإنّه ربّاه رسول الله(صلي الله عليه واله).

وتقـديم الصدقـة في مناجاة رسول الله(صـلي الله عليه واله)، وقـد اتّفق العلماء أنّه اختصّ بها، والتصدّق بالسـرّ والعلانية في الليل والنهار، واتّفقوا أنّه اختصّ بهـا، وفي الموضـعين نزل القرآن بالثنـاء عليه، وكاختصاصه بالمناجاة لرسول الله (صـلي الله عليه واله) في عـدّة مواضع، ذكرها العلماء، وكاختصاصه بأنّه لا يصـيبه الرمـد، ولا يناله مسّ الحرّ والبرد، وكاختصاصه بقلع باب خيبر الذي لا يفتحه ولا يغلقه إلاّ أربعة وأربعون، وكاختصاصه بقلع الصـخرة عن العين، وكاختصاصه بكون ضرائبه شفع، وضرباته وتر، وما ضرب ضربة وشاكلت أختها... إلي غير ذلك.

ومن جهة سابعة: كثرة معاجزه التي منها: إخباراته بالغيب، كإخباره بأسماء من يقتل من رؤساء أهل الكوفة، وإخباره بمن يحمل راية معاوية إذا دخـل الكوفـة، وإخبـاراته لأصـحابه بالصـفة التي يقتلون بها، وكإخباره عن الحجّاج وعبـد الملك بن مروان، وإخباره بإمرة مروان، وأنّها قصـيرة، حيث قال: دعوه فإنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وكإخباره عن الزنج المتغلّبين علي البصرة، وكإخباره عن المدن التي تبني بعد زمانه كبغداد، وغير ذلك ممّا يطول.

ومن معاجزه: ردّ الشـمس عليه مرّتين، مرّة في حياة رسول الله(صـلي الله عليه واله)، ومرّة في خلافته في مسـيره لحرب الخوارج بالنهروان، ومشهد الشمس معروف إلي اليوم بالحلّة من أرض العراق، وغير ذلك من معاجزه المشهورة التي رواها العلماء.

وأنا أعتذر إلي القرّاء من تحرير ترجمة لمولانا أمير المؤمنين(عليه السلام)،

لأنّي إن كتبت قليلاً أكون قد قصّرت، وإن كتبت كثيراً أكون قد تجاوزت خطّة هذا الكتاب المبتني علي الإختصار، وكيف تحرّر مناقب من لو اجتمع الجنّ والإنس كتاباً والشجر أقلاماً والبحر مداداً ما أحصت مناقبه(1).

***

وهنا يتمّ لإبي الفضل العباس(عليه السلام) مجده الوراثي الذي كانت تفتخر به أشراف العرب وساداتها وزعماؤها.

ولا يظنّ ظانّ أنّ نسباً كريماً ومجداً وراثياً تسلسل كابراً عن كابر، وتوارثته الأبناء عن الآباء كهذا النسب الكريم.

فاعتبره من لدن آدم إلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لم تجد فيه إلاّ نبيّاً كريماً، وملكاً عظيماً، وزعيماً ذا كرم وشجاعة وأخلاق مرضية فاضلة توجب له التقدمة علي غيره، فلم يزل الشرف يتوالي

1- وبهذا قد استوفينا الكلام علي النسب المتّفق عليه عند النسابين، وبقي من نسب العباس بن علي(عليهما السلام) ما وقع فيه الاختلاف من حيث النقص والزيادة، وذلك في السلسلة الكريمة من عدنان إلي آدم(عليه السلام) أبي البشر، فمن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلي ابن إسحاق في السيرة النبوية، والمسعودي في مروج الذهب، والداودي في عمدة الطالب، والطبري في التاريخ، وغيرهم فإنّهم قد بيّنوا الاختلاف فيما بين عدنان وآدم(عليه السلام)، وفي نقل أقوالهم في هذا الكتاب فوت الغرض المقصود فيه الإفادة، فوجب تحرّي الاقتصار.

وراثياً في الأعقاب حتّي انتهي إلي أشرف الأعقاب وأكرمهم رسول الله(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين(عليه السلام)، فوقف عند غايته، وانتهي إلي حدّه، فإنّ شرفهما قد شرف الأصل والفرع، وأصبح مفتخر الأبناء، ومفخر الآباء:

كم من أب قد علا بابن له شرفاً

كما علا برسول الله عدنان

إذن فيطمئن كلّ ذي فكرة وروية وفطنة أنّ نسباً تسلسل من لدن آدم(عليه السلام) إلي عبد الله وأبي طالب ابني عبد المطلب:، وينظم في سلسلته الذهبية محمداً المصطفي(صلي الله عليه واله)، وعلياً المرتضي(عليه السلام)، وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، وساقي الحجيج والطيار في الجنّة بجناحين أخضرين مع الملائكة جعفر، والسبطين الحسن والحسين(عليهما السلام) سيّدا شباب أهل الجنّة يتفوّق علي كلّ نسب بلا استثناء.

ولا يشكّ ذو العقل والذكاء أنّ مثل هذا النسب الرفيع أنّه لينتج أبناءاً كراماً، وأولاداً أكفاء أماجداً، تزدان بهم غرّة الدهر وطلعة الزمان، حيث أنّهم يمثّلون كلّ مكرمة مجدية، ويحيون كلّ مأثرة فخرية خالدة إلي الأبد، ليكتسبوا بذلك حسن الأحدوثة، وجميل الإطراء، وجميل الثناء في سائر الأزمنة والعصور، وأنّهم عريقون في السؤدد، متأصّلون في الزعامة والمجد، فيتهافتون علي نيل مكارم الآباء، ويتهالكون علي تحصيل مكارم السلف الصالح من آبائهم الكرام، بالمساعي الحميدة، والنهوض باكتساب ما يزيد الشرف بهجة ورفعة، غير متّكلين علي ما لهم من المجد الوراثي والشرف النسبي الموروث،

فقد سمت بهم هممهم ونهضت بهم شيمهم إلي اكتساب الفضائل، وتحصيل المكارم، ليلحقوا بآبائهم في كسب المفاخر قولاً وفعلاً.

وقد أجاد الجعفري عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيّار بقوله:

لسنا وإن أحسابنا كرمت

يوماً علي الأحساب نتّكل

نبني كما كانت أوائلنا

تبني ونفعل مثلما فعلوا

لم يقل فوق ما مافعلوا مع عدم إخلاله بالنظم، لأنّ سلوك مثل ذلك سبيل واجب الأدب، وحقّ الصدق الذي يتحرّاه الأديب حيث أنّ في أوائله الذين يفخر بهم سيّد الكائنات محمد(صلي الله عليه واله) الذي قال له الله تعالي:)وَإِنَّكَ لَعَلي خُلُقٍ عَظِيمٍ(، وأمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) الذي قال له جبريل(عليه السلام) يوم أحد:

لا سيف إلاّ ذو فقار

ولا فتي إلاّ علي

والفتوة معني بجميع الكمالات.

والحسن والحسين(عليهما السلام) سيّدا شباب أهل الجنّة اللذين قال فيهما رسول الله(صلي الله عليه واله): إنّهما شنفا العرش، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله(صلي الله عليه واله) الذي قال فيه رسول الله(صلي الله عليه واله): حمزة سيّد الشهداء، وجعفر الطيّار الذي قال فيه النبي(صلي الله عليه واله):

إنّ الله – تعالي – جعل لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة حيث شاء.

فليس باستطاعة أحد – وإن جدّ واجتهد وسار حثيثاً – أن يلحق بهم، أو يفعل مثل فعالهم، فضلاً عن مساواتهم أو الإتيان بما يفوق علي أعمالهم، أو يري علي مكتسبهم من خصال الكمال، وهيهات، فأين الثريا وأين الثري؟ وقد قيل:

فأين الثري وأين الثريّا

وأين معاوية من علي

***

فإذا نظرت في هذه السلسلة الكريمة المباركة، طيبة النجار والأرومة، العريقة في الشرف والسؤدد، علمت أنّها قد أنتجت أبناءاً كراماً شادوا مجد آبائهم، وسادوا بمزاياهم الفاضلة نظرائهم وأكفائهم، ولا يتطرّق لذهنك أدني تشكيك أنّ موقف أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) تجاه الأعداء يوم كربلاء، والتزامه خطّة الإباء الموروثة له من الآباء، وهي صريح كلمات أخيه الحسين بن علي(عليهما السلام)يوم كربلاء التي من جملتها:

ألا إنّ الـدعي ابن الـدعي قـد ركز بين إثنتين: بين الذلّـة والسـلّة، هيهات منّا الذلّـة، يأبي الله لنا ذلك ورسوله وجذور – وفي نسـخة البحار: وجدود – طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام علي مصارع الكرام...

فرفض العباس بن علي(عليهما السـلام) خطّة المذلّة والهوان أنفة من الضـيم، وتفادياً من الرضوخ للوضعاء، وقد قال في مثل ذلك الموقف الرهيب شاعر الحماسة:

أبا قومنا أن ينصفونا فأنصفت

قواطع في أيماننا تقطر الدما

علي حين أعطي العباس(عليه السـلام) الأمان، وضمن له حفظ حياته، وتكفّل له بسلامة نفسه، لكنّه رفض تلك الخطّة الذميمة التي يلفظها الحسب الكريم، مؤثراً هذه القتلة السعيدة علي تلك الحياة التعيسة التي يلازمها الضيم المقيم والهوان المخيم في نظر الحرّ دناءة، وفي رأي الغيور لؤم لا ـ يرتكبه أمثاله من أهل الحفاظ، وأرباب البصائر الدينيـة، فإنّهم يخوضون غمرات الحروب قاذفين بنفوسـهم في المتالف حياطة للحفيظة، ورعاية للشرف، وصيانة للتديّن من جميع ما لا ترضاه الشريعة، ولا يقبله دين الله القويم.

فيتقـدّم لورد حيـاض المنيّـة تقـدّم العطاش لورد الزلال العـذب ببصـيرة مبصـرة، وعزم ثاقب، ويقين قويم، فيلاقي الأهوال بحماس الـدين والحفيظة، ويستسهل الصعاب بالعزيمة والعزم الراسخين في طبيعته الراسيين في أعماقه.

وحينما تقطّب وجوه الأبطال تلوح أسارير النور علي جبهته، ويتألّق ضـياء السرور علي غرّته، ويستنير سناء بهجته المشرق من طلعته المنيرة الغرّاء، فتنجلي بضـيائها اللاـمع دياجير الرهـج المتراكم قتامه، وكلّما إزدادت وجوه الأبطال كلوحـة وعبوسـة إزداد ابتهاجاً وابتساماً، وازدان وجهه ضـياءاً وإشـراقاً، رافضاً كلّ علاقـة لا تناسب منصـبه السامي، ومرتبته الرفيعة، فامتشق أبو الفضل – بل أبو الفضائل – بذلك الحماس الإبائي، والشعور الأنفي يوم الطفّ حساماً قاطعاً يرشح بالمنيّة، ويرعف بالمنون.

ص: 86

الأمهات

أمّا بالنسبة من حيث الأمهات، فإنّه(عليه السلام) يشارك رسول الله(صلي الله عليه واله) في العواتك والفواطم، ويفارقه في إثنين منهما: فاطمة بنت أسد، أمّ أبيه أمير المؤمنين(عليهما السلام)، وفاطمة بنت أبي المحل الكلابية، وهي أمّه أمّ البنين(عليها السلام)، ونحن نذكرهما معاً، ونورد ما يتعلّق بشرفهما بإيجاز:

1 - فاطمة بنت أسد بن هاشم:

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أمّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، كانت امرأة جليلة محترمة عاقلة من النساء مبجّلة، ذات قدر وجلالة وشرف في قومها، وصحابية من أجلّ الصحابيات وأفضلهن، وكانت من الفقيهات المحدّثات، وهي من السابقات في الإسلام، وكانت قد قامت بخدمة النبي(صلي الله عليه واله) أحسن قيام، فكانت تبرّه وتؤثره علي أولادها، وتحرص علي خدمته، وتجهد أن لا يجوع ولا يعري ولا يشعث، فلم تزل مجتهدة في مواصلة برّه وإلطافه

حتّي كبر وتزوّج، واستقلّ بأمر نفسه، فلذلك كان يعدّها أمّاً، فتألم عند وفاتها وحزن، ومشي خلف جنازتها حافياً، ونزل في قبرها، واضجع فيه، وكساها ثوباً من ثيابه وضع فوق أكفانها، لتحشر يوم القيامة كاسية، وفضائلها كثيرة.

تزوّجها ابن عمّها أبو طالب(عليه السلام)، ولم يتزوّج امرأة غيرها، فولدت له أربعة بنين وبنتين.

فالبنون: طالب، وهو الأكبر، وبه كنّي أبوه، ثم عقيل، وهو العلاّمة النسّابة، ثم جعفر، وهو الطيّار ذو الجناين، ثم علي(عليه السلام)، وهو أمير المؤمنين، ووصيّ رسول ربّ العالمين، وهو أصغرهم سنّاً، وأكبرهم سناءاً، وكلّ واحد منهم أصغر من الآخر

بعشر سنين علي الترتيب من أمير المؤمنين(عليه السلام) إلي طالب.

وأمّا البنتان: فهما جمانة وفاختة المكنّاة بأمّ هاني.

نسبها من الآباء

ونسب فاطمة من الآباء قد تقدّم، وأبوها أسد كان سبب إنشاء الرحلتين، ذكر رفاعة في مناهج الألباب المصرية(1) عن ابن عباس: أنّ السبب في ذلك هو أنّ قريشاً كانوا إذا أصاب واحد منهم مخمصة خرج هو وعياله إلي موضع، وضربوا علي أنفسهم خباءاً حتّي يموتوا

1- مناهج الألباب المصريّة : 148 .

إلي أن جاء هاشم بن عبد مناف، وكان سـيّد قومه، وكان له ابن يقال له ((أسد))، وكان له ترب من بني مخزوم يحبّه ويلعب معه، فشـكي إليه الضـرّ والمجاعة، فدخل أسد علي أمّه يبكي، فأرسلت إلي أولئك العيال بدقيق وشحم، فعاشوا أياماً، ثم أتي ترب أسد إليه مرّة أخري، فشكي إليه من الجوع، فقام هاشم خطيباً في قريش، فقال:

إنّكم أجدبتم جدباً تقلّون فيه وتذلّون، وأنتم أهل حرم الله، وأشرف ولد آدم، الناس لكم تبع، قالوا: نحن تبع لك، فليس عليك منّا خلاف.

فجمع كـلّ بني أب علي الرحلتين في الشـتاء إلي اليمن، وفي الصـيف الي الشام، فما ربـح الغني قسـمه بينه وبين الفقير، حتّي كان فقيرهم كغنيهم، فجاء الإسلام وهم علي ذلك...

نسبها من الأمهات

في مقاتل الطالبيين(1): فاطمة بنت أسد، أمّها فاطمة، وتعرف بحبّي بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي.

وأمّها: حذية بنت وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر.

وأمّها: فاطمة بنت عبيدة بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن

1- مقاتل الطالبيين : 3 .

لؤي.

وأمّها: سلمي بنت عاصم بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

وأمّها: عاتكة بنت أبي همهمة – واسم همهمة عمرو بن عبد العزي – بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.

وأمّها: تماضر بنت أبي عمرو بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي.

وأمّها: حبيبة، وهي أمة الله بنت عبد ياليلي بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي، وهو ثقيف.

وأمّها: فلانة بنت مخزوم بن أسامة بن صبح بن وائلة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر.

وأمّها: ريطة بنت يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف.

وأمّها: كلية بنت قصيبة بن سعد بن بكر بن هوزان.

وأمّها: حبّي بنت الحارث بن النابغة بن عميرة بن عوف بن نضر بن معاوية بن بكر بن هازن.

وفاطمة بنت أسد أوّل هاشمية تزوّجت هاشمياً وولدت له، وأدركت النبي(صلي الله عليه واله) فأسلمت، وحسن إسلامها... ثم أورد نبذة من فضائلها.

ص: 90

وقال السـيّد الداودي في عمدة الطالب(1): هي أوّل هاشـمية ولـدت لهاشـمي، وكانت جليلة القدر، كان رسول الله(صـلي الله عليه واله) يدعوها ((أمّي))، ولمّا توفّيت صلّي عليها، ودخل قبرها، وترّحم عليها.

وقال العسقلاني في الإصابة(2): قال الزبير بن بكار: هي أوّل هاشمية ولدت خليفة، ثم بعدها فاطمة الزهراء(عليها السلام).

قال ابن سعد: كانت امرأة صالحة، وكان النبي(صلي الله عليه واله) يزورها ويقيل في بيتها... وذكرها ابن عبد البرّ في الاستيعاب وغيره.

نبذة من فضائلها:

نذكر هنا نبذة من فضائلها – علي سبيل الاختصار – علي ما روته العامّة:

روي أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء(3) بإسناده قال:

1– عمدة الطالب : 15 .

2– الإصابة 4/390 .

3– حلية الأولياء 3/121 .

لمّا ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم – أمّ علي بن أبي طالب(عليهما السلام) – دخل عليها رسول الله(صلي الله عليه واله)، فجلس عند رأسها، فقال: يرحمك الله، فإنّك كنت أمّي بعد أمّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيّب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة.

ثم أمر أن تغسّل ثلاثاً ثلاثاً... ثم خلع رسول الله(صلي الله عليه واله) قميصه وألبسها إياه كفّنها فوقه، ثم دعا رسول الله(صلي الله عليه واله) جماعة يحفرون قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفره رسول الله(صلي الله عليه واله) وأخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول الله(صلي الله عليه واله) فاضطجع فيه... وصلّي عليها، وأدخلها اللحد...

وما روته العامّة كثير، وما روته الشيعة أكثر، منه:

ص: 92

ما رواه ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق(عليهما السلام) قال: إنّ فاطمة بنت أسد – أمّ أمير المؤمنين(عليه السلام) – كانت أوّل امرأة هاجرت إلي رسول الله(صلي الله عليه واله) من مكة إلي المدينة علي قديمها، وكانت من أبرّ الناس برسول

الله(صلي الله عليه واله).

فسمعت رسول الله(صلي الله عليه واله) يقول: إنّ الناس يحشرون يوم القيامة كما ولدوا، فقالت: وا سوأتاه، فقال لها رسول الله(صلي الله عليه واله): إنّي أسأل الله – تعالي – أن تكوني كاسية، وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: وا ضعفاه، فقال لها رسول الله(صلي الله عليه واله): إنّي أسأل الله – تعالي – أن يكفيك ذلك.

فقالت لرسول الله(صلي الله عليه واله) يوماً: إنّي أريد أن أعتق في سبيل الله هذه، فقال لها (صلي الله عليه واله): إن فعلت أعتق بكلّ عضو منها عضواً منك من النار.

فلمّا مرضت أوصت إلي رسول الله(صلي الله عليه واله)، وأمرت أن يعتق خادمها...

فبينا هو ذات يوم قاعد أتاه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهو يبكي، فقال رسول الله(صلي الله عليه واله): ما يبكيك؟ فقال(عليه السلام): ماتت أمّي فاطمة، فقال رسول الله(صلي الله عليه واله): أمّي والله.

وقام(صلي الله عليه واله) مسرعاً حتّي دخل إليها وبكي، ثم أمر النساء أن يغسّلنها وقال(صلي الله عليه واله): إذا فرغتن فلا تحدثن شيئاً حتّي تعلمنني، فلمّا فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده،

وأمرهن أن يكفّنها فيه.

فلمّا فرغن من غسلها وكفنها دخل رسول الله(صلي الله عليه واله) فحمل جنازتها علي عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتّي أوردها قبرها، ثم وضـعها ودخل القبر، فاضطجع فيه، ثم قام فأخذها علي يديه حتّي وضعها في القبر، ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنك، ابنك، ثم خرج وسوّي عليه، ثم انكب علي القبر، فسمعوه يقول: لا اله إلاّ الله، اللهم إنّي استودعها إياك، ثم انصرف.

فقال له المسلمون: إنّا رأيناك فعلت شيئاً لم تفعله من قبل؟!

فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب(عليه السـلام)، إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به علي نفسها وولدها، وإنّي ذكرت القيامة، وأنّ الناس يحشرون عراة، فقالت: وا سوأتاه، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية، وذكرت ضغطة القبر، فقالت: وا

ضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفّنتها بقميصي، واضجعت في قبرها لذلك، وانكببت عليها فلقّنتها ما تسأل عنه، فإنّها سئلت عن ربّها فقالت، وسؤلت عن رسولها فأجابت، وسئلت عن وليّها وإمامها .. فقلت: ابنك ابنك(1)...

وقد دفنت في البقيع في الموضع المعروف عند قبور الأئمة المعصومين:.

1- المراد بابنها هو أمير المؤمنين عليه السلام .

2- أمّ العباس فاطمة الكلابية(عليهما السلام):

اسمها(عليها السلام)

اسمها: فاطمة(1).

وفي تاريخ الخميس: إنّ اسمها ((وايس(2)))، وقد إنفرد به، ولم يذكره أحد غيره، ولعلّه تصحيف، فهو يقول بعد أن يذكر العباس وإخوته(عليهما السلام): وأمّهم أمّ البنين وايس(3) بنت حزام... فلعلّها تصحيف ((وتسمّي))، أو ((واسمها))، أو ما شاكل.

وفي الهداية الكبري: وكان له(عليه السلام) عبد الله والعباس وجعفر وعثمان من أمّ البنين، وهي جعدة ابنة خالد بن زيد الكلابية(4)، وهو غريب وشاذ جدّاً.

وقد صرّح باسمها كثير من العلماء والنسّابة كابن عنبة في عمدة الطالب، وأبي نصر البخاري في سرّ السلسلة العلوية(5)، والظاهر أنّ أمّ البنين من الألقاب التي غلبت حتّي نسي الاسم.

1- عمدة الطالب : 356، أعلام النساء : 4/40، تنقيح المقال : 3/70، إبصار العين : 25، أعيان الشيعة : 7/429، أدب الطف : 1/72، لواعج الأشجان : 178 .

2- تاريخ الخميس للدياربكري : 2/284 .

3- وفي بعض النسخ من تاريخ الخميس : « وايسي)) .

4- الهداية الكبري للحسين بن حمدان الخصيبي : 94 .

5- سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري : 88 .

كنيتها

أم البنين(1)3

تطلق العرب هذه الكنية علي المرأة تفاؤلاً لها بالبنين، وتطلق أيضاً علي المرأة المتزوّجة إذا ولدت ثلاثة أولاد.

ومن الواضح أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) إنّما تزوّج هذه الحرّة الأبيّة طلباً للولد، كما ورد في نصّ المرسوم الذي أصدره لأخيه عقيل يوم أمره بخطبتها، فقال: انظر لي امرأة ولدتها الفحولة من العرب من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا - وأشار إلي الحسين(عليه السلام) - يواسيه في طف كربلاء..

فمن الطبيعي - إذن - أن تكنّي أمّ البنين، لأنّ الغرض الأوّل من إختيارها هو طلب الأولاد.

والكنية أدب شرعي وموروث عرفي يلاحظ فيه عادة وصف شائع أو إحترام وتوقير خاصّ، وقد تغلب الكنية حتّي ينسي الاسم تماماً، كما حدث لأم أيمن، وأم سلمة، وكذلك كانت أمّ البنين(عليها السلام).

1- مروج الذهب : 3/63، تاريخ الطبري : 3/393، تاريخ اليعقوبي : 2/213، الفصول المهمة : 141، سرّ السلسلة العلوية : 88، المناقب لابن شهرآشوب : 3/304، كشف الغمّة : 1/441 .

وفي هذه الكنية مزيداً من التكريم والتعظيم والتفاؤل والتبجيل للأم، فما أعظم الأمّ حينما تكون أمّا للرجال الأبطال الذين ارتفعت هاماتهم علي كلّ مرتفعات التاريخ، ودخلوا البيوت التي إذن الله أن ترفع، وصاروا مديحاً وتمجيداً وثناءاً لا ينتهي لأمّهم الطاهرة النقيّة.

وقد اشتهرت بهذه الكنية، بيد أنّنا إذا راجعنا الموروث الشعبي الشيعي، أو

الأدبي – شعراً كان أو نثراً – نجد لها كني كثيرة، منها:

أم العباس، أمّ الأربعة، أمّ الفداء، أمّ النشامي، أمّ الوفاء، بنت الفحول، بنت الحمولة.

وكذلك نجد لها ألقاباً كثيرة، منها: باب الحوائج، البدوية، أمة الزهراء(عليها السلام)، الشفيعة، الميسّرة، المخدّرة، زوجة أمير المؤمنين(عليه السلام)، شريكة زينب(عليها السلام) في المصاب، المضحّية، البكائة علي الحسين(عليه السلام)، الوفية، الحرّة(1) ..

نسبها

اقتصرنا هنا علي رهط أمّ البنين والدة العباس(عليهما السلام)، ولم نذكر كلّ رجالهم خشية السأم والملل، ولو استوعبنا فرسان بني عامر من سائر البطون، كهلال ونمير وقشير وسواءة وعقيل، وغيرهم من بطون كعب

1- انظر ما يتعلّق باسمها وكناها وألقابها في كتابنا أمّ البين(عليها السلام) والدة حامل لواء الحسين(عليه السلام).

لاحتجنا إلي كتاب مستقل، وفاتنا الغرض المقصود الذي أراده مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام)، وندب له أخاه عقيلاً في اختيار هذه المرأة الجليلة التي غفل أكثر الناس عن معرفة منزلتها في بيت البطولة والفروسية، حيث اكتنفها مثل هؤلاء الأبطال، فإنّه – ولا شكّ – ستلد ولداً شجاعاً وبطلاً لا تقوم له الأبطال نجدة وثباتاً.

وسنذكر هنا ما يناسب الكتاب ممّا لهم من المآثر إجمالاً، ككونهم من الحمس، وأنّهم لقاح لا يدينون لأحد من الملوك، ونذكر بني كلاب خاصة، لأنّهم بيت بني عامر، وما قيل فيهم، ونذكر جماعة من أبطالهم وساداتهم، ليعرف قدر أمّ البنين(عليها السلام) من حيث النسب.

نكات مهمّة

نكات مهمّة(1)

وينبغي الإشارة إلي بعض النكات قبل ذكر نسبها:

النكتة الأولي: التقاء نسبها ونسب أمير المؤمنين(عليه السلام)

خلق الله شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تنتهي إلي حبيبه

1- نقلنا أكثر ما يتعلّق بأم البنين(عليها السلام) من كتابنا ((أم البنين والدة حامل لواء الحسين(عليه السلام))).

مُحَمَّدٍ(صلي الله عليه واله)، فَأَخْرَجَهُ(صلي الله عليه واله) مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتا، وَأَعَزِّ الأُرُومَاتِ مَغْرِسا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ(1).

فمن اتّصل بهذه الشجرة وتعلّق بغصن منها فقد نال شرف الدارين، وتسنّم ذري المجد، وكان حظّه الأوفر في النسب ؛ لأنّها سلسلة مباركة شكّل حلقاتها الموحّدون من البشر، ونوّرها الأنبياء والأوصياء بأنوارهم التي جعلها الله هداية للخلق وأوتاداً للأرض.

ومن مفاخر أمّ البنين(عليها السلام) في النسب أنّها تلتقي مع النبي الأعظم(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين(عليه السلام) في جدّهم ((مضر)).

ولم يكن لمضر غير رجلين:

أحدهما: ((إلياس)) وإليه تنتهي شجرة النبي(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين(عليه السلام).

والثاني: ((الناس)) وإليه تنتهي شجرة أمّ البنين(عليها السلام).

النكتة الثانية: آباء موحّدون

ذكرنا قبل قليل اتّحاد نسب أمّ البنين(عليها السلام) بالشجرة النبوية المباركة في جدّهم ((مضر))، ولا شكّ في أنّ آباء النبي(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين(عليه السلام)

1- نهج البلاغة : 139 .

موحّدون إلي آدم(عليه السلام).

أمّا باقي سلسلة النسب في آباء أمّ البنين(عليها السلام) من جدّها ((أبي حزام)) إلي مضر، فإنّ القرائن والشواهد تؤكّد وجود موحّدين فيهم، ونكتفي هنا بذكر بعض الشواهد.

الشاهد الأوّل: امتناعهم عن محاربة النبي(صلي الله عليه واله)

قال ابن إسحاق: لمّا سمعت هوازن برسول الله(صلي الله عليه واله)، وما فتح الله عليه من مكّة، جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها، واجتمعت نصر وجشم كلّها، وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وهو قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلاّ هؤلاء، ((وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، فلم يشهدها منهم أحد له اسم)) ..

وساق الحديث وما جري من حوار بين دريد بن الصمّة ومالك بن عوف، فقال دريد لمالك: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ، ولو كان يوم علاء ورفعة ما غاب عنه كعب ولا كلاب(1) ..

الشاهد الثاني: كلام أحد الأجداد

1- انظر تفصيل القصّة في السيرة لابن هشام : 3/266 .

ذكر الجاحظ في البيان والتبيين قال: خطب صعصعة بن معاوية إلي عامر بن الضرب العدواني بنته عمرة، وهي أمّ عامر بن صعصعة، فقال:

يا صعصعة، إنّك أتيتني تشتري منّي كبدي، وأرحم ولدي عندي أبغيتك أو رددتك، والحسيب كفؤ الحسيب، والزواج الصالح أب بعد أب، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك، أفرّ من السرّ إلي العلانية، أنصح ابنا، وأودع ضعيفاً قوياً.

يا معشر عدوان، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة عنكم من خطّ له شيء جاءه، ربّ زارع لنفسه ما حصده غيره، أقسم لو قسّم الحظوظ علي قدر الجدود ما ترك الأوّل للآخر ما يعيش به، ولكن رزق آكل من آجل وعاجل، إنّ الذي أرسل الحيا أنبت المرعي، ثمّ قسّمه لكلّ فم بقلة، ومن الماء

جرعة، ترون ولا تعلمون، وإن يري ما أصف لكم إلاّ كلّ قلب واعي، ولكلّ مرعي راعي، ولكلّ خلق خلق، كيّس أو حمق، وما رأيت شيئاً قطّ إلاّ سمعت حسّه، ووجدت مسّه، وما رأيت شيئاً خلق نفسه، وما رأيت موضوعاً إلاّ مصنوعاً، وما رأيت شيئاً إلاّ ذاهباً، ولا غانماً إلاّ خائباً، ولا نعمة إلاّ ومعها بؤس، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء(1).

قال الشيخ المظفّر : استدلّ هذا العربي العاري عن الفلسفة

1- المعمّرين لأبي حاتم السجستاني، والبيان والتبيين للجاحظ : 2/59 .

والحكمة النظرية بفطنته الغريزية وعقله الفطري علي إثبات الباري تعالي، وإبطال المادّة بأمور:

أحـدها: أنّ الاتّحاد بين الخالق والمخلوق باطل، فلابـدّ من التغاير للضـرورة القاضـية أنّ المصـنوع غير الصانع، فإذا كانت المادّة متأثّرة في نفس وجودها، فلابدّ من وجود مؤثّر فيها، لأنّه لم ير شـيئاً خلق نفسه من حيث أنّه كان عدماً، والمعدوم لا يؤثّر في الموجود شـيئاً، فلابدّ أن يكون المؤثّر فيه موجوداً وهو غيره، وهو الذي أنقذه من العدم الأزلي.

ثانيهما: الاسـتقراء والتتبّع، فإنّا تتبّعنا الأشـياء الموجودة واسـتقرينا كلّ مصـنوع، فلم يوجـد إلاّ من له صانع، فالبناء له باني، والزرع له زارع، وهكذا بقيّة الأشياء، فينتج هذا الاستقراء أنّ لهذا الكون مكوّناً، وإلاّ لجاز أن يكون المصنوع بلا صانع.

ثالثهمـا: اختلاـف الطبائع ودليل اختلافها اختلاف الأخلاق، ولو كانت الطبيعـة هي الموجـدة لما تباينت الأخلاق، ولوجب أن يكون كلّ إنسان بليداً، وكلّ إنسان فطناً، إذ الطبيعة واحدة، والمادّة لا تختلف في الأفراد العاقل والمجنون، فهي فيهما سواء.

رابعها: أنّ جميع الموجودات مدركة بالحواسّ، وكلّما أدركته الحواسّ فهو حادث، وذلك في قوله: ((سمعت حسّه ووجدت مسّه)).

خامسها: الفناء، وذلك أنّ القديم لا يجوز عليه الفناء، إذ لو جاز عليه الفناء لاختلّ النظام القائم بتدبيره، فلو كانت المادّة هي الموجدة

لما جاز عليها الفناء لما ذكرنا من بقاء النظام، وفناؤها كاشف عن وجود محدث لها، وهو المدبّر لهذا الكون والحافظ لنظامه.

ثمّ استدلّ بسير الحوادث المكدّرة للمسرّات في أنّ الدنيا ليست دار بقاء لكثرة ما فيها من الأرزاء والبؤس، ولو كانت دار بقاء لخلت من ذلك، فلابدّ أن يكون وراءها دار تدوم فيها النعمة، ولا يطرء عليها البؤس.

ثمّ ردّ علي من يزعم أنّ الأمراض التي تعرض للنفوس مسبّبة عن جراثيم أو ما شاكلّها، وأنّها إذا تمادت أوجبت تلاشي القوي وانحلالها، فتؤدّي إلي التلف، فلابدّ من مكافحتها بالأدوية والعقاقير لتحفظ للنفس صحّتها وبقاءها، فقال: ((لو كان الداء كما زعموا قاتلاً لكان الدواء محيياً))، فإنّك تزعم أنّ الدواء يعيد للنفس صحّتها، وعندك أنّ ذلك فيما جرّبته في الأصحّاء، ونحن نقول: إنّ هؤلاء قد قسّم الله لهم بقاء مدّة أراد أن يبلغهم إيّاها، ولكن جرّب دواءك فيمن مات، فإن أحياه دواؤك عرفنا أنّ الداء هو الذي قتله، فإذا الدواء لم يحيه فالداء لم يقتله، وإنّما أماته الله باستيفاء طعمته وانقضاء مدّته(1).

الشاهد الثالث: كلامهم في بلاط كسري

ذكر ابن عبد ربّه في العقد الفريد مفاخر مفصّلة بين كسري والنعمان

1- بطل العلقمي : 1/131 - 133 .

بن المنذر، وقال: إنّ النعمان لمّا رجع إلي الحيرة عاصـمة ملكه أحبّ أن يجمع أشراف كلّ قبيلة شريفة من العرب وينتخب النبلاء من ذوي البيوت والسابقـة في المجد والسـيادة، ويرسـلهم إلي كسـري ليبرهنوا علي مجد العرب، وليفتخروا عليه بفضـلهم في بلاطه، فإنّ ذلك أقوي للحجّة عليهم.

فجمع من أشـراف العرب من سـلّمت له الرئاسة، واعترف بزعامته، وأجمعت العرب علي شرف بيته وسؤدد أسرته، فكانوا جماعة منهم ثلاثة من قبيلة أمّ البنين(عليها السـلام) ورهطها الأدني، وهم بنو كلاب، وهم خالد بن جعفر الكلابي، وعلقمة بن علاثة العامري الكلابي، وعامر بن الطفيل العامري الكلابي.

فقام خالد بن جعفر فتكلّم، وكان ممّا قاله: أحضر الله الملك إسعاداً، وأرشده إرشاداً، إنّ لكلّ منطق فرصة، ولكلّ حاجة غصّة، وعيّ المنطق أشدّ من عيّ السكوت، وعثار القول أنكأ من عثار الوعث، وما فرصة المنطق عندنا بما نهوي، وغصّة المنطق بما لا نهوي غير مستساغة، وترك ما أعلم من نفسي ويعلم مَن سمع أنّي له مطيق أحبّ إليّ مِن تكفلّي ما أتخوّف ويتخوّف منّي...

فقال كسري: نطقت بعقل، وسموت بفضل، وعلوت بنبل.

ثمّ قام علقمة بن علاثة العامري الكلابي، فتكلّم بكلام جمع فيه الفخر والبلاغة، وجزالة المعني ورشاقة اللفظ، حتّي قاطعه كسـري خشية أن يأتي منه كلام يحمله علي السخط عليه، فقال: حسبك

أبلغت وأحسنت.

ثمّ قام عامر بن الطفيل العامري الكلابي، فقال: كثر فنون المنطق، وليس القول أغمي من حندس الظلماء، وإنّما الفخر بالفعال، والفخر بالنجدة والسؤدد مطاوعة القدرة، وما أعلمك بقدرنا، وأبصرك بفضلنا، وبالحري إن أدالت الأيّام، وثابت الأحلام أن تحدث أمور لها أعلام.

قال كسري: وما تلك الأعلام؟ قال: تجتمع الأحياء من ربيعة ومضر علي أمر يذكر..

قال كسري: متي تكهّنت يا ابن الطفيل؟ قال: لست بكاهن، ولكنّي بالرمح طاعن...

فاعترف لهم كسري بالسيادة، وكتب إلي النعمان في التوصية بهم، وأنّ كلّ

واحد منهم سيّد يصلح لموضعه(1).

وتجد في كلامهم ذكر الله الواحد الأحد صريحاً واضحاً، وانتظار ظهور النبي(صلي الله عليه واله) الذي ستجتمع عليه الأحياء من ربيعة ومضر علي أمر يذكر.

الشاهد الرابع: قول معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب

قال معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب في أبيات له يحمد الله

1- انظر : العقد الفريد : 1/171 - 172 .

عزّوجلّ:

وكنت إذا العظيمة أفزعتهم

نهضت ولا أدبّ لها دباب

بحمد الله ثمّ عطاء قومي

فكّون الغنائم والرقابا

النكتة الثالثة: اهتمام أمير المؤمنين(عليه السلام) بنسب أمّ البنين(عليها السلام)

لمّا كان الغرض من التزويج بأم البنين(عليها السلام) ولادة العباس(عليه السلام) ليكون ناصراً لولده الحسين(عليه السلام) في طفّ كربلاء، فلابـد أن تكون الشـجاعة غرضاً مطلوباً لأمير المؤمنين(عليه السـلام)، ولـذا قال: ابغني امرأة ولـدتها الفحولة من العرب لأتزوّجها فتلد لي غلاماً فارساً... فقال له عقيل: تزوّج أمّ البنين الكلابية، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها(1) ..

فإنّ للشجاعة مكانة خاصّة عند عموم العرب، بل البشر جمعياً، وإنّها من موجبات السؤدد والشرف، وقد مدح الشارع الأقدس، وحثّ عليها الدين الحنيف، واعتبرها من خصال المؤمن.

وآباء أمّ البنين(عليها السـلام) وأسـرتها سادات العرب شـجاعة وفروسـية وشـعراً وخطابـة وكرماً وجوداً بعد بني هاشم، فهم إذن بغية الإمام الذي يريد غلاماً يدّخره لولده الحسين(عليه السلام) يحمل لواءه في طفّ كربلاء،

1- عمدة الطالب : 324 .

لأنّ البنت التي قـد ولـدها مثل هؤلاء الأبطال الشـجعان جـديرة أن تنجب فيما تلـد، ولا تلـد إلاّ شـجاعاً بطلاً وفارساً مقـداماً، وقد عرّقت الشجاعة في أولادها من كلا الطرفين.

قال الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة:

ص: 107

قيل: إنّ زهير بن القين أتي عبد الله بن عقيل قبل أن يقتل، فقال له: يا أخي، ناولني الراية، فقال له عبد الله: أفيّ قصور؟! قال: لا، ولكن لي بها حاجة.

قال: فدفعها إليه، فأخذها زهير، وأتي العباس بن علي(عليهما السلام) وقال: يا بن أمير المؤمنين، أريد أن أحدّثك بحديث، فقال: حدّث فقد حلا وقت الحديث.

حدّث ولا حرج عليك فإنّما

تروي لنا متتابع الإسناد

فقال له: اعلم يا أبا الفضل، إنّ أباك أمير المؤمنين(عليه السلام) لمّا أراد أن يتزوّج بأُمك أمّ البنين بعث إلي أخيه عقيل، وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال له: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة لكي أُصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا - وأشار إلي الحسين(عليه السلام) - يواسيه في طفّ كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن حلائل أخيك وعن أخواتك.

فارتعد العباس(عليه السلام) وتمطّي في ركابه حتّي قطعه وقال: يا زهير، تشجّعني في مثل هذا اليوم؟! والله لأُرينك شيئاً ما رأيته قطّ(1)...

وعلي كلّ حال فإنّ المرأة الوحيدة التي نصّ أمير المؤمنين(عليه السلام) علي

1- أسرار الشهادة : 2/497، معالي السبطين : 1/434، بطل العلقمي للمظفّر : 1/120 .

الاهتمام بنسبها من بين زوجاته(1) جميعاً هي أمّ البنين(عليها السلام)، وفي ذلك دلالة واضحة علي مدي طهارة هذا النسب، وسطوع نجومه، ونظافة أصوله وفروعه.

وهذا هو الذي دعانا إلي التركيز والتوسّع - ولو بشكل نسبي - في هذا المجال.

النكتة الرابعة: الخلاف في اسم أبيها

وقع الخلاف في اسم أبيها، فمنهم من قال: اسمه ((حرام)) بالحاء المهملة والراء المهملة بعدها ألف وميم.

ومنهم من قال: اسمه ((حزام)) بالزاء المعجمة، وهو المشهور.

قال الشيخ عبد الواحد المظفّر : وهو غلط قطعي، والله العالم.

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرته: أمّ البنين بنت حزام، وقيل: بنت خلّة(2)، وهو غريب..

النكتة الخامسة: الاختلاف في كونها من أقرباء لبيد الشاعر

قال البلاذري: أمّ البنين بنت حزام بن ربيعة أخي لبيد بن ربيعة

1- حينما نتكلم عن زوجات أمير المؤمنين(عليه السلام) دائماً نقصد جميع زوجاته عدا فاطمة الزهراء(عليها السلام)، لأنّها(عليها السلام) سيدة النساء ولا تقاس بهنّ ولا بغيرهنّ من نساء الدنيا والآخرة .

2- تذكرة الخواص : 57 الباب الثالث في ذكر أولاد أمير المؤمنين(عليه السلام).

الشاعر، وأخوها مالك بن حزام الذي قتل مع المختار بالكوفة(1).

وقال الشهيد الأوّل في الدروس: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة أخي لبيد الشاعر(2).

وقال السيّد الأمين في الأعيان: أمّ البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة، أخي لبيد الشاعر بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، الكلابية زوجة أمير المؤمنين(عليه السلام) (3).

وأكّد ابن حجر في الإصابة علي التفريق بين رجلين يدعي كلّ منهم ((حرام)) أحدهما والد أمّ البنين(عليها السلام)، والآخر أخو لبيد الشاعر، فقال تحت رقم 1970:

حرام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب بن ربيعة العامري، ثمّ الوحيدي،

له إدراك، وتزوّج علي بن أبي طالب بنته أمّ البنين بنت حرام، فولدت له أربعة أولاد: العباس، وعبد الله، وعثمان، وجعفرا، قتلوا مع أخيهم الحسين يوم كربلاء، ذكر ذلك هشام بن الكلبي، والزبير بن بكّار.

ثمّ قال بلا فصل تحت رقم 1971: حرام بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ثمّ الجعفري، أخو لبيد الشاعر، له إدراك، وسيأتي ذكر أبيه وجدّه.

1- أنساب الأشراف : 192 .

2- الدروس : 2/25 .

3- أعيان الشيعة : 8/389 .

وكان ولده مالك من رؤساء الكوفة، وهو ممّن قتله المختار بن أبي عبيد عند طلبه بدم الحسين، ويشتبه به حرام بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن كلاب، والد أمّ البنين امرأة علي، ولدت له العباس وجعفراً وغيرهما، وأبوها من أهل هذا القسم أيضاً(1).

قال الشيخ المظفّر : وهنا إيضاح لابدّ منه، نذكره للفارقة، فإنّ في بني كلاب من اسمه ((حرام)) غير والد أمّ البنين، وقد وقع في هذه المزلّة بعض العلماء، ويقصد به حرام بن ربيعة الجعفري أخو لبيد الشاعر، الذي ذكره ابن حجر قبل قليل، وقال: إنّه يشتبه به مع والد أمّ البنين(عليها السلام)، والله العالم.

النكتة السادسة: الاختلاف في اسم جدّها

وقع الخلاف في اسم جدّها أيضاً:

فقال الشيخ المفيد في الإرشاد: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن دارم(2).

وكذا قال الشيخ الطبري في تاج المواليد وإعلام الوري(3)، وابن أبي فتح الإربلي

في كشف الغمّة(4)، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول

1- الإصابة : 2/144 - 145 رقم 1970 و1971 .

2- الإرشاد للشيخ المفيد : 1/354 .

3- تاج المواليد المجموعة للشيخ الطبرسي : 18، إعلام الوري : 1/395 .

4- كشف الغمة : 2/67 .

المهمة(1).

ولم يوافقهم علي ذلك الشيخ التستري في قاموس الرجال، فقال: ووهم هنا المفيد أيضاً، فقال في الإرشاد: ((أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن دارم))، فبدّل ((ربيعة)) ب-((دارم))(2).

قال الطبري في التاريخ: أمّ البنين بنت حزام - وهو أبو المحلّ - ابن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب(3) ..

وقال الشيخ محمد بن إدريس الحلّي في كتاب السرائر في آخر كتاب الحجّ: ونسب شيخنا المفيد في الإرشاد العباس بن علي(عليهما السلام) المسمّي ب-((السقّا))، ويسمّيه أهل النسب: ((أبا قربة)) المقتول بكربلاء، صاحب راية الحسين(عليه السلام) ذلك اليوم، أمّه أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة، وربيعة هذا هو أخو لبيد الشاعر بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وليست بني دارم التميميّين، وقال ابن حبيب النسّابة في كتاب المنمّق لمّا ذكر أبناء الحبشيات من قريش، ذكر من جملتهم العباس بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، وهذا خطأ منه وتغفيل وقلّة تحصيل(4)!!

وقال الشيخ المظفّر :

1- الفصول المهمة في معرفة الأئمّة : 1/642 .

2- قاموس الرجال : 12/196 .

3- تاريخ الطبري : 5/89 .

4- السرائر : 1/657 .

أراد العلاّمـة الفاضل محمد بن إدريس الحلّي أن يصـحّح غلط الشـيخ المفيد – بزعمه – فوقع في خطأ أعظم من ذلك، لأنّ ما في الإرشاد يمكن حمله علي السـهو، أو غلط النسّاخ، أو ما يجري مجراه من التوجيه المقبول، إذ من المسـتبعد جدّاً خفاء مثل هذا علي الشيخ المفيد، أمّا ابن إدريس فلا يمكن توجيه غلطه ولا

الاعتذار عنه بكلّ صورة...

وأنا أقول باحتشام وتعظيم للعلاّمة صاحب السرائر، وبلا تجاسر عليه، ولا مسّ لكرامته: أنّ في كلامه وهم ظاهر، وخطأ من ثلاث وجوه، إن كان خطأ المفيد من وجه واحد:

أمّا الوهم، فظنّه أنّ المفيد عني ((دارم تميم))، وهذا وهم منه، إذ ليس في كلام المفيد تصريح به، ولم يصل النسب بتميم حتّي يصحّ ما قال صاحب السرائر، غايته أنّه ذكر أنّ في آبائها من يسمّي دارماً، وعنده أنّه دارم العامري لا دارم التميمي.

وغفل ابن إدريس عن تصريحات المفيد في مواضع عديدة بأنّها كلابية وعامرية، كما في قضية الشمر وخطابه للعباس(عليه السلام)، وغيرها من القضايا التي غفل عنها ابن إدريس.

أمّا الخطأ فمن وجوه ثلاثة:

أحدها:

خلطه بين ((حرام)) والـد أمّ البنين(عليها السـلام) وبين الـذي هو أخو لبيـد، وقـد فرّق بينهما في الإصابـة ما سـمعت، وقد أوردناه لردّ هذا الاشتباه.

ثانيهما:

جعله ربيعة أخا للبيد الشاعر، وربيعة إنّما هو والد لبيد لا أخوه باتّفاق النسّابين.

ثالثها:

الخلط بين البطنين، فإنّ لبيـد جعفري، وأمّ البنين وحيديـة، والوحيد وجعفر أخوان كلاهما ابنا كلاب، ومن كان جعفرياً لا يكون وحيدياً إلاّ أن تفرض الأخوّة من جهة الأمّهات.

قال ابن قتيبة في المعارف: وأمّا كلاب بن ربيعة، وكان فيه نوك، وولده جعفر ومعاوية وربيعة وأبو بكر وعمرو والوحيد ورواس والأضـبط وعبد الله.

فمن بني رواس وكيع المحدّث، ومن بني الوحيد أمّ البنين كانت عند علي بن أبي طالب، فولدت له العباس وعبد الله وجعفر.

وأمّا معاوية بن كلاب، فمنهم الضباب، وهم: حسل وحسيل، وضب بنو معاوية.

وأمّا عمرو بن كلاب، فلهم عدد كثير، وفيهم قوم يقال لهم ((دودان))، ومن عمرو يزيد بن الصعق.

وأمّا جعفر بن كلاب، فولده الأحوص وخالد ومالك وعتبة بنو

جعفر بن كلاب.

ثمّ ذكر ما سنذكر من أشرافهم، وقال: وأمّا ربيعة، فهو أبو لبيد الشاعر، وأمّا أبو بكر بن كلاب، فمن ولده القرطات: قرط وقريط ومقرط.

ومنهم الضحّاك بن السفيان، استعمله رسول الله(صلي الله عليه واله) علي بني سليم.

ومنهم المحلق بن حنتم الذي قال الأعشي: ((وبات علي النار الندي والمحلق(1)))...

النكتة السابعة: نسبتها

الوحيدية:

في كتاب المنمّق:... أمّ البنين الوحيديّة(2).

وفي المعارف لابن قتيبة والجوهرة للبري: أمّ البنين بنت حرام الوحيدية(3).

وفي الأخبار الطوال للدينوري: أمّ البنين العامرية من آل الوحيد(4).

1- المعارف : 39 .

2- كتاب المنمّق لمحمد بن حبيب البغدادي : 351 .

3- المعارف: 211، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري : 58 .

4- الأخبار الطوال للدينوري : 257 .

وقال بعضهم: الوحيدة، من أعراض المدينة، بينها وبين مكّة(1)، وبنو وحيد قوم من بني كلاب، والنسبة إلي المحل والطائفة محتملة.

الكلابية:

في المناقب: أمّ البنين ابنة حزام بن الخالد الكلابية(2).

وفي أنساب الأشراف للبلاذري والدرّ النظيم: أمّ البنين الكلابية(3).

وفي الإمامة والسياسة والكامل في التاريخ:.. أمّ البنين بنت حرام الكلابية(4).

وفي المجدي: أمّ البنين بنت حزام الكلابية(5).

العامرية:

قال الطبراني في المعجم الكبير: وقتل العباس بن علي بن أبي طالب:، وأمّه أمّ البنين عامرية(6).

1- معجم البلدان للحموي : 5/364 .
2- مناقب آل أبي طالب : 3/89 .
3- أنساب الأشراف : 70، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي : 411 .
4- الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني : 2/6، الكامل في التاريخ لابن الأثير : 3/397، تاريخ اليعقوبي : 2/213 .
5- المجدي في أنساب الطالبين : 15 .
6- المعجم الكبير للطبراني : 3/103 .

وقال ابن أعثم الكوفي: أمّ البنين . . . العامرية(1).

وقال الدينوري: أمّ البنين العامرية(2).

وقال الشيخ الطوسي : أمّ البنين بنت حزام . . . من بني عامر(3).

آباء أمّ البنين(عليها السلام)

قال الداودي في عمدة الطالب: فاطمة بنت حزام بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن الناس بن مضر(4)، وهنا يلتقي نسبها بنسب أمير المؤمنين(عليه السلام).

وفي مقاتل الطالبيين: أمّ البنين بنت حرام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، وهو عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة(5).

وفي الهداية الكبري: . . وكان له(عليه السلام) عبد الله والعباس وجعفر وعثمان من أمّ البنين، وهي جعدة ابنة خالد بن زيد الكلابية(6)!!!.

وفي شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: أمّهم أمّ البنين بنت حزام

1- الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي : 5/113 .

2- الأخبار الطوال للدينوري : 257 .

3- رجال الطوسي : 102 .

4- عمدة الطالب : 323 .

5- مقاتل الطالبيين : 22 .

6- الهداية الكبري للحسين بن حمدان الخصيبي : 94 .

بن خالد بن ربيعة بن الوليد(1).

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: أمّهم أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن دارم(2)، وقد مرّ الكلام في ذلك.

ويؤيد ما ذكرناه سابقاً من احتمال وقوع التصحيف أو الاشتباه ما ذكره الشيخ نفسه في الاختصاص حيث قال: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن عامر(3).

وفي المناقب: أمّ البنين ابنة حزام بن الخالد الكلابية(4).

وفي كتاب الفتوح لابن أعثم: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب العامرية(5).

وقال ابن كثير: أمّ البنين بنت حرام، وهو المحلّ بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر بن كلاب(6).

وقال المسعودي: أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، وهو عامر بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

1- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي : 3/185 .

2- الإرشاد : 1/354 .

3- الاختصاص : 82 .

4- مناقب آل أبي طالب : 3/89 .

5- الفتوح لابن أعثم : 5/113 .

6- البداية والنهاية : 7/367 .

بن معاوية بن بكر بن هوازن(1).

وفي تاريخ الطبري: أمّ البنين بنت حزام، وهو أبو المجل، ابن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب(2).

وفي إكمال الكمال: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، وهو عامر بن كعب بن عامر بن كلاب(3).

وفي شرح ابن أبي الحديد: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كلاب(4).

وفي تاريخ خليفة: أمّ البنين بنت حازم بن خالد من بني الوحيد أحد بني كلاب(5).

وقال الشيخ الطوسي: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، من

بني عامر(6).

وقال ابن سعد في الطبقات: أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن جعفر بن ربيعة بن الوحيد بن عامر بن كعب بن كلاب(7).

1- التنبيه والإشراف للمسعودي : 258 .

2- تاريخ الطبري : 4/118 .

3- إكمال الكمال لابن ماكولا : 1/518 .

4- شرح نهج البلاغة : 9/243 .

5- تاريخ خليفة لخليفة بن خياط العصفري : 178 .

6- رجال الطوسي : 102 .

7- الطبقات الكبري لابن سعد : 3/20 .

وقال أبو نصـر البخاري: أمّ البنين، فاطمة بنت أبي المجل، حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد – وهو عامر – ابن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن(1).

أُمهات أمّ البنين(عليها السلام)

في عمدة الطالب: أمّها: ليلي بنت سهل بن مالك، وهو ابن أبي براء، عامر ملاعب الأسنّة، ابن مالك بن جعفر بن كلاب.

وأمّها: عامرة بنت الطفيل بن عامر.

وأمّها: كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب(2).

وأمّها: فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناة(3) . ..

وقال أبو الفرج الإصفهاني:

وأمّها: ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وأمّها: عمرة بن الطفيل – فارس قرزل – بن مالك الأحزم – رئيس

1- سرّ السلسلة العلوية : 88 .

2- في معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا : 4/82 : وفي المثل : ابنك من دمي عقبيك، وكأنّ أصل ذلك في عقيل بن مالك، وذلك أنّ كبشـة بنت عروة الرحّال تبنته فعرم عقيل علي أمّه يوماً، فضـربته، فجاءتها كبشـة تمنعها، فقالت : ابني ابني، فقالت القينية، وهي أمة من بني القين : ابنك من دمي عقبيك، أي ابنك هو الذي نفست به وولدته حتي أدمي النفاس عقبيك لا هذا .

3- عمدة الطالب : 356 .

هوازن – بن جعفر بن كلاب.

وأمّها: كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب.

وأمّها: أمّ الخشف بنت أبي مغولة، فارس هوازن، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأمّها: فاطمة بنت جعفر بن كلاب.

وأمّها: عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وأمّها: آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن دودان بن أسد بن خزيمة.

وأمّها: بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.

وأمّها: بنت مالك بن قيس بن ثعلبة.

وأمّها: بنت ذي الرياستين – وهو خشين – ابن أبي عصم بن شمخ بن فزارة.

وأمّها: بنت عمرو بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان(1) . ..

وفي سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: أمّ البنين فاطمة... وأمّها: ليلي بنت سهيل بن عامر بن مالك، وهو أبو ملاعب الأسنّة، وأمّها:

1- مقاتل الطالبيين : 52 .

عمرة بنت الطفيل بن عامر، وأمّها: كبشة بنت عروة الرحّال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب، وأمّها: فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف(1).

نجوم في سلسلة النسب

قبيلة أمّ البنين(عليها السلام) من أشرف القبائل العربية شرفاً، وأجمّهم للمآثر الكريمة التي

تفتخر بها سادات العرب، ويعترف لها بالسيادة حتّي أضدادها وحسّادها ومعادوها، وذلك لكثرة نوابغها من الرجال المبرّزين والزعماء الممتازين بأكمل الصفات الكريمة، وأتمّ الخصال الممدوحة، كالكرم والشجاعة والفصاحة شعراً وخطابة.

وكان رجالهم من التميّز والشرف والسؤدد بمكان فرضوا فيه علي علماء النسب والتاريخ والرواة أن يسجّلوا مآثرهم، ويولوا الاهتمام البالغ بتدوين أسماءهم وخطبهم ووقائعهم وأيّامهم باعتبارهم شخصيات مبرّزة تعدّ من سادات تلك العصور.

ونحن نذكر هنا شيئاً مختصراً عنهم، وعن بعض النجوم اللامعة في تاريخهم.

بنو عامر:

كان بنو عامر من ((الحمس))، وكانوا ((لقاحاً)) لا يدينون لأحد من

1- سرّ السلسلة العلوية : 88، عمدة الطالب : 356 .

الملوك.

الحمس:

قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث: الحمس: قريش ومن دان بدينهم في الجاهلية، واحدهم أحمس، سمّوا لتحمّسهم، أي تشدّدهم في دينهم.

والحمسة: الحرمة، مشتقّة من اسم الحمس، لحرمتهم بنزولهم الحرم، وكانوا لا يخرجون من الحرم، ويقولون: نحن أهل الله، لسنا كسائر الناس، فلا نخرج من حرم الله، وكان الناس يقفون بعرفة، وهي خارج الحرم، وهم كانوا يقفون فيه حتّي نزل: ((ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النّاسُ))، فوقفوا بعرفة(1).

وقال الفيروزآبادي: حمس - كفرح -: اشتدّ وصلب في الدين والقتال، فهو حمس وأحمس، وهم حمس.

والحمس: الأمكنة الصلبة جمع: أحمس، وهو لقب قريش وكنانة وجديلة، ومن تابعهم في الجاهلية، لتحمّسهم في دينهم أو لالتجائهم بالحمساء، وهي الكعبة، لأنّ حجرها أبيض إلي السواد.

وفي الكافي عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال:

1- الفايق في غريب الحديث : 1/274 .

كانت العرب في الجاهليـة علي فرقتين: الحلّ، والحمس، فكانت الحمس قريشاً، وكانت الحلّ سائر العرب، فلم يكن أحد من الحلّ إلاّ وله حرميّ من الحمس، ومن لم يكن له حرميّ من الحمس لم يترك أن يطوف بالبيت إلاّ عرياناً.

وكـان رسول الله(صـلي الله عليه واله) حرمياً لعياض بن حمّار المجاشـعي، وكان عياض رجلاً عظيم الخطر، وكان قاضـياً لأهل عكاظ في الجاهليـة، فكان عياض إذا دخل مكّة ألقي عنه ثياب الذنوب والرجاسة، وأخذ ثياب رسول الله(صـلي الله عليه واله) لطهرها، فلبسـها وطاف بالبيت، ثمّ يردّها عليه إذا فرغ من طوافه.

فلمّا أن ظهر رسول الله(صـلي الله عليه واله) أتاه عياض بهديّـة، فأبي رسول الله(صـلي الله عليه واله) أن يقبلها وقال: يا عياض، لو أسـلمت لقبلت هديّتك، إنّ الله – عزّ وجلّ – أبي لي زبد المشركين.

ثمّ إنّ عياضاً بعد ذلك أسلم وحسن إسلامه، فأهدي إلي رسول الله(صلي الله عليه واله) هديّة، فقبلها منه(1).

وقال ابن إسـحاق: وكانت قريش – لا أدري قبل بناء الكعبـة أو بعـده – ابتدعت رأي الحمس، رأيا رأوه وأداروه بينهم، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرم، وولاة البيت، وقاطنوا مكّة وسـكّانها، فليس لأحد من العرب مثل حقّنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئاً من الحلّ كما تعظّمون الحرم، فإنّكم إن

1- الكافي : 5/142 ح3 .

فعلتم ذلك استخفّت العرب حرمتكم، وقالوا: قد عظّموا من الحلّ مثل ما عظّموا من الحرم.

فتركوا الوقوف علي عرفة والإفاضة منها، وهم يقرّون ويعرفون أنّها من المشاعر والحج ودين إبراهيم(عليه السلام)، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها، إلاّ أنّهم قالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة، ولا نعظم غيرها كما يعظمها الحمس، والحمس أهل الحرم.

ثمّ جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحلّ والحرم مثل الذي لهم لولادتهم إيّاهم يحلّ لهم ما يحلّ لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم.

وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك، ثمّ ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن، فقالوا: لا ينبغي للحمس أن يأقطوا الإقط، ولا يسلئوا السمن، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلّوا إلاّ في بيوت الأدم ما داموا حراماً.

ثمّ رفعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحلّ في الحرم إذا جاؤوا حجّاجاً أو عمّاراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أوّل طوافهم إلاّ في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا شيئاً منها طافوا بالبيت عراة، فإن تكرّم منهم متكرّم من رجل أو امرأة لم يجد ثوباً من ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحلّ ألقاها إذا فرغ من طوافه لم ينتفع بها، ولم يمسّ ها ولا أحد غيره أبداً، وكانت العرب تسمّي تلك الثياب ((اللقا)).

ص: 125

فحملوا العرب علي ذلك، فدانت به، ووقفوا علي عرفات وأفاضوا منها، فأطافوا بالبيت عراة، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك، فكان أهل الحلّ يـأتون حجّاجـاً وعمّـاراً، فإذا دخلوا الحرم وضـعوا أزوادهم التي جاؤوا بها وابتاعوا من طعام الحرم، والتمسوا ثياباً من ثياب الحرم، إمّا عارية وإمّا بإجارة، فطافوا فيها، فإن لم يجـدوا طافوا عراة، أمّا الرجال فيطوفون عراة، وأمّا النساء فتضع إحداهنّ ثيابها كلّها إلاّ درعاً تطرحه عليها ثمّ تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب، وهي كذلك تطوف:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه

وما بدا منه فلا أحلّه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه لا يقربه، وهو يحبّه:

كفي حزناً كري عليه كأنّه

لقا بين أيدي الطائفين حريم

يقول: لا يمسّ، فكانوا كذلك حتّي بعث الله – عزّ وجلّ – نبيّه(1).

***

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عبيدة النحوي: أنّ بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني

1- سيرة ابن إسحاق : 2 / 80 – 83، السيرة النبوية لابن هشام الحميري : 1 / 128 – 131 .

لعمرو بن معديكرب:

أعباس لو كانت شياراً جيادنا

بتثليث ماناصيت بعدي الأحامسا

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادهم، والشيار: السمان الحسان، يعني بالأحامس: بني عامر بن صعصعة، وبعباس: عباس بن مرداس السلمي، وكان أغار علي بني زبيد بتثليث، وهذا البيت من قصيدة لعمرو.

وأنشد للقيط بن زرارة الدارمي في يوم جبلة:

أجذم إلي إنّها بنو عبس

المعشر الجلة في القوم الحمس

لأنّ بني عبس كانوا يوم جبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة(1).

1- يوم جبلة يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبين بني عامر بن صعصعة، فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة علي بني حنظلة، وقتل يومئذٍ لقيط بن زرارة بن عدس، وأسر حاجب بن زرارة بن عدس، وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة، ففيه يقول جرير للفرزدق: كأنّك لم تشهد لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعوا يالدارم وهذا البيت في قصيدة له. ثمّ التقوا يوم ذي نجب، فكان الظفر لحنظلة علي بني عامر، وقتل يومئذٍ حسان بن معاوية الكندي، وهو ابن كبشة، وأسر يزيد بن الصعق الكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل، ففيه يقول الفرزدق: ومنهن إذا نجي طفيل بن مالك علي قرزل رجلاً ركوض الهزائم ونحن ضربنا هامة ابن خويلد نزيد علي أمّ الفراخ الجواثم وهذا البيتان في قصيدة له. فقال جرير: ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه ولاقي امرأ في ضمّة الخيل مصقعا وحديث يوم جبلة ويوم ذي نجب أطول ممّا ذكرنا.

وقد وضع الله – تعالي – أمر الحمس، وما كانت قريش ابتدعت منه علي الناس بالإسلام حين بعث الله به رسوله(صلي الله عليه واله).

روي الكوفي في المناقب: عن ابن عباس قال: بعث رسول الله(صلي الله عليه واله) أبا بكر علي الموسم، وبعث معه بهؤلاء الآيات من براءة، وأمره أن يقرأها علي الناس أن يرفع الحمس – قريش وكنانة وخزاعة . . – إلي عرفات، فسار أبو بكر حتّي نزل بذي الحليفة، فنزل جبرئيل علي النبي(صلي الله عليه واله)، فقال: ((لن يؤدّي عنك إلاّ رجل منك)).

ثمّ إنّ رسول الله(صلي الله عليه واله) بعث علي بن أبي طالب(عليهما السلام) في أثر أبي بكر، فأدركه بذي الحليفة، فلمّا رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور، بعثني إليك رسول الله(صلي الله عليه واله) لتدفع إليّ براءة، فدفعها إليه، وانصرف أبو بكر إلي النبي(صلي الله عليه واله) فقال: يا رسول الله، ما لي نزعت منّي براءة؟ أنزل فيّ شيء؟

قال: لا، ولكنّه لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي، وأنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّي(1)(2).

الرئاسة والشجاعة

كانت الرئاسة والحكومة في بني عامر بن صعصعة، ولم تزل فيهم.

قال أبو عمر: جاء الإسلام وأربعة أحياء قد غلبوا الناس كثرة: شيبان بن ثعلبة، وجشم بن بكر بن تغلب، وعامر بن صعصعة، وحنظلة بن مالك، فلمّا جاء الإسلام خمد حيّان وطمي حيّان، طمي بنو شيبان وعامر بن صعصعة، وخمد جشم وحنظلة(3).

وعدّهم دغفل النسّابة في أشراف قبائل الجاهلية وقال: وأمّا بنو

1- في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 15/204 : قال أبو عثمان : وكان الزبير بن عبد المطّلب شجاعاً أبيّاً، وجميلاً بهيّاً، وكان خطيباً شاعراً، وهو الذي يقول : ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزّة حتي يموتوا ثيابهم شمال أو عباء بها دنس كما دنس الحميت ولكنّا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت وكأس لو تبين لهم كلاماً لقالت إنّما لهم سبيت تبين لنا القذي إن كان فيها رضين الحلم يشربها هبيت ويقطع نخوة المختال رقيق الحدّ ضربته صموت بكفّ مجرّب لا عيب فيه إذا لقي الكريهة يستميت

2- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي : 1/469 ح371 .

3- الإنباه لابن عبد البرّ : 97 .

عامر فكثير سادتهم، مخشيّة سطوتهم، ظاهرة نجدتهم(1) ..

وقال عنهم ابن القرية: وبنو عامر أطولها رماحاً، وأكرمها صباحاً(2) ..

ونسب أبو هريرة إلي النبي(صلي الله عليه واله) أنّه سئل عن بني عامر فقال(صلي الله عليه واله): جمل أزهر يأكل من أطراف الشجر(3) ..

وقال زهير بن جذيمة العبسي عند منصرفه من النعمان في سياق ما جري في قصّة مقتل ابنه شاس:

ولكن حمتهم عصبة عامرية

يهزّون في الأرض القصار العواليا

مساعير في الهيجا مصاليت في الوغي

أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا

يقيمون في دار الحفاظ تكرّماً

إذا ماقني القوم أضحت خواليا

وقال شاس الأسدي في سياق نفس القصّة:

لا تـدخلوا علي بني عامر، فإنّي أعلم الناس بهم قـد قاتلتهم وقاتلوني، وهزمتهم وهزموني، فما رأيت قوماً قطّ أقلق بمنزل من بني عامر، والله ما وجدت لهم مثلاً إلاّ الشـجاع، فإنّه لا يقرّ في جحره قلقاً وسيخرجون إليكم، والله لئن نمتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلاّ وهم منحدرون إليكم(4) ..

1- أمالي القالي : 25 .

2- شذرات الذهب : 1/93 .

3- تاريخ بغداد : 2/195 .

4- تاريخ اليعقوبي : 1/186 .

بنو كلاب

روي الميـداني عن يونس بن حبيب أنّه قال: زعموا أنّ رقيّة بنت جشم بن معاوية – يعني ابن بكر بن هوازن – ولدت نميراً وهلالاً وسواءة، ثمّ اعتاطت، فنظرت إليها كاهنة ومست بطنها، وقالت: ربّ قبائل فرق، ومجالس حلق، وطعن خرق في بطنك، فأمخضت ربيعة بن عامر(1)... وهو أبو كلاب وكعب، وأمّ كلاب اسمها مجد من قريش.

ومجـد هي أمّ كلاب وكليب وكعب بني ربيعـة بن عامر بن صعصـعة، وهي بنت تميم بن مرّة بن غالب بن فهر، وهي التي جعلت بني عامر حمساً ..

وفرسان بني كلاب وأبطالهم ورؤساؤهم الـذين قادوا هوازن في الحروب وشـهرت نكايتهم في العرب، ونحن إن أوردنا كلّ فرسان بني عامر يطول بنا المقام... ولا نـذكر كلّهم، بل نذكر مقدار ما يسـتبين به أهمّية هذه القبيلة، ودقّة اختيار مولانا أمير المؤمنين(عليه السـلام) لها علي سائر نساء العرب.

وإذا عرفت فرسان رهطها الأدني لا يخفي عليك فرسان بقيّـة قومها من بني عامر، مثل: بني نمير الـذين هم جمرة العرب، وبني قشـير، وبني عقيل، وبني البكّاء، وأمثال هؤلاء، كعمرو بن عامر فارس الضحيا،

1- مجمع الأمثال : 1/221 .

وخداش بن زهير، وغيرهما من الفرسان المضروب بهم المثل.

ولـدت أمّ البنين الكبري لمالك بن جعفر بن كلاب خمسة، كلّ واحد منهم سـيّد من سادات قومه، ورئيس من رؤسائهم، وقائد من قوّادهم، وهـم: ربيعـة بن مالك، وهو ربيعـة المقترين، وهو أبو لبيـد الشاعر، ومعاويـة بن مالك بن جعفر، وهو معوذ الحكّام، والطفيل بن مالك، وهو فـارس قرزل، وهو أبو عـامر بن الطفيل، وعامر بن مالك، وهو ملاعب الأسـنّة، وسـلمي بن مالك، وهو نزال المضـيق، وفيها ضـرب المثل، فقـالت العرب: أنجب من أمّ البنين، ذكره أبو هلاـل العسـكري في جمهرة الأمثـال علي هـامش الميـداني(1)، والميـداني أيضاً في مجمع الأمثال(2)، وهي ابنة عمرو بن عامر فارس الضحيا العامري.

وبهؤلاء الخمسة افتخر لبيد بن ربيعة في مجلس النعمان بن المنذر ملك الحيرة حيث يقول:

نحن بنو أمّ البنين الأربعه(3)

ونحن خير عامر بن صعصعه

الضاربون الهام وسط المجمعه

1- جمهرة الأمثال علي هامش مجمع الأمثال : 2/242 .

2- مجمع الأمثال : 2/205 .

3- جعلهم أربعة لضرورة الشعر، اضطرّته القافية إلي ذلك .

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب، لأنّ لهم شرفاً لا يدافع(1).

ومن بني جعفر خالـد بن جعفر مدرك الثأر، والأحوص بن جعفر قائد مضـر يوم خزازي، وقائد قومه يوم شـعب جبلة، وعامر بن الطفيل أحد فرسان العرب المجمع علي فروسـيّتهم في الجاهليـة، ولبيـد الشاعر المشـهور صاحب المعلقة أحد فرسانهم وأجوادهم جاهلية وإسـلاماً، وأربد بن قيس، وهو أربد الحتوف بطل مارد، وهو أخو لبيد، وجبّار بن صـخر بن سـلمي فارسـهم في الجاهلية والإسـلام، ويزيد بن الصعق الكلابي، وعتبة بن جعفر، وابنه عروة الرحّال، وعلقة بن علاثة الصـحابي، والضحّاك بن سفيان الكلابي، والمحلق ممدوح الأعشي، وجواب وهو مالك بن كعب الكلابي، وشتير بن خالد، وابنه عتبة بن شتير، وغيرهم ممّن ستعرف أسماءهم.

ربيعة المقترنين

وهو ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو فارس ذي العلق،

1- للأبيات تتمّة تجدها في جمهرة الأمثال للعسكري : 2/118 رقم 1362، « قولهم : قد قيل ذلك إن حقّاً وإن كذبا)) .

ووالد لبيد الشاعر المشهور، الذي كان من سادات بني عامر جوداً وشجاعة وقيادة، قادهم في كثير من الحروب، وقتلته بنو أسد.

معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب

وهو معوذ الحكّام، وهو سيّد من سادات بني عامر، ومن شعرائهم وأبطالهم المشهورين، وهو عمّ لبيد الشاعر.

قال الآمدي في المؤتلف والمختلف(1): قيل له: معوذ الحكّام لشيء كان جري بين بني عقيل وبني قشير، فأصلح بينهم، وهو غلام حديث السنّ، وسمّي بذلك ببيت قاله في أبيات كثيرة:

أعوذ بعدها الحكام مثلي

إذا ما الأمر في الأشياع نابا

وهو القائل:

تفاخرني بكثرتها قريط

فيا لك والد الحجل الصقور

بغاث الطير أكثرها فراخاً

وأمّ الباز مقلات نزور

فإن أك في عدادكم قليلاً

فإنّي في عدوّكم كثير(2)

1- المؤتلف والمختلف : 188 .

2- انظر : معجم الشعراء : 391 .

***

الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ((فارس قرزل))

وهو أبو عامر ابن الطفيل، فارس العرب، وكان الطفيل من فرسان بني عامر في الجاهلية، ومن الرؤساء والأجواد والشعراء.

قال ابن قتيبة في ترجمة ابن عامر: وأبوه فارس قرزل، وقال بعض الشعراء لعامر:

فإنّك يا عام بن فارس قرزل

عن القصد إذ يممت ثهلان جائر(1)

والطفيل وأخوه ملاعب الأسنّة أسرا معبد بن زرارة التميمي يوم رحرحان، في قصّة طويلة ذكرها ابن عبد البر في العقد الفريد(2).

أبو براء ملاعب الأسنّة

واسمه عامر – علي المشهور –، وقيل: عمرو بن مالك بن جعفر بن كلاب، فارس العرب، مجمع علي فروسيّته، أدرك الإسلام وأسلم علي المشهور.

وهو الذي أجار أصحاب رسول الله(صلي الله عليه واله) فغدر بهم عامر بن الطفيل يوم بئر معونة، فمات أبو براء كمداً وحزناً، وكان معروفاً عند العرب بالشجاعة والفروسيّة والشرف.

قال العسقلاني في الإصابة: أبو براء المعروف بملاعب الأسنّة، ذكره

1- الشعر والشعراء : 118 .

2- انظر : العقد الفريد : 3/313 .

خليفة والبغوي وابن البرقي والعسكري وابن قانع البارودي وابن شاهين وابن السكن في الصحابة، وقال الدار قطني: له صحبة.

وروي ابن الأعرابي في معجمه عن عامر بن مالك قال: بعثت إلي رسول الله(صلي الله عليه واله) ألتمس منه دواء، فبعث اليّ بعكّة من عسل.

وذكر ابن شبة أنّ النبي(صلي الله عليه واله) استعمله علي بني جعفر، وقال(صلي الله عليه واله) للضحّاك بن سفيان الكلابي: استوص به خيراً - يعني عامراً -.

وأوّل من لقّبه ((ملاعب الأسنّة)) ضرار بن عمرو القيسي، ولقّبه الرويم، وذلك في يوم السوبان.

وقال ابن قتيبة في الشعراء: ملاعب الأسنّة، هو عمّ لبيد، وهو عامر بن مالك، وسمّي ((ملاعب الأسنّة)) بقول أوس بن حجر فيه:

ولاعب أطراف الأسنّة عامر

فراح له حظّ الكتيبة أجمع(1)

وكان ملاعب الأسنّة أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية.

وقيل: لقول حسّان بن نمير، وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم: ما هذا إلاّ ملاعب الأسنّة . وقيل غير ذلك.

وكان أبو براء مع البطولة والقيادة والسيادة شاعراً مجيداً.

قال ابن نباتة في شرح الرسالة: يزعمون أنّه لمّا تنافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمّه الإعانة، فأعطاه نعليه وقال: إستعن بهما في مفخرتك، فإنّي ربعت فيهما أربعين مرباعاً، مع أنّه كان

1- الشعر والشعراء : 90 .

كارهاً للمنافرة، وفي ذلك يقول:

أؤمر أن أسبّ بني شريح

ولا والله أفعل ما حييت

ومن شعره:

دفعتكم عنّي وما دفع راحة

بشيء إذا لم تستعن بالأنامل

يضعضعني حلمي وكثرة جهلكم

عليّ وإنّي لا أصول بجاهل

براء بن أبي براء

ملاعب الأسـنّة، عامر بن جعفر بن كلاب الكلابي، كان فارساً شاعراً بطلاً من أبطال بني كلاب في العصر الجاهلي، قتل يوم النتأة، وقد ذكر ابن الأثير قصّة هذا اليوم مفصّلاً(1).

ربيعة بن أبي براء

ملاعب الأسنّة، أخو المتقدّم، كان صحابياً فارساً من فرسان بني كلاب، وبطلاً من أبطال العرب.

وذكر غير واحد من أهل المغازي أنّه أهدي لرسول الله(صلي الله عليه واله) بغلة أو ناقة، ورأيت له رواية عن أبي الدرداء من طريق حبيب بن عبيد عنه ..

وقال الـدياربكري في تاريـخ الخميس في أفراس النبي(صـلي الله عليه واله): واللحيف كأمير وزبير، فرس لرسول الله(صـلي الله عليه واله)، لأنّه كان يلحف الأرض بيديه،

1- الكامل في التاريخ : 1/399 .

أهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه من نعم بني كلاب(1).

وذكر الطبري في تاريخه(2) وابن عساكر في تاريخ دمشق أنّ ربيعة هذا طعن عامر بن الطفيل برمحه وضربه بسيفه طلباً بخفرة أبيه.

قال ابن عساكر في قصّة أصحاب الرجيع: ثمّ إنّ النبي(صلي الله عليه واله) لقي ربيعة ابن ملاعب الأسنّة، فقال له: ما فعلت ذمّة أبيك؟ فقال: نقضتها بضربة سيف أو بطعنة رمح، فقال له: نعم(3).

نهشل بن عبيدة نزال المضيق

ابن مالك بن جعفر بن كلاب الجعفري الكلابي، أحـد أبطال الجاهلية، وسادات بني عامر وأشـرافهم وفرسانهم، قتل يوم النتأة مع براء بن أبي براء، قتلهما بنو عبس، ذكره ابن عبد ربّه في العقد الفريد في قصّة هذا اليوم(4).

مدرك الثأر خالد بن جعفر بن كلاب

الملقّب بالأصبغ، وذي الشامة، الجعفري الكلابي، أحد سادات العرب وأبطالهم الأُباة الحماة، وممّن يضرب به المثل في الشجاعة، ومن

1- تاريخ الخميس : 1/206 .

2- تاريخ الطبري : 3/35 .

3- تاريخ دمشق : 7/198 .

4- العقد الفريد : 2/235 .

أشـهر رجالات العرب فروسـيّة وصـيتاً، شـهد يوم السلان من حروب العدنانية والقحطانية، وله فيه ذكر ذائع وشعر مشهور، وهو قائد هوازن ووافدهم إلي الملوك، وكان له عند الملوك محلّ سامي، وهو الذي أنكر الظلم والجور والبغي في الأرض والإسراف في إراقة دماء الأبرياء مع كونه شابّاً لم يكتهل، وانتقم من الجائر زهير بن جذيمة العبسي.

وأمّ خالـد ((خبيئـة الغنوية)) إحدي المنجبات من نساء العرب، فإنّها ولدت لجعفر بن كلاب: مالك، الملقّب بالطيّان، لكثرة ما يطوي بطنه ويؤثر علي نفسه، وخالد، الملقّب بالأصـبغ لشامة بيضاء في مقدّم رأسه، وربيعة، الملقّب بالأحوص لصغر عينيه، كلّ واحد منهم ساد قومه، وأجمع علي ذلك علماء العرب في مجلس معاوية(1).

قال الشريف المرتضي في أماليه: فأمّا خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس، فاختلف الرواة في سببه، فيقال:

إنّ هوازن بن منصور كـانت تؤتي الأتاوة زهير بن جذيمـة، ولم تكثر عامر بن صعصـعة بعـد، فهم أذلّ في رحم، فأتت عجوز من هوازن إلي زهير بن جذيمة بسمن في نحي، فاعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت علي الناس، فذاقه، فلم يرض طعمه، فدعّها – أي دفعها – بقوس في يده عطّل في صدرها، فسقطت وبدت عورتها.

فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلي ما كان في صدرها من الغيض

1- انظر : الأغاني لأبي الفرج : 16/19 .

كانت يومئذٍ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة – أي كثرت – فآلي خالد بن جعفر بن كلاب، فقال: والله لأجعلنّ ذراعي وراء عنقه حتّي أقتل أو يُقتل.

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر:

أريغوني أراغتكم فإنّي

وحذفة كالشجا تحت الوريد

مقربة أواسيها بنفسي

وألحفها ردائي في الجليد

لعلّ الله يمكنني عليها

جهاراً من زهير أو أسيّد

فإمّا تثقفوني فاقتلوني

فمن أثقف فليس إلي خلود(1)

وقيل في سبب قتله غير ذلك ..

وقد قتل خالد بن جعفر الكلابي غيلة، اغتاله الحارث بن ظالم المرّي من غطفان، فقتله وهو نائم في جوار الأسود بن ا لمنذر ملك الحيرة.

وفي ذلك يقول عبد الله بن جعدة:

شقّت عليك العامرية جيبها

أسفاً وما تبكي عليك ظلالا

يا حار لو نبّهته لوجدته

لا طائشاً رعشاً ولا معزالا

فاغرورقت عيناي لمّا أبصرت

بالجعفري وأسبلت إسبالا

فلنقتلنّ بخالد سرواتكم

ولنجعلنّ الظالمين نكالا

فإذا رأيتم عارضاً متلبّبا

منّا فإنّا لا نحاول مالا

ص: 140

1- أمالي المرتضي : 1/125 .

فثارت بسبب مقتل خالد حروب هائلة، ووقعت وقائع طاحنة، واستعرت نيران كفاح إندلع لسانها في جزيرة العرب، وتطاير شررها علي الشعبين القحطاني والعدناني، واصطلي برهجها المتأجّج قبائل تميم وأسد، وقبائل اليمن وغطفان، وغيرها، وقتل فيها أعلام العرب، وسادات مضر واليمن ..

وقتل الحارث بن ظالم بعد أن نبت به البلاد، وضاقت في وجهه الدنيا، ولم يجد أحداً يأويه أو يجيره من العرب، فقصد ملوك غسّان بالشام مستجيراً بهم، وقتله من أجاره جزاء عمله . . . هذا هو المشهور.

وفي مجاني الأدب: أنّ المنذر قبض عليه فقتله بخالد ((سنة 600 ميلادية))(1).

الأحوص بن جعفر بن كلاب

الجعفري العامري، قائد مضر يوم خزازي، وقائد هوازن يوم رحرحان وشعب جبلة وغيرهما، وكان من أعلام العرب وساداتها وشعرائها، وكان هو الوافد علي ملوك التبابعة في طلب الصلح بين الشعبين ..

والأحوص من الإحتياص أي الحزم والتحفّظ . . ويحتمل أن يكون

1- مجاني الأدب : 2/603 .

لقب الأحوص اشتقّ من هذا لشدّة تحفّظه وحزمه في الأمور.

قال أبو زياد الكلابي: أخبرنا من أدركنا من مضـر وربيعـة: أنّ الأحوص بن جعفر بن كلاب كان علي نزار كلّها يوم خزاز، وهو الذي أوقد النار علي خزاز، ويوم خزاز أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية.

مات الأحوص كمداً علي ابنه عمرو.

عوف بن الأحوص

ابن جعفر بن كلاب، فارس العصا، واسم فرسه ((العصا))، وهو جـدّ علقمـة بن علاثـة، وكان عوف بن الأحوص بطلاً شـجاعاً فارساً ذا رأي وتجربة، مصيباً في ما يشير به، وشاعراً مجيداً فحلاً من شعرائهم.

ومن شعره:

ومستنبح يبغي المبيت ودونه

من الليل باباً ظلمة وستورها

رفعت له ناري فلمّا اهتدي بها

زجرت كلابي أن يهرّ عقورها

فبات وقد أسري من الليل عقبة

بليلة صدق غاب عنها شرورها

إذا قيلت العوراء ولّيت سمعها

سواي ولم أسأل بها ما دبيرها

وله:

أبي حسبي وفاصلتي ومجدي

وإيثاري المكارم والمساعي

وقومي هم أحلّوني وحلّوا

من العليا بمرتقب يفاع

ولم أظلف عن الشعراء عرضي

كما ظلف الوسيقة بالكراع

ص: 142

شهد يوم رحرحان، ويوم شعب جبلة، وكان هذا اليوم من عظام أيّام العرب، ويوم الفجار وغيرها، وفي كلّها له صوت.

شريح بن عوف بن الأحوص

من أشـهر فرسان بني عامر وأبطالهم في الجاهلية، له الصـيت الذائع في أيّامهم المشهورة، مثل يوم رحرحان ويوم جبلة وغيرهما، وهو قاتل لقيط بن زرارة التميمي قائد الجيش في جبلة . . وأخباره كثيرة.

يزيد بن الصعق الكلابي

فارس بني كلاب وشاعرها في العصـر الجاهلي، وشـهد الوقائع العظمي مثل رحرحان وجبلة وغيرهما، وظهرت آثاره فيهما، وهو الذي أسر رؤية بن رومانس أخا النعمان بن المنذر، وقائد جيشه لحرب بني عامر.

قال المرزباني في معجم الشعراء: يزيد بن الصعق الكلابي العامري فارس بني

عامر وشاعرهم، كان بطلاً مشهورا مسلّم بالفروسيّة(1).

وقال الجواليقي في شرح أدب الكاتب: وليزيد بن عمرو الكلابي أبيات مؤسّسة منها: ((كأمس الدابر))، وهي:

أعقرتموا جملي برحلي قائماً

ورميتم جاري بسهم ناقر

1- معجم الشعراء : 494 .

فاذا ركبتم فالبسوا أدراعكم

إنّ الرماح بصيرة بالحاسر

إذ تظلمون وتأكلوا صديقكم

فالظلم تاركم بجدّ عاثر

إنّي سأقتلكم ثنا وموحّداً

وتركت ناصركم كأمس الدابر

ولهـذه الأبيات قصّة، وهي تحكي قوّة عقله، وإدراكه لقبح الظلم والبغي والجور، وأنّها تؤدّي بصاحبها إلي الدمار، وتوجب له العثار، وتلوّث سلوكه بالعار والشنار.

وقد استجارت بيزيد هذا باهلة فأجارهم من بني جعدة بن كعب.

أبو عقيل لبيد بن ربيعة

ابن مالك بن جعفر، الشاعر المشهور، صاحب المعلّقة، كان صحابياً، من فحول شعراء الجاهلية، وترك الشعر في الإسلام، وقال: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران، فلم يقل في الإسلام شعراً إلاّ بيتاً واحداً، وهو قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي

حتّي لبست من الإسلام سربالا

وكان من أجواد العرب وفرسانهم الشـجعان، زاد بالإسلام عزّاً، وكان شيعيّاً، وكان يطعم ما هبت الصبا، فإذا هبت الصبا قال قائلهم: أعينوا أبا عقيل علي مروّته.

وقدم لبيد الكوفة وأقام بها إلي أن مات، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب.

ومن شعره ما قاله في مرثية أخيه أربد:

فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا

فكلّ امرء يوماً به الدهر فاجع

وما الناس إلاّ كالديار وأهلها

بها يوم خلّوها وغدوا بلاقع

وما المرء إلاّ كالشهاب وضوءه

يحور رماداً بعد ما هو ساطع

وما المال والأهلون إلاّ ودائع

ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائع

وما الناس إلاّ عاملان فعامل

يتبر ما يبني وآخر رافع

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه

ومنهم شقيّ بالمعيشة قانع

أليس ورائي إن تراخت منيّتي

لزوم العصا تحني عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت

أدبّ كأنّي كلّما قمت راكع

فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه

تقادم عهد القين والسيف قاطع

فلا تبعدنّ إنّ المنيّة موعد

علينا فدان للطلوع وطالع

أعاذل ما يدريك إلاّ تظنّيا

إذا رحل السفار من هو راجع

أأجزع ممّا أحدث الدهر بالفتي

وأيّ كريم لم تصبه القوارع

وأخبار لبيد كثيرة، وشعره مشهور، ومعلّقته معروفة.

أربد الحتوف الجعفري الكلابي

اسـمه عمرو، وهو أخو لبيـد بن ربيعـة لأمّه، ولقبه ((أربد الحتوف))، كان بطلاً مارداً شـجاعاً متمرّداً، وأبوه قيس من فرسان بني عامر، وجدّه جزء بن خالد من فرسانهم وساداتهم، وهو فارس شـحمة – اسم فرس –، وقد اعترف عامر بن الطفيل له بالفروسيّة، وأقرّ له بالبطولة والفتك، ومع كونه بطلاً كان شاعراً مجيداً.

ص: 145

عروة الرحّال الكلابي

الجعفري، أحد سادات مضر في الجاهلية، وشجعان قيس وأبطال بني عامر،

وكان من أجواد العرب وشعرائهم حيث كان الشعر من فضائل العرب، وكان من ذوي العقل والشهامة، وأحد الأربعة الذين اجتمعت عليهم هوازن كلّها.

وكان من الرحّالين إلي الملوك المحترمين عندهم، وبرحلته إلي الملوك لقّب ب-((الرحّال)).

وكان يعرف بجهارة الصوت، وزعموا أنّه رحل إلي معاوية بن الجون الكندي، فغزي معاوية بني حنظلة قومه من بني عامر، واستصحبه معه، فلمّا كان بواردات قال لمعاوية: إنّ لي حقّ صحبة ورحلة، وأريد أن أنذر قومي من هاهنا، وبينه وبينهم مسيرة ليلة، فعجب معاوية منه، فأذن له، فصاح: يا صباحاه، ثلاث مرّات، فسمعه قومه من الشعب، فاستعدوا لذلك(1) ..

وبسبب مقتله هاجت حروب طاحنة بين الكنانية وقريش، وبين هوازن ذهبت فيها نفوس كثيرة قتل فيها من مشاهير قريش ((العوام)) والد الزبير وأحيحة بن سعيد بن العاص، وهو أكبر أولاده، والمكنّي به، وعرفت هذه الحروب بحروب الفجار.

1- شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لاميّة العجم : 1/90 .

الضحّاك بن سفيان الكلابي

أحد بني بكر بن كلاب، شاعر، فارس، من الصحابة والأبطال المشهورين، والقوّاد القديرين، أسلم ووفد علي النبي(صلي الله عليه واله)، وتولّي له قيادة بعض السرايا..

وقال الواقدي: كان علي صدقات قومه، وكان من الشجعان، يعدّ بمائة فارس، وبعثه النبي(صلي الله عليه واله) علي سريّة، وفيه يقول العباس بن مرداس:

إنّ الذين وفوا بما عاهدتهم

جيش بعثت عليكم الضحّاكا(1)

قال ابن سعد(2): كان ينزل نجد في حوالي ضرية، وكان والياً علي من أسلم من قومه.

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: كان الضحّاك سيّافاً لرسول الله(صلي الله عليه واله) قائماً علي رأسه متوشّحاً سيفه، وكانت بنو سليم في تسعمائة، فقال رسول الله(صلي الله عليه واله): هل لكم في رجل يعدل بمائة يوفّيكم ألفاً؟ فوفّاهم بالضحّاك(3).

قال الغزالي: روي أنّ الضحّاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً، فلمّا بايعه النبي(صلي الله عليه واله) قال: إنّ عندي امرأتين أحسن من هذه

1- الإصابة : 2/306 .

2- الإصابة : 2/306 .

3- تاريخ دمشق : 7/258 .

الحميراء، وذلك قبل أن تنزل آيـة الحجاب، فهلاّ أنزل لك عن أحـدهما، فتتزوّجها وعائشـة تسـمع، فقالت: هما أحسن أمّ أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منهما وأكرم، فضحك رسول الله(صلي الله عليه واله)(1) ..

قال الزركلي في الأعلام: مات الضحّاك سنة 11 هجرية.

***

نكتفي بهذا القدر من ذكر أسـماء أبطال قبيلة أمّ العباس(عليه السـلام) ورجالهم وفرسانهم، ولو أردنا اسـتقصاءهم في كتاب ضخم لضاقت بهم أوراقه.

وفي النموذج الـذي ذكرناه كفايـة لمن أراد أن يتعرّف إلي موقع هـذه المرأة الكريمـة في بيت الفروسـيّة والشـجاعة والبطولة والإقدام والكرم والسخاء وحماية الجوار.

قال السـيّد المقرّم : ومنه – أي من نسبها – عرفنا آباءها وأخوالها، ويعرّفنا التاريخ: أنّهم فرسان العرب في الجاهلية، ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسـيّة والبسالة، مع الزعامة والسؤدد حتّي أذعن لهم الملوك، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب(عليهما السلام) بقوله: ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس ..

وذلك مراد أمير المؤمنين(عليه السلام) من البناء علي امرأة ولدتها الفحولة من

1- إحياء العلوم : 2/113 .

العرب، فإنّ الآباء لابدّ وأن تعرق في البنين ذاتيّاتها وأوصافها، فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه

هـذه الخصال الكريمة، وإن كانت أنثي بانت في أولادها، وإلي هذا أشار صاحب الشـريعة الحقّة بقوله: ((الخال أحد الضـجيعين، فتخيّروا لنطفكم))(1).

1- العباس عليه السلام للمقرّم : 69 .

أبو الفضل العباس(عليه السلام) معمّ مخول

إذا نظرت في هـذا النسب الـذي سـقناه، ولم نسـتوفه كما ينبغي في كلا طرفي منتمي العباس بن أمير المؤمنين علي بن طالب: من العمومة والخؤولـة علمت أنّه تكامل فيه المجـد الوراثي، لأنّ الأعراق النسبيـة تؤثر في الفروع، وربما تكون الغلبة للنساء علي ارتسام شـيمها وشـيم آبائها في غرسها ما يثمر في الأولاد ثمراً حلواً أو مرّاً، فاذا كان الرجل والمرأة في المرتبة السامية من الشرف، والسؤدد فأيّهما علق شبه المولود به فقد كمل، ولا يدخل علي المولود من ناحية الأبوين النقص إلاّ إذا كان أحدهما وضيعاً.

وقـد اتفق علي تقرير هـذا المعني وتأييده العقل والشـرع والطب والعرف وجرت علي التسـليم له العرب جاهلية وإسـلاماً حتّي يومنا هذا، وربما كان تشاكل الطباع المتقاربة وتشابهها في الآباء والأبناء هو السبب في قول مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) لأخيه عقيل في خطبة أمّ البنين(عليها السلام).

ص: 150

وقد استفاضت الأحاديث النبوية وغيرها من أحاديث أئمة أهل البيت: في تأكيد هذه المسألة، كقوله(صلي الله عليه واله): إيّاكم وخضراء الدمن، قيل: ومن هي يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

والدمنة: هي مجتمع الأرواث والأبعار والأبوال، فتنبت فيها بقلة خضراء، أصل هذه البقلة من هذه الأوراث، فالمرأة الحسناء في بيت الفجور كذلك خبيثة الأصل، فهي تمتصّ منه بطبعها.

وهذا كقوله(صلي الله عليه واله): العرق دساس.

وقوله(عليه السلام): إيّاكم والحمقاء، فإنّ ولدها إلي أفن، بعد قوله: تخيّروا لنطفكم.

وأصل ذلك كلّه القرآن المجيد، فإنّ القرآن أوّل من نبّه علي ذلك حيث يقول: ((وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً)).

وقد وردت أحاديث كثيرة جدّاً، منها:

ما رواه ثقة الإسلام الكليني في فروع الكافي بإسناده عن الصادق(عليه السلام) قال: قال النبي(صلي الله عليه واله): اختاروا لنطفكم، فإنّ الخال أحد الضجيعين(1).

وبإسناده قال: قام رسول الله(صلي الله عليه واله) خطيباً، فقال: إيّاكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

رواهما الحرّ العاملي في كتاب وسائل الشيعة، وزاد بإسناده قال: قال رسول الله(صلي الله عليه واله): أنكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم، واختاروا لنطفكم.

وعن الصادق(عليه السلام) قال: الشجاعة في أهل خراسان، والباه في أهل بربر، والسخاء والحسب في العرب، فتخيّروا لنطفكم.. في أحاديث كثيرة.

فينبغي للكريم أن لا يتزوّج إلاّ من الأكفاء.

***

فاذا عرفت جميع ما حرّرناه علمت أنّ الولد الحسيب من الطرفين، الكريم من ناحية الأصلين، أيّهما أشبه من أبويه أو عمّيه وخاليه، فإنّه يكون كريماً من غير شكّ، وإذا أشبه الجميع، فذاك الرجل الوحيد، والفتي الممتاز.

1- الكافي : 5/2 .

وإذا أمعنت النظر في جميع ما ذكرنا من الشواهد عرفت أنّ توافق العقلاء علي شيء يوجب القطع به، وإنّ من له شرف الآباء والأمّهات فهو الممدوح عند العرب ويسمّونه المعمّ المخول، ويعنون بالمعمّ المخول أنّه كريم الأعمام والأخوال، والشواهد علي هذا كثيرة لا تحصي.

وبهذا نعرف أنّ أبا الفضل العباس(عليه السلام) بن أمير المؤمنين(عليه السلام) أشجع العرب، وأشدّهم بأساً من حيث أنّه معمّ مخول:

أمّا من حيث العمومة، فما يقول القائل في بيت منهم رسول الله(صلي الله عليه واله) أشجع الخلق قاطبة، وقد فرّ عنه الجيش يوم أحد، وثبت هو وأمير المؤمنين(عليه السلام)، وانهزم الناس يوم حنين، وثبت هو(صلي الله عليه واله) وتسعة معه من بني عبد المطلب.

ومنهم أمير المؤمنين(عليه السلام) أشجع البشر الذي عجبت الملائكة من ثباته حتّي قال قائلهم:

لا سيف إلاّ ذو الفقار

ولا فتي إلاّ علي

وكانت له درع لها صدر ولا ظهر لها، فقيل له في ذلك، فقال(عليه السلام): إن أمكنت عدوّي من ظهري فلا أبقي الله عليه إن أبقي عليّ.

ومنهم الحسن والحسين وطالب بن أبي طالب:، وهو الذي امتنع من قريش في بدر بسيفه حين رجع فلم يتبعه أحد منهم خوفاً، وما صنع أحد من قريش صنعه، وفيهم كثير ممّن يكره حضور بدر.

ومنهم جعفر الطيار، وهو أوّل عربي عقر فرسه في سبيل الله.

ومنهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

ومنهم الزبير بن عبد المطلب صاحب حلف الفضول، والذي حمي مكة أن يظلم بها أحد، وكانت قريش لا تبرم أمراً حتّي يشهده، وهو الذي طرد حرب بن أميّة حتّي استجار منه بأبيه عبد المطلب.

ومنهم أبو طالب بن عبد المطلب(عليهما السلام) قائد قريش في حروب الفجار، وشهد له رسول الله(صلي الله عليه واله) حيث قال: ((لو أنّ الناس كلّهم ولدهم أبو طالب ما كان فيهم إلاّ شجاعاً)) ذكره ابن أبي الحديد وغيره في قصّة أمّ هانئ في فتح مكة، وكلّ بني عبد المطلب شجعان.

وأمّا من حيث الخؤولة، فقد عرفت فرسان بين كلاب، ومن فرسان بني عامر غيرهم كثير، منهم: عمرو بن عامر فارس الضحيا، ومعاوية الأخيل، ومعاوية بن البكاء، وخداش وجابر ابنا سمرة، وعبد الله بن الطفيل، والمنتفك، وغيرهم ممّا طوينا عن ذكرهم صفحاً إيثاراً للاختصار علي التطويل.

إذن يطمئن كلّ ذي فكرة وروية أنّ نسباً تسلسل من لدن آدم(عليه السلام) حتّي انتهي إليه، ونظم في سلسلته محمد المصطفي(صلي الله عليه واله)، وعلي المرتضي(عليه السلام)، وأسد الله وأسد رسوله، والطيار، والسبطين:، لا نظير له ولا مثيل، ولا يشكّ في تفوّقه علي كلّ نسب لعربي وغيره، ولا شكّ فهو مفتخر البشرية قاطبة.

وحيث علمنا ما للعباس(عليه السلام) من الشرف من حيث الآباء، ومن حيث الأمهات، بقي علينا أن نحرّر تراجم موجزة جدّاً لأعمام

العباس(عليه السلام) نقتصد فيها..

عمومة العباس(عليه السلام)

أعمامه ثلاثة: طالب وعقيل وجعفر(عليهما السلام):

1 - طالب بن أبي طالب:

أمّا طالب بن أبي طالب، وهو أكبر ولد أبي طالب، وبه كان يكني، أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أوّل هاشمية ولدت لهاشمي، ولم يتزوّج أبو طالب(عليه السلام) غيرها.

وكان طالب بن أبي طالب من رجال قريش وفتيان بني هاشم شجاعة وفصاحة، وله شعر جيّد، وهو أكبر إخوته باتفاق علماء النسب، نصّ علي ذلك جماعة، منهم: ابن شهرآشوب والمجلسي واليعقوبي والمسعودي، وغيرهم من الشيعة، وابن إسحاق والطبري وابن الصباغ وابن قتيبة وسبط ابن الجوزي والخوارزمي، وغيرهم من العامّة.

قال الخوارزمي في المناقب عن الزبير بن بكار قال: ولد أبو طالب بن عبد المطلب طالباً، لا عقب له، وعقيلاً، وجعفر، وعلياً، كلّ واحد منهم أسنّ من صاحبه بعشر سنين علي الولاء، وأمّ هاني، واسمها فاختة، وأمّ كلّهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ..

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة في ذكر أولادها:... وطالب أكبرهم، وكنيته أبو بريد، وكان عالماً بأنساب قريش.

وقال المجلسي في البحار بإسناده عن الصادق(عليه السلام) قال: لمّا خرجت قريش إلي بدر أخرجوا بني عبد المطلب، ومعهم طالب بن أبي طالب، فنزل رجّازهم يرتجزون، ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز:

طالب بن أبي طالب

لاهم أمّا يغزون طالب

في عصبة محالف محارب

في مقنب من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب

وليكن المغلوب غير الغالب

فقالت قريش: إنّ هذا ليغلبنا فردّوه.

وفي رواية أخري عن الصادق(عليه السلام): أنّه كان أسلم.

وقال ابن شهرآشوب في المناقب: وإخوته(عليه السلام) طالب وعقيل وجعفر، وعلي(عليه السلام) أصغرهم، وكلّ واحد منهم أصغر من أخيه بعشر سنين بهذا الترتيب، وأسلموا كلّهم، وأعقبوا إلاّ طالب، فإنّه أسلم ولم يعقّب . . .

شعر طالب:

كان شاعراً مجيداً، جمع بين الجزالة والسلالة، في سيرة ابن هشام: قال ابن اسحاق: قال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله(صلي الله عليه واله):

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

وجيش أبي يكسوم إذ ملؤوا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره

لأصبحتموا لا تمنعون لكم سربا

فما إن جنينا في قريش عظيمة

سوي أن حمينا خير من وطأ التربا

أخا ثقة في النائبات مرزء

كريماً ثناه لا بخيلاً ولا ذربا

يطيف به العافون يغشون بابه

يؤمّون بحراً لا نزوراً ولا صربا

وفي قوله ((فلولا دفاع الله)) في قصّة أبي يكسوم صاحب الفيل.

وفي قوله: ((خير من وطأ التربا)) يعني به النبي(صلي الله عليه واله) دليل قاطع علي إسلامه.

2 - عقيل بن أبي طالب:

العلامة النسابة الفصيح اللسان الحاضر الجواب الذي لا يجاري في محاورة، ولا يقام له في خطاب، كان سريع البديهية، حاد الذهن، وقّاد القريحة، حاضر الجواب، لسانه كسنانه، وجوابه أحدّ من شفرة السيف، وكان شجاعاً شهد غزوة مؤته وما بعدها من غزوات النبي(صلي الله عليه واله)، وكان أبوه أبو طالب(عليه السلام) شديد المحبّة له، ورسول الله(صلي الله عليه واله) يحبّه حبّاً شديداً لأمرين سنذكرهما إن شاء الله.

وقد كان عقيل مبغوضاً إلي قريش لعلمه بمساوئهم، فهو ينشرها ولا يخفيها، فيفتضحون بذلك، فلذا أبغضوه ونسبوا إليه كلّما يشينه ويوجب القدح فيه، حتّي أنّهم نسبوا إليه الانحراف عن أخيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وزعموا أنّه فارقه ولحق بمعاوية، وجرّ هذا التشنيع عليه بغضهم له.

ذكر ابن عبد البرّ وابن الأثير والعسقلاني - والألفاظ متقاربة - واللفظ

للأوّل: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يكني أبا زيد، روينا أنّ رسول الله(صلي الله عليه واله) قال: يا أبا يزيد إنّي أحبّك حبّاً لقرابتك منّي، وحبّاً لما كنت أعلم من حبّ عمّي إياك. وستأتي رواية الصدوق في ذلك.

قال العدوي:... شهد غزوة مؤتة، وكان أكبر من أخيه جعفر بعشر سنين... وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم، ولكنّه كان مبغّضاً إليهم، لأنّه كان يعدّ مساوئهم.

قال: وكانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله(صلي الله عليه واله) يصلّي عليها، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب، وكان أسرع الناس جواباً، وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك.

قال: وحدّثني ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان في قريش أربعة يتحاكم اليهم ويقف عند قولهم – يعني في النسب – عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزهري، وأبو جهم بن حذيفة العدوي، وحويطب بن عبد العزي العامري.

زاد غيره: كان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش، فعادوه لذلك، وقالوا فيه بالباطل، ونسبوه إلي الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة.

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: كان عقيل بن أبي طالب نسّاباً عالماً بالأمهات، بيّن اللسان، شديد الجواب، لا يقوم له أحد.

وقال: وكان عقيل رجلاً قد كفّ بصره، وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه، فلمّا فضل نظرائه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه أطول.

وذكر ابن أبي الحديد: قال معاوية لعقيل: إنّ فيكم ليناً يا بني هاشم؟

قال: نعم، إنّ فينا ليناً من غير ضعف، وعزّاً من غير عنف، وإنّ لينكم يا معاوية غدر، وسلمكم كفر.

فقال معاوية: ولا كلّ هذا يا أبا يزيد.

وقال معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص: لأضحكك من عقيل.

فلمّا سلّم، قال معاوية: مرحباً برجل عمّه أبو لهب.

فقال عقيل: وأهلاً برجل عمّته)حَمّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ(.

فقال معاوية: يا أبا يزيد، ما ظنّك بعمّك أبي لهب؟

قال: إذا دخلت النار فخذ إلي يسارك تجده مفترشاً عمّتك حمالة الحطب،

أفناكح في النار خير أمّ منكوح؟

قال: كلاهما شرّ والله.

وقال له معاوية يوماً: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم.

قال: لكنّه في نسائكم أبين...

وذكر في العقد الفريد قال: دخل عقيل علي معاوية وقد كفّ بصره، فأجلسه معاوية علي سريره، ثم قال: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم.

قال: وأنتم معشر بني أميّة تصابون في بصائركم.

صفة عقيل وبعض حكاياته:

قال أبو الحجاج البلوي في كتاب ((ألف باء)): عقيل بن أبي طالب كان طوالاً، وكان أحد العشرة الذين طولهم عشرة أشبار.. وعشرة أشبار بشبر نفسه.

لم يشهد عقيل الجمل وصفين مع أخيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، بل تخلّف عنه لغير شكّ في إمامة أخيه ولا خذلان له، بل امتثل أمر إمامه بالتخلّف في المدينة، ليكون له عيناً في الحجاز، يكتب إليه بما يحدث.

روي الصدوق القمّي في كتاب الأمالي عن ابن عباس قال: قال علي(عليه السلام) لرسول الله(صلي الله عليه واله): إنّك لتحبّ عقيلاً؟

قال: إي والله، إنّي لأحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإنّ ولده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون.

ثم بكي رسول الله(صلي الله عليه واله) حتّي جرت دموعه علي صدره، ثم قال: اللهم إنّي أشكو اليك ما تلقي عترتي من بعدي(1)...

ونقلها جماعة منهم الوحيد البهبهاني في التعليقة وأبو علي الرجالي والفاضل المجلسي وغيرهم، والمشار إليه في هذه الرواية المستحقّ

1- الأمالي للصدوق : 88 مج 27 ح3.

لصلاة الملائكة المقرّبين وبكاء المؤمنين الشهيد مسلم بن عقيل(عليهما السلام)، البطل العظيم، فإنّه حريّ بذلك، لأنّه وقف في الكوفة موقفاً نبيلاً حفظ فيه وصيّة المصطفي بالعترة الطاهرة، وأدّي أجر الرسالة الذي لم يسأل الله غيره في موالاتهم حيث يقول:)قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي(1)، فأدّي من محض الإخلاص لسيّد الشهداء الحسين بن علي(عليهما السلام) ما أبهر به عقول ذوي العقول وحيّر ألباب ذوي الألباب.

رجل يقاد أسيراً ليقتل، فيستعبر باكياً، ليس علي نفسه - والنفس لا أعزّ منها عند أكثر البشر ولا أغلي - بل للحسين(عليه السلام)، فيقال له: أتبكي وأنت تطلب ما تطلب؟ فيقول: لا - والله - ما لنفسي بكيت، وإن كنت لا أحبّ لها تلفاً، بل أبكي للحسين(عليه السلام) وآل الحسين.

فهذا لعمرك الإخلاص في المحبّة، وهذه هي المواساة العظيمة التي يعزّ لها النظير في التاريخ، وقلّما عرف قبله رجل قيّد إلي المنيّة سحباً لا تهمّه حياته، وإنّما يهمّه سيّده، إلاّ هذا البطل العظيم، فإنّه قد أبدي هذا الإخلاص العجيب، وقد رفرف طير المنيّة علي رأسه، وكلّ حالاته معجبة.

هل سمعت أو ذكر لك أنّ بطلاً من الأبطال أو شجاعاً من الشجعان - مهما بلغ من الشجاعة - حارب بلدة عظيمة بأسرها؟ وأيّ بلدة؟ الكوفة أعظم المدن في ذلك العصر، وأكبر الأمصار محتشدة بالسكان

1- الشوري : 23 .

مكتضـة بالجيوش المرابطـة للغزو، وكان فيها ثمانون ألف جندي مسـلح سوي من لـم يثبت له الديوان ((دائرة النفوس)) اسـماً في المتطوّعة والسـكان، فانثالت كلّها عليه رجالها تحاربه في الأزقـة، ونساؤها وصبيانها تقذفه بالحجارة من أعالي السـطوح، وترمي عليه أطنان القصـب المسـتعرة بالنيران، فلم ترهبه تلك المظاهرة البدائية، ولا زعزعته الكوارث المحدقة به، ولا هالته أهوالها، بل كان يشـتدّ ويشدّ عليهم مصـلتاً سيفه، فيهربون قدّامه أشتاتاً،

وهو يرتجز: ((آليت لا أقتل إلاّ حرّا))

لم يزل هـذا دأبه، يفني الجمع بعـد الجمع، ويبيـد الكتيبـة بعـد الكتيبـة، حتّي أحدثت هجماته في البلدة رجّة عظيمة أرعبت قلب الطاغي المتمرّد، فمثل هذا حريّ بصلاة الملائكة المقرّبين وبجريان دموع المؤمنين.

3 - جعفر الطيار مع الملائكة في الجنّة:

نحن نعتـذر من عدم الاستيفاء لكثرة فضائله، فلا تحسب أنّ جعفر الطيار كرجل شـريف خاصّة، أو بطل مجاهد فقط، بل هو عالم وشـجاع وكريم وعفيف وعاقل وزاهد، وكلّ خصـلة توجب التفضـيل قد حيزت له مع قرابته من رسول الله(صلي الله عليه واله)، وسبقه إلي الإسلام، وكونه من الدعاة إليه، ومن الأمراء المشهورين، أمّره رسول الله(صلي الله عليه واله) علي مهاجرة الحبشة من المسلمين، وأمّره في

سريـة مؤتـة التي استشـهد فيها، وبلغ من الشـجاعة مبلغاً عظيماً ثبت أمام جيش الرومان الجرار الذي لا ينقص عدده علي ما قيل علي مائة ألف، وهو في كتيبـة صـغيرة فوق الثلاثمائـة رجـل بيسـير، لـم يكتف بالثبات أمام ذلك الجيش الهائل دون أن عقر فرسه، ليشـدّ بـذلك عزم أصحابه، ويرتفع عنهم الضعف والوهن.

قال الحلبي في سـيرته وفي أسد الغابة: إنّ أبا طالب رأي النبي(صـلي الله عليه واله)وعلياً(عليه السـلام)يصـلّيان، وعلي(عليه السـلام) علي يمينه، فقال لجعفر(عليه السلام): صل جناح ابن عمّك، فصلّي عن يساره.

وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي(عليه السلام) بقليل.

كنيته بابنه وفعله، كان يكني ((أبو عبـد الله)) بابنه عبـد الله الجواد، ويكني ب-((أبي المساكين)) لحبّه إيّاهم، كنّاه بـذلك رسول الله(صـلي الله عليه واله).

قال أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء(1) عن أبي هريرة قال: كنت لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، وألصق بطني من الجوع، واسـتقري الرجل الآيـة من كتاب الله هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب فينا فيطعمنا ما كان في بيته، إن كان ليخرج إلينا العكّة، فنشقها فنلعق ما فيها.

وعن أبي هريرة قال: كان جعفر يحبّ المساكين، ويجلس إليهم يحـدّثهم ويحدّثونه، وكان رسول(صـلي الله عليه واله) يسـمّيه أبا المساكين ...

1- حلية الأولياء : 1/117 .

وهو متّفق عليه عند العامّة والشيعة، وفي غرر الخصائص الواضحة(1): قال جعفر بن أبي طالب: يا أبه إنّي لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون علي مثله، فقال أبوه: إنّي لأرجو أن يكون فيك من عبد المطّلب شبه.

سرور رسول الله(صلي الله عليه واله) بقدوم جعفر(عليه السلام):

ذكر ابن عبد البرّ في الاستيعاب(2): كان جعفر من المهاجرين الأوّلين هاجر إلي الحبشة، وقدم منها علي رسول الله(صلي الله عليه واله) حين فتح خيبر، فتلقّاه النبي(صلي الله عليه واله) واعتنقه وقال: ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحاً بقدوم جعفر أمّ بفتح خيبر، وكان قدوم جعفر في السنة السابعة من الهجرة.

واختطّ له رسول الله(صلي الله عليه واله) داراً إلي جنب المسجد ...

وقد رواه أيضاً أكثر المحدّثين من الخاصّة والعامّة:

روي الحرّ العاملي في وسائل الشيعة(3) كثيراً من الأحاديث، منها

1- غررالخصائص الواضحة : 453 .

2- الاستيعاب : 1/81 .

3- وسائل الشيعة : 8/50 ح 10070 .

عن بسطام عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال:

قال له رجل: جعلت فداك أيلتزم الرجل أخاه؟

قال: نعم إنّ رسول الله(صلي الله عليه واله) يوم فتح خيبر أتاه الخبر أنّ جعفراً قد قدم فقال: والله ما أدري بأيّهما أنا أشدّ سروراً: بقدوم جعفر أمّ بفتح خيبر، فلم يلبث أن جاء جعفر، فوثب رسول الله(صلي الله عليه واله) فالتزمه وقبّل ما بين عينيه.

قلت: الأربع ركعات التي بلغني أنّ رسول الله(صلي الله عليه واله) أمر جعفراً أن يصلّيهما؟

فقال: لمّا قدم جعفر عليه قال: ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك؟

قال: فتشوّق الناس ورأوا أنّه يعطيه ذهباً وفضّة، قال: بلي يا رسول الله.

قال: صلّ أربع ركعات متي ما صلّيتهنّ غفر لك ما بينهنّ، إن استطعت كلّ يوم، وإلاّ فكلّ يومين، أو كلّ جمعة، أو كلّ شهر، أو كلّ سنة، فإنّه يغفر لك ما بينهما(1) ...

الخصال التي شكرها الله لجعفر وهي تدلّ علي وفور عقله:

ص: 165

1- لصلاة جعفر(عليه السلام) كيفية خاصّة مذكورة في كتب الحديث والفقه .

روي الصدوق القمّي في كتاب من لا يحضـره الفقيه(1) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر(عليهما السـلام) قال: أوحي الله – عزّ وجلّ – إلي رسول الله(صلي الله عليه واله): إنّي شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه رسول الله(صلي الله عليه واله)، فأخبره.

فقال: لولا أنّ الله أخبرك ما أخبرتك: ما شـربت خمراً قطّ، لأنّي علمت أنّي إن شربتها أزالت عقلي، وما كذبت قطّ، لأنّي علمت أنّ الكذب ينقص المروة، وما زنيت قطّ، لأنّي خفت إن عَملت عُملت بي، وما عبدت صنماً قطّ، لأنّي علمت أنّه لا يضرّ ولا ينفع.

فضرب النبي(صلي الله عليه واله) علي عاتقه وقال: حقّ علي الله – عزّوجلّ – أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنّة ...

شبه جعفر برسول الله(صلي الله عليه واله):

وأشبه جعفر النبي(صلي الله عليه واله) بالخلْق والخلُق.

قال الحلبي في سيرته: كان رسول الله(صلي الله عليه واله) يقول له: أشبهت خلقي وخلقي.

وفي لفظ:

1- من لا يحضـره الفقيه : 4/397 ح 5847 وراجع أيضا : علل الشرائع 2/558 ح1، الأمالي للصدوق : 133 ح 127، ورواه المجلسي وغيره عن الصدوق .

جعفر أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً ...

وذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

الجراحات التي أصابت جعفر يوم شهادته:

قال أبو نعيم في حلية الأولياء: عن ابن عمرو قال: كنت مع جعفر(عليه السلام) في غزوة مؤته، فالتمسنا جعفراً، فوجدنا في جسده بضعاً وسبعين ما بين طعنة ورمية.

وعنه قال: فقدنا جعفراً(عليه السلام) يوم مؤته، فطلبناه في القتلي، فوجدنا بين طعنة ورمية بضعاً وتسعين، ووجدنا ذلك في ما أقبل من جسده.

وعن يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدّثني أبي الذي أرضعني، وكنّا في تلك الغزوة ((غزوة مؤته)) قال: والله لكأنّي أنظر إلي جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم قاتل حتّي قتل.

وعن ابن اسحاق قال:

يا حبّذا الجنّة واقترابها

طيّبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها

عليّ إن لاقيتها ضرابها

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: ثم غزا جعفر(عليه السلام) مؤته سنة 8 من الهجرة، فقتل فيها.

قال الزبير: بعث رسول الله(صلي الله عليه واله) بعثة إلي مؤتة في جمادي الأولي سنة 8 هجرية، فأصيب بها جعفر بن أبي طالب8 حتّي قطعت يداه جميعاً

ثم قتل، فأبدله الله جناحين يطير بهما في الجنّة حيث شاء.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: رأي النبي(صلي الله عليه واله) في النوم جعفر بن أبي طالب(عليهما السلام) ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحاً ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح.

نعي جعفر(عليه السلام) والنياحة عليه:

قال في الاستيعاب: ولمّا أتي النبي(صلي الله عليه واله) نعي جعفر(عليه السلام)، أتي امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها في زوجها جعفر(عليه السلام)، ودخلت فاطمة(عليها السلام) وهي تبكي وتقول: وا عمّاه! فقال رسول الله(صلي الله عليه واله): علي مثل جعفر فلتبكي البواكي ...

وهذا الحديث مشهور عند الحفاظ من أهل السنّة رواه أهل السير كلّهم، منهم: ابن إسحاق والحلبي والدحلاني وغيرهم.

روي الطبري في ذخائر العقبي(1): إنّ النبي(صلي الله عليه واله) نعي جعفراً وزيداً قبل أن يجيء خبرهم، وعيناه تذرفان. خرّجه في الصفوة.

وعن أسماء بنت عميس قالت: لمّا أصيب جعفر وأصحابه، دخل عليّ رسول الله(صلي الله عليه واله) وقد دبغت أربعين منيئاً - وفي رواية: منيئة - وعجنت عجيني، وغسلت بنيّ، ودهنتهم ونظّفتهم،

1- ذخائر العقبي : 218 .

فقال رسول الله(صلي الله عليه واله): آتيني ببني جعفر، فأتيته بهم، وذرفت عيناه.

فقلت: يا رسول الله(صلي الله عليه واله) بأبي أنت وأمّي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، قتل اليوم هو وأصحابه.

قالت: فقمنا واجتمع النساء وخرج رسول الله(صلي الله عليه واله) إلي أهله، فقال: لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنّهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

ثم ذكر بعده الحديث الذي فيه: علي مثل جعفر فلتبكي البواكي.

تسليم جعفر علي النبي(صلي الله عليه واله) بعد شهادته ورد النبي(صلي الله عليه واله) عليه:

قال العسقلاني في الإصابة(1): عن ابن عمر قال:

1- الإصابة : 1/238 .

كنّا مع النبي(صلي الله عليه واله)، فرفع رأسه إلي السماء، فقال: وعليكم السلام(صلي الله عليه واله) ورحمة الله وبركاته.

فقال الناس: يا رسول الله! ما كنت تصنع؟ فقال(صلي الله عليه واله): مرّ بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلّم عليّ.

وفي الجزء الرابع من فوائد أبي سهل بن زياد القطان، عن ابن عباس: بينما رسول الله(صلي الله عليه واله) جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه، إذ قال: يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب قد مرّ مع جبرئيل وميكائيل، فردّي عليه السلام ..

ثم قال: فعوّضه الله عن يديه جناحين يطير بهما حيث شاء ...

والأحاديث بهذا مرويّة بكثرة.

مكانة جعفر ومنزلته عند أمير المؤمنين(عليه السلام):

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب، والعسقلاني في الإصابة، واللفظ له: عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر قال: ما سألت علياً(عليه السلام) فامتنع، فقلت له: بحقّ جعفر إلاّ أعطاني.

الافتخار بجعفر الطيار(عليه السلام):

والحقّ أنّ جعفراً لم يكن مفخراً لبني هاشم خاصّة، بل هو فخر البشرية قاطبة، من حيث شجاعته الباهرة، وأنّه ثبت أمام جيش

عدّته مائة ألف رجل – كما نصّ عليه ابن أبي الحديد وغيره – وهو في جيش عدّته ثلاثمائة – يزيدون قليلاً عشراً أو ثلاثة عشر – وقد حاولوا الرجوع والتقهقر، فقوّي عزمهم وثبّتهم، فوقف تجاه ذلك الجيش اللجب لم يتزعزع حتّي تزعزع الجبال الرواسي، ولم يزول لو تزول الشمّ الرواسخ، ثم لم يكتفي بهذا الثبات المدهش حتّي عقر الشقراء، وأقبل نحو المنيّة راكضاً علي قدميه، فقطعت يده اليمني، فالتزم اللواء والسيف باليسري، فقطعت اليسري، فضمّ الباقي منهما علي اللواء، لكيلا يسقط فيتضعضع عسكره، حتّي ضرب علي يافوخه بالسيف، فسقط هو واللواء.

فهذا هو موقف الفخر، وهذه هي الفعلة الحميدة التي توجب التنويه والثناء

علي مجد الماجد، ومثل هذا المجاهد الكبير الذي علم الناس كيفية التفادي للدين، وكيف يكون الدفاع عن الإسلام، وأظهر من الحماس الذي يسمّي ب–((الحفاظ)) ما يبهر العقول.

نعم! لم تزل الحماة من بني هاشم مظهر كلّ مكرمة، وأعجوبة من عجائب الحروب الهائلة، ولا ـ عجب لمن كان أخوه علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، وابن عمّه محمد(صلي الله عليه واله)، وعمّه حمزه وأبوه أبو طالب، أن يكون في الشجاعة المثل الأعلي، وفي الثبات مفخراً وقدوة، وتعويض الله – تعالي – له الجناحين عن اليدين ما أبقي له ولولده ورهطه ولكلّ مسلم مفتخراً باقياً علي ممرّ الأحقاب، وحريّ بمن افتخر فيه أئمة الهدي:، كأمير المؤمنين علي المرتضي، والحسن المجتبي،

والحسين شهيد كربلا، وغيرهم من عظماء بني هاشم، أن يكون له الصدر في أندية الفخار، والكرسي الأوّل في مجتمعات الفضائل.

قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء(1): إنّ معاوية كتب إلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام): أنّ لي فضائلاً: كان أبي سيّداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله(صلي الله عليه واله)، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي.

فقال: أميرالمؤمنين(عليه السلام): أبالفضائل تفتخر عليّ يابن آكلة الأكباد؟ اكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري

وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وجعفر الذي يمسي ويضحي

يطير مع الملائكة ابن أمّي

وبنت محمد سكني وعرسي

منوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها

فمن منكم له سهم كسهمي

سبقتكموا إلي الإسلام طرّاً

وليداً ما بلغت أوان حلمي

وأوجب لي ولايته عليكم

رسول الله يوم غدير خم

فويل ثم ويل ثم ويل

لمن يلقي الإله غداً بظلمي

قال: فقال معاوية: اخفوا هذا الكتاب لا يقرؤوه أهل الشام فيميلوا إلي ابن أبي طالب(2) ...

1- معجم الأدباء : 5/366 .

2- ورواها من العامّة الهيثمي الشافعي في الصواعق المحرقة، وأسـقط منها بيت الغدير، ولكنّه قال : قال البيهقي : إنّ هذا الشـعر ممّا يجب علي كلّ متوان في علي(عليه السلام) حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام . ورواه كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في مطالب المسؤول، وأورد الحلبي الشافعي في سـيرته منها بيتاً واحداً، وهو ((سـبقتكوا إلي الإسلام))، ورواها مفتي الشافعية زيني دحلان في سيرته علي هامش الحلبية كلفظ الهيثمي، ورواه محمد بن يوسف البلخي الشافعي في كتاب مناقب الثلاثة علي والحسن والحسين(عليهم السلام).

وافتخر به أبو محمد الحسن بن علي(عليهما السلام) في مجلس معاوية بقصّة مطوّلة، وافتخر به سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) يوم كربلا، رواه كمال الدين ابن طلحة في مطالب المسؤول، ورواها غيره.

وافتخر به الإمام زين العابدين(عليه السلام) في مجلس يزيد بن معاوية.

وهذا الباب واسع لا ـ يسعنا إيراد أكثر ممّا ذكرنا، وإلاّ فإنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) افتخر به في مقامات عديدة، واحتجّ به علي أهل الشوري في أمر البيعة.

تأبين جعفر(عليه السلام):

تأبين جعفر(عليه السلام) كثير، منه: قول حسان بن ثابت الأنصاري في قصيدة أوردها ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق، منها:

رأيت خيار المسلمين تواردوا

بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تتابعوا

جميعاً وأسباب المنيّة تخطر

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم

إلي الموت ميمون النقيبة أزهر

أغرّ كضوء البدر من آل هاشم

أبيّ إذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتّي مال غير مؤسد

بمعترك فيه قنا متكسّر

فصار مع المستشهدين ثوابه

جنان وملتف الحدائق أخضر

فكنّا نري في جعفر من محمد

وفاء وأمراً حازماً حين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشم

دعائم عزّ لا يزال ومفخر

هموا جبل الإسلام والناس حوله

رضام إلي طود يروق ويبهر

بهاليل منهم جعفر وابن أمّه

علي ومنهم أحمد المتبختر

وحمزة والعباس منهم ومنهموا

عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللأواء في كلّ مأزق

عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

إخوة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)

اختلف النسابون في عدد أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) اختلافاً عظيماً، فبين من اقتصر في الذكور منهم علي أحد عشر، وبين من وصل بهم إلي الثلاثة وعشرين ذكراً، ونحن نسير في هذه المواضيع مع من أثبت الأكثر، وليست قاعدة الاختصار علي الأقلّ تجدي هنا، فيقال: إنّه المتيقّن، لأنّ ذلك في التكليف الذي هو خلاف الأصل عند علماء أصول الفقه، علي أنّ تلك القاعدة هناك يرجع فيها أيضاً جانب الأكثر، لأنّ قاعدة الاحتياط تعضده، ويكون معها الخروج عن عهدة التكليف متيقّنة، ومع الأقلّ مشكوكة، وفي مقامنا هذا يجب المصير إلي قول من أثبت الأكثر لأمرين:

أحدهما: إنّ المثبت مقدّم علي النافي، وذلك لأنّ النافي لم يعلم فنفي، والمثبت قد علم وعرف فأثبت.

وثانيهما: تعبير من اقتصر علي الأقلّ بقوله ((فلان الأكبر))، ولم يذكر الأصغر، والقاعدة تقضي في قول القائل ((جاء فلان الأكبر))،

وهي قاعدة أفعل التفضيل أن يكون هناك صغير وهذا أكبر منه، ومثله القائل ((فلان الكبير)) أو ((فلان الصغير))، وكلّ واحد منهما دليل وجود الآخر وإلاّ لم تكن فائدة لهذا التقييد.

ولعلّ قائلاً يقول: الاقتصار علي الأقلّ متيقّن والأكثر مشكوك فيه، فنقول: إنّ القائل بالأكثر مثبت، والقائل بالأقلّ نافي، والمثبت مقدّم علي النافي، وهذه قاعدة معمول بها عند الفريقين العامّة والشيعة.

فممّن نصّ عليها واستدلّ بها الصدوق القمّي ، ذكر في إكمال الدين في قصّة مطوّلة يحتج في إثبات ولد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) علي من نفي وجوده، وهو الإمام المنتظر الحجّة – عجّل الله فرجه – وهذه عبارته:

لا يجوز أن نشكّ في كلّ من يموت ولا عقب له ظاهراً، قيل له: لا نشكّ في أنّ الحسن(عليه السلام) كان له ولد من عقبه شهادة من أثبت له ولداً من فضلاء ولد الحسن والحسين(عليهما السلام) والأخيار، لأنّ الشهادة التي يجب قبولها هي شهادة المثبت لا شهادة النافي، وإن كان عدد النافين أكثر من عدد المثبتين .. إلي آخر كلامه، واستدلّ بقصّة خفاء ولادة موسي(عليه السلام).

ولا شكّ أنّ القاعدة إجماعية عند الشيعة مقرّرة في أصول الفقه، وكذلك هي عند العامّة نصّ عليها محمد بن إبراهيم اليماني الشافعي في الروض الباسم، وغيره من مشايخهم، وإيراد كلامهم تطويل، وسيأتي لهذه القاعدة مزيد إيضاح.

أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام):

1 – الحسن السبط، أمّه فاطمة الزهراء(عليهما السلام).

2 – الحسين السبط، أمّه فاطمة الزهراء(عليهما السلام).

3 – المحسن السبط، أمّه فاطمة الزهراء(عليهما السلام).

4 – العباس الأكبر، أمّه أمّ البنين الكلابية(عليهما السلام).

5 – جعفر الأكبر، أمّه أمّ البنين الكلابية(عليهما السلام).

6 – العباس الأصغر،أمّه أمّ ولد، وقيل: عربية.

7 – جعفر الأصغر، أمّه أمّ ولد.

8 – محمد الأكبر، أمّه خولة الحنفية.

9 – عثمان الأكبر، أمّه أمّ البنين.

10 – محمد الأوسط، أمّه أمامة.

11 – عثمان الأصغر، أمّه أمّ ولد.

12 – محمد الأصغر، أمّه أمّ ولد، وقيل: عربية.

13 – عبدالله الأكبر، أمّه أمّ البنين.

14 – عمر الأكبر، وهو الأطرف، أمّه التغلبية.

15 – عبد الله الأصغر، أمّه النهشلية.

16 – عمر الأوسط، وهو الشهيد أمّه أمّ ولد.

17 – عبيد الله قتيل المذار، أمّه النهشلية.

18 – عمر الأصغر، أمّه أمّ ولد . علي قول صاحب الحدائق الوردية.

19 – عون الأكبر، أمّه أمّ ولد.

20 – يحيي، أمّه الخثعمية.

21 – عون الأصغر، أمّه الخثعمية، وقيل غيرها.

22 – عمران – علي قول – أمّه أمّ ولد .

23 – معين، أمّه أمّ ولد.

24 – عتيق – علي قول – أمّه ولد.

25 – عبد الرحمن، أمّه أمّ ولد . علي قول صاحب المجدي.

26 – إبراهيم، أمّه أمّ ولد.

27 – أبو بكر، أمّه النهشلية.

***

ويستفاد من مجموع الأقوال: أنّ الشهداء من ولد أمير المؤمنين(عليه السلام) يوم كربلاء أحد عشر رجلاً:

1 – سيّدهم وسيّد الناس جميعاً الحسين بن علي(عليهما السلام).

2 – العباس الأكبر وإخوته الأشقاء.

3 – جعفر الأكبر.

4 – عبد الله الأكبر.

5 – عثمان الأكبر.

6 – أبو بكر.

7 – محمد الأصغر.

8 – محمد الأوسط.

9 – عون.

10 – عمر الأصغر.

11 – إبراهيم – علي قول مشهور –.

أشقاء العباس: :

روي في بعض كتب المقاتل:

ص: 179

أنّ العباس(عليه السلام) قال لإخوته يوم العاشر: اشتروا الجنّة اليوم وذبّوا عن سيّدنا وإمامنا.

وقال أيضاً: تقدّموا حتّي أراكم قد نصحتم لله ولرسوله... تقدّموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيّدكم حتّي تموتوا دونه.. أقدموا علي عسكر ابن سعد إقدام الشجعان، واملأوا صدورهم ووجوههم بالضرب والرمي والطعان... لا تقصّروا في نصرة إمامكم وافدوه بأرواحكم، ولا تقولوا نحن أبناء أب واحد، فإنّه إمامنا وسيّدنا وحجّة الله علي من فوق الثري، أمّه فاطمة الزهراء(عليها السلام) سيّدة نساء العالمين، وهو قرّة عين النبي الأمين(صلي الله عليه واله) .

فتقدّموا جميعاً، فصاروا أمام الحسين(عليه السلام) يقونه بوجوههم ونحورهم، فلمّا رآهم الحسين(عليه السلام) بكي وقال: جزاكم الله ربّ العالمين(1).

وكان أنصار سيّد الشهداء(عليه السلام) قد تقدّموا يتسابقون إلي المنايا، ويسارعون إلي أداء حقّ آل محمد(صلي الله عليه واله)، وأدّوا ما عليهم في الذبّ عن إمامهم، وعن حرم الله وحرم نبيّهم(صلي الله عليه واله)، فصعدوا الواحد تلو الأخر إلي جنان الخلد.

ثمّ جاء دور أهل البيت:، فتقدّموا الواحد تلو الآخر يستأذنون الإمام(عليه السلام)، ويتقدّمون إلي الجنان حتّي قضوا جميعاً، وبقي الحسين(عليه السلام) وحيداً غريباً مستغيثاً.

1- عن كتاب محن الأبرار : 279 .

فالتفت العباس إلي إخوته: وقال: تقدّموا أمامي لأحتسبكم، فكان أوّل من تق-دّم منه-م:

عبد الله بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام):

ولد بعد أخيه العباس(عليهما السلام) ولم يعقّب(1).

قال أهل السير:

1- وهو معروف عند جمهور العلماء ، ذكره ابن قتيبة في المعارف والشبلنجي في نور الابصار، والمحب الطبري في ذخائر العقبي والرياض النضـرة ، وابن الصـبّاغ في الفصول المهمّة والكنجي الشافعي في كفاية الطالب والمسعودي في التاريخ والشيخ المفيد في الإرشاد وآخرون يطول تعدادهم .

إنّه لمّا قتل أصحاب الحسين(عليه السلام) وجملة من أهل بيته دعا العباس(عليه السلام) إخوته الأكبر فالأكبر، وقال لهم: تقدّموا، فأوّل من دعاه عبد الله أخوه لأبيه وأمّه، فقال: تقدّم يا أخي حتّي أراك قتيلاً وأحتسبك، فإنّه لا ولد لك.

فتقدّم بين يديه، وجعل يضرب بسيفه قدماً، ويجول فيهم وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والأفضال

ذاك علي الخير ذو الأفعال

سيف رسول الله ذو النكال

في كلّ يوم ظاهر الأهوال

فقاتل قتالاً شديداً، فاختلف هو وهانئ بن ثبيت الحضرمي ضربتين، فقتله هانئ ((لعنه الله)) .

وكذلك ذكر المجلسي في البحار وملاّ عبد الله في مقتل العوالم والخوارزمي في مقتله وآخرون.

لقد عرّف نفسه في رجزه بصفات أبيه التي لا يمكن أن تكون في غيره، من ذا يكون جامعاً لكلّ هذه الصفات من النجدة والإفضال، والعمل بالمعروف بالأفعال قبل الأقوال، وهو الخير المحض الذي لا يعرف الخير إلاّ به.

وهو ابن سيف النبي(صلي الله عليه واله)، فكان النبي(صلي الله عليه واله) يقاتل به، ويذّب به عن حرم الله، ويرغم به أنوف الكافرين، ويصبّ به نكاله علي المنافقين والمشركين، وقد ذاق بعض من يقف الآن في معسكر الشياطين في الجهة المقابلة لجبهة الحقّ واليقين في كربلاء الحسين(عليه السلام) هو بنفسه أو

أبوه أو بعض ذويه نكال سيف أمير المؤمنين(عليه السلام)، وارتجفت أعضاؤهم، وارتعدت مفاصلهم في كلّ ساعة تعرّضوا فيها لنقمة خاتم الأنبياء وغضب سيّد الوصيّين.

وبهذا الرجز المزمجر، يتقدّم سليل الشجاعة والإباء عمومة وخؤولة، فيرهب القوم

بسيفه ونسبه ونسبته.

وجاء في الزيارة المرويّة عن الإمام صاحب الزمان ((عجل الله فرجه)) التي رواها السيّد ابن طاووس في كتاب ((الإقبال)) والمجلسي في ((البحار)) وفيها يقول(عليه السلام):

((السلام علي عبد الله بن أمير المؤمنين مبلي البلاء، والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء، والمضروب مقبلاً ومدبرا، لعن الله قاتله هانئ بن ثبيت الحضرمي)) .

وفي هذه الفقرة شهادة من الإمام صاحب الأمر ((عجل الله فرجه)) لعبد الله بثلاثة من الفضائل:

الأولي: أنّه أعلن بولاء الحسين(عليه السلام) بين الصفوف، ونادي بالولاية في عرصة كربلاء.

الثانية: أنّه كان له بلاء محمود في دفاعه ومحاماته عن أخيه الحسين(عليه السلام)، وقد أدّي ما عليه دفاعاً عن دينه وإمامه، وإلاّ لما كان لذكر ((مبلي البلاء)) محلّ.

الثالثة: ثباته في ذلك الموقف الرهيب والمعترك الهائل العصيب حيث وقف هدفاً للسلاح في وسط الحومة حتّي أصيب مقبلاً ومدبراً، يريد

أنّه أحيـط به من كلّ جانب، واكتنفه الأعـداء من كلّ جهـة، وكان هو كارّاً عليهم الكرّة بعـد الكرّة، فيقبل علي جماعـة فيهزمهم، ويعود إلي أخري فيطردهم، ولقد قتل محاطاً به مثل الحسين(عليه السلام) والعباس وعلي بن الحسين الأكبر، ومسلم بن عقيل شهيد الكوفة:.

وقد تضـمّنت هذه الفقرة أنّه ضـرب مقبلاً ومدبراً، ومن المعلوم أنّ العسـكر لا يتكاتف ويحمي بعضه بعضاً علي كثرته إلاّ لشدّة بأس البطل المهاجم له، والشجاع المنازل له، الذي تعجز عن مواجهته الأبطال، وهذه غاية الشجاعة ونهاية البطولة.

ولا غرو أن كان آية من آيات البطولة والفروسية والإقدام، فأبوه أميرالمؤمنين(عليه السلام) سيّد أبطال العالم الذي كانت الملوك ترسم صورته علي سـيوفها كما فعل ذلك ((سليمان القانوني)) ملك الأتراك العثمانيين، فقد كان له سيف عليه صورة علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، وقد هتف به رضوان خازن الجنان وجبرئيل سـفير وحي الرحمن في بدر وأحد ((لا سـيف إلاّ ذوالفقار ولا فتي إلاّ علي))، وإخوته الحسـن والحسين(عليهما السلام) والعباس(عليه السلام)، والعمومة بنو هاشم أفرس العرب، وهل تعدّ أمّة من الأمم مثل أبي طالب وحمزة وجعفر الطيار: في أمثالهم، والخؤلة بنو عامر، وفيهم مثل فارس الضـحيا، وفارس قرزل، وفارس العصا، وفارس شـحمه، وملاعب الأسـنّة، ومدرك الثأر، والرحّال في أمثالهم، فهو معمّ مخول معرّق الشجاعة .

قد أنجبت أم البنين فديتها

فرسان حرب أصبحوا مثالا

ص: 184

أسداً ضراغمة بمعمة الوغي

سمّ العداة أماجداً أبطالا

لا تعجبين لبأسهم وثباتهم

في موقف لو فيه رضوي زالا

الليث حيدرة وفاطم لبوة

ولدا لوقعة كربلا أشبالا

نفسي الفدا لو أردين ظما

بحر المنيّة طامياً أجالا

وورد أيضاً في زيارته:

السلام عليك يا عبد الله بن علي بن أبي طالب ورحمة الله وبركاته، فإنّك الغرّة الواضحة، واللمعة اللائحة، ضاعف الله رضاه عنك، وأحسن لك ثواب ما بذلته منك، فلقد واسيت أخاك وبذلت مهجتك في رضا ربّك(1) .

عثمان بن علي بن أبي طالب: :

أمّه أم البنين(عليها السلام).

روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: إنّما سمّيته عثمان بعثمان بن مظعون أخي.

وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهيب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وكان أوّل رجل مات بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة، وكان ممّن حرّم علي نفسه الخمر في الجاهلية، وممّن أراد الاختصاء في الإسلام، فنهاه

1- بحار الأنوار : 98/245 باب 35 .

رسول الله(صلي الله عليه واله)وقال: عليك بالصيام، فإنّه مجفرة، أي قاطع للجماع..

ولمّا مات جاء رسول الله(صلي الله عليه واله) إلي بيته وقال: رحمك الله أبا السائب، ثمّ انحني عليه فقبّله، ثمّ صلّي عليه ودفنه في بقيع الغرقد، ووضع حجراً علي قبره، وجعل يزوره.

ثمّ لمّا مات إبراهيم(عليه السلام) ولده بعده قال: الحق - يا بنيّ - بفرطنا عثمان بن مظعون.

ولمّا ماتت زينب ابنته(عليها السلام) قال: الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون.

وإنّما استطردنا في ذكر عثمان شيئاً ما امتثالاً للمولي أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي سمّي ولده باسمه، ونعود إلي عثمان بن أمير المؤمنين(عليه السلام).

قال أهل السير:

لمّا قتل عبـد الله بن علي(عليهما السـلام) دعا العباس عثمان(عليهما السـلام) وقال له: تقدّم يا أخي، كما قال لعبد الله، فتقدّم إلي الحرب يضرب بسيفه ويقول:

إنّي أنا عثمان ذو المفاخر

شيخي علي ذو الفعال الطاهر

هذا حسين سيّد الأخاير

وسيّد الصغار والأكابر

بعد النبي والوصي الناصر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم فأوهطه(1) حتّي سقط لجنبه، فجاءه رجل من بني أبان بن درارم فقتله واحتزّ رأسه(2).

وقـد عرّفنا عثمان في رجزه أنّه صاحب المفاخر، فليس في عسـكر العدوّ من يقابله في مكرماته ومفاخره، فمن منهم ينتمي إلي نسب ناصـع كنسبه، وهو ابن علي أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي وصفه بصفتين:

أحـدهما: أنّه ذو الفعال، وصاحب المواقف والمناقب، والنجـدة ومبيـد الكتائب، الشديـد البأس، العظيم المراس، الـذي أتعب كتّابه الكرام الكاتبين في تسجيل فعاله وخيراته.

والأخري: أنّه الطاهر، ونقرأ في الزيارة التي يرويها علقمة: أشهد أنّك طهر طاهر مطهّر من طهر طاهر مطهّر.

ثمّ أشاد بأخيه سيّد الشهداء(عليه السلام) وذكر لهم أنّه ((سيّد الأخاير))، وفي

1- أوهطه : أضعفه وأثخنه بالجراحة وصرعه صرعة لا يقوم منها .

2- المناقب لابن شهرآشوب : 3/256 ، لواعج الأشجان : 179 ، إبصار العين : 35 .

رواية لواعج الأشـجان ((خيرة الأخاير))، و((سـيّد الصغار والأكابر)) فلم يكن ثمّة من يكون سيّداً إلي جنب الحسين(عليه السلام) إلاّ من سبقه وهم النبي(صلي الله عليه واله) والوصي، فهو وصيّ الأوصياء، ووارث خاتم الأنبياء(صلي الله عليه واله)...

***

قال الإمام المنتظر – عجل الله تعالي فرجه – في زيارة الناحية:

السلام علي عثمان بن أمير المؤمنين سميّ عثمان بن مظعون، لعن الله راميه بالسهم خولي بن يزيد الأصبحي الأيادي والأباني الدارمي .

وجاء في زيارته أيضاً:

السـلام عليك يا عثمان بن علي بن أبي طالب ورحمة الله وبركاته، فما أجلّ قدرك، وأطيب ذكرك، وأبين أثرك، وأشهر خيرك، وأعلي مدحك، وأعظم مجدك(1)...

واللائح من هذه الفقرات أنّ عثمان كان عالماً عارفاً فقيهاً خلوقاً بحيث اسـتحقّ هذه الصـفات النادرة والمدائح التي لا يستحقّها إلاّ من كان جديراً بها.

وجلالة القدر، وطيب الذكر، وبيان الأثر، وشهرة الخير، وعلوّ

1- بحار الأنوار : 98/245 باب 35 .

المـدح، وعظمـة المجد كلّها تناسب العالم الذي قد ذاع صـيته، وانتشـر علمه وأدبه، وخلّف من وراءه تراثا ينفع، ويؤتي أكله كلّ حين بإذن ربّه، فيكون له لسان صدق في الآخرين .

جعفر بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام):

أبو عبد الله، جعفر الأكبر، شقيق العباس(عليه السلام)، أحد الشهداء مع الحسين(عليه السلام).

كان يلقّب بجعفر الأكبر، ويكنّي بأبي عبد الله، أمّه أمّ البنين(عليها السلام) الكلابية.

قال أبو الفرج الإصفهاني في ((مقاتل الطالبيّين)): وجعفر بن علي بن أبي طالب، أمّه أمّ البنين..

وقال أبو مخنف في حديث الضـحّاك المشـرقي: إنّ العباس بن علي(عليهما السـلام) قدّم أخاه جعفراً بين يديه، لأنّه لم يكن له ولد...، فشدّ عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي الذي قتل أخاه.

وقـال نصـر بن مزاحم عن أبي جعفر محمـد بن علي(عليهما السـلام): إنّ خولي بن يزيـد الأصـبحي ((لعنه الله)) قتل جعفر بن علي(عليه السلام) .

قال في ناسخ التواريخ: جعفر الأكبر(عليه السلام)، ويكنّي أبا عبد الله، وأمّه أمّ البنين(عليها السلام) أمّ العباس(عليه السلام)(1)..

1- ناسخ التواريخ : 2/306 .

وذكر صاحب ((الدرّ النظيم)): أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) سمّاه باسم أخيه جعفر الطيّار(عليه السلام)، لأنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) كان شديد المحبّة له.

قال أهل السير: لمّا قتل أخو العباس لأبيه وأمّه عبد الله وعثمان دعا جعفراً: فقال له: تقدّم إلي الحرب حتّي أراك قتيلاً كأخويك، فاحتسبك كما احتسبتهما، فإنّه لا ولد لكم، فتقدّم وشدّ علي الأعداء يضرب فيهم بسيفه وهو يقول:

إنّي أنا جعفر ذو المعالي

ابن علي الخير ذي النوال

ذاك الوصي ذو الندي والوالي

حسبي بعمّي شرفاً وخالي

فشدّ عليه خولي بن يزيد الأصبحي فأصاب شقيقته أو عينيه فقتله(1)

.

وقال أبو مخنف: بل شدّ عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي الذي قتل أخاه فقتله(2).

قال الإمام المنتظر ((عجل الله فرجه)) في زيارة الناحية:

1- المناقب لابن شهرآشوب : 3/256 .

2- إبصار العين : 35 .

السلام علي جعفر بن أمير المؤمنين، الصابر بنفسه محتسباً، والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال، لعن الله قاتله هانئ بن ثبيت الحضرمي .

ويظهر من عبارات الإمام – أرواحنا فداه – من الفضائل لجعفر بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) ما يميّزه عمّن سواه من الشهداء، فقوله(عليه السلام)، وبأيّ معني أخذ الصبر سواء كان الصبر علي مكابدة الأهوال ومكافحة الأبطال، ففي ذلك غاية المدح بالفروسية.

وإن كان الصبر علي محبّته لإمامه الحسين(عليه السلام) وموالاته له وثباته وعزمه أن يفديه بنفسه ويقيه بمهجته، ففي ذلك غاية المدح من الوجهتين: البصيرة والمعرفة بحقّ الإمام المفترض الطاعة، وهذا دليل العلم والفقاهة، ومن حبّ المواساة له بالنفس التأسي به في جميع الحالات، فهذا دليل علي أنّه في غاية الكمال ونهاية الأدب.

وإن أريد بالصبر الصبر علي معاناة الأمور الشاقّة من الجوع والعطش، لأنّهم حصروا في فلاة جرداء قاحلة، وبادية قفراء قاحلة، قد ملك عليهم الأعداء شريعة الفرات، وقطعوا عليهم طريق الميرة، وصدّوا القوافل التي تحمل الأقوات إليهم، فعطشوا وجاعوا، وفي تخصيص جعفر(عليه السلام) بالصبر علي هذا لا يخفي ما فيه من مزيد الفضل، والإشارة إلي ما فيه من الإيثار والتضحية والتحمّل والمعاناة.

وأمّا قوله(عليه السلام): ((النائي عن الأوطان)) مع أنّ كلّ من كان مع الحسين(عليه السلام)كان نائياً عن الأوطان، وجميعهم قد اغتربوا، فما معني

تخصيص جعفر؟!

فالظـاهر – والله العالـم – أنّه إنّما خصّ بـذلك لأ نّه كان بعـد شابّاً لـم يـذق طعم الغربـة، ولـم يجرّبها من قبل، سـيّما أنّه كان صاحب نضارة ورونق جميل، قد تربّي في المدينة، لـم يقو علي لفحات السموم ومعاناة شعل الهجير، لأنّه أصغر إخوته.

ومن المعلوم أنّ صـغير الأولاد يكون في الموضع الأتمّ من الشفقة في نظر الأمّ الشفيقة، فانّها تبرّه كثيراً وتتعاهده بالنظافة والتعطير، وترجيل الشعر، ولذيذ المطعم وشهيّ المشرب.

فإذا كان نائياً عن الأوطان – والحال هذه – فإنّه يلاقي عنتاً، ويجابه شدّة شديدة، ويعاني صـعوبة صعبة، ومشقّة شاقّة، سيّما من فقد برّ الوالدة المشفقة وعطفها وحدبها عليه وألطافها، فتبيّن الغربة فيه أكثر من غيره.

ومن هنا يعرف أنّ ولـد أمير المؤمنين(عليه السـلام) أشـجع العرب، لأنّهم ما شاهـدوا حروباً، ولا خاضوا المعارك، ولا وقفوا في صفّ قبال الأعداء، سوي الحسـنين(عليهما السـلام) وابن الحنفية والعباس(عليه السـلام)، وهـم جميعاً شباب في ريعان الشبيبة ونضرة الصبا، بين من أدرك البلوغ وبين من تجاوزه بيسـير، وقـد شـبّوا ونشأوا في أحضان المدينـة حتّي إذا كشـفت حرب كربلاء عن ساقها، وبرزت كالحة عابسـة شوهاء المنظر كريهـة المخبر، شـمّروا السواعد، وشـحذوا مرهفات القواطع، وساقوا تلك الأبطال المحنكة والفرسان المجرّبة سوق الأغنام، وفرّت أمامهم

كاليعافير أو الحمر المستنفرة، وطاروا بين أيديهم طيران القطا والنعام المشرّد، وتفرقوا تفرّق الجراد المنتشر، ولولا غلبة الأقدار ما كثرتهم تلك الجماهير، ولا غلبتهم كثرة الجموع، وقد علم حملة التاريخ والأثر وعلماء الأخبار والسير أنّهم أفنوا جماهير أهل الكوفة، وقد تركوا في كلّ حي من أحيائها نائحة، وفي كلّ بيت من بيوتها صارخة:

آل علي يوم طفّ كربلا

قد تركوا في كلّ دار نائحه

من دخل الكوفة لم يسمع بها

في سائر الأحياء إلاّ صائحه

قد خلّد التاريخ للحشر لهم

أعمال مجد وفعالاً صالحه

فيا لها فادحة خالدة

قد أنست الشيعة كلّ فادحه

أولئك الشبان المنعّمون من أهل البيت النبوي أظهروا البسالة والشجاعة ما أدهش الأبطال المجرّبة والشجعان الخبراء بفنّ البطولة .

وبقيّة الفقرة تصف ثبات جعفر الأكبر(عليه السلام) في ساحات الوغي وغبار المعمعة،

وتذكر أنّهم ما قتلوه إلاّ تكاثروا عليه واحتوشوه من كلّ مكان.

حكي جعفر في كربلا بأس جعفر

كما قد حكي بالضرب والده القرما

وأدّي حقوق المجد والفخر من حكي

بأفعاله الغرّ الأب القرم والعمّا(1)

1- بطل العلقمي : 3/514 .

الفصل الثاني: في ولادة العباس (عليه السلام) وكناه و القباه. وصافتة النفسيه والبدنية. و ما يناسب ذالك.

اشارة

ص: 194

ولادة العباس الأكبر(عليه السلام) ومقدار سّنه

قال الشيخ المظفر :

فعلي ضفاف العلقمي بكربلا بطل

العروبة بدر هاشم قد هوي

وأبو ألائمّة قام يعدو نحوه

صلتا عندما ما سقط اللوي

وسقي المهنّد من نجيع رقابهم

ودم البغاة لسيفه الصادي روي

أن عاد محنيّ الأضالع باكياً

نحو المخيّم وهو منهّد القوي

لا غرو إذ مفقوده أسمي فتي

فقد الكرام يثير عاصفة الجوي

والقبّة الزرقاء تجري أدمعاً

حمرا ولكن فيه تحسد نينوي

***

اختلف المؤرّخون في مقدار سنّه:

قال السيّد الداودي في عمدة الطالب: قتل العباس(عليه السلام) وله 34 سنة.

ص: 195

هذا القول هو المشهور، فتكون ولادته(عليه السلام) سنة 26 من الهجرة، فيكون سنّه عند شهادة أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) دون البلوغ!

ويعارض هذا القول قول من قال: أنّ العباس(عليه السلام) روي عن أبيه، وأنّه شهد صفين محارباً، كما نصّ عليه الخوارزمي في المناقب، والقائني في الكبريت الأحمر، وسيجيء ذكر ذلك.

وقول الطبري وغيره: أنّ أمّ البنين والدة العباس(عليه السلام) أوّل من تزوّجها أمير المؤمنين(عليه السلام) بعد وفاة الزهراء(عليها السلام) أو هي الثانية، وخولة الحنفية هي الثالثة، كما أنّ أبا الفضل هو أكبر أولاد أمّ البنين(عليها السلام)، وعليه: فيكون لدة محمد بن الحنفية.

وأمّا اليوم الذي ولد فيه فلم أجد فيه نصّاً، وإنّما ينقل الفاضل المعاصر الشيخ جعفر النقدي في كتابه ((زنيب الكبري)) عن الفاضل الشيخ محمد علي الأردبادي: أنّه رأي في كتاب فارسي يسمّي ((أنيس الشيعة)) لمؤلفه السيّد محمد عبد الحسين ابن السيّد محمد عبد الهادي الهندي من معاصري الشاه فتح علي، وأهدي له الكتاب سنة 1344 ه- يذكر أنّ ولادة العباس الأكبر(عليه السلام) في يوم الجمعة رابع شهر شعبان سنة 26 ه-.

ص: 196

نشأة العباس الأكبر

لا شكّ إنّه(عليه السلام) تربّي في أحضان الإمامة، ونشأ في حجور العصمة، وشبّ مرتضعاً درّ النبوة، وشارباً لبان الوحي الإلهي، ونشأ في مدينة النبي طيبة مدينة الوحي وعاصمة النبوة، لا خلاف في ذلك، إنّما هاجر مع أبيه(عليه السلام) إلي العراق مدّة خلافته، ثم رجع مع أخويه الإمامين(عليهما السلام)، وأقام في خدمتهما حتّي خرج مع أخيه الحسين(عليه السلام) إلي العراق فاستشهد بكربلاء.

ص: 197

كني العباس بن علي(عليهما السلام)

للعباس(عليه السلام) أربع كني إثنتان عرف بهما قديماً، وإثنتان عرف بهما حديثاً، عرفته بهما الناس، وغيرها المشهور في الموروث الشعبي الشيعي والموروث الأدبي الفصيح والدارج (الشعبي).

الكنيتان القديمتان

فالقديمتان هما: أبو القاسم، وأبو الفضل، كنّي بابنيه القاسم والفضل، وهذه الأخيرة هي المشهورة حتّي لا يكاد يعرف غيرها.

فقيل: إنّه كنّي بولده الفضل.

وقيل: إنّ كلّ من تسمّي ب-((عباس)) من بني هاشم كنّي ب-((أبي الفضل))، كالعباس بن عبد المطلب، والعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وغيرهما.

والظاهر أنّ هذه الكنية له(عليه السلام) قد اشتقّت من فضائله، فإنّه(عليه السلام) قد

توسّم فيه سمات الفضل منذ الصغر وزمن الطفولية، فلقّبوه به، وإليه يشير بعض من رثاه بقوله:

أبا الفضل يا من أسّس الفضل والإبا

أبي الفضل إلاّ أن تكون له أبا

فالمتوسّمون لما توسّموا في جبينه المشرق سمات الفضل، وظهرت لهم في ملامحه الفضائل علي حدّ ما قيل:

إنّ الهلال إذا رأيت نموّه

أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً

فكنوه أبا الفضل عند ظهور تلك الأمارات والدلائل، وقد قيل:

قلم العلا قد خطّ فوق جبينه

أثر النجابة ساطع البرهان

فالعباس(عليه السلام) أبو الفضل والفضائل.

الكنيتان الحديثتان

أمّا الكنياتان الحديثتان في الموروث الشعبي: فأبو فاضل وابن البدويّة.

فأبو فاضل، هو أبو الفضل سواء.

وابن البدويّة فقد اشتهرت هذه عند بعض الناس، وقد يكون السبب في إطلاقها أحد أمرين:

الأوّل:

أن يكون إشارة إلي أصلها السكني الذي انحدرت منه، وهو البادية،

وهو بالتالي يرجع إلي الأمر الثاني.

فابن البدويّة نظراً إلي أنّ أمّ العباس(عليه السلام) كانت من العرب التي تقطن البادية أنفة من ذلّ الأمصار، وفراراً من هوان المدنية الذي تأباه نفوس العرب الأقحاح.

الثاني:

أن يكون إشارة إلي ما تحمله الكلمة من معاني، لا باعتبار كونها من سكّان البادية حقيقة، بل باعتبار أنّ المرأة البدوية تمتاز بالنجابة والأصالة والشجاعة والطهارة والكرم والإيمان الفطري الراسخ الذي يستدلّ بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج علي اللطيف الخبير، فهي تعيش النقاء والصفاء والصدق والحقيقة والإباء وسلامة الطبع، فلا إلتواء في طبعها، ولا بخل في جبلّتها...

أبو فرجة

وأمّا كنيته عندهم ب-((أبي فرجة))، فليس بكنية، بل هي لقب بصورة الكنية، حيث لم تكن للعباس بنت تسمّي ((فرجة))، وإنّما لقّبوه بهذا، لأنّه كان كثيراً ما يفرّج عنهم الكربات إذا توسّلوا به إلي الله - تعالي -، وأقسموا عليه بحقّه، وهذه عندهم من الأمور القطعية، وقد جرّبناها بأنفسنا.

قال الشيخ المظفر :

ص: 200

كم فرّج الله عنّا كلّ معضلة

كرامة منه للعباس شبل علي

ورحمة الله خصّتنا بفضلهم

عند الصعاب وعمّت فيه كلّ ولي

ص: 201

ألقاب العباس الأكبر (عليه السلام)

اللّقب يعرّفه النحويّون بأنّه ما أشعر برفعه المسمّي أو ضعته، يعنون أنّه أكسبه شهرة في المدح أو الذمّ، ومثال المشعر بالمدح كجذل الطعان وصيّاد الفوارس، ومثال المشعر بالذمّ كالأعشي والأعمش، وهذا في العرب كثير.

أمّا أهل البيت:، فليس لهم لقب ذمّ أصلاً، إنّما ألقابهم للمدح خاصّة، لأنّه لا عيب فيهم في خلقٍ ولا خُلقُ، وقد قال الشاعر:

حبي علياً ولكن وصفه حسن

وفعله المرتضي يحلو به الشغف

فتي من الشرف الأعلي له نسبٌ

وهل لغير عليّ يحصل الشرف؟

***

وألقاب أبي الفضل العباس(عليه السلام) نوعان: قديمة ومستحدثة، استحدثها

ص: 202

الناس، واشتقوها من صفاته وفضائله.

الألقاب القديمة

فالألقاب القديمة كثيرة، منها ما هو مشهور عند علماء التاريخ والسير، ومنها دون ذلك في الشهرة.

فأمّا المشهورة عند النسابين والمؤرخين فهي:

((السقاء))، أو ((ساقي عطاشي كربلاء))، ويسمّي لذلك ((أبا قربة))، قاله أبو الفرج في المقاتل، والدياربكري في تاريخ الخميس وغيرها.

و((قمر العشيرة))، أو ((قمر بني هاشم)).

و((بطل العلقمي))، أو ((بطل المسناة)).

((حامل اللواء))، أو ((حامل لواء الحسين(عليه السلام))).

و((كبش الكتيبة)).

و((العميد))، أو ((عميد عسكر الحسين(عليه السلام))).

و((حامي الظعينة))، أو ((حامي ظعينة كربلاء)).

وكلّ هذه الألقاب مشهورة، وهو معروف بها، وهي مشتقّة من أفعاله الكريمة وصفاته الفائقة.

وحيث أنّ لكلّ واحدة من هذه الألقاب اعتباراً عظيماً عند العرب قدّمناها، لنذكر ما لها من الميزة والاعتبار، ثمّ نذكر بقية الألقاب التي

دونها في الشهرة، كالطيّار، وما شاكله من الألقاب في الموروث الشعبي.

ونسأل الله التوفيق لما يحبّ، والتسديد لما نقول، والمعونة فيما نملي في فضل أهل بيت نبيه(صلي الله عليه واله).

إنّ جميع هذه الألقاب ممدوحة عند الجاهليين والإسلاميين، بل هي من مفاخرهم، والمتّصف بها محبوب لديهم أتمّ المحبّة، ينظرون إليه بعين التبجيل والاحترام، ويرون مقامه في المفاخر أسمي مقام.

السقّاء أو سقّاء عطاشي كربلاء

هذا لقب نبيل اختص به أبو الفضل العباس بن علي(عليهما السلام) حتّي بلغ من شهرته أنّه إذا أُطلق انصرف إلي العباس الأكبر(عليه السلام)، وإن شاركه فيه أبوه(عليه السلام) وأسلافه الكرام.

السقاية وأقسامها

والسقاية هي إرواء العطاشي من البشر في حالتي السلم والحرب، وأشرفها سقاية الحرب، وهي فضيلة من فضائل الإنسانية، وأحد مكارم العرب ومفاخرها العظيمة، وإنّها من المآثر الشريفة.

فالسقاية نوعان: سقاية في الحرب، وسقاية في السلم.

ص: 204

والسقاية السلمية نوعان:

الأوّل: ما كانت لإحياء النفوس المشرفة علي الهلاك من النفوس البشرية المحترمة.

والثاني: ما كان غير ذلك، وهو أيضاً نوعان:

الأوّل: ما كان القصد فيها إسداء المعروف إلي بني الإنسان بداعي التقرّب إلي الله – تعالي – في فعل الخير.

والثاني: ما كان القصد بها طلب الدنيا من نيل مال أو حصول سمعة.

ومن القسم الأوّل: سقاية العباس الأكبر(عليه السلام) لعطاشي كربلاء، وسقاية أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) لعطاشي الصحابة يوم بدر.

ثم إنّ السقاية بأنواعها لا تقع إلاّ بفعل الرجل بنفسه مباشرة بيد أو قول:

إمّا المباشرة اليدويّة: فهي أن يستقي بنفسه ويحمل الماء، أو يحمي

أصحابه من الأعداء فيستقون.

وأمّا القولية: فهي أن يطلب فيعطي، أو يدعو فيجاب.

ويفرّق بينهما فيقال في اليدويّة ((السقاية))، وفي القولية ((استسقاء))، لأنّه يدعو ويستمطر، فتمطر بدعاءه، أو يدعو فينبع الماء من حجر، ومن تحت أخمصه، أو خفّ ناقته، كرامة له، كما كان ذلك من فحص النبي إسماعيل(عليه السلام) برجله فنبعت زمزم، وانبعثت ناقة عبد المطلب ونبع الماء من تحت خفّها، وجري من ذلك لنبينا محمد(صلي الله عليه واله) الكثير.

وجميع هذه الأنواع من السقاية تختصّ ببني هاشم دون سائر العرب وقريش، وبعضها تراث أبيهم إسماعيل وجدّهم قصيّ حازوه دون القبائل، والبقية خصوصيّة خصّهم الله – تعالي – بها.

السقاية السلمية

النوع الأوّل من السقاية السلمية

فالسقاية علي جهة السماح في بذل الأموال الطائلة علي إرواء الظمأ كرماً وجوداً، فقصّة تسلسلها في بني هاشم معروفة، فإنّها من مؤسّسات قصيّ بن كلاب، ثم ورثها ابنه عبد مناف بن قصيّ، ثم ابنه هاشم بن عبد مناف.

ولمّا مات هاشم كان ابنه عبد المطلب صغيراً عند أخواله، فقام بها عمّه المطلب بن عبد مناف حتّي كبر، فسلمّها إليه، وظهرت

لعبد المطلب سقاية أعظم منها خصوصيّة خصّه الله بها، فاظهر له زمزم، وهذه الكرامة لا يدّعيها مدّع غير بني هاشم إلي يوم القيامة.

ولمّا توفي عبد المطلب قام بها ابنه أبو طالب(عليهما السلام)، وبعده صارت للعباس بن عبد المطلب، ثم ملكها رسول الله(صلي الله عليه واله) يوم فتح مكة...

أمّا الاستسقاء في الجدب:

إذا أخلفت السحب وظنت السماء بالمطر وفات الأرض طيب القطر، وهذا نوع شريف ومأثرة كريمة تظهر بها كرامة المستسقي وفضيلة الطالب له حيث أنّ الله – تعالي – يغيث العالم بدعوته، ويحيي ميت البلاد ببركته، وهو قد خصّ ببني هاشم دون قريش وسائر العرب.

فقد استسقت العرب بعبد المطلب وأبي طالب(عليهما السلام) في عصر الجاهلية، وبرسول الله(صلي الله عليه واله) في مقامات عديدة في الإسلام، ولولا أنّها من خصوصيات بني هاشم ما استسقي الصحابة بالحسن والحسين(عليهما السلام)، واستسقاءات مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام)معلومة.

النوع الآخر من السقاية السلمية

هو ظهور الماء علي طريق المعجزة والكرامة، وذاك ممّا لا يستريب فيه أحد أنّه من خصائص بني هاشم، فقد نبع الماء من خفّ ناقة عبد المطلب مرّتين، ونبعت عين ماء لرسول الله(صلي الله عليه واله) شرب منها عمّه

أبو طالب لمّا عطش بسوق ذي المجاز، ونبعت العين من تحت الصـخرة لأمير المؤمنين(عليه السلام) في مسيره إلي صفين، وغير ذلك ممّا رواه ثقاه العلماء.

السقاية الحربية

أمّا السـقاية الحربية: فلا خفاء إنّها أجلّ السـقايات، وإن كانت السقاية علي نحو المعجزة عظيمة في بابها، ولكن هذه تمتاز علي الجميع لما فيهـا من المخـاطرة بـالنفس، وتعريضـها للتلف، ولا يتجاسـر عليها إلاّ من تمّت شـجاعته، وكملت مروّته وحميّته، وهـذه اختصّ بها أمير المؤمنين(عليه السلام) وأنجاله دون سائر الصحابة وسائر العرب.

وهي أيضـاً من خصائص بني هاشم ومفاخرهم، فأصـبحت فضـيلة لآل عبـد المطلب، ومكرمـة لهم دون الناس أجمعين، فقـد سـقي أمير المؤمنين(عليه السلام) جيش رسول الله(صلي الله عليه واله) يوم بدر ويوم الحديبية، وقد خاف المسلمون من الدنو إلي القليبين.

وسقاهم رسول الله(صلي الله عليه واله) في تبوك من وشل نزر ثماد، وقد اشرفوا علي الهلكة، وببركته عاد بحراً لا ينزف ماؤه، كما عاد ماء بئر بضاعة الوشل بحراً لما بصق فيه.

وسقي الحسين(عليه السلام) جيش أهل العراق بصفين، وقد ملك عليهم معاوية وأهل الشام شريعة الفرات.

وسـقي أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السـلام) جيش الحسين(عليه السلام)، وقد ملك عليهم عمر بن سعد شرائع الفرات يوم كربلاء.

سقاية الحسين(عليه السلام) لأهل العراق

قد تكرّرت سقاية الحسين(عليه السلام) لأهل العراق سقاهم ثلاث مرّات بدعائه وسيفه ووعائه:

أمّا سقايته لهم بدعائه فقد أشرنا لها.

وأمّا سقايته لهم بسيفه، فقد روي بعض علمائنا أنّ معاوية لمّا ملك الشريعة علي أهل العراق يوم صفين بعث أمير المؤمنين(عليه السلام) في الخيل الحسين بن علي(عليهما السلام) ومالك بن الحارث الأشتر، فأزالا أهل الشام عنها وملكاها، فوردها أهل العراق وصارت في أيديهم حتّي انقضت الحرب.

وأمّا سقايته لهم بإناءه ووعاءه، فذاك لمّا لقيه الحرّ بن يزيد الرياحيّ، وقد أثّر العطش فيه وفي جنده.

روي الطبري في التاريخ عن عبد الله بن سـليم والمذري بن المشمعل الأسديين، ورواها الشيخ المفيد وغيره عنهما قالا: أقبل الحسين(عليه السلام) حتّي نزل شراف، فلمّا كان وقت السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا...

ثم ساق القصّة في مسيره ولقاء الحر وقال: فقال الحسين(عليه السلام):

أُسقوا القوم وارووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفا.

فقام فتيانه وسقوا القوم من الماء حتّي ارووهم من الماء، وأقبلوا يملأون القصاع والطساس والأتوار من الماء، ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتّي سقوا الخيل كلّها.

قال هشام: حدّثني لقيط عن عليّ بن الطعان المحاربي قال: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلّما رأي الحسين(عليه السلام) ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الرواية – والرواية عندنا السقاء – ثم قال: يابن أخي! أنخ الجمل، فأنخته، فقال:أشرب.

فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال: أخنث السقاء – أي أعطفه–،

قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل.

قال: فقام الحسين(عليه السلام)، فخنثه فشربت وسقيت فرسي . . .

هذه هي الهمم العالية، وهذه شيم الأحرار الراقية، هذه شمائل السادات العظماء . . .

ولو كانت هذه الفعلة الكريمة منه إلي رجال شرف ومفخرة لكانت منّة من أعظم المنن، ونعمة من أكبر النعم طوّقهم بها كريم، وأسدي لهم يداً بيضاء يجب شكرها علي أعقاب الأعقاب، ونسل النسل، ولكن – يا للأسف – صادفت تلك المنّة العظيمة، واليد البيضاء النفوس الخسيسة، ذات الأكباد الغليظة، والطباع الجافية الجلفية، والأعراق

الدنيئة، فأصبح الشكر الواجب عليها كفراناً وجحوداً.

لم يمض علي هذه القصّة أكثر من عشرة أيام حتّي قابله أولئك الأوغاد الطغام بأشدّ ما يكون من القسوة، وأظهروا من الغلظة والجفاء والوقاحة القحّة والصلف والفظاظة والسقوط ما لم يقع له نظير، وحصروه في فلاة جرداء مقفرة، ومفازة بعيدة عن الريف، ومنعوه ورد المباح المشترك بين سائر الخلق، ويقول قائلهم بلا أكتراث ولا مبالاة ولا حياء ولا امتعاض، ممّا يأنف منه سفلة العبيد فضلاً عن الأحرار، ولا يجسر علي التلفّظ بما دونه الدني: يا حسين! أُنظر إلي ماء الفرات كأنّه بطون الحيات، والله لا تذوق منه قطرة واحدة . ..

مع علمهم أنّه ابن رسول الله(صلي الله عليه واله) وريحانته، وابن سيّد الأوصياء، وابن سيّدة النساء، وهو وأخوه سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّه إمام حقّ مفترض الطاعة نصّاً صريحاً، لقول رسول الله(صلي الله عليه واله) فيه وفي أخيه الحسين(عليه السلام): ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا.

فلم يرعوا تلك الحرمة، ولم يفوا بتلك المنّة، ولم يجازوا بتلك اليد ولا بأبعاضها، فقد حملته الرقّة وأخذته الرأفة حتّي بدوابهم التي تحملهم إلي حربه، فأمر بترشيفها وإراوئها، فما رقّ أولئك الجلاف ولا علي طفله الرضيع، فيرسلوا إليه جرعة من الماء قبل أن يرسلوا السهم الشرير إلي نحره الشريف، وقد أحسن من قال:

أري الإحسان عند الحرّ ديناً

وعند النذل منقصة وذمّا

كماء المزن في الأصداف درّ

وفي بطن الأفاعي صار سمّا

فضل سقي الماء

وردت أحاديث كثيرة في سقاية الأضياف والمجتازين، نذكر بعضها تيمّناً، وهذا النوع لا يخصّ بني هاشم، بل يعمّ جميع المسلمين، ولفضيلته جعل المسلمون السقايات المسمّاة ب-((السبيل)) في الطرق والجواد التي هي مظنّة العطش.

ذكر الدربنديّ في أسرار الشهادة عن الصادق(عليه السلام): من سقي الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقي الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيا نفساً، ومن أحيا نفساً، فكأنّما أحيا الناس جميعاً.

وعن النبي(صلي الله عليه واله) قال: إنّ الله يحبّ إبراد الكبد الحرّاء، ومن سقي كبداً من بهيمة أو غيرها أظلّه الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.

والأحاديث كثيرة متقاربة المعني، وهي وغيرها نصّ في فضل من سقي الماء في السّلم آمناً علي نفسه من القتل، واثقاً بسلامته من التلف، فكيف لو قارن سقي الماء مظنّة تلف النفس والإشراف علي العطب، وهذه الفضيلة امتاز بها مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام) وولده لا سيما العبّاس الأكبر(عليه السلام)، والشبل من ذلك الأسد.

ونقول بلا تجاسر علي مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام): إنّ موقف العبّاس(عليه السلام) أفظع هولاً، وإن كان كلا الموقفين رهيب، حيث أنّ

أمير المؤمنين(عليه السلام) سقي الصحابة في بدر والحديبيّة، وليس فكره متعلّقاً بشيء سوي عطش رجال كبار يصبرون علي مكابدة الظمأ، ويستطيعون معاناة شدّة العطش.

وأمّا حراجة الموقف من حيث قوّة العدوّ وشدّة شوكته فلا يرهبه أمير المؤمنين(عليه السلام)، لأنّه لا يخاف الأعداء قلّوا أو كثروا، كيف وهو القائل لأهل الكوفة: اُخرجوا معي ثمّ فرّوا عنّي، فإنّي – والله – لا اُبالي أوقعت علي الموت أو وقع الموت عليّ، ولألف ضربة بسيف في سبيل الله أهون عليّ من موتة علي فراش.

وهو القائل يوم البصرة، وقد طلب شراباً فأتوه بعسل، فذاقه وقال: هذا عسل طائفيّ، فقال له ابن أخيه جعفر: عجباً منك يا عمّ في مثل هذا الموقف تعرف الطائفيّ من غيره، فقال: والله يابن أخي ما ملأ صدر عمّك من جمعهم هذا شيء.

وإنّ أبا الفضل العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) سقي العطاشي بكربلاء، وكان قصد المسنّاة، دع عنك ما عليها من العسكر العظيم، فإنّه ابن أبيه لا يرهب الجموع المتكدّسة أمامه قلّت أمّ كثرت، وليس فكره متعلّقاً بعطش الكبار فقط، بل قصد المشرعة بعد أن سمع صراخ الأطفال وضجيج النساء: وا عطشاه، فهزّته الحميّة الشمّاء، وأنهضته الهمّة العالية حين سمع له رنّة عظيمة

لشـدّة الظمـأ والصبيـة يتصـارخون، فمنهم من قصـد مخيّم الأنصـار يطلب منه المـاء، ومنهم من تعلّق بأذيال الحوراء زينب، وإنّها(عليها السـلام) – كما في بعض المقاتل – توجّهت لبعض مضارب الأنصار تطلب فيها ماءاً لبعض الصبية الرضّع، وخلفها لمّة كبيرة من الصبيان كلّهم ينادون ((وا عطشاه))، فأبت مروّة العبّاس(عليه السـلام) وشـيمته أن يغضـي علي تلك الحالة المزعجة، وارتاع لها وارتاح لورد المنيّة قبل ورد المباح المحرّم عليهم، وصـمّم بعزمه الثابت علي قصد المشـرعة، وإن أقامت عليها سدّاً منيعاً أسـلحة الأعداء، فاعتقل القناة عاقداً بها العلم حاملاً للقربة منتضياً مرهفه، فما عاد إلاّ بالماء علي رغم الأعداء .

سقاية أبي الفضل(عليه السلام) لعطاشي كربلاء

قد تكرّرت منه السقاية، وليست سقاية واحدة، حسبما استفدنا ذلك من الأخبار الواردة في المقتل الشريف.

السقاة يوم الطفّ السقاة يوم كربلاء ثلاثة:

إثنان علويّان: العبّاس الأكبر، وعليّ بن الحسين الأكبر، وواحد همدانيّ هو برير بن خضير.

أمّا علي بن الحسـين(عليهما السـلام) فـذكر قصّة سـقايته فخر الدين الطريحي في المنتخب، فراجعها، ورواها الصدوق القمّي في الأمالي، وأنّه بعثه في

ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وراجعها في قصّة المقتل من الأمالي، ورواها الدربنديّ في أسرار الشهادة.

وأمّا سقاية بربر، فرواها صاحب أسرار الشهادة، وتبعه صاحب معالي السبطين، وتركنا ذكر القصّتين حذر التطويل، وفوت الغرض المقصود.

أمّا سقاية العبّاس(عليه السلام):

فقد تكرّرت منه مراراً، منها: ليلة العاشر حين نفذ بأمر أخيه الحسين(عليه السلام) لطلب الماء.

ومنها: يوم العاشر، قبل مقتله إذ سمع صراخ العائلة، وضجّة الصبية من الظمأ، فاستأذن سيّده الحسين(عليه السلام)، وفي هذه النوبة تمكّن من الوصول إلي المشرعة، وملأ القربة، لكنّه لم يتمكّن من إيصال الماء إلي العائلة، لأنّ حرس الماء قد تداعوا عليه من كلّ صوب، وأحاطوا به من كلّ وجه، فقطعوا عليه خطّ الرجعة، وعلموا أنّ سلامة القربة تحتّه علي اختراق تلك الصفوف، وأنّ الجموع مهما تراكمت وتكاثفت عليه سيشقّها نافذاً إلي الحسين(عليه السلام)، وأنّه يصل إلي مقصده لا محالة، فرأوا من المستحيل صدّه عن مقصده، إلاّ بإراقة ماء القربة، فتعمّدوا القربة وجعلوها هدافاً، ورشقوه رشقاً متواصلاً، فأصابها بعض السهام المسدّدة نحوها فشقّها، وأريق الماء، فكانت هي السبب ليقف هدفاً للسهام وغرضاً للأسنّة والظباة، وآثر – حينئذٍ – المنيّة علي مواجهة العائلة

اللهيفة التي ترقب طلوعه عليها بالمنعش والمنقذ من لهفة الصدا، وسنورد ذلك مفصلاً في حديث شهادته إن شاء الله.

السقاية الأُولي

ذكر عامّة أرباب المقاتل: أنّ أهل الكوفة منعوا سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) من الوصول إلي الشريعة ثلاثة أيام، لذلك أورد أبو مخنف في المقتل الصغير، وسبط ابن الجوزي في التذكرة شهادة العبّاس(عليه السلام) يوم السابع من المحرّم.

قال سبط بن الجوزي في التذكرة: لمّا رحل الحسين(عليه السلام) من القادسية وقف يختار مكاناً ينزل فيه، وإذا سواد الخيل أقبل كالليل، كأنّ راياتهم أجنحة النسور، وأسنّتهم اليعاسيب، فنزلوا مقابلهم، ومنعوهم الماء ثلاثة أيام.

وروي العلامة المجلسي في البحار، والدربندي في الأسرار، والبحراني في مقتل العوالم، وعبد الخالق اليزدي في مصائب المعصومين، ومشاهير المؤرّخين، كابن الأثير وابن كثير والطبري، وهذا نصّ الطبري بعد أن ذكر أنّ الحسين(عليه السلام) منع من الماء ثلاثة أيام قال:

فلمّا اشـتدّ العطش بالحسين(عليه السلام) وأصحابه دعا العباس بن علي بن أبي طالب: أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشـرين قربة، فجاؤوا حتّي دنو من الماء ليلاً، واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ - وفي كلام غيره: من القوم؟ -

فقال نافع: ابن عمّ لك، قال: وما جاء بك؟

قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه، قال: فاشرب هنيئاً.

قال: لا - والله - لا أشـرب منه قطرة وحسين عطشان ومن تري من أصحابه، فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلي سقي هؤلاء، فإنّما وضعنا بهذا المكان لمنعهم الماء.

فلمّا دنا منه أصحابه قال لرجاله: أملأوا قربكم، فشدّ الرجالة فملأوا قربهم،

وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصـحابه، فحمل عليهم العباس بن علي(عليهما السـلام) ونافع بن هلال، فكفّوهم، ثم انصـرفوا إلي رحلهم، فقالوا: امضوا وقفوا دونهم، فعطف عليهم عمرو بن الحجاج(1) وأصحابه، واطّردوا قليلاً.

1- إنّ عدوّ اللّه عمرو بن الحجاج قتله اللّه بالعطش أيام المختار، ذكر قصّة هلاكه بالعطش صاحب الأخبار الطوال .

ثم إنّ رجلاً من صـداء طعن من أصـحاب عمرو بن الحجاج طعنه نافع بن هلال، فظن أنّها ليست بشـيء، ثم إنّها انتقضت بعد ذلك، فمات منها، وجاء أصحاب الحسين(عليه السلام) فأخلوها عليه(1)..

أمّا السقاية الأخري فستأتي في الإيثار، وفي شهادته.

قال الشيخ المظفر :

يسقي البسيط دماً في حدّ صارمه

إن فاتها الريّ من هطّالة المزن

ويستقي للعطاشي وهو ذو ظمأ

أضرّه لاهب الهيجاء والجنن

ولفحة من هجير القيظ كافحها

والشمس تقدح ناراً في الحصا السخن

أمّ الشريعة يعدو بالسقاء وقد

غصّت بجمع من الفجّار ذي إحن

غداة أعلن داعي الكفر مبتهجاً

بكثرة الحشد في سرّ وفي علن

انظر حسيناً إلي ماء الفرات جري

عذب الرواء برود الطعم كاللبن

فلن تذق قطرة منه ولا جرعاً

حتّي تموت لهيف القلب ذا حزن

فهزّت البطل العبّاس شيمته

إلي القراع كهزّ الريح للغصن

نادي أخاه سليل الوحي في أدب

أنت الصبور وصبري بالهموم فني

دعني أُجالدهم أشفي غليل حشي

ذابت حريقاً علي ذي الحقد والإحن

فإنّ لي ثار في قبائلهم

دماء قومي وإخواني وذي شجني

يا سيّدي كيف صبري والجميع غدوا

مثل الأضاحي بلا غسل ولا كفن

وصرخة النسوة الثكلي تحرّكني

علي القراع لأهل الغيّ والفتن

ص: 218

1- هكذا رواها أبو الفرج في المقاتل نهار العاشر وهو وهم .

وهدّ ركن اصطباري الباكيات ظما

من نسل خير الوري الهادي أبي حسن

وإنّما ضجّة الباكين من عطش

تهزّ أرسخ طود شامخ القنن

وكم رضيع يقاسي الموت من ظمأ

جفّت ثدا امّه عن درّة اللبن

دعني أموت ولم أسمع مروّعة

من العقائل تشكو شدّة المحن

قال الحسين له حامي علي حرم

مصونة بحجاب الوحي من زمن

فكلّ ذي شيمة شمّاء مبتهج

بالموت دون هوان العرض والسنن

وقال الشيخ محمّد حسن بن الشيخ باقر حيدر من تخميس له لبيتي أبي الحبّ الكربلائيّ:

يا من فدي النفس من أجلي علي عجل

هيّجت ما بأخيك اليوم من علل

أخي أبا الفضل يا ذخري ويا أملي

أبوك كان لجدّي مثل كونك لي

بنفسه نفس من آخاه يفديها

جدّي بوالدك الرحمن آزاره

علي العدي وبه للذين أظهره

فكان ناصر دين الله مفخره

أبوك ساقي الوري في الحشر كوثره

وأنت أطفالنا بالطفّ ساقيها

كبش الكتيبة

ومن ألقاب العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) ((كبش الكتيبة)) أو ((كبش

ص: 219

كتيبة الحسين(عليه السلام)).

والكبش تطلقه العرب علي مقدّم العسكر أميراً كان أو ملكاً، وعلي الشجاع الذي لا يقاوم بأساً ونجدة.

قال الفيروزآبادي في القاموس: الكبش الحمل إذا انتهي، وإذا خرجت رباعّيته،

جمعه أكبش وكباش وأكباش، وسيّد القوم وقائدهم . . .

وليس هو حقيقة، بل هو مجاز، لأنّ الكبش حقيقة وفي أصل الوضع يرأس القطيع من الأغنام والظباء، ويحميها بنطاحه، ولمّا كان قائد الجيش ورئيس القوم والبطل الحربيّ يرأس الجيش، ويحميه بيده وتدبيره قيل له: كبش، وله جرأة علي النطاح، وإقدام كما شهد الوجدان بذلك، فإنّ الكبش إذا ناطح كبشاً لم ينصرف عنه حتّي يحجز بينهما أو يقتل أحدهما الآخر.

ولا يطلق الكبش في الحرب عند العرب، إلاّ علي من تكاملت فيه سمات البطولة وجمعت فيه صفات الرجوليّة.

ولقّب بهذا اللقب قبل أبي الفضل العباس بن علي(عليهما السلام) رجلان من أعظم رجال العرب وأشهرها:

أحدهما: بطل المشركين بلا نزاع طلحة بن أبي طلحة القرشيّ من آل عبد الدار، فكان يلقّب كبش الكتيبة، قتله أمير المؤمنين(عليه السلام) يوم أحد، فسُرّ بقتله رسول الله(صلي الله عليه واله)، وبقتله فلت شوكة المشركين وكسر حدّهم.

والثاني: بطل المسلمين غير مدافع، وهو مالك بن الحارث الأشتر

النخعيّ، صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) بطل العرب المشهور، كان يلقّب ((كبش العراق)).

اختصاص أبي الفضل(عليه السلام) بكبش كتيبة الحسين(عليه السلام):

هـذا لقب يختصّ به أبو الفضـل العبّـاس الأـكبر بن أمير المؤمنين(عليه السـلام) دون سائر شـهداء كربلاء، وقـد اختصّه بهـذا اللقب أخوه الحسـين(عليه السـلام)، وجعله من ألقابه المميّزة له، وذلك حين أتاه يطلب منه الرخصـة للهجوم علي جيوش أهل الكوفة المحيطة به، وقد أكثر الشعراء في تأبينه من ذكر هذا اللقب، فقال بعضهم بلسان حال سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام):

عبّاس كبش كتيبتي وكنانتي

وسريّ قومي بل أعزّ حصوني

وقال الأزريّ :

اليوم بان عن الكتائب كبشها

اليوم فلّ عن البنود نظامها

حامي الظعن، أو حامي ظعينة كربلاء

هذا لقب مشـهور شائع إطلاقه علي أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السـلام)، ومن نعوته السائرة، فقد قال السـيّد جعفر الحلّي في تأبينه:

حامي الظعينة أين منه ربيعة

أم أين من عُليا أبيه مكدّم

وقال الشيخ المظفر :

حامي ظعينة كربلاء بصارم

صادي الحديد رواه قحف الرأس

وكأنّهم خصّوه بهذا اللقب للفرق بينه وبين أخيه سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام) الملقب ب-((حامي الإسلام)) و((حامي الشرع المقدّس))، ورتبة العبّاس(عليه السلام) دون رتبة الحسين(عليه السلام).

ومن جهة ثانية: إنّ الإمام الحسين(عليه السلام) هو الأمير والسيّد والقائد، ولا يباشر كلّ المهمّات بنفسه، وأنّه لابدّ للرئيس من معتمد يقوم مقامه، وينوب عنه في المهمّات، وكان من أهل الكفاءة، وله الأهلية في القيام بواجبه ليحصل الاعتماد عليه في ما رشح له، وحيث لم يكن عند سبط النبي(صلي الله عليه واله) أهمّ من القيام بحياطة العائلة المخدّرة وحمايتها في تلك الفيافي الموحشة والمفاوزة المقفرة، وكان من أوثق القادمين معه في نفسه أخوه العبّاس الأكبر وابنه علي الأكبر، لما فيهما من الكفاءة لكلّ مهمّ يناط بهما، فوظّفهما لهذه المهمّة، فكانا يقومان بترحيل العائلة وإنزالها، ويتوليّان حراستها مع فتيان العلويّين، وأكثرهما قياماً بهذا الواجب وأشدّهما مباشرة لهذه الوظيفة أبو الفضل العباس(عليه السلام).

ولمّا قتل علي الأكبر(عليه السلام) قبل عمّه العباس(عليه السلام) قام أبو الفضل(عليه السلام) بالمحاماة عن المخيم، وصدّ هجمات العدوّ عنه، لأنّ أجلاف الأعداء يتقصّدون إيصال الرعب لتلك العقائل المخدّرة، حيث أنّهم متيقّنون أنّ في إرعابها كسراً لقلب الحسين(عليه السلام)، لما عرفوه من شدّة غيرته علي حرمه، فكانت كتائب الإرهاب الأمويّة تقصد إخافة النسوة بكلّ جهودها، ولكن موقف الحسين(عليه السلام) في جبهة القتال اليمني، والعباس(عليه السلام)

في الجهـة اليسـري، يصـدّان هجمات الإرهاب العدائيـة عن المخيم، ويحرسان المـذاعير من النسوة الخفرة، وهنّ ما دمن ينظرن الأخوين الكريمين يتعاضدان في الحملة ويتناصـران في الجولة في غاية الوثوق بالسـلامة من تعدّيات المعتدّين عليهن، والشرع المقدّس يؤكّد حفظ الحرم وصيانه العرض أشدّ تأكيد.

حماية العباس(عليه السلام) للظعائن:

قـد عرفت أنّ حماية العبّاس(عليه السـلام) للظعائن كانت من حين سار الحسـين(عليه السـلام) من المدينة إلي أن نزل الغاضـريّة، وكذلك العشـرة أيّام التي أقامها الحسين(عليه السلام) حتّي استشهد، وكان العبّاس بن أمير المؤمنين(عليه السلام) أمير الحرس الحسينيّ الذي يقوم بحراسة المخيّم، وقد أكثر الشـعراء من ذكر ذلك، وهو منظوم باللسانين العربيّ والعامّي، ومعروف في المراثي الحسـينيّة، واشتهر علي ألسنة الذاكرين أنّ زينب الحواراء(عليها السـلام) لمّا مرّوا بالسبايا علي جثث القتلي خاطبت العبّاس(عليه السلام) بما يتضمّن العتاب له والحثّ علي حمايتها في مثل هذه الحالة التي صارت إليها، وأوقعها الزمان فيها بعد فقد الحماة.

ويـذكر الذاكرون أيضاً: أنّه لمّا أقبل عسـكر السـقيفة إليهنّ بالنياق ليركبن عليها جعلت النساء تركب بعضـها بعضاً حتّي بقيت زينب(عليها السلام) وحدها حوّلت وجهها إلي نحو العلقميّ ونادت:

أخي أبا الفضل! أنت الذي أركبتني يوم خروجنا من المدينة، فمن يركّبني الآن يابن والدي.

ولم يفسح لي المجال في تتبّع هذه المقالة واستخرجها من مظانّها، وأُعوّل فيها علي مصادرها، فإن كانت رواية، فالعهدة علي الراوي، وإن كنت حكاية حال، واستخراج من فحوي القصّة، فنعم الاستنباط، إذ المعلوم أنّ شباب العلويّين، ويرأسهم أبو الفضل(عليه السلام) هم الذين ركّبوا العقائل الحسينيّة حين خرجوا من المدينة، فوجب أن يتولّي ركوبهنّ للمسير عن وادي كربلاء، لولا حيلولة المنيّة دون ذلك.

قال الشيخ المظفر :

أبا الفضل يابن عليّ الفخار

وصنو النبيّ وحامي الذمار

حميت ظعائن آل الرسول

بتلك الفيافي وتلك القفار

فما راعها رائع مزعج

ويمناك تحمل ذات الفقار

إلي أن نزلتم بوادي الطفوف

وقد كنت كالحصن والمستجار

وبعد افتقادك سار النساء

بذلّ السباء وذلّ الإسار

فلو كنت حيّاً تري زينباً

تصوب المدامع صوب القطار

وتلك العقائل بعد الحجا

بسُلبن الملاحف حتّي الإزار

ولم يترك القوم من ساتر

لتلك المصونات حتّي الخمار

تستّرن قد قيل بالراحتين

عن الناظرين بضوء النهار

فقم يا كميّ إلي ظعنكم

فقد سار يطوي وهاد القفار

ص: 224

حامل اللواء

قـد شاع هذا اللقب بين الناس، فتعرّفه المسـلمون القدماء بحامل لواء الحسـين(عليه السـلام)، وتسـمّيه العرب اليوم في اللغة الدارجة ب- ((البيرغجي))، وهـذه نسـبة تركيّة، وتطلق عليه الفرس لفظ ((علمدار حسـين))، وقد كان هذا اللقب - حمل اللواء - أشـهر ألقاب العبّاس الأكبر(عليه السلام)، وأسيرها ذكراً، لأنّ ذلك قد صدر من أخيه الإمام الحسين(عليه السلام) فعلاً وقولاً.

أمّا الفعل، فقد تكرّر منه(عليه السلام) مراراً، منها: لمّا أراد الحملة قال: أنت حامل لوائي، ومنها: لمّا وقف عليه صريعاً، وسنورد جميع ذلك في فصل مقتله(عليه السلام) إن شاء الله.

وقد أكثر الشعراء من مدحه بحمل اللواء، كقول بعضهم عاقداً قول الحسين(عليه السلام):

لمن اللواء أُعطي ومن هو جامع

شملي وفي ظنك الزحام يقيني

في أشعار كثيرة يأتي بعضها في تأبينه(عليه السلام).

حمل اللواء عند الأُمم:

حمل اللواء مكرمـة عظيمـة عنـد جميع الأُمم والشـعوب في سائر الأزمنة والعصور سوي هذه الأزمنة التي نحن فيها، وإن أجمعوا علي أنّه شعار الدولة، فإنّ لحامل اللواء عند الأُمم قاطبة في جميع الأزمان - إلاّ

ما أسـتثيناه – مرتبة راقية ومكانة مكينة ومحلّ سامي لا من حيث شـجاعة حامل اللواء فقط، بل من حيث أنّه نظام العسكر، فمتي كان العلم ثابتاً، فالجيش منتظم وشمله ملتئم، وإذا سقط اللواء تبدّد العسكر.

وعـادة العرب ذات التفاخر بمآثرها ومجـدها أن تجتمع تحت ألويتها ورياتها، وتثبت في المراكز التي تثبت فيها الرايات، فلا تزول والألوية ثابتة.

واللواء عند العرب لزعيم القبيلة، ولقائد الجيش، وأمير العسـكر يحمله أمامه من قبيلته أو من جنده أشهرهم ذكراً، وأعظمهم بطولة، وأشدّهم بأساً وشجاعة، وأكثرهم نجدة وبسالة، وربّما حمله الزعيم بنفسه.

قـال الجاحـظ في البيان والتبيين: إنّا نجـد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل قـد اتّخـذوا في الحروب الرايات والأعلام وإنّما ذلك كلّ خرق سود وحمر وصفر وبيض، وجعلوا اللواء علامة للعقد والعلم في الحرب مرجعاً لصاحب الجولة، وقد علموا أنّها وإن كانت خرقاً علي عصي إنّ ذلك أهيب في القلوب وأهول في الصدور وأعظم في العيون.

وحامل اللواء سواء كان هو الزعيم أو غيره ليحافظ علي اللواء أشدّ من محافظته علي نفسه، فلو طعن أو ضرب لم يكترث بنفسه ما دام متمكّناً من إمساك اللواء ولو قطّعت أعضاؤه وأُبينت مفاصله، فلا يعبأ بسقوط أيّ عضو منه ما لم يسقط اللواء منه، لأنّ حفظ نظام الجيش

منوط به، فإنّه متي سقط اللواء تضعضع العسكر، وربّما فرّوا وتبّدوا لذلك.

لـذلك لمّا قطعت يـدا جعفر بن أبي طالب(عليهما السـلام)، وهو الطيّار شـقيق أمير المؤمنين(عليه السـلام) يوم مؤتـة ضمّ الباقي من يديه القطيعتين علي اللواء لئلاّ يسـقط فيتضـعضع جيش المسـلمين، فضرب علي رأسه، فوقع ميّتاً، فأخذ اللواء زيد بن حارثة الكلبّي مولي رسول الله(صلي الله عليه واله)، الأمير الثاني لهذا الجيش.

واحتذي حذو الطيّار ابن أخيه أبو الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)، كما سنذكر.

حماية اللواء الأعظم:

لابـدّ لقائـد القوّات المقـدّم وزعيم الجيش وعميـد العسـكر أن ينتخب من أبطـال الجيش المجرّبين وفرسانه المعروفين بالنجـدة والبسالـة، والمشهود لهم بالشجاعة والفروسيّة، فيؤلّف منهم كتيبة تكون حامية اللواء الأعظم، وردءاً لصاحب العلم الأكبر.

وقد كانت في صفّين كتيبتان:

أحدهما: لأهل الشام تسميّ ((الخضريّة))، لأنّ علامتها الخضرة.

وثانيهما: لأهل العراق تسمّي ((رجراجة))، لارتجاجها بالسلاح.

وكلّ واحد من الكتيبتين مؤلّفة من عدد كبير من الأبطال المشتهرين بالفروسيّة، قيل: إنّ كلّ واحدة منهما عشرة آلاف دراع أعدّتا لحماية

اللواء والمكافحة عن العلم الأعظم.

فيجب علي زعيم كـلّ جيش وقائـد كـلّ عسـكر أن يتخيّر نخبـة أبطاله، وينتخب كلّ جريء مجرّب يؤلّف منهم حاميـة للعلم وحرساً للوائه يرصده ويراقبه، ليذبّ

عنه من قصده من الأعداء، فإنّ العدوّ يعلم أنّه متي سـقط اللواء اختلّ نظام الجيش، وتبدّد جمعه، وذهب جنده شـتاتاً، فلذلك تقصد حامية الأعداء مركز صاحب اللواء، فإذا كان لذلك اللواء حامية كافحت عنه وصدّت هجمات عدوّها، فحافظ حامل لواءها علي مركزه مستقرّاً ثابتاً، وإذا لـم تكن له حاميـة، فربّمـا قتل فاختلّ النظام، وإذا كانت الحاميـة يأخـذه بعضـهم إن قتل، وأكثر ما تكون حاميـة اللواء من شـجعان قوم حامله، لأنّ اللواء مجد وفخار ومكرمة لحامله وقومه، ولو سقنا الحكايات طال بنا المقام.

واللواء يرفع أمام الجيش فلا يتقـدّم الجيش في الزحف حتّي يتقـدّم اللواء، وكـذلك رايـة القبيلـة فإنّهم يطوفون بها ويقفون عندها فإذا وقفت وقفوا وإذا سارت ساروا تبعاً لها، فحامل اللواء هو بمنزلة القطب للرحي.

وكانوا يعقـدون الألوية والرايات بالرماح، ولذلك يقول مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السـلام) يوم البصـرة لولده محمّد بن الحنفيّة:

إطعن بها طعن أبيك تحمد

لا خير في الحرب إذا لـم توقد

بالمشرفّي والقنا المسدّد

وكانوا يختارون الرمح الليّن ذا الاهتزاز والتأوّد، ذكر أهل السير أنّ أمير المؤمنين عليّا(عليه السلام) لمّا دفع لواءه الأعظم للمرقال يوم صفّين دعي برمح ليشدّه به، فأتي برمح فهزّه فانكسر، فأُتي بآخر فوجده جاسياً فألقاه، فأُتي بثالث فوجده ليّنا فعقد فيه لواءه.

ألوية الحسين(عليه السلام) ورایاته في حربه

وهي التي استشهد فيها في كربلاء، تلك الفاجعة العظمي والوقعة الكبري التي

بقيت ذكراهـا علي ممرّ الأحقـاب، فقـد كان(عليه السـلام) منـذ خروجه من الحجاز عقـد لواء ودفعه إلي أخيه الفضل العبّاس الأكبر(عليه السلام)، ذلك البطل العلويّ العظيم، فحمله بين يديه إلي حين التحام تلك الحرب التي جلبت لأُمية خزي الأبد، وجرّت إليها شؤم الدهر، فهاجم قوّات الأعـداء المحدقة بهم مراراً عديدة، واسـتنقذ بعض أنصارهم الذين طوّقهم الأعداء، وكان أبو الفضل(عليه السـلام) لا يقف في حملته دون أن ينتهي إلي مركز عميد عسـكر الأعداء، ليرعب بتلك الهجمات قلوب أُمراء القوّات المعادية، ويذكّرهم بالشجاعة العلويّة التي لم تغب عنهم ذكراها أيّام كافحوا معه أهل الجمل وصفّين.

لك موقف بالطفّ أنسي أهله

حرب العراق بملتقي صفّين

فلم يزل أبو الفضل العبّاس(عليه السـلام) علي شدّة الخطر مبتهجاً مرتاحاً، ووجوه الأعداء كالحة مقطبة، لحراجة الموقف وفظاعة المعترك، يعدو

رافلاً بالحديد مغيراً علي جواده المحلّق كنسر الجوّ منقضّاً علي حرس الشرائع وتلك القوّات المتكدّسة علي ضفافها، فيصدم تلك الحامية، ويشقّ صفوفها المتراصّة، ويخترق خطوطها المحصنة، وينزل بعد امتلاك المشرعة إلي الماء، فيملأ السقاء لعطاشي آل الرسول(صلي الله عليه واله).

وعقد الحسين(عليه السلام) رايتين، دفع أحدهما لقائد الجبهة اليمني زهير بن القين البجليّ، والأُخري لقائد الجبهة اليسري حبيب بن مظاهر الأسديّ.

وفي رواية المرنديّ: إنّ الحسين(عليه السلام) عقد رايات كثيرة.

وقد أكثر الشعراء في مراثيه(عليه السلام) من ذكر اللواء، كقول بعضهم عن لسان الحسين(عليه السلام):

لمن اللوي أُعطي ومن هو جامعشملي وفي ظنك الزحام يقيني

من ألقاب العباس(عليه السلام)

من ألقاب العبّاس(عليه السلام): العميد والسفير، وهما من الألقاب المشهورة، وسيأتي ذكرهما إن شاء الله.

***

ص: 230

ومن ألقاب العبّاس الأكبر(عليه السلام) ما هو دون ما تقدّم في الشهرة، منها: الصابر، والمحتسب، والمواسي، والطيار.

أمّا الصبر والاحتساب، فأمر ظاهر، فإنّه(عليه السلام) صبر علي الظمأ وحدود السلاح، واحتسب نفسه العزيزة، ونفوس إخوته الأشقّاء، وأولاده الأعزّاء في ذات الله، ففدي بنفسه وبهم أخاه الإمام(عليه السلام)، واحتسب جميع ما أصابه في ذات الله.

وأمّا المواساة فسنذكرها في صفاته، وجميع هذه الخصال جاء مدحه بها عن لسان أئمّة أهل البيت: في زيارته وغيرها.

الطيار

وسرّ هذا اللقب أنّ أبا الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين عليّ(عليهما السلام) لمّا قطعت يداه المباركتان علي اللواء يوم كربلاء جعل الله – تعالي – له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لعمّه جعفر بن أبي طالب(عليهما السلام)، وهذا نصّ صحيح ورد عن الإمام زين العابدين(عليه السلام).

روي الصدوق القمّي في كتاب الأمالي بالإسناد إلي ثابت بن أبي صفيّة – يعني أبا حمزة الثمالي – قال:

نظر عليّ بن الحسين(عليهما السلام) إلي عبيد الله بن العبّاس(عليه السلام)، فاستعبر، ثمّ قال: ما من يوم أشدّ علي رسول الله(صلي الله عليه واله) من يوم قتل فيه عمّه حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب، ولا يوم كيوم الحسين(عليه السلام) ازدلف إليه فيه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة، كلّ يتقرّب إلي الله بدمه، وهو يذكّرهم بالله فلا يتّعظون حتّي قتلوه بغياً وظلماً.

ثم قال:

رحم الله عمّي العبّاس فلقد آثر وأبلي وفدي أخاه بنفسه حتّي قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب(عليهما السلام)، وإنّ للعبّاس عند الله منزلة يبغطه به جميع الشهداء يوم القيامة..

قال الشيخ المظفر يذكر لقب الطيّار:

طارت جماهير العدوّ مروعة

من خوف بأسك أيّها الطيّار

وكشفت حرّاس الشريعة فاتكاً

بالملحدين كأنّك الكرّار

فملكتها رغم الأعادي عنوة

بالسيف عزمك جحفل جرّار

وملأت من عذب الروي ذاك السقا

والقلب فيه من الأوام أوار

ما ذقت من ذاك المعين تذكّراً

عطشي الحسين ويهنّك الإيثار

إنّ الحسين أذاب مهجته الظما

فعلاك حين ذكرته استعبار

ناديت هوني بعد سبط محمّد

يا نفس إنّي المؤثر الصبّار

يسقيك إذ واسيته من حوضه

يوم القيامة جدّه المختار

ص: 232

أقبلت تركض بالسقا مبادراً

خيم الحسين وما أفاد بدار

قطعت يداك وشقّ بالسهم السقا

والخيل كردسها لك الأشرار

فوقفت بين جموعم لا يمنة

بقيت تقيك ولم تعنك يسار

فقد الحسين بك الحميّة والوفا

وأخاً تحاذر باسمه الأقدار

قد كنت تحمل في الجلاد لوائه

ولك الفخار علامة وشعار

ألقاب العبّاس(عليه السلام) في الموروث الشعبي

للعبّاس الأكبر(عليه السلام) ألقاب في الموروث الشعبي، وهي كثيرة جدّاً مشتقّة من صفاته وأفعاله، كما كان القدماء يشتقّون اللقب من صفات الملقّب به، منها:

المتستعجل

يعنون إنّه(عليه السلام) يسرع في قضاء حوائج الراغبين إليه المتوسّلين به وبأهله الكرام إلي الله الذين هم من أعظم الوسائل عنده، وأجلّ الذرائع لديه، وهذه صحيحة ومشاهدة يعضدها الوجدان، والتجربة برهان، فإنّه(عليه السلام) ما توسّل به متوسّل إلي الله – تعالي – ولا استشفع فيه متشفّع مع خلوص نيّة وصحّة عقيدة ويقين صادق وإخلاص ثابت إلاّ وقضي الله حاجته عاجلاً، ويسّرها وسهّلها سريعا.

ص: 233

المضهضب

وضهضبت النار في اللهجة الشعبية اشتدّ لهبها، وعظم استعارها بالوقود، يعنون إنّه(عليه السلام) شديد البطش، سريع الفتك بالمعتدين والمتجرّئين عليه، فإنّ الحالف فيه كاذباً، والمجترء بأكل نذره أو حجده، أو جعل له شرطاً ولم يف به، وما شاكل ذلك، فإنّه ينكب سريعاً من دون إمهال، ويبطش به البطش العاجل، وذلك مشاهد محسوس تعرفه العامّة والخاصّة.

أبو الشارة

وهذا لقب وليس كنية - كما يظنّ - لأنّه بدء ب-((أب))، فإنّ ((أب)) هنا بمعني صاحب الشارة، وهذه الشارة، وهي نوع من كراماته الكثيرة المشهورة، والتي لا شكّ فيها ولا ارتياب ولا خفاء فيها، لأنّه قد اشترك الجميع في العلم بها.

ومعني الشارة: هو أن يصيب الحالف كذباً أو المعتدي بأيّ نوع كان نكبة إمّا موت أو حرق أو غرق أو مرض مزمن، وما شاكل هذا، وقد قصف الله أعمار من حلفوا به كذباً، أو منعوا تأدية حقوقه، أو تجاسروا عليه عتوّاً وتكبّراً، وجميع هذه من الأُمور المتسالم عليها عند عموم الشيعة، وتواترت أخبارها لديهم يتناقلها الخلف عن السلف، وينقلها الحاضر للغائب، ولم تخصّ الشعية بمشاهدة تلك الكرامات الباهرة، بل شاهدها غيرهم وكتمها عناداً بعضهم وإنحرافاً

ص: 234

بعضهم.

قال الشيخ المظفر :

لقد شاهدت رهان سيّد رسلها

بمكّة لم يخصص بذلك عارف

ولمّا اغتدي كالشمس دانت طوائف

ومالت عن التصديق فيه طوائف

كذلك برهان ابن حيدر ظاهر

جليّ ولكن مال عنه المخالف

أبو راس الحار

وهو لقب أيضاً لا كنية، ومعناه عندهم سرعة غضبه في ذات الله، وعدم سماحه للجائر، وعدم عفوه عن المجرم مهما كان، وسرعة إجابته لمن توجّه له بحاجة أو نخاه نخوة.

الترهب ببيانه

يعني ((أبوابه))، ويعنون أنّ أبواب حضرته الشريفة ومرقده المقدّس مخوفة مرهوبة، لكثرة ما بان منه(عليه السلام) من الكرامات المسمّاة ب-((الشارة)) حتّي أنّ الداخل إلي حضرته المقدّسة يمتلئ رعباً وهيبة له، وذلك لكثرة ما شاهدوا علي أبوابها من أُناس تجاسروا عليه بحلف أو سرقة أو إقدام بغير احترام، فجعلهم آية ونكالاً فسبّب ذلك في صدورهم هيبة ورهبة، وغرضهم التعبير عمّا يفهمه العلماء العارفون من أنّ لوليّ الله هيبة تمتلئ منها صدور الناس.

ص: 235

باب الحوائج وقاضي الحاجات

لعلّ هذا اللقب قديم للعبّاس(عليه السلام) والغرض من ذلك قضاء الحاجات لمن توسّل به واستشفع إلي الله فيه، وهذا أيضاً مجرّب.

قال الشيخ المظفر : لقد حدّثني من يوثق به ويعتمد علي قوله من المجاورين لسيّدنا العبّاس(عليه السلام): إنّ إمرأة جميلة بديعة الحسن كانت تطوف بقبر أبي الفضل العبّاس(عليه السلام)، فرآها شابّ يطوف بقبره أيضاً، فأعجبته فلم يتمالك دون أن لمسها بيده، فدعت عليه، فشلّت يده، ودعا الله بجاه العبّاس(عليه السلام) أن يزوّجه إيّاها، وبعد مدّة تزوّج إمرأة، وهو لا يعرف تلك الامرأة.

فلمّا آنست به سألته عن سبب شلله، فأخبرها بالقصّة، قالت له: ياهذا! وأنت قد قضي الله حاجتك، إنّها هي الامرأة التي دعت عليك في ساعة كذا في وقت كذا بعلامة كذا، فعرف القصّة، وحمد الله علي ذلك.

المصفّي (بالياء المنقّطة)

وهو من التصفية، ومعناه عندهم حسم الخصومة بين المتشاجرين إذا انتهت إليه، فإنّ المتّهم الذي يصرّ علي المناكرة والحجود إذا أُريد منه الحلف بحضرة سيّدنا العبّاس(عليه السلام) لا يحلف خوفاً، ولابدّ له من الاعتراف، فتنتهي الخصومة، وإذا حلف علموا أنّه بريء ممّا قرف به،

فتنحسم مادّة النزاع والتشاجر علي الحالين جميعاً، وهذا معني قولهم المصفّي .

أبو فرجة

لقب لاـ كنيـة، وهـم لاـ يقصـدون أنّ له بنتاً تسـمّي فرجـة إنّما يقصـدون أنّه يقصـدون أنّه يفرّج الكرب عن القاصـد إليه والمسـتجير بجانبه والمتوسّل إلي الله بجاهه

وجاه أهل بيته الكرام والألقاب في الموروث الشعبي كثيرة يكفي هذا المقدار منها.

قال الشيخ المظفر :

ليست كرامته تخفي علي أحد

إلاّ علي حاسد في غيّه سبحا

أم كيف تخفي وأدناها إذا ظهرت

من شبل حيدر مثل الشمس زاد ضحي

بعض الكرامات كنّا شاهدين لها

وبعضه شاهدتها سائر الصلحا

يا أيّها الناس إنّ الواثقين بهم

فازوا وخاب الذي عن حبّهم جمحا

فكم جلي الله عنّا في محبّتهم

كرباً وذنباً عفي عنّا بهم ومحي

فلازموا حبّهم تنجو بحبّهموا

يوم القيامة وأعصوا من جفي ولحي

فالشاهرون عليهم سيف بغيهموا

خابوا ومبغض آل الله ما ربحا

لأنّهم حجّة الباري وخيرته

أهل التقي وخير الأُمّة الصلحا

إلعن يزيد وثني ابن الدعيّ ولا

تنسي ابن سعد من اللعنات مصطبحا

ص: 237

القاطعين يد العبّاس سيّدنا

والقاتلين حسيناً سيّد الصلحا

من لو يوازن بالدنيا وساكنها

مكارماً ومزايا خيرة رجحا

ص: 238

صفات العبّاس الأكبر(عليه السلام)

الصفات قسمان: خَلقيّة وخُلقيّة، فالأُولي صفات البدن نحو الجمال، وطول القامة، وطول العنق، وتناسب الأعضاء، وما شاكل ذلك.

والثانية صفات النفس نحو الكرم، والشجاعة، والعلم، والحلم، وماشابه ذلك.

الصفات البدنيّة للعبّاس(عليه السلام)

كان سيّدنا العبّاس بن علي(عليهما السلام) من أحسن الناس خلقة وشكلاً وأتمّهم بدناً ومحاسناً، ويعدّ من رجال بني هاشم المتميّزين بصفاتهم الجسمانية من الجسامة، وطول القامة، والجمال الباهر، وقد وصفه بعض المؤرّخين، وهو أبو الفرج الأصبهانيّ فقال:

ص: 239

كان جسيماً وسيماً يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان في الأرض.

أثر الضخامة في إرهاب العدو ومدح البسطة الجسمّية:

لا شكّ أنّ للضـخامة تأثيراً في إرهاب العدوّ وإرغامه، وكلّما كان البطل جسيماً ضخماً طوالاً كان في الصدور أهيب، وللأعداء أرهب، وكان في البطولة مقدّماً، لأنّ البطولة تكسو الرجال مهابة، فيصبح لدي أعدائه مهيباً مرهوباً.

ولم يزل وصف البطولة عند العرب القدماء فخراً لكماتها الممتازين وفرسانها المشـهورين، لأنّ البطولة في الشـخص تشـتمل علي أنواع من إرهاب الأعداء نحو الشجاعة وشدّة البأس والبطش والجرأة والإقدام والقوّة.

والضـخامة البدنيّـة ممدوحـة، وبالأخصّ طول القامة، وقد امتنّ الله – تعالي – علي عبيده عاد حيث خلقهم ضـخام الأبدان طوال القامات بقوله: ((وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً))، وقوله – تعـالي – توبيخـاً لبني إسـرائيل علي امتناعهم من طاعـة طالوت لمّا ملّكه عليهم بقوله تعالي: ((وَزَادَهُ بَسْطَةً فَي الْعِلْم وَالْجسْمِ)).

وقد قال مولانا سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) في أحد

أصحابه، وهو عبد الله بن عمير الكلبيّ، وقد رآه طويلاً جسيماً: أحسبه للأقران قتّالاً.

قال الطبري في تاريخه:

خرج يسار مولي زياد بن أبيه وسالم مولي عبيد الله بن زياد، فقالا: فليخرج إلينا بعضكم، فوثب حبيب بني مظاهر وبرير بن حضير، فقال لهما الحسين(عليه السلام): اجلسا.

فقام عبد الله بن عمير الكلبي، فقال: أبا عبد الله، رحمك الله، ائذن لي لأخرج إليهما، فرآه الحسين(عليه السلام) رجلاً آدماً طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال الحسين(عليه السلام): إنّي أحسبه للأقران قتّالاً، أُخرج إذا، فخرج إليهما، فقالا: من أنت؟ فانتسب لهما، إلي آخره . . .

فلضخامة الجسم وطول القامة أثر مهمّ في إرهاب الأعداء وإخافة الخصم.

ولم تزل العرب في قديمها وحديثها تعدّ الطول مفتخراً لها، وتقدّم الطوال في الحروب تهويلاً علي الأعداء، وأشعارها وأخبارها ناطقة، وهي كثير لا تضبط في هذه العالجة.

قال الشاعر:

طويل نجاد السيف ليس بحبتر

إذا اهتزّ واسترخت عليه الحمائل

وطول حمائل السيف كناية عن طول القامة

وقال توبة بن مضرس السعديّ:

ولمّا التقي الصفّان واختلف القنا

نهالاً وأسباب المنايا نهالها

تبيّن لي أنّ القمامة ذلّة

وأنّ أشدّاء الرجال طوالها

القمامة القصر في القمامة.

وقال جرير الخطفيّ:

تعالوا ففاتونا ففي الحكم مقنع

إلي الغرّ من أهل البطاح الأكارم

فإنّي لأرضي عبد شمس وما قضت

وأرض الطوال البيض من آل هاشم

امتداد القامة في قبيلة بني هاشم

قد اشـتهرت قبيلة بني هاشم بن عبد مناف بضـخامة الأجسام وطول القامات مع الوسامة وحسن البيان، وبنو هاشم أشهر وأذكر وأفخر وأميز بجميع خصال الحمد من جميع القبائل.

قال الحلبي الشافعي في سيرته في حديث مولد النبي(صلي الله عليه واله): روي عن أُمّه(صلي الله عليه واله)أنّها قالت:

لمّا أخـذني ما يأخـذ النساء – أي عنـد الولادة – وإنّي لوحيـدة في المنزل رأيت نسوة كالنخل طولاً، كأنّهنّ من بنات عبـد المطّلب ما رأيت أضواء منهنّ وجوهاً، وكأنّ واحدة من النساء تقدّمت إليّ فاسـتندت إليها، وأخذني المخاض، واشـتدّ عليّ الطلق، وكأنّ واحدة منهنّ تقدّمت إليّ، وناولتني شـربة من الماء أشدّ بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلي من الشهد، فقالت لي: اشربي، فشربت، ثمّ قالت الثالثة: ازدادي، ثمّ مسحت بيدها علي بطني، وقالت: بسم الله أُخرج بإذن الله، فقلن لي: نحن آسية أمرأة فرعون، ومريم بنت عمران(1) . ..

وهذا يفيد أنّ بنات عبد المطّلب كنّ متميّزات علي غيرهنّ من النساء في إفراط الطول.

وكان عليّ بن عبـد الله بن عبّاس مفرطاً في الطول فكان إذا طاف كأنّ الناس حوله مشاة وهو راكب، وكان مع هـذا الطول إلي منكب أبيه عبد الله بن عبّاس،

وعبد الله إلي منكب أبيه العبّاس، وكان العبّاس إلي منكب أبيه عبد المطلب(2)، كذا قال المبرد في الكامل(3).

الطوال من بني هاشم:

1- السيرة الحلبيّة 1/72 .

2- السيرة الحلبيّة : 1/73 .

3- الكامل للمبرّد : 1/66 .

قال ابن قتيبة في المعارف(1): العبّاس بن عبد المطّلب كان يمشي في الطواف كأنّه عمارية علي ناقة، والناس كلّهم دونه، وكان عليّ بن عبد الله بن العبّاس طويلاً جميلاً.

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله بطلاً جسيماً طوالاً.

وكـان عقيل بن أبي طالب رجل طويل القامـة مفرطاً في الطوال، قال أبو الحجّاج البلوي الشافعي في كتاب ألف با: كان عقيل بن أبي طالب طوالاً، وكان أحد العشرة الذين طولهم عشرة أشبار.

وكان ثوب أمير المؤمنين(عليه السلام) عشرة أشبار.

والعرب تكني عن طويل القامة ب-((رفيع العماد)) و((طويل النجاد)).

قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعينيّ جوادا ولا تجمدا

ألا تبكيان لصخر الندي

طويل النجاد رفيع العماد

وساد عشيرته أمردا

قال المبّرد في الكامل: تريد بطول نجاده طوله قامته، وهذا ممّا يمدح به الشريف.

وطول العنق في الرجل ممدوح عند العرب، وكذلك طول الساعد، لأنّه إذا طال وصل إلي الأعداء.

قال الشمردل بن شريك اليربوعيّ:

1- المعارف لابن قتيبة : 256 .

يشبّهون ملوكاً في نجالتهم

وطول أنضية الأعناق واللمم

إذا بدي المسك يندي في مفارقهم

راحوا كأنّهم مرضي من الكرم

قال المبرد في الكامل(1): ((طوال أنضية الأعناق))، النضو مركّب النصل في السنخ، وضربه مثلاً، وإنّما أراد طوال الأعناق.

وقال معوّذ بن بشر المازنيّ في طول الأذرع والسواعد:

لهم أوجه بيض حسان وأذرع

طيال ومن سيما الملوك نجائر

قال قيس بن ثعلبة البكريّ:

دعوت بني قيس إليّ فشمّت

خناذيذ من سعد طوال السواعد

إذا ما قلوب القوم طارت مخافة

من الموت أرسو بالنفوس المواجد

إذا جمحت حرب بهم جمحوا لها

ولم يقصروا دون المدي المتباعد

البطولة واجتماع خصالها في العبّاس الأكبر(عليه السلام)

اجتمعت الصفات الأربعة، وهي: الشجاعة، وطول القامة، وطول الساعد، والجسامة في العبّاس الأكبر بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام)، وهذه هي البطولة، فليس البطل عند العرب إلاّ الشجاع الجريء الطويل القامة الضخم الجسم الشديد العضد الطويل الساعد.

وهي عند الشعوب الحرّة والأُمم المتمدّنة صفة جمع لعامّة الكمالات،

1- الكامل : 1/44 .

فهم لا ـ يصفون بها إلاّ من تمّت محاسنة، وكملت مزاياه وصفاته النفسيّة والبدنيّة، فلا يطلقون لفظ ((البطل)) إلاّ علي من لا نظير له في قطره، ولا مثيل له في شعبه، ولذلك ينعتون الملوك والدعاة الكبار والمصلحين والمبشّرين من الأنبياء وغيرهم، ورجال الأُمّة المبرّزين الممتازين علي غيرهم بالبطولة.

فإذا كانت البطولة عنوان المحاسن ومجمع الكمالات، فلا ـ شكّ ولا ارتياب أنّ أبا الفضل العبّاس الأكبر بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: قد تكاملت فيه صفات المكارم، واجتمعت له مزايا الكمال، وحاز جلّ الفضائل الموجبة للتنويه والإطراء له مدحاً وتقريظاً، لأنّه كما ستعرف كان شجاعاً شديد البأس ذا نجدة عظيمة وثبات مدهش، وكان عالماً فقيهاً حكميّاً، وخطيباً بليغاً وشاعراً فصيحاً، ووفيّاً أبيّاً، وكريماً جواداً، صاحب مواساة وإيثار، وكان ورعاً زاهداً عابداً.

وقد وصفه أبو الفرج الأصبهاني في كتاب مقاتل الطالبيّين بقوله:

كان العبّاس بن عليّ رجلاً وسيماً جسيماً يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان في الأرض، وكان يسمّي قمر بني هاشم، ويلقّب السقّا، ويسمّيه أهل النسب أبا قربة ...

وقد جمعت هذه الفقرات من صفات أبي الفضل(عليه السلام) الوسامة، وهي عبارة عن بداعة الشكل والمنظر، ويعبّر عنها بالملاحة، وحسن الملامح، ولطافة الشكل، وقمر بني هاشم نعت له بالجمال الذي هو أصل

الوسامة، لأنّ الوسامة رونق الجمال تبرزه الملامح، وتظهره الشمائل.

وأثبت له نوراً من حيث أنّه قمر هذه القبيلة الممتازة بحسنها وجمالها، وطول القامة بقوله: رجلاه تخطّان الأرض، والجسامة، وهو عبارة عن كونه ممتلئ الأعضاء والبدن، والبطولة، وهو كذلك، فإنّه بطل العلقميّ، وقد قال الأسديّون الذين شاركوا في دفن الشهداء: للإمام زين العابدين(عليه السلام): بقي بطل علي المسنّاة، وقد قال الأُزري :

بطل أطلّ علي العراق مجلّياً

فأعصوصبت فرقاً تمور شامها

والحلّي في تأبينه:

بطل تورّث من أبيه شجاعة

فيها أُنوف بني الضلالة ترغم

حسنه وجماله(عليه السلام)

ومن صفات العبّاس بن أمير المؤمنين الحسن والجمال، لأنّه قمر بني هاشم، وقد كساه الله – تعالي – ثوب الجمال، وردّاه برداء الحسن البديع، وذاك ممّا يزيده فضلاً، ويكسبه مجداً، حيث أنّ الجمال رداء الله الذي ألبسه لأنبياءه، وامتنّ به علي أهل الخير والصلاح، وكما كساه الله الأتقياء البررة فقد سربل به الأشراف العظماء.

إنّ العرب لتمدح بالحسن وصباحة الوجه ساداتها وزعماءها، وقد

حدّثنا التاريخ بقصص كثيرة تؤكّد ذلك.

وقد قرّر علماء الطبيعة أنّ خير الألوان وأفضلها أعدلها، هو البياض إذا أُشرب بحمرة، وعلاه نور وإشراق، قال الشاعر:

هجان عليها حمرة في بياضها

تروق لها العينان والحسن أحمر

وكلّما علت الوجه لمعات إشراق وتلألؤ وأسارير إضاءة وأنوار كان أجمل وأكمل.

وذلك لون وجه أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)، وهو أيضاً لون الأنبياء:، ولون سيّد الرسل وخاتم الأنبياء محمّد(صلي الله عليه واله) وأهل بيته الهداة، فإنّ نبيّنا محمّد(صلي الله عليه واله) – ولا نظير له في العالم كلّه – كان(صلي الله عليه واله) عظيم النور يهتدي إليه الناس في الظلماء بنور جبينه، وابنته سيّدة النساء فاطمة الزهراء(عليها السلام) يجتمعن النساء فيغزلن علي إشراق وجهها وتلألؤ غرّتها، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين : كان يستدير النور علي جباههم استدارة الهالة علي البدر، فصباحة الوجه من دلائل الفضل وإمارات الخير.

قال الشاعر:

لقد قال الرسول مقال صدق

وخير القول ما قال الرسول

إذا الحاجات فرّت فأطلبوها

إلي من وجهه حسن جميل

وهو عقد لقوله(صلي الله عليه واله): ((أُطلبوا الخير عند حسان الوجوه)).

أنواع الجمال:

الجمال نوعان: نوع يدرك بالبصر، كإشراق الوجه واحمراره، وملاحة العينين، وأمثال ذلك، فهو الحسن والصباحة.

ونوع يـدرك بالفكر، ممّا تظهره الملامح والهيئة من تناسب الأعضاء في الشـكل، وحسن التخطيط وإبداع الخلقة، وإتقان الصورة من حيث التركيب البديع وظرافة الأعطاف، وقد اختلفوا، فمن قائل: إنّ الحسن هو النوع الأوّل، والجمال هو النوع الثاني، ومنهم من يقول بالعكس.

وفي المزهر للسيوطي(1): قال الثعالبي في فقه اللّغة: عن ثعلب عن بن الأعرابي:

الصـباحة في الوجه، والوضاءة في البشـرة، والجمال في الأنف، والملاحـة في الفم، والحلاوة في العينين، والظرف في اللسان، والرشاقـة في القدّ، واللباقة في الشمائل، وكمال الحسن في الشعر.

وحيث أنّ الحسن والجمال من خيرات الله وفواضـله التي أفاضـها علي عباده، ومن نعمه التي أسداها إلي خلقه، فهو يحبّ من ظهرت عليه تلك النعمة إذا قام بواجب شـكرها في تأدية ما افترض عليه من فرائضه وسننه، وإذا لم يقم بذلك الواجب وقابله بجحود النعمة والكفران لزمه ما لزم كافري النعم من المقت والبغض لهم.

1- المزهر : 1/263 .

وليس غرضنا بيان معني الجمال وحقيقته علي الدقّة الحكميّة، بل يكفي معرفته بهذا الأسلوب، وأنّه من نعم الله – تعالي – علي العباد، وأنّه من صفات الأنبياء، وأنّه ممدوح عند الأمم، ويعدّ في مكارم أشرافهم وساداتهم، أمّا حسن نبيّ الله يوسف(عليه السلام)، فقد كفانا القرآن الكريم نعته، وأمّا نبيّنا محمّد(صلي الله عليه واله) فقد اتّفق الفريقان علي أنّه أجمل البشر، وتعدادهم في المقام ونقل أقوالهم يوجب تطويلاً.

جمال أبي الفضل العبّاس(عليه السلام):

فأبو الفضل العبّاس الأكبر بن أمير المؤمنين(عليه السلام) ممّن وسمهم الله بميسم الجمال والوسامة، وكساهم أردية الحسن كرامة منه، لأنّهم أهل الكرامة، وهذا أمر لا نحتاج إلي إثباته بأكثر ممّا ذكرنا، وقد سمعت ما قاله أبو الفرج وكذلك غيره، فكونه يلقّب بقمر بني هاشم أمر معروف عند المؤرّخين، وحسبك بمن يكون قمر هذه العشيرة الفائقة علي عامّة البشر بجمالها الباهر وحسنها الزاهر، وقد أكثر الشعراء من نعته بالجمال في مراثيه الكثيرة، وأوّل من فتح لهم هذا الباب سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين(عليه السلام)، ففي أسرار الشهادة للفاضل الدربندي : قال فيه الحسين(عليه السلام) لمّا وقف عليه:

أيا ابن أبي نصحت أخاك حتّي

سقاك الله كأساً من رحيق

ويا قمر منيراً كنت عوني

علي كلّ النوائب في المضيق

وقال الأُزري :

الله أكبر أيّ بدر خرّ من

أُفق الهداية فاستشاط ظلامها

وقال السيّد جعفر الحلّي ، وهو يخبر أنّ الحسين(عليه السلام) مشي إليه حين سقط:

فمشي لمصرعه الحسين وطرفه

بين النساء وبينه متقسّم

إلفاه محجوب الجمال كأنّه

بدر بمنحطم الوشيج ملثّم

وقال الشيخ المظفر :

قمر العشيرة ليثها مقدامها

قنّاص أسد الخميس في الأخياس

***

حيث قد عرفت بعض صفات العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) البدنيّة، وهي الجسامة، والوسامة، وامتداد القامة، وطول العنق والساعدين مع عبالتهما، فنعرّفك الآن بعض صفاته النفسيّة، وأخلاقه الحميدة ومزاياه الكريمة.

وقد اتفق الواصفون لأبي الفضل العباس علي نقل سمتين جميلتين في وجهه الجميل:

أحدهما: علامة السجود في وجهه، فقال من رآه حيّاً وشاهد رأسه علي الرمح: ((وكان بين عينيه سجّادة)).

والسمة الثانية: البسمة التي ما فارقت محيّاه حتّي حينما رفع رأسه علي عالي السنان، كما وصفه الواصفون.

صفات العبّاس الأخلاقية

صفات العباس(عليه السلام) النفسية وهي الأخلاق

إنّ الـذات القائمة بصـفاتها الرائقة شـمائلها، ومزايا ذات العباس الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ليعيا البليغ الحاذق عن تحديد أخلاقها وصـفاتها، لأنّ الصـفات التي ضمنها هيكله القدسي، واحتوي عليها قالبه المصفّي عن عامّة النقائص، لأنّها قد اقتطعت من هيكل العصـمة الأقـدس، وقالب الإمامة الأزهر الذي صـفّاه الله في قالب الأنوار القدسـيّة، وبوتقة الأسـرار العلوية، والغصن لا شكّ يسـتمدّ من الدوحة، والفرع يحكي الأصل ويغتذي منه.

فعلي وصـيّ الرسول الأعظم وسـيّد أوصـياء الأنبياء أدهش العقلاء في صفاته ومزاياه، وحيّر ألباب المفكّرين في حالاته، فتهات فيه طوائف، وضـلّت عنه آخرون، واعتـدل فيه فريق بين الإفراط والتفريط، وهما النصب والمغالاة، فالمعتـدلون المقتصدون في نعت حقيقته وتوصـيف ذاته وتحديد شخصيته بما لها من مزايا الكمالات ليقفون موقف القصور والعجز، فلذا قال فيه الشاعر:

ماذا أقول بمن حطّت له قدم

في موضع وضع الرحمن يمناه

إن قلت ذا بشر فالعقل يمنعني

واختشي الله من قولي هو الله

وأبو الفضل العباس الأكبر(عليه السلام) وراث تلك الشمائل العلوي، وحائز

جلّ تلك الصفات الحيدريّة، فالبطولة والفصاحة والعلم والسخاء والنجدة والمهابة والصلاح والتقوي والزهد والبصيرة وقوّة الإيمان والجمال والصحابة والقوة والذكاء، وما سيمرّ عليك من نعوت فائقة لخلقه وخلقته.

قال الشيخ المظفر :

لقد جمع العباس كلّ فضيلة

تزان بها عرب المقاول والعجم

وآل علي المرتضي خيرة الوري

لهم حكمة التبليغ للحقّ والحكم

سما بمعاليه أبو الفضل واعتلا

ألا كلّ من يحوي صفات العلي يسمو

له الجود والإقدام والحلم والتُقي

وقد زانه الإيمان والحكم والعلم

***

فالعباس الأكبر بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) جامعة الفضائل، وكلّية الكمالات، بما أنّ نفسه الهاشمية منطبعة بمكارم الأخلاق والشيم بحسب فطرتها، وأصل خلقتها، ولا يشركهم - يعني بني هاشم - في هذه الفضيلة أحد من الناس، وقد أوضح لنا هذه الحقيقة سيّدنا وإمامنا السجاد زين العابدين بن الحسين(عليهما السلام) بقوله بخطبته المشهورة في مجلس اللعين يزيد بن معاوية:

أيّها الناس! أُعطينا ستّاً وفُضلنا بسبع ...

والدلالة عليه أيضاً وجدانية وشاهدها معها، إذ لا يوجد في الهاشميين بخيل ولا جبان ولا عيي، وإن وجد فالعلّة من جهة الأمّهات.

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام): نحن أفصح وأسمح وأحمي لما وراء ظهورنا من بني أميّة.

وقال معاوية بن أبي سفيان – الخصم الألدّ لبني هاشم –: إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه أصله.

فالعباس الشهيد(عليه السلام) من لباب بني هشام، وصميم عبد مناف، وقد زاده فضلاً علي فضله صحبته لأهل الفضائل، وخدمته لسادات أرباب المكارم، فقد قضي حياته، وأفني عمره في صحبة أكرم الخلق بعد النبي(صلي الله عليه واله) شمائلاً وشيماً، وأفضلهم أخلاقاً ومزايا، وأكملهم طباعاً وسجايا، وتزداد المرآة بالجلاء صفاء، والسيف بالصقالة رونقاً، فأمير المؤمنين(عليه السلام) – وهو والده الأكرم وأبوه – سيّد أرباب الفضائل، والحسن والحسين(عليهما السلام) أخواه سيّدا شباب أهل الجنّة وخير الإخوة وأفضل الأشقّاء، وقد شهد لهما رسول الله(صلي الله عليه واله) في تشبّههما به، وهو(عليه السلام) علي خُلقٍ عظيم.

فاكتسب العباس(عليه السلام) بصحبتهم زيادة علي ما في جبلته وفطرته من سجايا الخير وشيم الصلاح ما امتاز به علي عامّة أرباب الأخلاق الحميدة والصفات الكريمة.

وفي العباس من كرم السجايا

كثير ليس يحصر في مقال

وفاء نجدة زهد وعلم

وإيثار وصدق في المقال

عفاف ظاهر حلم وجود

وبأس صادق عند النزال

لقد كان من عطف المولي – سبحانه وتعالي – علي وليّه المقدّس سلالة الخلافة الكبري سيّد الأوصياء أن جمع فيه صفات الجلالة من بأس وشجاعة وإباء ونجدة، وخلال الجمال من: سؤدد وكرم ودماثة في الخلق وعطف علي الضعيف، كلّ ذلك مع البهجة في المنظر، ووضاءة في المحيّا من ثغر باسم ووجه طلق تتموّج عليه آيات الحسن، ويطفح عليه رواء الجمال، وعلي أسرّة جبهته أنوار الإيمان، كما كانت تعبق من أعرافه فوائح المجد، متأرّجة من طيب العنصر.

ولمّا تطابق فيه الجمالات الصوري والمعنوي قيل له ((قمر بني هاشم)) حيث كان يشوء بجماله كلّ جميل، ويبذّ بطلاوة منظره كلّ أحد، حتّي كأنّه الفذّ في عالم البهاء، والوحيد في دنياه، كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم، وهذا هو حديث الرواة: كان العباس(عليه السلام) وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاه يخطّان في الأرض، ويقال له ((قمر بني هاشم)).

قال الشيخ المظفر :

أبو الفضل اقتدي في كلّ فضل

بوالده عليّ ذي المعالي

وبالسبطين من فاقا البرايا

جميعاً بالخلائق والفعال

فما مثل لوصّي طه

ولا السبطين في شرف الخصال

سوي من لا يكون له مثيل

نبيّ الله خيرة ذي الجلال

وفي العبّاس من كرم السجايا

كثير ليس يحصر في مقال

وفاء نجدة زهد وعلم

وإيثار وصدق في المقال

عفاف ظاهر حلم وجود

وبأس صادق عند النزال

نحن أجملنا الكلام في ذكر محاسن أخلاق العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)، فوجب أن نذكرها تفصيلاً لينتفع بذلك القرّاء.

كرم العبّاس الأكبر وسخاؤه

نحن لا نبرهن علي إثبات ذلك بأكثر ممّا خلّدته الآثار التاريخيّة أنّ هذه القبيلة – إعني الهاشميّة – ليس فيها غير الجواد الذي لا يجاري، والكريم الذي لا يباري.

قال الثعالبي في ثمار القلوب: كان يقال أربعة كانوا ومحال أن يكونوا: زبيريّ سخيّ، ومخزوميّ متواضع، وهاشميّ شحيح...

وقد تحرّي علماء المثالب أن يقدحوا في بني هاشم بوجود بخيل يتقرّبون بثلبه إلي قلوب بني أميّة فما وجدوا في قديمهم أحداً، بل ولا في حديثهم فرداً يجعلونه موضعاً للثلب.

فإذا استبان أنّ هذه القبيلة لا بخيل فيها سوي المنصور – عملاً بظاهر الأنساب، فبالقطع يكون العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) من الأجواد، سواء كانت الأخلاق سجايا وغرائز أو وراثة واكتساب، وذلك لأنّ السخاء والكرم سجيّة وغريزة في قومه، وسبيل ذلك واضح

فيهم، فإنّ سجايا بني هاشم الكرم، وعلي القول: أنّها مكتسبة فهي تحصل بطول الصحبة والتمرين، فتألف وتعتاد وتقوم العادة مقام الطبع، فلا شكّ أنّه(عليه السلام) قد عاشر أكرم الخلق وأجودهم: أباه عليّاً وأخويه الحسن والحسين:، وإنّما لم يشهر شهرة غيره بالكرم لعدم انفصاله عن خدمتهم، وخاصّة خدمة أخيه الحسين(عليه السلام)، حتّي في حياة أبيه وأخيه الحسن(عليه السلام)، وأنّه كان ملازماً له كالحاجب له كما سيجيء، فخفي ذكر كرمه بكرم أخوية الحسن والحسين(عليهما السلام)، والشمس تخفي أنوار

الكواكب، كما قال النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

لأنّك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبدو منهنّ كوكب

***

وبعد هذا كلّه يدلّ علي كرمه أُمور:

الأوّل: إنّه جاد بنفسه لأخيه الحسين(عليه السلام)، وقد قال أبو تمام الطائي لممدوحه:

وجاد بالنفس إذ ضنّ الجواد بها

والجود بالنفس أقصي غاية الجود

وكثيرا ما يجود الجواد بماله، وإن كان خطيراً ويبخل بنفسه، قال بعض من رثي أصحاب الحسين(عليه السلام):

جادوا بأنفسهم عن نفس سيّدهم

وقد رأوا لبثهم من بعده عارا وحريّ بمن يري اللبث بعد إمامه في الدنيا عاراً وشناراً أن يجود له بنفسه الغالية ويبذل له روحه العزيزة.

الثاني: يدلّ علي سخاء أبي الفضل بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) إيثاره العطاشي من أهله علي نفسه.

الثالث: قضاؤه الحاجات حيّاً وميّتاً كما لقّب بهذا السبب ((قاضي الحاجات)) و((باب الحوائج))، أمّا قضاؤه لها في حياته فظاهر من حيث أنّه كان منقطعاً لخدمة أخيه الحسين(عليه السلام)، وكان له كالباب والحاجب، فتقضي الحاجات علي يده، وقد ظهرت في كربلاء منه آثار مشهورة بقضاء الحاجات.

أمّا قضاؤه الحاجات بعد شهادته إلي اليوم، فحدّث ولا حرج، وسيأتي في فصل كراماته بعض الحكايا، وقد مدحه بعض الشعراء بالسخاء وقضاء الحاجات فقال:

للشوس عباس يريهم وجهه

والوفد ينظر باسماً محتاجها

باب الحوائج ما دعته مروعة

في حاجة إلاّ ويقضي حاجها

بأبي أبا الفضل الذي من فضله

السامي تعلّمت الوري منهاجها

زجّ الثري من عزمه فوق السما

حتّي علت في تربة أبراجها

قطعت يداه وطالما من كفّه

ديم السماحة أمطرت ثجّاجها(1)

وللشيخ المظفر فيه أيضاً:

أبو الفضل ذو كرم باهر

يحيّي الوفود وزوّاره

بطلق المحيّا كبدر السماء

وقد حسد البدر أنواره

1- معالي السبطين .

وما الغيث مثل ندا كفّه

علي الجدب واصل أمطاره

فما الجود غير قضا حاجة

فسل زائريه وسل جاره

إذا غبت عنه وفات العيان

يبلّغك الناس أخباره

بأنّ أبا الفضل أصل النجاح

وسائل عن الغيث آثاره

فإن تنسي هذا أتنسي السماح

بمهجته للحسين وإيثاره

وذي غاية الجود عند الكرام

فدع عنك كعباً وأخباره

ونوّه بشبل عليّ الفخار

وردّد مدي الدهر تذكاره

وما لّقب(عليه السلام) بأبي الفضل إلاّ لكونه ذا فضل ظاهر حسبما ذكرنا، ولذا قيل فيه:

أبا الفضل يامن أسّس الفضل والإبا

أبي الفضل إلاّ أن تكون له أبا

علم العبّاس الأكبر(عليه السلام) وفقهه

لا ـ أحسب أنّ أحـداً يشـكّ أو يرتاب في علم العبّاس الأكبر(عليه السـلام)، وأنّه من الفقهاء العظام، والعلماء الأعلام، لا أرتاب في قولي إنّ جاحد ذلك مجازف مغامر، بل متجاوز طور الأدب الديني معدوم الحياء.

نعم، نقول بكلّ صـراحة من غير تشـكيك ولا ارتاب: أنّه لا أحد أعرف بحقائق الأديان، ولا أعلم بنواميس الشـريعة الإسلاميّة وأحكام الدين

المقـدّس من رجل ذهبت حياته في خدمة الأئمّة سادات العلماء في أقطار الأرض، ومرجعهم في سائر الفنون، كأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخويه الحسن والحسين(عليهما السلام)، حتّي

ص: 259

أنّه(عليه السلام) لم يفارق تلك الأنوار المقدّسة لحظة واحدة، ولم يبتعد عن تلك الأبواب المحترمة خطوة، فليله ونهاره ملازم لخدمتهم ملازمة الظلّ لذي الظلّ، مع حرصهم علي تثقيف الأباعد وتعليم الغرباء، فكيف لا يثقّفون الأقارب، ولا يعلّمون الأرحام؟! ومن المعلوم أنّ بالملازمة يحصل العلم سماعاً وتعليماً...

فكيف لا يمتاز العبّاس الأكبر(عليه السلام) وهو خرّيج كلّية الحقائق وتلميذ أساتذة الحقّ وأئمة الدين ومن جعلهم الله عيبة علمه، ومخزن سرّه، ومعدن صفاته وأسراره، ومن تخرّج من تلك المدراس الروحانية، وجعل في الصفّ المقدّم من صفوف تلك الكلّيّات الراقية، فبالحريّ أن يفوز بالنجاح، وأن يحصل له الامتياز علي من عدي أساتذته العظماء، وأساتذة علماء الأُمة قاطبة، ومعلّمي علماء الإسلام عامّة الفنون.

والعبّاس الأكبر(عليه السلام) أبوه الأنزع البطين الذي قال فيه رسول الله(صلي الله عليه واله): أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وقال هو(عليه السلام) عن نفسه: هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله(صلي الله عليه واله)- يعني صدره الشريف - علّمني رسول الله(صلي الله عليه واله) ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب.

وكيف لا ـ ينخرط في سلك العلماء من هذا أبوه وأخوه الحسن والحسين(عليهما السلام)، وإنّهما أفاضا شؤبوباً واحداً من علومهما علي أخيهما محمّد الأكبر بن الحنفيّة، فأصبح من جهابذة العلماء، ولم يلازمهما ملازمة العبّاس(عليه السلام)، وإن لازمهما أكثر من غيره عدي العبّاس

الشهيد(عليه السلام)، فإنّه أكثر منه ملازمة لهما، وأعظم مواظبة، فلا شكّ أنّه الوحيد في الفقاهة والعلم.

ولعلّ الجاهل بحقائق الأشياء يتطرّقة التشكيك في أنّ العبّاس الأكبر(عليه السلام) لو كان فقيهاً عالماً لاشتهر بذلك شهرة أخية محمّد بن الحنفيّة، وعدّ في صفّ علماء الهاشميّين، وهذه تخيّلات وأوهام، لم يشتهر محمّد بن الحنفيّة في حياة أبيه وأخويه الحسن والحسين(عليهما السلام):

((ومن ورد البحر استقلّ السواقيا))

كلاّ ـ لا ـ ترد الناس السواقي والبحار طامية، ولا ـ تحتسي الأوشال والأنهار طافحة، فلمّا جفت تلك الأنهار، ونضبت تلك البحار، وبقي الجدول جارياً، ورده الوارد، واستقي منه الظمئآن، فمحمّد الأكبر والعبّاس الأكبر في حياة أبيهما وأخويهما سواء في عدم الشهرة العلميّة، ولو بقي العبّاس الأكبر(عليه السلام) بقاء محمّد بن الحنفيّة لرزق في العلم صيتاً ونال شهرة، ولسارت بمعارفه الركبان لكن:

عجّل الخسوف عليه قبل أوانه

فمحاه قبل مظنّة الأبدار

وقد كان أبو الفضل العبّاس(عليه السلام) معروفاً بالعلم، فهذا العسقلاني الشافعي يصرّح في كتاب الإصابة فيمن روي عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) من أعلام الصحابة وأعيان التابعين، ثمّ يقول: ومن بقيّة التابعين عدد كثير من أجلّهم أولاده محمّد بن عمر والعبّاس...، ومحمد هو ابن الحنفية، وعمر هو الأطرف.

علي أنّ العبّاس(عليه السلام) قد صدرت منه أُمور يوم الطفّ دلّت علي وفور

علمه، كنفضه الماء من يده تأسّياً بالإمام الحسين(عليه السلام) وإيثاره له، كما سنذكره في الإيثار والمواساة، وهذه مسألة فقهيّة، وهي أنّ الإيثار راجح شرعاً لورود الأدلّة السمعيّة من الآيات والروايات، وما دلّت عليه الأدلّة السمعيّة فهو راجح شرعاً، فهذه من مسائل الفقه، وما صدرت منه تلك الفعلة الحميدة علي جهة الفطرة والبداهة فحسب، بل علي جهة الاختيار للمحبوب المطلوب شرعاً.

وكقوله(عليه السلام) في خطاباته الموجّهة تجاه أخيه الحسين(عليه السلام) – كما يجيء في آدابه – نحو قوله

((سيّدي يابن رسول الله(صلي الله عليه واله)))، ولم يخاطبه بأخي، لعلمه أنّ مرتبة الإمامة فوق كلّ مرتبة، ومهما كان الأخ، فلا ينبغي أن ينزل نفسه للإمام إلاّ منزلة العبد، فيخاطبه خطاب المملوك للمولي ب–((سيّدي))، والمخاطبة بالأُخوّة دليل المكافأة، ولا يكافئ الإمامة شيء كالنبوّة، وهذا من الفقة في الدين والأدب الراقي وتفخيم ذي الشأن مستحبّ شرعاً ومطلوب عقلاً.

وأبو الفضل(عليه السلام) يعرف واجب تفخيم الإمام عقلاً واحترامه تديّناً.

للشيخ المظفر :

ألا أنّ عبّاس بن حيدر عالم

بواجب دين الله والراجح الشرعي

يعظّم أرباب الإمامة موفياً

لهم حقّهم في الأصل للحقّ والفرع

وكقوله(عليه السلام) لإخوته الأشقّاء الذين هم من أُمّه أُمّ البنين:

تقدّموا يا بني اُمّي لأحتسبكم، فإنّه لا ولد لكم، وهذا القول منه(عليه السلام) مشهور رواه عامّة أرباب المقاتل، واختلفوا في ضبط العبارة، فالطبري المؤرّخ هذا لفظه في تاريخه قال:

وزعموا أنّ العبّاس بن عليّ قال لإخوته من أبيه واُمّه عبد الله وجعفر وعثمان: يابني اُمّي! تقدّموا حتّي أرثكم فإنّ لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا(1) . . . .

وهذا تصحيف، والأصل حتّي أراكم(2)، فصحّفه الراوي بأرثكم.

وأمّا أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، فلفظه في الأخبار الطوال(3):

ولمّا رأي ذلك العبّاس قال لإخوته عبد الله وجعفر وعثمان بني علي:، واُمّهم جميعاً اُمّ البنين العامريّة الوحيديّة: تقدّموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيّدكم حتّي تموتوا دونه، فتقدّموا جميعاً، فضاربوا أمام الحسين(عليه السلام) بوجوههم ونحورهم...

وأمّا أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصبهاني، فلفظه في مقاتل الطالبيّين عن الضحّاك المشرقي قال:

1- تاريخ الطبري : 6/257 .

2- حيث كانت تكتب « أريكم)) .

3- الأخبار الطوال : 254 .

قال العبّاس بن علي(عليهما السلام) لأخيه من أبيه وأُمّه عبد الله بن علي(عليهما السلام): تقدّم بين يدي حتّي أراك واحتسبك، فإنّه لا ولد لك، فتقدّم بين يديه . . .

وذكر مثله في أخويه عثمان وجعفر.

وأمّا الشيخ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان، فلفظه في كتاب الإرشاد:

فلمّا رآي العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) كثرة القتلي في أهله قال لإخوته من أُمّه، وهم عبد الله وجعفر وعثمان: يابني أُمّي! تقدّموا أمامي حتّي أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم . . .

وهذا بعينه لفظ الشيخ المحقّق جعفر بن نما الحلّي في مثير الأحزان.

وينتج من هذه الأقوال أُمور كلّها تدلّ علي فقاهته وعلمه:

الأوّل: قوله ((تقدّموا لأراكم قد نصحتم لله ولرسوله . . .))، جهة الفقاهة في هذا أنّه(عليه السلام) قد علم أنّ أفضل الجهاد ما كان بالنفس والنفيس، أمّا نفسه فعازم علي بذلها لأخيه الحسين(عليه السلام)، وهو واثق بذلك من نفسه، وأمّا النفيس، وليس لديه هناك أنفس من إخوته الأشقّاء، فأحبّ أن يقدّمهم ويكون قد بذل في الجهاد نفسه ونفسيه، ولا شكّ بتضاعف الأجر علي ذلك.

ويتفرّع علي مسألة تقديم العبّاس(عليه السلام) لإخوته من الفروع الفقهيّة ما خفي علي كثير من مهرة الفنّ وأساتذة الصنعة مثل مسألة الشكر علي النعمة.

والعبّاس(عليه السلام) يري من أتمّ نعم الله عليه وأفضلها عنده الشهادة في سبيله، ومن إتمامها أن يرزقها الله – تعالي – لإخوته الذين هم أعزّ ما لديه من حاضري إخوته بعد الحسين(عليه السلام)، فإذا تفضّل الله عليهم بالشهادة ورزقهم إيّاها فقد أسعدهم وأنالهم

كرامته، فوجب عليه الشكر الذي يجب عقلاً وشرعا عند تجدّد كلّ نعمة، إذ شكر المنعم واجب بالإدلّة العقليّة والنقليّة.

الثاني: الاحتساب، فقوله(عليه السلام) ((تقدّموا لأحتسبكم))، وفي هذا الاحتساب يتضاعف الأجر، لعلمه أنّه إذا توالت الفوادح وتواترت المصائب، وصبر عليها الصابر محتسباً، فقد تضاعف أجره عند الله، ولا إشكال أنّه إذا شاهد مصارع إخوته الأشقّاء واحداً بعد واحد، فقد تضاعف له العناء والأسف، ولو أنّهم قتلوا قتلة واحدة كان لها حكم المصيبة الواحدة، ولكن المصائب تتعدّد بقتل الواحدة تلو الواحد، فتتضاعف لذلك الأحزان.

ومن فروع هذه المسألة الفقهيّة مسألة الصبر، فإنّ الذي يبتلي بفقد الأعزّاء وأنفس الأشياء وأغلاها عنده، ثمّ يصبر ويحتسب، يكون له الأجر المضاعف، ويجزيه الله – تعالي – أفضل جزاء الصابرين.

وقد حصل لأبي الفضل العبّاس(عليه السلام) في هذه القتلة ثلاثة أشياء توجب الكرامة ومزيد الحباء عند الله – تعالي –: الشهادة والشكر والصبر، وهذا من عجيب الفقه الذي يتحرّاه الفقيه العليم في مثل ذلك الموقف الحرج والمقام الصعب ذي الأهوال والتهاويل الذي طارت منه

الأذهان، واندهشت فيه الفكر وحارت الألباب.

قال الشيخ المظفر :

جئني بمثل أبيه كنز علومها

هيهات يوجد أو فتي كأخيه

إنّ الفتي كأبيه في أخلاقه

قد قيل إنّ الابن سرّ أبيه

وقد استبان أنّ أبا الفضل العباس(عليه السلام) في أرقي درجة اليقين التي لا يمكن أن يتجاوزها إلاّ من كان معصوماً بالعصمة الإلهيّة التي هي حقيقة النبوّة والإمامة، فيصدق قوله(عليه السلام):

فليس هذا من فعال ديني

ولا فعال صادق اليقين

بالإقبال بكلّيّته علي مواجهة ربّ الأرباب والمجاورة له في دار البقاء والتخلّي عن هذه الدار الفانية ذات الأكدار والشواغل الكثيرة الموجبة لحجب المريد عن مواصلة المراد، والحائل بينه وبين التجلّيات الحقيقيّة، فإذا قطع هذه العلائق الدنيويّة فهو صادق اليقين في الشوق المستغرق به من حبّ الذات التي جلّت عن مثل هذه الإطلاقات، ودني منها بإخلاص التوحيد دنوّ الواجد المتفاني في محبّة مراده الأعظم.

وليست علوم أهل البيت: بمكتسبة ومحصّلة بدراسة المصنّفات وقراءة المؤلّفات، وإنّما هي منح ربّانيّة وإضافات إلهيّة يفيضها عليهم: واهب العقول، وصاحب المواهب العالية منذ عهد الطفوليّة.

فصاحة العبّاس الأكبر(عليه السلام)

ص: 266

لا خفاء أنّ قريشاً أفصح العرب وبلغتهم نزل القرآن، وأفصح قريش هم بني هاشم، وأفصح من بني هاشم رسول الله(صلي الله عليه واله) وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) وسيّدة نساء فاطمة الزهراء والحسن والحسين:، ومن الفصحاء الخطباء محمّد بن الحنفيّة وعبد لله بن العبّاس وعبد الله بن جعفر الطيار، ومن نسائهم زينب الحوراء وأُمّ كلثوم بنتا أمير المؤمنين : وفاطمة وسكينة بنتا الحسين:، وتعداد الفصحاء من هذه القبيلة تطويل وشهرتها تغني عن إيراد الحجج.

والعبّاس الأكبر(عليه السلام) فرع من تلك الشجرة اليانعة المثمرة، وغصن من تلك الدوحة الباسقة التي تفيّأت بظلّها طوائف الإسلام.

وعلي كلّ حال ففصاحة بني هاشم لا يستريب بها كلّ ذي معرفة بأساليب الكلام وفنونه، ولا يشكّ فيها أرباب التمييز للكلام الفصيح.

أمّا أبو الفضل العبّاس(عليه السلام) فمعروف بفصاحة اللسان، قال الفاضل الدربندي في الأسرار: قد ذكر أنّ بعض الأبطال تهددّه، وكان جريئاً ذا سطوة مرهوبة، وأنّ العبّاس(عليه السلام) لم يكترث بموقفه، فأجابه قائلاً له بثبات ورباطة جأش:

إنّي أري كلامك كالسراب الذي يلوح، فإذا قصد صار أرضاً بواراً، والذي أمّلته أن أستسلم لك، فذاك بعيد الحصول، صعب الوصول، وإنّي – يا عـدوّ الله ورسوله – معوّد للقاء الأبطال، والصبر علي النزال، ومكافحـة الفرسان، وبالله المسـتعان، ومن كملت هـذه الصـفات فيه فليس يخـاف من برز إليه، ويلك أليس لي اتصال برسول الله(صـلي الله عليه واله)؟! أنا غصن متّصل لشـجرته، وزهرة من نور ثمرته، ومن كان من هـذه الشـجرة فلا يـدخل تحت الـذمام، ولا يخاف ضـرب الحسام، وأنا ابن علي لا أعجز عن مبارزة الأقران، وما أشـركت لمحة بصـر، ولا خالفت رسول الله(صـلي الله عليه واله) فيما أمر، وأنا منه الورقة من الشـجرة، وعلي الأُصول تنبت الفروع، فأصرف عنّا ما أمّلت فما أنا ممّن يأسي علي الحياة، أو يجزع من الوفاة، فخذ في الجدّ واصرف عنك الهزل، وأنشأ يقول:

صبراً علي جور الزمان القاطع

ومنيّة ما إن لها من دافع

لا تجزعنّ فكلّ شيء هالك

حاشي لمثلي أن يكون بجازع

فلئن رمانا الدهر منه بأسهم

وتفرّق من بعد شمل جامع

فلكم لنا من وقعة شابت لها

قمم الأصاغر من ضراب قاطع

ومن الشعر المنسوب للعبّاس(عليه السلام):

للّه عين رأت ما قد أحاط بنا

من اللئام وأولاد الدعيّات

ياحبّذا عصبة جادت بأنفسها

حتّي تحلّ بأرض الغاضريّات

الموت تحت ذباب السيف مكرمة

إذ كان من بعده سكني لجنّات

أمّا خطبته المشهورة علي ألسنة خطباء المنابر الحسينّية والتي يقول فيها: ((هذه ثيابنا قد لبسناها أكفاناً لنا)) فمعروفة عندهم..

قال الشاعر :

ورث الفصاحة من أبيه وإنّه

لخطيب أندية الفخار الأبين

من عصبة فاقوا الأنام فصاحة

إن يخطبوا فوق المنابر أحسنوا

سيّان ألسنهم وحدّ سيوفهم

لا بل أمضّ من السيوف الألسن

ما فيهموا إلاّ خطيب مصقع

عند الخطابة أو أديب محسن

قس بن ساعدة إذا قايسته

فيهم بعدل فهو أبكم ألكن

شجاعة العبّاس الأكبر (عليه السلام)

لا شكّ أنّ الشجاعة من الغرائز النفسيّة والطبائع المرتكزة في القوي الذاتيّة، لكنّها تقوي وتضعف بحسب الممارسة، فأشبهت الهيئات والملكات واستحق المتّصف بها المدح والإطراء.

معني الشجاعة لغة:

العرب تسـمّي الحيّـة الذكر وهو العربد ((العربيد)): الشـجاع، فأطلقته علي الرجل الجريء المقدام خوّاض الأهوال والغمرات، وذلك لأنّ العربد ((العربيد)) في لعابه السمّ المتلف، وكذلك الرجل الشجاع في سيفه التلف، وفي ملاقاة كليهما المخاطرة، ومظنّة الهلاك والعطب.

قال ابن الأثير في النهاية: الشجاع – بالضمّ والكسر – الحيّة الذكر، وقيل: الحيّة مطلقاً.

وقال الفيّومي في المصباح المنير: شجع – بالضمّ – شجاعة قوي قلبه واستهان بالحروب جرأة وإقداماً، فهو شجيع وشجاع، وبنو عقيل تفتح الشين حملاً له علي نقيضه، وهو جبان، وبعضهم يكسر للتخفيف.

وذكر مثل هذا الطريحي في مجمع البحرين وقال: الشـجاع الأقرع حيّة قد تمعط فروة رأسها لكثرة سمّها، والشجاعة شدّة القلب عند البأس، وقد شجع الرجل شجاعة قوي قلبه واستهان بالخطوب جرأة وإقداماً.

وحيث أنّ حقيقـة الشـجاعة صبر وثبـات وحمـل النفس علي مكروه وممقوت، لأنّهـا بالطبع تحبّ البقاء وتكره الفناء، ومن لوازمها الجبلّيّة الفطريّـة التعاظم والبـذج، لأنّ من خاض الأهوال ولم يبالي بالمعاطب يستشـعر في نفسه عظمة، ويعتريه تباذج وشـمخ، وحيث أنّ للنفس الإنسانيّة حاكميّة علي الشجاعة فوجب أن تقهر تلك النخوة الغضبيّة، وتكسر تلك السورة الشيطانيّة، وقمعها وكسرها بما يسمّي عند العقلاء

حلماً، وعند المتشرّعين عفواً، فاندرجت تحت الشجاعة أُمور هي كما نصّ عليها ابن مسكوية في تهذيب الأخلاق، ولفظه:

الفضائـل التي تحت الشـجاعة: كبر النفس، النجـدة، عظم الهمّـة، الثبات، الصبر، الحلم، عـدم الطيش، الشـهامة، والفرق بين هـذا الصبر والصبر الذي في العفّة أنّ هذا يكون في الأُمور الهائلة، وذلك يكون في الشهوات الهائجة.

أمّا كبر النفس، فهو الاستهانة باليسير، والإقتدار علي حمل الكرامة، فصاحبه أبداً يؤهّل نفسه للأُمور العظائم مع استخفافه لها.

وأمّا النجدة، فهي ثقة النفس عند المخاوف حتّي لا يخامرها جزع.

وأمّا عظم الهمّة، فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجدّ وضدّها من الشدائد التي تكون عند الموت.

وأمّا الثبات، فهو فضيلة للنفس تقوي بها علي احتمال الآلام ومقاومة الأهوال خاصّة.

وأمّا الحلم، فهو فضيلة للنفس تكبر بها الطمأنينة، فلا تكون شغبة، ولا يحرّكها الغضب بسهولة وسرعة.

وأمّا السـكون الـذي نعني به عـدم الطيش، فهو إمّا عنـد الخصومات، وإمّا في الحروب التي يذبّ بها عن الحريم أو عن الشـريعة، وهي قوّة للنفس تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدّتها.

وأمّا الشهامة، فهي الحرص علي الأعمال العظام توقّقاً للأُحدوثة الجميلة.

ص: 271

الشجاعة بين نقيضين

والشجاعة بين نقيضين ذميمين:

فإنّ تجاوز الحدّ في الإفراط والتفريط مذموم، ولذا قالت العرب في أمثالها: كلّ شيء تجاوز حدّه انعكس إلي ضدّه، وقال شاعرهم:

((كلا طرفي قصد الأُمور ذميم))

فالإفراط في التأخّر مذموم، لأنّه جبن، والإفراط في التقدّم أيضاً مذموم، لأنّه تهوّر يجرّ إلي العطب، فالتهوّر والجبن مذمومان، لأنّهما خارجان عن حدّ الاعتدال.

ثمرة الشجاعة وفوائدها:

والشجاعة نوعان: دينيّة ودنيويّة، ولكلّ واحدة منهما ثمرة وفائدة:

فالدينيّة ثمرتها: إشادة الدين، وإظهار الحقّ، ونشر العدل، وإبطال الجور والأظاليل التي تنتجها بدع المجرمين.

وأمّا الدنيويّة ففائدتها: حفظ شؤونه، وبلوغ غاياته، ونيل مقاصده، وبهما معاً حميّاته الشرف والجاه، وصيانة العرض.

غايات الشجعان ومقاصدهم:

إنّ لكلّ شجاع غاية ينحوها، وهدف يرمي إليه، إمّا قصد تأسيس مملكة، وإشادة سلطنة، أو دفاع عن وطن، أو تخلّص عن ذلّ

واستعباد، أو اكتساب رفعة ووجاهة، أو نيل مرتبة سامية، وما شاكل ذلك من المقاصد العقلانية، وأنبلها المحاماة عن الأعراض، والكفاح علي الدين، والمحاماة عن عظيم من العظماء الروحانّيين، كلّ هذه الغايات من مقاصدة الشرف ومناحي المجد والسؤدد، وهي مقدّرة عند جميع ذوي العقول، ومحترمة لدي كافّة النبلاء، وأقربها للمحامد،

وأحراها بالتبجيل والإحترام من كان دفاعه نصرة للحقّ والعدل، وتشييداً للدين، ومكافحة للإستبداد الممقوت، والجور الصارم، والمدافعة عن نفس يجب حفظها بكلّ ما يمكن الوصول إليه، كنفس النبيّ والإمام المعصوم المفترضة طاعتهما علي الخلق أجمعين، وجميع هذه الغايات نبيلة.

من مقاصد أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين علي(عليهما السلام):

أمّا أبو الفضل العباس(عليه السلام)، فإنّ غرضه الأقصي الذي ينحوه، وهدفه الأبعد الذي يسدّد الرمية إليه، هو نصرة الدين، وحماية الإمام الحسين(عليه السلام)، إمام الحقّ والعدل الذي قام يكافح استبداد ولاة الجور من آل حرب، ورعاة النفاق والفجور وماحي الإسلام وماحقي السنّة ومحيي البدعة والأضليل من بني أُميّة، وقد صرّح أبو الفضل(عليه السلام) ببعض مقاصدة كقوله:

((أذبّ عن دين النبيّ أحمد))

وكقوله:

إنّي أُحامي أبدا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

وكقوله:

((نفسي لنفس السيّد الطهر وقا))

صرّحت كلّ هذه الأشعار: بأنّ أقصي غاياته المدافعة عن إمامه الحسين(عليه السلام)، ونصرة دين الله الذي قهرته سلطة بني أُمّية، وأذلّه استبدادهم الجبّار، ومحقته إثرتهم الفاجرة.

شجاعة العبّاس الأكبر:

أمّا شجاعته(عليه السلام)، فهي المثل الأعلي، ووصفها الأكمل ونعتها الأتمّ، وهي عظيمة الأثر في صفوف أهل الكوفة، شديدة النكاية فيهم، وقد تفنّن الشعراء في نعته بالشجاعة فنوناً.

حضوره صفّين:

قد شهد قبل كربلاء صفّين، وفي بعض الكتب الفارسيّة أنّه كان محارباً، ويشهد له ما ذكره الخطيب الخوارزمي الحنفي في كتاب المناقب: أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) لبس ثياب ابنه العبّاس(عليه السلام) في بعض أيّام صفّين، لمّا برز لقتال كريب فارس أهل الشام، وحيث أنّ هذه القصّة تشتبه بقصّة العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لزمنا نقل القصّتين، ليرتفع الإشكال، ويزول الشكّ، فإنّه ذكروهما معاً، لفظه:

ثمّ خرج من عسكر معاوية كريب بن أبرهة من آل ذي يزن، وكان مهيباً قويّاً يأخذ الدرهم فيغمزه بإبهامه، فتذهب كتابته، فقال له معاوية: إنّ عليّاً يبرز بنفسه، وكلّ أحد لا يتجاسر علي مبارزته وقتاله، فقال كريب: أنا أبرز إليه.

فخرج إلي صفّ أهل العراق ونادي: ليبرز إليّ علي، فبرز إليه مرتفع بن وضّاح الزبيدي، فسأله: من أنت؟ فعرّفه بنفسه، فقال: كفؤ كريم، ثمّ تكافحا فسبقه كريب بالضربة فقتله، ونادي: ليبرز إليّ أشجعكم أو علي.

فبرز إليه شرحبيل بن بكر، وقال لكريب: يا شقي! ألا تفكّر في لقاء الله ورسوله يوم الحساب من سفك الدم الحرام؟ فقال كريب: إنّ صاحب الباطل من آوي قتله عثمان، وهو صاحبكم!! ثمّ تكافحا مليّاً، فقتله كريب.

ثمّ برز إليه الحارث بن اللجلاج الشيباني، وكان زاهداً صوّاماً قوّاماً، وهو يقول:

هذا علي والهدي حّقاً معه

نحن نصرناه علي من نازعه

ثمّ تكافحا، فقتله كريب.

فدعا عليّ(عليه السلام) ابنه العبّاس، وكان تامّاً كاملاً من الرجال، فأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه، ففعل، فلبس علي(عليه السلام) ثيابه وركب

فرسه، ولبس ابنه العبّاس(عليه السلام) ثيابه(1) وركب فرسه، لئلاّ يجبن كريب عن مبارزته، فلمّا همّ علي(عليه السلام) بذلك جاء عبد الله بن عدي الحارثي وقال: يا أمير المؤمنين! بحقّ إمامتك ائذن لي في مبارزته، فإن قتلته وإلاّ قتلت شهيداً بين يديك، فأذن له علي(عليه السلام)، فتقدّم إلي كريب، وهو يقول:

هذا علي والهدي يقوده

من خير عيدان قريش عوده

لا يسأم الدهر ولا يروده

وعلمه معاجز وجوده

فتصاولا ساعة، ثمّ صرعه كريب.

ثمّ برز إليه علي(عليه السلام) متنكّراً، وحذّره الله وسخطه، فقال كريب: أتري سيفي هذا؟ قد قتلت به كثيراً مثلك! ثمّ حمل علي علي(عليه السلام) بسيفه، فاتّقاه بجحفته، ثمّ ضربه علي(عليه السلام) علي رأسه فشقّه حتّي سقط نصفين، وأنشأ علي(عليه السلام) يقول:

النفس بالنفس والجروح قصاص

ليس للقرن بالضراب خلاص

إلي آخر القصّة.

ثّم ذكر قصّة العبّاس بن ربيعة بما لفظه، قال:

برز اليوم التاسع عشر من حرب صفّين من أصحاب معاوية عثمان بن وائل الحميري - وسمّاه المسعودي وغيره عرار بن أدهم - وكان يعدّ بمائة فارس، وله أخ يسمّي حمزة يعدّهما معاوية للشدائد، فجعل عثمان

1- يدلّ هذا علي أنّ العباس(عليه السلام) في سنّ الشباب كان رشيد البدن فارعاً بحيث لابس أمير المؤمنين(عليه السلام).

يلعب برمحه وسيفه، والعبّاس بن الحارث بن عبد المطلب ينظر إليه من ناحية مع سليمان بن صرد الخزاعي، فقال له العبّاس: أبرز إليه، وقد نهاني أمير المؤمنين(عليه السلام)، وفي نفسي أنّي أقتله، فبرز إليه العبّاس وهو يقول:

بطل إذا غشي الحروب بنفسه

حصد الرؤوس كحصد زرع مثمر

فتكافحا مليّاً فلم يظفر أحدهما بصحابه، فقال سليمان للعبّاس: ألا تجد فرصة؟ فقال: فيه شجاعة، ثمّ انثني عليه فضربه فرمي رأسه ووقف مكانه.

فبرز إليه أخوه حمزة، فأرسل إليه علي(عليه السلام) ونهاه عن مبارزته، وقال له: إنزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكاني، وأنا أخرج إليه، فنتكّر علي(عليه السلام)، وخرج إلي حمزة، فظنّ حمزة أنّه العبّاس الذي قتل أخاه، فضربه علي(عليه السلام) فقطع أبطه وكتفه ونصف وجهه ورأسه، فعجب اليمانّيون وهابوا العبّاس.

وبرز إلي علي(عليه السلام) عمرو بن عبس الجمحي، وكان شجاعاً، فجعل يلعب برمحه وسيفه، فقال علي(عليه السلام): هلمّ للمكافحة فليس هذا وقت لعب، فحمل عمرو علي علي(عليه السلام) حملة منكرة، فاتّقاه عليّ(عليه السلام) بجحفته، ثمّ ضربه علي(عليه السلام) علي وسطه، فأبان نصفه وبقي نصفه علي فرسه.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما هذه إلاّ ضربة علي(عليه السلام)، فكذّبه معاوية، قال: قل للخيل تحمل عليه، فإن ثبت مكانه فهو علي،

فحملوا عليه، فثبت لهم ولم يتزعزع، وجعل يقتل فيهم حتّي قتل منهم ثلاثة وثلاثين رجلاً . . ..

وهذا صريح أنّ العبّاس الأكبر(عليه السلام) كان فارساً بصفّين كامل الأهبة والعدّة يقف في صفّ المجالدين، فيستعير أمير المؤمنين(عليه السلام) آلته ولباسه، فلا يفرّق بينهما، وقد صرّح الكربلائيّ في معالي السبطين بأنّه كان محارباً، وقال: قال الطريحي: إنّ العباس(عليه السلام) كان مع أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) في الحروب والغزوات، ويحارب شجعان العرب ويجالدهم كالأسد الضاري، حتّي يجدّلهم صرعي، وفي يوم صفّين كان(عليه السلام) عوناً وعضداً لأخيه الحسين(عليه السلام)، وأعان الحسين(عليه السلام) في فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية، وهزم أبا الأعور عن الماء.

ثمّ قال: قال الحاج شيخ محمّد باقر البرجندي القائني في كتابه المسمّي الكبريت الأحمر: قال بعض من يوثق به: إنّ يوماً من أيّام صفّين خرج شابّ من عسكر أمير المؤمنين(عليه السلام) وعليه لثام، وقد ظهر منه من آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث أنّ أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون إليه، وغلب عليهم الخوف والخشية، فما برز إليه أحد، فدعا معاوية برجل من أصحابه يقال له ((ابن شعثاء))، وكان يعدّ بعشرة آلاف فارس، فقال له معاوية: أُخرج إلي هذا الشابّ فبارزه، فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ الناس يعدّونني بعشرة آلاف فارس، فكيف تأمرني بمبارزة هذ الفتي؟ فقال له: إفعل.

فبعث إليه بأحد أولاده فقتله الشابّ، ثمّ بعث إليه بآخر فقتله الشابّ، حتّي بعث جميع أولاده فقتلهم الشابّ فعند ذلك خرج ابن شعثاء وهو يقول: أيّها الشابّ! قتلت جميع أولادي، والله لأثكلنّ بك أباك وأمّك، ثمّ حمل اللعين وحمل عليه الشابّ، فدارت بينهما ضربات، فضربه الشابّ ضربة قدّه نصفين، فألحقه بأولاده، فعجب الحاضرون من شجاعته، عند ذلك صاح أمير المؤمنين(عليه السلام) ودعاه وقال: إرجع يا بنيّ، لئلاّ تصيبك عيون الأعداء، فرجع وتقدّم أمير المؤمنين(عليه السلام)وأرخي اللثام عنه وقبّله بين عينيه، فنظروا إليه، فإذا هو قمر بني هاشم العبّاس بن أمير المؤمنين . ..

دفاع الشيخ المظفررحمه الله عن التواريخ الفارسيّة

قال الشيخ المظفر : وكأنّي أسمع بعض القرّاء لكتابنا هذا من منتحلي الثقافة، ومدّعي التنوير، وزمرة من المتجدّدين الذين لا يريدون إثبات فضيلة لأهل هذا البيت النبويّ المفخّم، وفئة من المتفقّهين بلا معرفة وتمييز، وهناك فئام يضرعون لأوهام وخيالات يسمّونها بالعقول، والعقول بريئة من كلّ فكر سطحيّ، وخيال وهميّ، سيقولون إذا مرّوا بهذه الحكايات: كيف اعتمد مؤلّف ((كتاب بطل العلقمي)) في نقل هذه الحكايات علي الكتب الفارسيّة والتواريخ الأعجميّة، ومؤلّفوها يتمسّكون بالواهيّات، ويعتمدون المراسيل، ولو شهد العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) صفّين، وكان في صفّ المحاربين،

لذكره المؤرّخون أساتذة فنّ التاريخ، كالطبري والجزري والمسعودي وأضرابهم؟!

فيظنّ من لا معرفة له ولا إلمام بحقائق الأشياء أنّ هذه المقالة مبتنية علي أساس محكم، وبناء مرصّف في ركن وثيق، وهي لدي التحقيق علي جرف منهار قد جرفه السيل، وعلي رأس منار متداعي الأركان قد زعزعته العواصف وهدّته القواصف.

المؤرّخون الذين لهم شهرة لم يضبطوا كلّ حادثة، ولم يقفوا علي كلّ قضيّة من القضايا التاريخيّة، فبعض الوقائع قد وصل إليهم نبؤه وبعضها لم يصل، والذي لم يصلهم أكثر ممّا وصل إليهم، وقد فات الطبريّ ما استدركه عليه الجزريّ، وذكر المسعوديّ ما لم يذكره اليعقوبيّ، وهكذا، فما وصل إليهم فقد ذكروه، وما لم يصل إليهم لم يبق في طيّ الخفاء المظلم، بل برقت بارقة من ذلك العلم، فأضاء لطالبيه، وأسفر لرائديه، فاقتضبوا منه شارده، واحتبلوا قنيصه، فكان كالمستدرك علي من فاته العلم به، وقد استدرك الحاكم النيسابوريّ علي كتابي مسلم والبخاريّ من الأحاديث علي شرطهما ما سوي حجم الكتابين معاً، والكتب الأربعة الباقية، أو الثمانية بناء علي جعل ما يسمّونه الصحاح عشرة عندهم كالاستدراك أيضاً علي الحصيحين، هذا من ناحية العامّة.

وأمّا من ناحية أهل التشيّع، فقد استدرك الميرزا النوري علي وسائل الشيعة للحرّ العاملي ما ساوي حجمها، فليكن ما رواه هؤلاء العلماء

من الأعاجم كالمستدرك علي التواريخ المشهورة، وليست بأقلّ من متفرّدات الأغاني لأبي الفرج.

علي أنّ المؤرّخين الشهيرين الطبريّ والجزريّ ذكرا أشهر رجال الإسلام شجاعة وتقدّما فيمن حضر صفّين القعقاع بن عمرو التميمي فارس العرب، وهو الـذي كتب خالـد بن الوليد إلي أبي بكر يطلب منه أن يمدّه بجيش، فأمدّه بالقعقاع وحده، فقال عمر بن الخطّاب: أتمدّه برجل واحـد؟ فقال أبو بكر: لا يهزم جيش فيه هـذا!! ولـم يضـبطا له قصّة تدلّ علي نباهة ذكره في تلك الحرب التي تسابق فيها أبطال الإسـلام علي إحياء الـذكر الخالد مع منافسة الشـرف بين القطرين المتقابلين، وفي حربه مع أمير المؤمنين علي(عليه السـلام) بصـفّين ذكرا للخاملين من العرب أثراً ولـم يـذكرا له ولنظيره في الشـجاعة عبيد الله بن الحرّ الجعفي مع زعمهما أنّه شـهد مع معاوية صـفّين، وكذلك نظيره في الشـهرة مالك بن مسـمع البكري مع شـهرة هـذين الرجلين وسـير أثرهما في الحروب الإسـلامية، فإذا جاز أن يقال أهملا ذكر هؤلاء الأبطال لعدم علمهما بما صدر منهما في ذلك الموقف جاز مثل ذلك في العبّاس بن أمير المؤمنين(عليه السـلام)، وإذا جاز أن يقال: إنّهما لـم يدوّنا كلّما كان من الوقائع، لأنّ في استيفائها ما يربي علي حجم الكتابين بالضـعف، قلنا: إنّ موقف العبّاس الأكبر(عليه السـلام) ممّا لـم يـدوّناه ودوّنه علماء الفرس.

وأمّا الإستبعاد لصغر السنّ، وأنّ الممارسة للحروب مظهر الشجاعة، فمسلّم في غير أهل البيت:، فإنّهم أهل بيت الشجاعة والبطولة، وإنّ

صغر السنّ لا يحول بينهم وبين الشجاعة، وعدم مباشرة الحروب لا يقصر بهم عن البطولة والفروسيّة.

هذا أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) قد شهد بدراً ولم يمارس حرباً قبلها، وكانت سنّه دون العشرين سنة، وقد علمت ما جري منه علي صناديد قريش طواغيت العرب وجبابرتها، حتّي أفني شجعانهم، وأباد أبطالهم، وفرّ منه أبطال لا يخطر ببال أحدهم أنّهم يفرّون، ولا- يتخيّل متخيّل أنّهم ينهزمون مثل عمرو بن عبد ودّ العامري الذي قتله يوم الخندق، وهو قائد الأحزاب، والحارث بن هشام المخزومي شقيق أبي جهل، وغيرهم.

وهذا أخوه محمّد الأكبر المعروف بابن الحنفيّة، شهد البصرة مع أبيه وهو صغير السنّ، ولم يشهد قبلها حرباً، فأبدي من الفروسيّة ما أبهر الفرسان الماهرين، وتعجّب له أبطال العرب، فقد كان أبطال الصحابة من الأنصار كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وغيره من كماة الأنصار يفضّلونه بالشجاعة علي كلّ أحد سوي أبيه وأخويه الحسن والحسين: فهو في تلك الحرب الطاحنة حامل لواء أبيه الأعظم، ولا يحمل اللواء إلاّ الممتاز في الشجاعة.

وهؤلاء فتيان بني أبي طالب الذين قتلوا يوم الطفّ، فقد ظهر لهم من الشجاعة ما لم يظهر لكماة الأبطال علي صغر السنّ وعدم مباشرة الحروب، فإنّ علي بن الحسين الأكبر(عليهما السلام) والقاسم بن الحسن(عليهما السلام) كلّ واحد منهما كان قبل حرب الطفوف ربيب ترف، وأليف نعمة، وكذلك

عبد الله بن مسلم بن عقيل.

هذا كلّه علي القول المشهور في عمره الشريف(عليه السلام)، أمّا علي القول بأنّه من لدة أخيه محمد فيكون في ذلك اليوم شاباً كبيراً يافعاً.

وأمّا كون الفارس الـذي قتله العبّاس(عليه السـلام) يعدّ بعشـرة آلاف، فقد يجوز مثل ذلك ويصدر، فقد ادّعي عمران بن حطّان السدوسـي الخارجي الصـفري أنّ مجزأة بن ثور البكري السدوسـي فتح بلدة وحده، ونحن لا نذكر أمير المؤمنين عليّاً(عليه السـلام)، لأنّه أعظم من أن يقـاس به أحـد، وإلاّ فقـد كان جيش النبيّ(صـلي الله عليه واله) إثني عشـر ألفاً، فهزمته هوازن، فيجب أن يكون جمع هوازن مكافئاً لجيش النبي(صـلي الله عليه واله) إن لـم يكن أكثر، وردّهـم أمير المؤمنين علي(عليه السلام) وحده بسيفه، فقد قابل أكثر من عشرة آلاف، ولكن لا يقـاس بأمير المؤمنين علي(عليه السـلام) إنسان، ولكن حسـبك بالأشتر النخعي وأمثاله ما يكون لك شاهـداً علي وجود أشـخاص يعـدّون بالأُلوف.

شجاعة العبّاس بن عليّ(عليهما السلام)

ويكفي لمعرفة شجاعته(عليه السلام) ما كان منه يوم كربلاء: أمّا عدد من قتلهم فمختلف فيه: ففخر الدين الطريحي ومن وافقه من العلماء – رضوان الله عليهم – فيقولون: قتل ثمانين بطلاً، وصاحب الكبريت الأحمر وصاحب أسرار الشهادة، فيقولون:

ثمانمائة فارس، والجمع بين القولين سهل بحمل الثمانين علي المشاهير من الأبطال، وباقي العدد علي ما

دونهم، وبين هذين القولين أقول بالزيادة والنقصان، ونحن نذكر القولين ونترك ما عداهما:

قال فخر الدين الطريحي في المنتخب(1):

ص: 284

1- المنتخب للطريحي : 1/27 مجلس 4 .

روي أنّ العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) كان حامل لواء أخيه الحسين(عليه السلام)، فلمّا رأي جمع عسكر الحسين(عليه السلام) قتلوا وإخوته وبني عمّه بكي، وإلي لقاء ربّه اشتاق وحنّ، فحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين(عليه السلام) وقال: يا أخي! هل من رخصة؟ فبكي الحسين(عليه السلام) بكاء شديداً حتّي ابتلّت لحيته بالدموع، ثمّ قال: يا أخيّ كنت العلامة من عسكري، ومجمع عددي، فإذا أنت قتلت يؤول جمعنا إلي الشتات، وعمارتنا تنبعث إلي الخراب، فقال العبّاس(عليه السلام): فداك روح أخيك يا سيّدي قد ضاق صدري من حياة الدنيا وأُريد أن آخذ الثار من هؤلاء المنافقين، فقال الحسين(عليه السلام): إذا غدوت إلي الجهاد، فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

فلمّا أجاز الحسين(عليه السلام) أخاه العبّاس برز كالجبل العظيم، وقلبه كالطود الجسيم، لأنّه كان فارساً هماماً، وبطلاً ضرغاماً، وكان جسوراً علي الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب.

فلمّا توسّط الميدان وقف وقال: يا عمر بن سعد! هذا الحسين ابن بنت رسول الله(صلي الله عليه واله) يقول لكم: قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمّه، وبقي وحيداً فريداً مع أولاده وعياله، وهم عطاشي قد أحرق الظمأ قلوبهم، فاسقوه شربة من الماء، فإنّ أطفاله وعياله وصلوا إلي الهلاك، وهو يقول لكم: دعوني أذهب إلي طرف

الروم والهند وأُخلّي لكم الحجاز والعراق، وأشرط لكم أنّي غدا في القيامة لا أخاصمكم عند الله حتّي يفعل الله بكم ما يريد.

فلمّا أوصل إليهم العبّاس(عليه السلام) الكلام عن أخيه الحسين(عليه السلام) فمنهم من سكت ولم يردّ

جواباً، ومنهم من جعل يبكي، فخرج الشمر وشبث بن ربعيّ لعنهما الله فجاء نحو العبّاس(عليه السلام) وقالا: يابن أبي تراب! لو كان وجه الأرض ماء وهو تحت أيدينا ما سقيناكم منه قطرة إلاّ أن تدخلوا في بيعة يزيد، فتبسّم العبّاس(عليه السلام) ومضي إلي أخيه الحسين(عليه السلام)، وعرض عليه ما قالوا، فطأطأ رأسه إلي الأرض وبكي حتّي بلّ أزياقه، فسمع الحسين(عليه السلام) الأطفال وهم ينادون: العطش العطش.

فلمّا سمع العبّاس(عليه السلام) رمي بطرفه إلي السماء وقال: إلهي وسيّدي! أُريد أن أعتدّ بعدّتي، وأملأ لهؤلاء الأطفال قربة من الماء، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة في كتفه، وكان قد جعل عمر بن سعد - لعنه الله - أربعة آلاف خارجي موكّلين علي الماء لا يدعون أحداً من أصحاب الحسين(عليه السلام) يشرب منه.

فلمّا رأوا العبّاس(عليه السلام) قاصداً إلي الفرات أحاطوا به من كلّ جانب ومكان، فقال لهم: ياقوم! أنتم كفرة أم مسلمون؟ هل يجوز في مذهبكم ودينكم أن تمنعوا الحسين وعياله شرب الماء والكلاب والخنازير يشربون منه والحسين(عليه السلام) مع أطفاله وأهل بيته يموتون من العطش، أما تذكرون عطش القيامة؟

فلمّا سـمعوا كلام العبّاس(عليه السـلام) وقف خمسائمـة رجل فرموه بالنبال والسـهام، فحمل عليهم، فتفرّقوا هاربين كما يتفرّق عن الذئب الغنم، وغـاص في أوسـاطهم حتّي قتـل منهم علي ما نقل ثمانين فارسا، فهمز فرسه إلي الماء، وأراد أن يشـرب فـذكر عطش الحسـين(عليه السـلام) وعياله وأطفاله، فرمي الماء من يده وقال: والله لا أشـربه وأخي الحسين(عليه السلام) وعياله وأطفاله عطاشي، لا كان ذلك أبداً، ثمّ ملأ القربة وحملها علي كتفه الأيمن، وهمز فرسه وأراد أن يوصل الماء إلي الخيمة، فاجتمع عليه القوم، فحمل عليهم فتفرّقوا عنه، وسار نحو الخيمـة فقطعوا عليه الطريق، فحارهم محاربـة عظيمـة، فصادفه نوفل الأزرق! فضـربه علي يمنيه فبراها، فحمل العبّاس(عليه السـلام) القربة علي كتفه الأيسر، فضربه نوفل علي كتفه الأيسر فقطعها من الزند، فحمل القربة بأسنانه،

فجاء سـهم فأصاب القربة، فانفرت وأُريق الماء، ثمّ جاء سـهم آخر فوقع في صدره، فقلب عن فرسه إلي الأرض، فصاح بأخيه الحسـين(عليه السـلام): أدركني . . فلمّـا سـمع كلاـمه أتاه فرآه طريحا، فصاح: وا أخاه! وا عبّساه! وا قرّة عيناه! وا قلّـة ناصـراه! ثمّ بكي بكاء شديـداً، وحمل العبّاس(عليه السلام) إلي الخيمة . . .

وهذا حديث كتبناه كما وجدناه، وهو يخالف المشهور من وجوه:

أحدها: كون الذي قطع يديه نوف الأزرق، والمشهور عند المؤرّخين أنّ الذي قطع يديه زيد بن رقاد الجنبي من مذحج وحكيم

بن الطفيل السنبسي من طيّ.

ثانيها: أنّ الحسين(عليه السلام) حمله إلي الخيمة، يعني خيمة الشهداء، والمشهور - وهو الصحيح - أنّه بقي في مكانه.

ثالثها: إنّ الحسين(عليه السلام) تنازل لأهل الكوفة عن مخاصمتهم عند الله بدل سماحهم له بالإنصراف حيث شاء، وهذا لا يصحّ بعد أن قتل أصحابه وأهل بيته، كماصرّح به سيّد الشهداء(عليه السلام) نفسه لأحد أصحابه حينما وعظهم بعد أن قتلوا أصحاب خامس أصحاب الكساء، ولكن الطريحي فقيه معتمد، وهو أعرف بمسلكه، وعلينا نحن بيان العلل المانعة.

وأمّا القائلون بأنّ العبّاس(عليه السلام) قتل ثمانمائة فارس فنصّ الدربنديّ في أسرار الشهادة(1): وفي رواية عبد الله الأهوازي عن جدّه قال: قال إسحاق بن حيوة - لعنه الله -:

لمّا أقبل العبّاس(عليه السلام) بالجود، فثرنا عليه كالجراد الطائر، فصيّرنا جلده كالقنفذ.

قال: فحمل عليهم العبّاس، فتفرّقوا عنه هاربين كما يتفرّق عن الذئب الغنم، وغاص في أوساطهم، فقتل علي ما نقل ثمانمائة فارس . . . والخبر مطوّل.

1- أسرار الشهادة : 321 .

ترجيح قول الطريحي :

هـذا أمر لا يحتاج إلي البيان في اختيار أيّ الأقوال أقرب إلي المعقوليّة، وإن كان لا منافاة بينهما لما ذكرنا، ولكنّي أجد في مدرك التفكير أنّ العبّاس(عليه السـلام) لا يجسر كلّ أحد علي الدنّو منه لشهرته بالشجاعة، فلا يدنو منه إلاّ الجريء المقدام، ولا أجد من تهون عليه نفسه إلاّ عدد الثمانين، فما دون، وقد سـمعنا من بعض المطّلعين علي سبيل المذاكرة أنّ الأشتر النخعي يوم صـفّين كان يقتل العدد الذي يقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السـلام) عرف ذلك من تكبيره، لأنّه لم يقتل بطلاً إلاّ كبّر، فيعـدّ الأشتر التكبير، فيجـد ما قتله هو بعدد ذلك التكبير، والسرّ في هذا هو ما ذكرنا من أنّ المقدم علي أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أقلّ ممّن يقدم علي الأشتر، وكان الناس يوصي بعضهم بعضاً بعدم مبارزته.

فقد قال معاوية بن أبي سـفيان لحريث مولاه، وكان فارس أهل الشام: اتّق علياً وضع رمحك حيث شـئت، وقال لعمرو بن العاص، وقد أشار عليه بمبارزة أمير المؤمنين(عليه السـلام): يا عمرو! إنّما أردت قتلي لتصـفو لك الشام، أما علمت أنّ ابن أبي طالب ما بارزه أحـد إلاّ وسـقي الأرض من دمه.

فالشجاعة العبّاسية فرع الشجاعة العلويّة قدّت منها قدّاً، وهذا الشبل من ذاك الأسد، وقد قيل فيه:

بطل تورّث من أبيه شجاعة

فيها أُنوف ذوي الضلالة ترغم

وكان أبو الفضل العبّاس(عليه السلام) يوم كربلاء إذا استحلم أحد من أنصار أخيه الحسين(عليه السلام) شدّ علي القوم واستنقذه، وليست المحاماة عن الأصحاب واستنقاذ من أحاطت به الجيوش يوم كربلاء إلاّ له ولأخيه الحسين(عليه السلام)، وهو حامي الكلّ، نعم ذكر المؤرّخون، ومنهم الطبري في التاريخ(1) قال: فأمّا الصيداوي عمر بن خالد

وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولي عمر بن خالد ومجمع بن عبد الله العائذي، فإنّهم قاتلوا في أوّل القتال، فشدّوا مقدمين بأسيافهم علي الناس، فلمّا وغلوا عطف عليهم الناس، فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد، فشدّ عليهم العبّاس بن علي فاستنقذهم، فجاؤوا وقد جرحوا، فلمّا دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم فقاتلوا في أوّل الأمر حتّي قتلوا في مكان واحد . ..

للمظفر :

أفديك يا قمر العشيرة منجداً

للواقعين بشدّة الأهوال

ما زلت تنجد في الحروب من اغتدي

غرض المنيّة يوم كلّ نزال

أنجدت صبحك ضارباً ثبج العدي

في حدّ عضب لامع كزلال

وتركت جند المارقين جزائراً

للوحش في يزنيك العسّال

فرّقت جمع بني الخنا فتفرّقوا

كالشاء عند تقحّم الريبال

1- تاريخ الطبري : 6/255 .

أنقذت صحبك والمنيّة أحدقت

فيهم بيوم مفعم الأهوال

لكن رأوا رفض الحياة غنيمة

فاستقدموا شدّاً بلا إمهال

علماً بأنّ الفوز بعد فراقها

بنعيم جنّات نفيس غالي

وقد أكثر الشعراء من نعت العبّاس الأكبر(عليه السلام) بالشجاعة، ويأتي في رثائه ذكر ذلك، ومنه قول بعضهم:

هو العبّاس ليث بني نزار

ومن قد كان للاجي عصاما

هزبر أغلب تخذ اشتباك

الرماح بحومة الهيجا أجاما

فمدّت فوقه العقبان ظلاً

ليقريها جسومهموا طعاما

أبيّ عند مسّ الضيم يمضي

بعزم يقطع العضب الحساما

وفاء العبّاس الأكبر(عليه السلام)

ومن صفات العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) الوفاء، وهذا الخلق من أظهر أخلاقه الفاضلة وأشهر سجاياه الكريمة، فقد كان(عليه السلام) وفيّاً كريماً، والوفاء شيمة موروثة له من أسلافه الكرام، وسجيّة طبع عليها وهو غلام، والوفاء من أكرم خصال البشر، ومن الصفات المحمودة التي حرّض الشارع المقدّس عليها، وأكّد الألتزام بها، ونهي عن ترك التخلّق بها.

مظاهر الوفاء:

مظاهر الوفاء كثيرة، منها: الثبات علي البيعة، وإمضاء العهد

والوعد، وإخلاص الطاعة للنبيّ والإمام المفروضة طاعته من الله – تعالي – نصّاً.

معني الوفاء لغة:

قال الفيروزآباديّ في القاموس: وفي بالعهد – كوعي – وفاءاً ضدّ غدر كأوفي، والشيء وفي – كصلّي – تمّ وكثر.

وقال ابن الأثير في النهاية(1): أوفي الله ذمّتك أي أتمّها، ووفت ذمّتك أي تمّت، واستوفيت حقّي أخذته تمامّاً.

وقال الفيّوميّ في المصباح المنير(2): وفيت بالعهد والوعد أفي به وفاءاً، والفاعل وفيّ، والجمع أوفياء وأوفيت به إيفاءاً.

قال أبو زيد: أوفي نذره أحسن الإيفاء به، ثمّ قال: وفّي الشيء بنفسه يفي إذا تمّ.

وقد استبان من جميع هذا الفقرات أنّ الوفاء هو التمام والإتمام، وممّا لا شكّ فيه أنّ العبّاس الأكبر شهيد الطف قد تمّ علي بيعة الحسين(عليه السلام)، وأتمّ وعده له بالنصرة، فلم يغّير ولم يبدّل.

معني الوفاء عرفا وعقلاً:

1- النهاية 4/223 .

2- المصباح المنير 2/300 .

أمّا معناه العرفيّ، فهو كاللغويّ لا يختلف عنه، وهو معناه الشرعيّ، وأمّا معناه العقليّ فقد قال الجرجانيّ في التعريفات(1): الوفاء هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء.

مدح الوفاء وتوكيد الالتزام به:

آيات القرآن لا خفاء فيها علي القارئ، وهي كثيرة كقوله تعالي: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بَالْعُقُودِ))(2).

وكقوله ((أَوْفُوا بَالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤولاً))(3).

وكقوله في مقام المدح ((وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ))(4).

وكقوله في مقام النهي ((وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً))(5).

وكقوله في مقام الوعد والوعيد ((فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَي نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَي بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجْراً عَظِيماً))(6)، وهي كثيرة، وكذلك الأحاديث مشهورة ومستفيضة.

1- التعريفات : 174 .

2- المائدة : 1 .

3- الإسراء : 34 .

4- المؤمنون : 8 .

5- النحل : 91 .

6- الفتح : 10 .

ثمرة الوفاء وفوائده:

فاطمئنـان النفس وثقتهـا به، ولولاـ الوفاء ما أطمأنّ شـخص بشـخص، ولا وثق إنسان بإنسان، وبالوفاء جرت المعاملات علي نظام العـدل، وقطعت جراثيم التعدّيات، وبه انتظمت أُمور الراعي والرعيّة، إلي غير ذلك من الثمرات التي لا تجهل.

وليس وجوب الوفاء خاصّاً بالعهـد، بل يجب الوفاء بالوعـد أيضاً وبالنـذر وبالبيعة وللجار والنزيل وبالطاعات كلّها، لأنّ الله – تعالي – أخذ العهـد والميثاق علي العباد، وهم في الأصـلاب حين قال ((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ))، وأشـهدهم بـذلك علي أنفسـهم، وقد ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة أنّ الحجر الأسود يشهد لمن استلمه من العباد بالموفاة، وإذا وجب ذلك بحسب الميثاق المأخوذ علي العباد وجب الوفاء به علي الإنسان، ويجب قيام كلّ عضو من الإنسان في الوفاء بتكليفه الخاصّ به.

وفاء العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) والنصّ عليه:

لاـ برهان علي إثبات وفاء العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السـلام) أكبر من شـهادة الإمام جعفر بن محمّـد الصادق(عليهما السـلام) في زيارته التي رواها الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّيّ في كتاب كامل الزيارة(1) بسند

1- كامل الزيارة : 256 ط النجف .

معتبر وفيها: ((أشـهد لك بالتسـليم والتصـديق والوفاء والنصـيحة لخلف النبيّ المرسل والسـبط المنتجب والـدليل العالم والوصـيّ المبلّغ والمظلوم المهتضم..)).

وفيها عنـد الـدخول إلي الحرم يقول: ((فجزاك الله أفضل جزاء وأكثر الجزاء وأوفي جزاء أحد ممّن وفي بيعته واسـتجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره . .)) إلي آخر الزيارة المباركة.

وهذا ظاهر، لأنّ جميع أفعال العبّاس بن عليّ(عليهما السـلام) يوم الغاضـريّة وفاء منه بحقّ الطاعة المأخوذة في الميثاق علي البشر، والوفاء برعاية حقّ الإمام(عليه السـلام)، والوفاء بالبيعة، والوفاء بالوعد له بالنصـرة، والوفاء برعاية حقّ الصحبة والجوار، إلي غير ذلك من أنواع الوفاء المحمود الذي أدّاه أبو الفضل(عليه السلام).

قال الشيخ المظفر :

أوفي الأماجد في عهد وفي عدة

وفي ذمام وفاء غير منكور

شبل الوصيّ وفي للسبط بيعته

إذ أخلفت وعده أهل المعاذير

فقام بالطفّ والهنديّ في يده

كشعلة النار في ظلماء ديجور

يستحصد القوم حصد الزرع مجتهداً

بذي الفقار فسائل يوم عاشور

إباء العبّاس الأكبر(عليه السلام)

ص: 295

ومن صفات العبّاس الأكبر(عليه السلام) النفسيّة: الإباء، هذا الخلق النفسي من أميز أخلاقه وأشهر صفاته، ولا تقصر شهرته عن شهرة الشجاعة.

والإباء هو من شيم الأحرار وشمائل الكرام، ومن أمارات المجد ودلائل النجابة وعزّة النفس، وأحد نتائج الشجاعة التي هي إحدي فضائل النفس وأُصولها الأربعة، فإنّ النفس العزيزة يحدث لها امتناع عن قبول الضيم والرضوخ لذلّ الإستعباد، فمتي ما سيمت ضيماً أو أُريد بها هواناً نفرت نفرة المهرة العربيّة عند صلصة اللجام، ومثلت هذه النفس الحرّة والروح الكريمة الموتتين اللتين ستلاقيهما لا محالة، ولا بدّ لها من أحدهما، الموتة الحميدة علي حدود السيوف المسلولة، والموتة الذميمة علي فراش الذلّة والهوان، فتختار أحد الموتتين.

والإباء محبوب لكلّ نفس حرّة في كلّ دور من أدوار حياة البشر، وهو الذي أكّدته الشرائع السماويّة والكتب المقدّسة، وندبت إليه الأسفار المنزلة من عند الله – تعالي – فهو الإباء الذي يكون في سبيل دفع الاستعباد الجائر، ومقاومة الطاغوت الجبّار، ذاك هو الإباء الحرّ، وهو مرّ المذاق، كريه الطعم إلاّ في فم من استعذبه علي مجاجة مذاقه ومرارة طعمه.

وقد أسّس لهذا الإباء الحسين بن عليّ(عليهما السلام) واقتفي أثره أهل بيته الأحرار الأماجد أُباة الضيم وحماة الأُنوف، فاقتدي به وبهم سائر من عاف الذلّ وترفّع عن الرضوخ للهوان، ولذلك يقول قائلهم، وقد صمّم

علي الموت مستدفعاً به ضيم الحياة، ومؤثراً عزّ المنيّة علي ذلّ العيشة الدنيّة:

وإنّ الأُولي بالطفّ من آل هاشم

تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا

معني الإباء لغة:

قال في القاموس: أبي الشيء يأباه إباء وإباءة بكسرهما: كرهه، والأبيّة التي تعاف، والتي لا تريد عشاء، وأبيت الطعام كرهته، ورجل أبيّاً – محرّكة – امتنع فهو آب وآبي.

وقال في المصباح: أبي الرجل يأبي إباء – بالكسر والمدّ – إباية: امتنع فهو آب وآبي.

وقال في النهاية: الإباء أشدّ الامتناع.

والإباء هو الامتناع من المذلّة، وهو كما علمت نتيجة الشجاعة.

قال في سلوك المالك(1): الأنفة وهي نبو النفس عن الأُمور الدنيّة.

وقال(2): وأن يحدث عن تركيب الشجاعة مع العفّة الغيرة علي الحرم وإنكار الفواحش.

والعرب يرون تضحية النفس في سبيل حفظ الشرف وعدم الانقياد للسلطة الجائرة الجبّارة متجاوزاً حدّ الشجاعة، ويسمّون الاتّصاف بها

1- سلوك المالك في تدبير الممالك : 26 .

2- سلوك المالك في تدبير الممالك : 33 .

إباء وأنفة وحميّة، فيقولون للمتّصف بها: حمي الأنف، وأبي الضيم، ويقولون: فلان غيور فخور أنف، وفلان ذو أنفة.

كلّ هذه الألفاظ تطلق علي من تجاوز وصف الشجاعة إلي وصف أرقي منها وأنبل، وكانت هذه الصفات من ممّيزات بني هاشم، وشعار الحماة من آل عبد المطّلب لذلك يقول راثي الحسين(عليه السلام):

قل بقوم بهمو يحمي الطريد

واستقام الكون فيهم والوجود

أبرغم منكموا ساد يزيد

يا أُباة الضيم ما هذا القعود

والموالي اليوم سادتها العبيد

واختصّ بها الحسين بن عليّ(عليهما السلام) وأهل بيته دون سائر العرب، فإذا قيل: ((أبيّ الضيم)) لا يتبادر منه إلاّ الحسين(عليه السلام)، والتبادر علامة الحقيقة، فإنّ موقف الحسين(عليه السلام) في كربلاء بإزاء تيّار العدوّ المتلاطم، وثباته في ذلك الموطن الحرج الذي تزلّ فيه أقدام الشجعان ممّا أدهش العقول وحيّر الأفكار وأذهل الألباب حتّي أصبح ذلك السيّد العظيم نحيرة المجد والشرف، وضحيّة الفخر والسؤدد، ولذلك أصبح أسوة الأشراف، وقدوة العظماء المتأثّرين بعده، كما تمثّل بعضهم وقد ليم علي الإقدام: ((وإنّ الأُولي بالطفّ))، البيت المتقدّم.

أسباب الإباء وثمراته:

وهي كثيرة، أهمّها في النظر من حيث السببيّة هي عزّة النفس، فإنّ النفس متي كانت عزيزة امتنعت عن كلّ وصمة تمسّ الشرف، وعافت

كلّ دنيّ محتقر يدنسّ المجد والسؤدد، وهان عليها الموت مع العزّ.

وأهمّ الثمرات في الإباء هو التخلّص ممّا يلحق المجـد من عار الأبـد وخزي الدهر، فإنّ الراضخ للهوان المحتمل للاهتضام سـيعيش قليلاً وينتقل إلي الفناء ذميماً ممقوتاً مع تحمّله عناء الـذلّ الطويل والخزي الوبيل، والأبي يعيش قليلاً عزيزاً، ويموت كريماً حميـداً، ما ذكره حرّ إلاّ وأثني عليه، ولا نعت عند شـهم إلاّ قرظه وأطراه، ولا ثار ثائر في طلب مكرمة أو تفادياً من جور أو تخلّصاً من ذلّ إلاّ هتف باسمه ونوّه فيه تنويه مخلص مقتدياً به اقتداء المأموم بإمامه العادل.

قال عبد العزيز بن نباتة السعديّ في سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام):

والحسين الذي رأي الموت في ال-

-ع--زّ حياة والعيش في الذلّ قتلا

وقال يزيد بن مفرغ الحميريّ وتمثّل بها الإمام الحسين بن عليّ(عليهما السلام):

لا ذعرت السوام في فلق الصب--ح

مغيراً ولا دعوت يزيدا

يوم أعطي من المخافة ضيماً

والمنايا يرصدنني أن أحيدا

وروي الراغب الأصبهاني الشافعي في محاضرات الأدباء(1) أبياتاً قالها الإمام الحسين بن عليّ(عليهما السلام) يوم قتل وهي:

أذلّ الحياة وذلّ الممات

وكلاً أراه طعاماً وبيلا

فإن كان لابدّ إحداهما

فسيرا إلي الموت سيرا جميلاً

فالحسين(عليه السلام) المثال الحقيقي للإباء، والمثال الأعلي لكلّ أُحدوثة مجد

1- محاضرات الأُدباء 3/60 .

يتحـدّث بهـا كريم نفس وحميّ أنف، فقـد أصـبح بما سـنّه من الإباء وعزّة النفس وامتناعها من الرضوخ للمذلّـة والهوان أُسوة كلّ ذي نفس شمّاء، وقدوة كلّ ذي همّة قعساء.

والآبون أقسام: قسم يأنف لاهتضام جار أو نزيل.

وقسم يأنف من هوان يمرّ به يسومه إيّاه ذو رفعة واقتدار.

وقسم يأنف من هتك عرض واهتضام الحرم.

وقسم وهو أشرف هذه الأقسام وأذكرها وأفخرها، وهو الذي يأنف من الرضوخ لإمرة جبّار وضيع، وسلطة أثيم معتدي يروم استعباد الأحرار، ويحاول السـيطرة علي الكبراء بسـلطته الجبّارة الجائرة، ويجهـد في إذلالهم بقوّته القاهرة، وعنـد الشـيعة شـمم وشـموخ وعزّة نفس وكبرياء متمنّعـة بمجـدها السامي وفخرها الشامـخ والإباء الذي سنّ لقمع ولاة الجور وردع أئمّة الفجور وحكّام الجبروتيّة هو الذي أسّسه أبو الائمة شهيـد كربلاء سـبط رسول الله(صـلي الله عليه واله) أبو عبد الله الحسـين بن عليّ(عليهما السـلام) حين نهض تلك النهضة الكريمة، وقام ذلك القيام المقدّس المقدّر المحترم عند جميع الأحرار إلي يومنا هذا، وهو الذي يتمسّك به أرباب الغيرة والحميّة.

وقد تمثّل سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) بقول شاعر الأنصار، وقد ليم علي الجهاد مع النبيّ(صلي الله عليه واله) وخوّف بالموت:

سأمضي وما بالموت عار علي الفتي

إذا ما نوي حقّا وجاهد مسلما

وواسي الرجال الصالحين بنفسه

وجاهد مثبوراً وفارق مجرما

فالقيام الحسيني له مبادئ تشتمل علي غايات شريفة، وهي نشر العدل بين الأمّة والتسوية والمساوات في القسم، ونشر الأحكام كلّها التي فرضتها شريعة الإسلام، ولها خواتم تشتمل علي فضائل شتّي كاختيار القتلة الحميدة علي الحياة الذميمة، وعدم الإنقياد للوضعاء الأدنياء، واختيار السعادة السرمديّة بإحياء الذكر في الأجيال المتعاقبة وهي حياة خالدة أبد الدهر.

إباء أبي الفضل بن أمير المؤمنين(عليهما السلام):

قد بذل له الأمان ولإخوته الأشقّاء خاصّة غير الأمان الذي أُعطي للحسين(عليه السلام)ولأصحابه عموماً، وقام بطلب الأمان من ابن زياد للعبّاس(عليه السلام) وإخوته رجلان من أخوالهم في ظاهر الأنساب، وهما عبد الله بن أبي المحل الكلابي والشمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي، وكانت له منزلة عند ابن زياد ومكانة مكينة، فقاما إليه لمّا صمّم علي قتل الحسين(عليه السلام) وطلبا منه الأمان لبني أُختهم العبّاس وإخوته.

ذكر ابن الأثير في تاريخ الكامل(1) والطبريّ في تاريخ الأُمم والملوك ولفظه(2):

أبو مخنف عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريط العامري قال: قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب - يعني بقتل الحسين(عليه السلام) - قام

1- الكامل في التاريخ لابن الأثير : 4/33 .

2- تاريخ الطبري : 6/236 .

هو وعبـد الله بن أبي المحل، وكانت عمّته أُمّ البنين ابنـة حزام عند عليّ بن أبي طالب(عليهما السـلام)، فولدت له العبّاس وعبد الله وجعفر وعثمان، وقال عبد الله بن أبي المحل بن حزان بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصـلح الله الأمير إنّ بني أُختنا مع الحسين، قال: فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت؟ قال: نعم ونعمة عين.

فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولي له يقال له ((كزمان))، فلمّا قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال الفتية: إقرأ خالنا السلام وقل له: لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سميّة.

قال: فأقبل شـمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيـد الله بن زياد إلي عمر بن سـعد، فلمّا قدم عليه فقرأه، فقال له عمر: ما لك؟ ويلك! لا قرّب الله دارك وقبّح ما أقدمت به عليّ، والله إنّي أظنّك أنت نهيته أن يقبل ما كتبت به إليه، فأفسدت علينا أمر كنّا رجونا أن يصـلح، لا يستلسم – والله – حسين، إنّ نفس أبيه بين جنبيه.

فقال له شمر: وما أنت فاعل؟ أتمض لأمر أميرك وتقتل عدوّه! وإلاّ فخلّ بيني وبين الجند والعسكر.

فقال: ولا كرامة لك، وأنا أتولّي ذلك منهم.

قال: فدونك أنت فكن علي الرجّالة!

قال: فنهض إليه عشيّة الخميس لتسع مضين من المحرّم.

قال: وجاء شمر حتّي وقف علي أصحاب الحسين(عليه السلام) وقال: أين بنوا اُختنا؟

فخرج إليه العبّاس وجعفر وعثمان بنو عليّ، فقالوا له: ما لك؟ وما تريد؟

فقال: أنتم يا بني اُختي آمنون.

فقال الفتية: لعنك الله ولعن أمانك – وإن كنت خالنا – أتؤمننا وابن رسول الله(صلي الله عليه واله)لا أمان له.

أمّا الشيخ المفيد والسيّد ابن طاووس وابن نما(1)، فذكروا أمان الشمر خاصّة

ونصّ السيّد في الملهوف(2):

ورد كتاب عبيد الله بن زياد علي عمر بن سعد يحثّه علي تعجيل القتال، ويحذّره من التأخير والإمهال، فركبوا نحو الحسين(عليه السلام)، وأقبل شمر بن ذي الجوشن ونادي: أين بنو اُختي عبد الله وجعفر والعبّاس وعثمان؟

فقال الحسين(عليه السلام): أجيبوه ولو كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم!

فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: يابني اُختي! أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد!

1- مثير الأحزان : 31 .

2- الملهوف : 77 .

فقـال له العبّـاس بن علي(عليهما السـلام): تبّت يـداك، وبئس ما جئت به من أمانك يا عـدوّ الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسـيّدنا الحسـين بن فاطمة(عليهما السلام)، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟!

فرجع الشمر إلي عسكره مغضباً.

وهذا أمر مشهور عند أرباب المقاتل، وهذا هو الإباء الحرّ، وهذه هي الحميّة الخالصة، والأنفة المحضة، فإن عدّ بعض من الأُباة الآنفين من المذلّة وقد بذل له الأمان مرّة واحدة، فقد تكرّر بذل الأمان للعبّاس وإخوته:، فكان أربع مرّات:

مرّتان له بالاشتراك مع أخيه الحسـين(عليه السـلام) في أمان عمرو بن سـعيد، وأمان عبيد الله بن زياد للحسين(عليه السلام) وأصحابه، وقد رفض أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) الإثنين، وأبو الفضل معه.

ومرّتان كانتا له خاصّة، كما سمعت، فرفضهما أيضاً أبو الفضل.

وقد أحسن من قال:

أبا الفضل يامن أسسّ الفضل والإبا

أبي الفضل إلاّ أن تكون له أبا

وقال الشيخ محمّد رضا الأُزري البغدادي من قصيدة:

وأشمّ لا يحتل دار هضيمة

أو يستقلّ علي النجوم رغامها

وقال الشيخ المظفر :

أبو الفضل ردّ أمان العدي

وسار إلي الموت مستعجلا

وقال اخسؤوا ياعبيد الوري

فلسنا نطيع شرار الملا

أنخضع للذلّ لا والحفاظ

ومجد أبينا عليّ العلا

وطعم المنيّة عند الحفاظ

وإن كان مرّا لدينا حلا

ألا حبذا الموت موت الكرام

علي العزّ والذلّ منّا فلا

وللحرّ نفس تعاف الهوان

وتهوي علي العزّ أن تقتلا

فهيهات نذعن لابن الدعيّ

وحكم الطليق لئيم الملا

وهذي السيوف بأيماننا

عطاش الحدود لورد الطلا

فلسنا نغادر أرض الطفوف

ولم نرتحل قطّ عن كربلا

وقد تبعتنا طيور السما

تروم قراها ووحش الفلا

سنشبعها من لحوم العدا

فلا تشتكي الجوع مستقبلاً

وقد صدق القول منه الفعال

ونال الفخار وحاز العُلا

وقال أيضاً:

أليس أبو الفضل الذي أسس الإبا

وسنّ لنا شرع الحفاظ جديدا

فكم مّرة أُعطي الأمان فعافه

وخُيِّر فاختار الممات حميدا

تردّي ثياب الفخر بيضاً نقّية

أجدن المعالي نسجهنّ برودا

فنفسي الفدا للمكتسي الحمد والثنا

ومستطعم مرّ الحفاظ برودا

فما حدّثته النفس أنّ حياته

ألذّ وأحلي أن يموت سعيدا

وما حدّثته النفس أن يحيي ساعة

يري حكماً في المسلمين يزيدا

مواساة العباس بن علي(عليهما السلام)

ص: 305

ومن صفات العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) المواساة.

والمواساة ربّما اشتبهت بالإيثار كما اختلط ذلك علي البعض.

الفرق بين الموساة والإيثار:

هي أنّ الإيثار معناه تقديم من آثرته علي نفسك وإن أضرّ بك، والموساة هي المساهمة بين نفسك وغيرك، ولا يلزم من الموساة تقديم من واسيت علي نفسك، بل يكفي في تحقيقها أن تشاركه في السرّاء والضرّاء إذا كانت الموساة في النفس، وفي العسر واليسر إذا كانت الموساة بالمال.

والموساة من الكرم والجود بكلا قسميها، أي الموساة بالنفس وبالمال، والتحقيق في ذلك:

إنّ الموساة والإيثار وإن كانا شعبة من شعب الكرم الذي هو نتيجة العفّة، ومن أكمل أخلاق النفس وأجلّ فضائلها إلاّ أنّهما يفترقان من حيث المورد والسبب:

أمّا المورد: فإنّ الإيثار مورده حيث يمتنع الاشتراك لحصول المانع، كتعذّر الوصول إليه، أو عدم كفايته للجميع، وما شابه ذلك، والموساة حيث يمكن الاشتراك.

وأمّا السبب: فالإيثار سببه علوّ الهمّة وعظم النفس، والموساة سببها دماثة الأخلاق ولطافة الشمائل وحسن الثقة بالله – تعالي – والاعتماد عليه في العسر واليسر.

معني الموساة لغة:

قال ابن الأثير في النهاية(1): الإسوة والموساة – وهي بكسر الهمزة وفتحها –:

القدوة، والموساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفاً.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: والإسوة – بالكسرة – ولا يكون ذلك إلاّ من كفاف، فإن كان من فضل فليس بمواساة.

وقال الفيّومي في المصباح المنير(2): الإسوة – بالكسرة والضمّ – القدوة، وتآسيت به وتأسيت: اقتديت، وآسيته بنفسي بالمدّ: سوّيته، ويجوز إبدال الهمزة واوا في لغة اليمن، فيقال: واسيته.

فالموساة: هي معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات.

وقيل: إنّ الموساة هي معاونة الأصدقاء والمستحقّين.

أقسام الموساة

وهي تنقسم إلي أقسام:

أحدهما:

1- النهاية لابن الأثير : 3/13 .

2- المصباح المنير : 1/12 .

بالمال كمواساة أهل الحاجة بماله، والبرّ بهم ومراعاتهم.

والثاني: بالبدن، وذلك كنصرة المرء صاحبه بالمضاربة دونه.

والثالث: بالعلم، وذلك كتأديب الرجل صاحبه ومداواته بعلمه.

والرابع: في الكلام، وذلك مناضلة المرء عن صاحبه بالخصومة عنه.

وقد أكثر العرب من التمدّح بالمواساة، فقال زهير بن أبي سلمي:

علي مكثريهم حقّ من يعتريهموا

وعند المقلّين السماحة والبذل

وعطاء المقلّ مواساة إذ لا فضل عنده.

حثّ الشارع علي المواساة

فالمواساة عند العرب من أجلّ مآثرهم التي يمتدحون بها ويفتخرون فيها جاهليّة وإسلاماً.

وقد أكّدها الشارع المقدّس وحثّ عليها، والأحاديث في الحثّ عليها كثيرة منها:

ما رواه الحرّ العاملي في كتاب وسائل الشيعة(1) عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق(عليهما السلام): لم يدع أحد معونة أخيه المسلم حتّي يسع فيها ويواسيه إلاّ أُبلي بمعونة من يأثم به ولا يؤجر.

وعن معلّي بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله الصادق(عليه السلام) في ليلة وقد رشّت السماء وهو يريد ظلّة بني ساعدة، فاتّبعته، فإذا هو قد سقط منه شيء، فقال: بسم الله، اللهمّ ردّ علينا، فأتيته فسلّمت عليه، فقال: أنت معلّي؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: ألمس بيدك فما وجدت من شيء فأدفعه إليّ.

فإذا بخبز منتشر، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب من خبز، فقلت: جعلت فداك! أحمله عنك.

فقال: لا أنا أولي به منك، ولكن أمض معي، فأتينا ظلّة بني ساعدة، فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين تحت ثوب كلّ واحد منهم حتّي أتي علي آخره، ثمّ أنصرفنا.

فقلت: جعلت فداك! يعرف هؤلاء الحقّ؟

فقال: لو عرفوا لواسيناهم بالدقّة، والدقّة هي الملح.

إلي آخر ما رواه في الوسائل.

1- وسائل الشيعة 2/527 .

فائدة الموساة وثمرتها:

ولها فائدتان مهمّتان دنيويّة وأُخرويّة:

أمّا الفائـدة الدنيويّة: فاكتساب الحمد والثناء، وهو أوّل مطلوب للأشـراف يشترونه بأغلا الأثمان، فالمواسـي يجمع الأنواع الأربعة، وخاصّـة الموساة بالنفس

والموساة بالمال، فإنّهما يكسـبان المتّصف بهما مجـداً وسؤدداً، ويورثانه فخراً وعزّاً، ويوجبان له الثناء المؤبّـد، والمـدح الخالد ما دام النوع البشريّ يدبّ علي وجه الكرة الحدباء.

وأمّا الفائـدة الأُخرويّـة: إن كان الداعي للمواساة هي التقوي، وسـببه الصـلاح لا كما يفعله أهل الجاهليّة من إرادة المدح والتقريظ، فالأجر المضاعف والحباء الجزيل في جنّات عدن التي أُعدّت للمتّقين.

مواساة العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام):

وكـانت مواساة العبّاس لأخيه الحسـين(عليهما السـلام) بثلاثـة أنواع من الموساة: بالنفس، والمال، والكلام، فإنّ احتجاجه علي أهل الكوفة معروف شعراً ونثراً، وقد نقلته المقاتل والتواريخ.

وكانت مواساته له ديانة وتقوي لم يرد بذلك إلاّ وجه الله وصـلة رسوله(صـلي الله عليه واله) وصلة الرحم لم يرد ذكراً ولا فخراً، ولكن الله – تعالي – إذا علم من شخص حسن نيّة وإخلاص نشر فضائله وسيّر ذكره في الخافقين.

وقد مدح العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) بهذه الموساة أئمّة أهل البيت(عليهما السلام):

فقـد قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليهما السـلام) للعبّاس(عليه السـلام) في زيارته المرويّة في كامل الزيارة لابن قولويه : ((أشـهد لقد نصحت للّه ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي لأخيه)).

وقال مولانا الإمام صاحب الزمان المهدي المنتظر – عجّل الله فرجه – في الزيارة المعروفة بزيارة الناحية:

((السـلام علي أبي الفضـل العبّـاس بن أمير المؤمنين المواسـي أخـاه بنفسه، الآخـذ لغـده من أمسه، الفـادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يده، لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجنبي وحكيم بن الطفيل الطائي)).

أمّا الشعراء فأكثروا مدحه لمواساته، قال بعضهم:

أحقّ الناس أن يُبكي عليه

فتي أبكي الحسين بكربلاء

أخوه وابن والده عليّ

أبو الفضل المضرّج بالدماء

ومن واساه لا يثنيه شيء

وجاد له علي ظمأ بماء

وقال الشيخ جعفر بن نما الحلّي :

حقيق بالبكاء عليه حزناً

أبو الفضل الذي واسا أخاه

وجاهد كلّ كفّار ظلوم

وقابل من ضلالهموا هداه

فداه بنفسه للّه حتّي

تفرّق من شجاعته عداه

وجاد له علي ظمأ بماء

وكان رضا أخيه مبتغاه

وللشيخ المظفر من أبيات:

ص: 311

نعم المواسي للحسين بنفسه

وبسيفه للدين نعم الآسي

وللسيّد محسن العامليّ:

لا تنس للعبّاس حسن بلائه

بالطفّ عند الغارة الشعواء

واسي أخاه بها وجاد بنفسه

في سقي أطفال له ونساء

ردّ الأُلوف علي الأُلوف معارضاً

حدّ السيوف بجبهة غرّاء

وله أيضاً:

واذكر أبا الفضل هل تنسي فضائله

في كربلا حين جدّ الأمر فالتبسا

واسي أخاه وفاداه بمهجته

وخاض في غمرات الموت منغمسا

وللمظفر أيضاً:

إنّ الموساة من أخلاق أسرته

في العسر واليسر والبأساء والبأس

فالمستجير بهم يأوي إلي حرم

سامي الذري لاذ فيه سائر الناس

وكلّما كان فيهم من مكارمهم

تجمّعت لمواسي السبط عباس

المناصحة لسيّد شباب أهل الجنّة

ومن صفات العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) المناصحة للحسين(عليه السلام) إمامه، فإنّه(عليه السلام) بذل تمام الجهد في نصيحة أخيه الحسين(عليه السلام)، وظهرت مناصحته له في الجهاد بين يديه، والقيام بواجب الإخلاص والطاعة له.

ص: 312

معني المناصحة

النصيحة والمناصحة معناهما واحد، ولكن اختلفا بالإضافة إلي ما نُسبا إليه من المضافات إليهما:

فإن كان المورد مورد مشورة وإبداء رأي، أو مدافعة قوليّة فقط، فتلك النصيحة.

وإن كان مورد مجالدة لا مجادلة بمقال، بل باجتذاب مشرفيّة واعتقال يزنيّة، فتلك المناصحة، والمعني واحد، وهو الإخلاص قولاً وفعلاً.

والنصحية أفضل صفة في النوع البشري، كما أنّ نقيضها – وهو الغشّ – أقبح خصلة في الإنسان.

والنصيحة تجب لعامّة المؤمنين إعانة وإرشاداً بحقّ وإلي حقّ، كما يحرم نقيضها، وهو الغشّ لقوله(صلي الله عليه واله): من غشّنا فليس منّا، يعني المؤمنين.

فإن كانت النصحية للمعصوم، كالنبيّ والإمام كانت أعظم في الوجوب درجة، وأبلغ تأكيداً.

وتطرّف بعضهم، فقال: هي واجبة لكلّ من اعتمد عليك ووثق بك، وقد كان في طبع جماعة من الأشراف النصحية حتّي للأعداء، والأدلّة العقليّة والنقليّة علي لزوم النصيحة والالتزام بالمناصحة كثير.

معني النصيحة والمناصحة لغة:

ص: 313

قال الفيروزآبادي في القاموس: نصحه وله نصحاً – بالضمّ – نصاحة ونصاحيّة، وهو ناصح ونصيح، من نصح ونصاح، والاسم النصيحة ونصح: خلص.

وقال ابن الأثير في النهاية: في الحديث ((إنّ الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم)): والنصيحة كلمة يعبرّ بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصيحة في اللغة الخلوص، يقال: نصحته ونصحت له.

ومعني نصيحة الله: صحّة الاعتقاد في وحدانيّة الله، وإخلاص النيّة في عبادته.

والنصيحة لكتاب الله: هو التصديق به والعمل بما فيه.

ونصيحة رسوله(صلي الله عليه واله): التصديق بنبوّته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهي عنه.

ونصيحة الأئمّة: وهم أئمّة أهل البيت النبوي: الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والنصيحة لهم معناها التصديق بإمامتهم، وأنّها فريضة من الله، ونصّ من رسوله(صلي الله عليه واله) والتسليم لهم، والانقياد لأوامرهم ونواهيهم.

مظاهر النصيحة وأسبابها وثمراتها:

للنصيحة مظاهر وأسباب وثمرات:

أمّا مظاهرها: فالمشورة، فإنّ المستشار يظهر نصح المستشير، وإذا

لم يستشره وعلم مصلحة له وكان مسلماً أظهرها.

والمحاماة بجدّ واجتهاد وبذل الجهد في ما تلزم فيه المحاماة.

والإرشاد للمتعلّم والسائل ببذل الجهد في تعليمهما ما ينفعهما، وإرشادهما إلي ما فيه مصلحتهما.

والمحافظة علي الطاعات والمواظبة عليها.

والإرشاد إلي إمامة من فرض الله إمامتهم من أئمّة أهل البيت: الإثني عشر.

أسباب المناصحة:

وهي كثيرة: منها: العفّة، فإنّ العفيف يأنف من الغشّ حتّي لعدوّه.

ومنها: الديانة، فإنّ المتديّن يري من واجبه الديني المبالغة في مصالح المؤمنين،

وفي أيّ عمل كان وقام به من أعمال وأقوال ترضي الله ورسوله(صلي الله عليه واله).

ومنها: الحياء، فإنّ الحييّ لا يغشّ، وإنّما ينصح استحياء من نسبة الغشّ إليه.

ومنها: الصدق، فإنّ الصادق لا يكذب، فيقول له: قد نصحتك، وهو له غاش.

ومنها: سلامة الذات والفطرة، فإنّ سليم الذات لا يغشّ، ولا يري النصح إلاّ لازماً، وما ذاك إلاّ لسلامة نفسه وفطرته علي هذا الخلق الحسن.

ثمرات المناصحة:

وأهمّها أنّها تفيد الاجتماع، ويكون داعياً إلي الأنفة، وموجباً للثّقة والاطمئنان.

ومن ثمراتها عند المتديّن: الفوز بما وعد الله من كرامة أرباب العمل الصالح من المخلصين لدينهم.

ومن ثمراتها: اكتساب الحمد، فإنّ الناصح ممدوح، وله القبول حتّي عند الأعداء، فإنّ الناصح له وقع في القلوب، وأثر في النفوس كبير.

الأدلّة علي فضيلة المناصحة:

في الكتاب المجيد آيات كثيرة كقوله تعالي ((إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ)).

وقد حكي النصح عن كثير من أنبيائه كقوله: ((وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)).

وقوله حكاية عن نوح(عليه السلام): ((وَلاَ يَنفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أنصَحَ لَكُمْ)).

وقوله حكاية عن صالح:((وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِن لاَتُحَبُّونَ النَّاصِحِينَ)).

وأمّا الأحاديث، فهي أيضاً كثيرة منها:

ما رواه ثقة الإسـلام محمّد بن يعقوب الكليني في أصول الكافي عن الإمام الباقر محمّد بن عليّ(عليهما السـلام) قال: قال رسول الله(صلي الله عليه واله): لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه.

وعن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلي الله عليه واله): إنّ أعظم الناس عند الله منزلة يوم

القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه.

الحثّ علي قبول النصيحة:

روي الكلينيّ في الكافي عن أبي العديس قال: قال أبو جعفر(عليه السـلام): ياصالح! اتّبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون جميعاً إلي الله.

ردّ النصيحة مقرون بالنكبة:

من ردّ النصيحة فنكب وأصيب بضرر الدنيا أو في الدين فقد شهدت الوقائع التاريخّية علي تارك النصيحة بالعطب الدينيّ والدنيويّ.

أمّا من ردّ النصيحة فأهلك نفسه وأتلف دينه وأذهب مروّته فكثير، وأشهر من لبس هذا الجلباب المخزي، وتردّي بهذا الرداء الفاضح عمر بن سعد بن أبي وقّاص الزهريّ قاتل الحسين بن عليّ(عليهما السلام).

قال الطبريّ في التاريخ(1): لمّا كان من أمر الحسين(عليه السلام) ما كان، دعا عبيد الله بن زياد عمر بن سعد، فقال: سر إلي الحسين(عليه السلام) فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلي عملك .

فقال عمر بن سعد: إن رأيت أن تعفيني فافعل.

فقال له عبيد الله: نعم علي أن تردّ لنا عهدنا.

قال: فلمّا قال له ذلك قال له عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتّي أنظر.

قال: فمضي عمر يستشير نصحائه، فلم يكن يستشير أحد إلاّ نهاه .

قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة، وهو أبن أُخته، فقال: أُنشدك الله يا خال أن تسير إلي الحسين(عليه السلام) فتأثم بربّك وتقطع رحمك، فو الله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان لك خير لك أن تلقي الله بدم الحسين(عليه السلام).

فقال له عمر: أفعل إن شاء الله.

وعن عمّار بن عبد الله الجهنيّ، عن أبيه قال: دخلت علي عمر بن سعد وقد أُمر بالمسير إلي الحسين(عليه السلام)، فقال لي: إنّ الأمير أمرني بالمسير إلي الحسين(عليه السلام)، فأبيت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك مراشدك، أجل فلا تفعل ولا تسر إليه.

قال: فخرجت من عنده، فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد

1- تاريخ الطبريّ: 6/23 .

يندب الناس إلي الحسين(عليه السلام).

قال: فأتيت فإذا هو جالس، فلمّا رآني أعرض عنّي بوجهه، فعرفت أنّه قد عزم علي المسير إليه، فخرجت من عنده.

وذكر فخر الدين الطريحيّ في المنتخب(1) والفاضل المجلسيّ في البحار(2) ما لفظه:

ثمّ إنّ ابن زياد نادي في عسكره: معاشر الناس! من يأتيني برأس الحسين وله الجائزة العظمي، وأعطه ولاية الري سبع سنين.

فقام إليه عمر بن سعد وقال: أصلح الله الأمير! أنا أمضي إليه وأمنعه من شرب الماء وآتي برأسه.

ثمّ مضي من وقته وساعته ودخل منزله، فدخل عليه أولاد المهاجرين والأنصار وقالوا: يا بن سعد! تخرج إلي حرب الحسين وأبوك سادس الإسلام(3)؟! فقال: لست أفعل ذلك.

ثمّ جعل يفكّر في ملك الري وقتل الحسين(عليه السلام) فأضلّه الشيطان وأعمي قلبله،

فاختار قتل الحسين(عليه السلام).

ولفظ المجلسي : لمّا جمع ابن زياد قومه لحرب الحسين(عليه السلام) كانوا سبعين ألف فارس، فقال ابن زياد: أيّكم يتولّي قتل الحسين وله ولاية

1- المنتخب: 2/93.

2- بحار الأنوار: 10/196.

3- هذا مشهور، وهو غير صحيح، وكثيراً ما اشتهر شيء وهو خلاف الواقع، سادس الإسلام هو خباب بن الأرت لا سعد بن أبي وقّاص.

أيّ بلد شاء؟ فلم يجبه أحد منهم، فاستدعي بعمر بن سعد لعنه الله وقال: يا عمر أُريد أن تتولّي حرب الحسين بنفسك، فقال له: اعفيني من ذلك.

فقال ابن زياد: قد أعفيتك فاردد علينا عهدنا الذي كتبنا لك بولاية الري.

فقال عمر: أمهلني الليلة، فقال: قد أمهلتك.

فانصرف عمر بن سعد إلي منزلة، وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من أصحابه فلم يشر عليه أحد بذلك.

وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له ((كامل))، وكان كاملاً كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل، وكان صديقاً لأبيه من قبله، فقال له: يا عمر! ما لي أراك بهيئة وحركة فيما الذي أنت عازم عليه؟

فقال عمر: إنّي قد وُلِّيتُ أمر هذا الجيش في حرب الحسين، وإنّما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل أو كشربة ماء، وإذا قتلته خرجت إلي ملك الري.

فقال له كامل: أُفّ لك يا عمر بن سعد تريد أن تقتل الحسين بن بنت رسول الله! أُفّ لك ولدينك، يا عمر أسفهت الحقّ، وضللت عن الهدي؟! أما تعلم إلي حرب من تخرج؟ ولمن تقاتل؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله لو أُعطيت الدنيا بما فيها علي قتل رجل واحد من أُمّة محمّد(صلي الله عليه واله) لما فعلت فكيف تريد تقتل الحسين بن بنت رسول الله(صلي الله عليه واله)؟

وما الذي تقول غداً لرسول الله(صـلي الله عليه واله) إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرّة عينه وثمرة فؤاده وابن سـيّدة نساء العالمين وابن سيّد الوصـيّين، وهو سـيّد شـباب أهل الجنّـة من الخلق أجمعين، وإنّه في زماننا هذا بمنزلة جدّه في زمانه، وطاعته علينا كطاعته، وإنّه باب الجنّة والنار، فاختر لنفسك ما أنت مختار، فإنّي أشهدت بالله

إن حاربته وقتلته أو أعنت عليه أو علي قتله لا تلبث بعده في الدنيا إلاّ قليلاً.

فقال عمر: فبالموت تخوّفني؟! وإنّي إذا فرغت من قتله أكون أميراً علي سبعين ألف وأتولّي ملك الري؟!

فقال كامل: إنّي أُحدّثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفّقت للقبول:

اعلم أنّي سـافرت مع أبيك سـعد إلي الشام فانقطعت بي مطيّتي عن أصـحابي، وتهت وعطشت، فلاح لي دير راهب فملت إليه، ونزلت عن فرسي وأتيت إلي باب الدير لأشرب الماء، فأشرف عَلَيّ راهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟

فقلت: إنّي عطشان.

فقال: أنت من أُمّة هذا النبيّ الذي يقتل بعضهم بعضاً علي حبّ الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها علي حطامها؟

فقلت له: أنا من الأُمّة المرحومة أُمّة محمّد(صلي الله عليه واله).

فقال: لا إنّكم شرّ أُمّة! فالويل لكم يوم القيامة، وقد غدرتم عترة نبيّكم، تقتلون رجالهم، وتسبون نسائهم، وتنهبون أموالهم.

فقلت له: يا راهب! نحن نفعل ذلك؟

قال: نعم، وإنّكم إذا فعلتم ذلك عجّت السماوات والأرضون والجبال والبحار والوحوش والأطيار باللعنة علي قاتلهم، ثمّ لا يلبث قاتله إلاّ قليلاً، ثمّ يظهر رجل يطلب بثأره، فلا يدع أحداً شرك في دمه إلاّ قتله وعجّل الله بروحه إلي النار.

ثمّ قال لي الراهب: إنّي لأري لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيّب، والله إنّي لو أدركت أيّامه لوقيته بنفسي من حدّ السيوف.

فقلت: يا راهب! إنّي أُعيذ نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله(صلي الله عليه واله).

قال: إن لم تكن أنت فرجل قريب منك، وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل

النار، وإنّ عذابه أشدّ من عذاب فرعون وهامان.

ثمّ ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله وأبي أن يسقيني الماء.

قال كامل: فركبت فرسي ولحقت بأصحابي، فقال لي أبوك سعد: ما أبطأ بك عنّا يا كامل؟

فحدّثته بما سمعت من الراهب فقال لي: صدقت، ثمّ إنّ سعدا أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة قبلها، فأخبره أنّه هو الذي يقتل ابن بنت رسول الله(صلي الله عليه واله) فخاف أبوك سعد من ذلك، وما خشي إلا أن تكون أنت قاتله، فأبعدك عنه وأقصاك، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه، فيكون عليك نصف عذاب أهل النار.

قال: فبلغ الخبر ابن زياد، فاستدعي بكامل فقطع لسانه، فعاش

يوماً أو بعض يوم ومات .

ردّ أهل الكوفة نصيحة الناصحين:

والناصحون لهم كثيرون، منهم:

نصيحة برير بن خضير الهمداني المشرقي:

قال الشلبنجيّ الشافعيّ في نور الأبصار(1) في حديث كربلاء:

ص: 323

1- نور الأبصار: 117.

فحالوا بين الحسين(عليه السلام) وبين الماء، فعند ذلك ضاق الأمر علي الحسين(عليه السلام) وعلي أصحابه، واشتدّ بهم العطش، وكان مع الحسين(عليه السلام) رجل من أهل الزهد والورع يقال له: يزيد بن حصين الهمدانيّ(1)، فقال للحسين(عليه السلام): ائذن لي يا بن رسول الله آتي عمر بن سعد وأُكلّمه في الماء، لعلّه أن يرتدع، فأذن له.

فجاء الهمداني إلي عمر بن سعد، وكلّمه في الماء، فامتنع ولم يجبه إلي ذلك،

فقال له: هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب والدوابّ! وتمنع منه ابن بنت رسول الله(صلي الله عليه واله) وأولاده وأهل بيته العترة الطاهرة يموتون عطشاً، وقد حلت بينهم وبين ماء الفرات، وتزعم أنّك تعرف الله ورسوله؟!

فأطرق عمر بن سعد وقال: يا أخا همدان! إنّي لأعلم ما تقول، وأنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون أهله

إلي خصلة فيها خرجت لحيني

فوالله ما أدري وإنّي لواقف

علي خطر لا أرتضيه ومين

آآخذ ملك الريّ والريّ بغيتي

إو أرجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها

حجاب وملك الريّ قرّة عيني

ثمّ قال: يا أخا همدان! ما أجد نفسي تجيبني إلي ترك ملك الري لغيري.

1- الظاهر أنّ يزيد بن حصين تصحيف برير بن خضير.

فرجع يزيد بن حصين الهمدانيّ إلي الحسين(عليه السلام) وأخبره بمقالة ابن سعد.

أمّا ابن طلحة الشافعيّ في مطالب السئول، فذكر: أنّ الهمدانيّ لم يسلّم علي ابن سعد، فقال ابن سعد: يا أخا همدان! ما منعك من السلام عليّ؟ ألست مسلماً أعرف الله ورسوله؟!!

فقال الهمدانيّ: لو كنت مسلماً كما تقول لما خرجت إلي عترة رسول الله(صلي الله عليه واله) تريد قتلهم، وبعد! فهذا ماء الفرات وذكر مثلما تقدّم(1).

نصيحة زهير بن القين

ومنهم: زهير بن القين البجليّ، ذكر أبو جعفر الطبريّ في التاريخ(2) عن كثير بن عبد الله الشعبيّ قال:

1- مطالب السئول: 76.

2- تاريخ الطبري: 6/243.

لمّا زحفنا قبل الحسين(عليه السلام)خرج إلينا زهير بن القين علي فرس له ذنوب شاك في السلاح، فقال:

يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار، إنّ حقّاً علي المسلم نصحية

أخيه المسلم، ونحن حتّي الآن إخوة علي دين واحد وملّة واحدة ما لم يقع بيننا بينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وكنتم أُمّة.

إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرّيّة نبيّه محمّد(صلي الله عليه واله) لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا لندعوكم إلي نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلاّ بسوء عمر سلطانها كلّه ليسملان أعينكم، ويقطعان أيدكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، يرفعانكم علي جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم، أمثال حجر بن عديّ وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه.

قال: فسبّوه وأثنوا علي عبيد الله بن زياد ودعوا له، وقالوا: لا نبرح حتّي نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلي الأمير عبيد الله سلماً.

فقال: عباد الله! إنّ ولد فاطمة(عليها السلام) لأحقّ بالودّ والنصر من ولد سميّة، فإن لم تنصروهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية، إنّ يزيد ليرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين(عليه السلام).

فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: أُسكت! أسكت الله

نامتك! أبرمتنا بكثرة كلامك!

فقال له زهير: يا بن البوّال علي عقبيه ما إيّاك أُخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله وما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشـر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له شمر: أما والله، إنّ الله قاتلك وقاتل صاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أفبالموت تخوّفني، فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم.

ثمّ أقبل علي الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله! لا يغرّنّكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشـباهه، فوالله لا تنال شـفاعة محمّد(صـلي الله عليه واله) قوماً أهرقوا دماء ذرّيّته وأهل

بيته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم.

قال: فناداه رجل فقال: إنّ أبا عبـد الله يقول لك: فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه فأبلغ في الدعاء لقد نصـحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ(1).

وقد أكثر أصحاب الحسين(عليه السلام) من نصح أهل الكوفة فغلبت عليهم شقوتهم، فأطاعوا الشيطان المغوي، واتّبعوا الهوي المردي.

المناصحة للإمام المعصوم(عليه السلام):

ص: 327

1- انظر شرح خطبة زهير بن القين، وبيان أبعادها في كتاب زهير بن القين علوي خرج يتلقي الحسين(عليه السلام) للسيد علي أشرف.

إنّ إصحاب الإمام أمير المؤمنين عليّ وسيّد الشهداء الحسين(عليهما السلام) مثال الإخلاص الحقيقيّ، والتفادي الواقعي، وهم أهل فناء في ولائهم أحياءاً وأمواتاً.

قال السيّد ابن طاوس في كتاب اللهوف: قيل لمحمّد بن بشر الحضرمي في تلك الحال: أُسر ابنك بثغر الريّ.

فقال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت أُحبّ أن يؤسر وأنا أبقي بعده.

فسمع الحسين(عليه السلام) قوله، فقال: رحمك الله أنت في حلّ من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك.

فقال: أكلتني السباع حيّاً إن فارقتك.

قال: فاعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتهاألف دينار.

والمشهور أنّ المأسور هو محمّد بن بشر، كما يذكر جماعة من المؤرّخين كالطبريّ.

وقصّة مسلم بن عوسجة لمّا مشي إليه الحسين(عليه السلام) وحبيب مشهورة في وصيّته

لحبيب بالمناصحة للحسين(عليه السلام) ولم يوصه بأمر من أُموره، ولهذا قال الشاعر:

نصروه أحياء وبعد مماتهم

يوصي بنصرته الشفيق شفيقا

أوصي ابن عوسجة حبيباً قال

قاتل دونه حتّي الحمام تذوقا

مناصحة أبي الفضل ابن أمير المؤمنين(عليهما السلام) لأخيه الحسين(عليه السلام):

مناصحة أبي الفضل(عليه السلام) كانت قوليّة وفعليّة:

أمّا القوليّة:

فقد مرّ عليك من أقواله وأشعاره ما يكفيك، ومن مناصحته القوليّة ما مرّ آنفاً من قوله لإخوته: حاموا عن سيّدكم وإمامكم الحسين(عليه السلام).

وقوله(عليه السلام) لأشقّائه: تقدّموا يا بني أُمّي حتّي أعلم أنّكم قد نصحتم لله ولرسوله(صلي الله عليه واله)...

أمّا المناصحة الفعليّة:

فأثرها ظاهر، قطعت يمينه وشماله، وهو واقف في خطّة الحرب ثابت في ساحة القتال لم يطلب لنفسه ملجأ ولا مأمناً، ولم يعد لأخيه الحسين(عليه السلام) يحتمي به من الأعداء حاذر أن يغتمّ لأجله الحسين(عليه السلام)، فثبت في مركزه بعد قطع يديه ووقف من غير يدين يذبّ بهما عن نفسه، فكأنّه قطعة جبل صلد لا يتزعزع، أو زبرة حديد لم تتحلحل، وإنّ هيبته تمنّع العدوّ من الاقتراب إليه حتّي اغتاله بعضهم متستّراً بنخلة، ففضخ هامته بعامود الحديد، فانجدل صريعاً علي وجه الثري، فهذه من أعظم المناصحة وأجلّها.

ص: 329

وقد مدح بهذه المناصحة وإثني بها عليه الأئمّة المعصومون(عليهما السلام):

قال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق(عليهما السلام) في زيارته التي رواها ابن قولويه في كامل الزيارة:

((أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبيّ المرسل

والسبط المنتجب والوصيّ المبلّغ والمظلوم المهتضم...)).

وفي محلّ آخر منها:

((أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود)).

وفي محلّ آخر منها:

((أشهد أنّك قد نصحت للّه ولرسوله ولأخيك)).

وفي محلّ آخر:

((أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة وأدّيت الأمانة وجاهدت عدوّك وعدوّ أخيك فصلوات الله علي روحك الطيّبة وجزاك الله من أخ خيراً ورحمة الله وبركاته)).

معني قوله ((أدّيت الأمانة))

وقوله(عليه السلام) ((أدّيت الأمانة)) يحتمل وجوهاً:

الأوّل:

إنّ الإمامة منصب إلهيّ ووظيفة ربّانيّة قد أخذ عهدها في الميثاق الأوّل، وهي المشار إليها بقوله تعالي:)إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَي

السَّماوّاتِ والأرْضِ((1) الآيـة، فكانت هـذه الأمانـة هي الإمامـة، كما أشار إليها ابن أبي الحديد الكاتب الحنفيّ المعتزليّ في خطاب أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام):

أنت الأمانة لا يقوم بحملها

خلقاء هابطة وأطلس أرفع

تأبي الجبال الشمّ عن تقليدها

وتضجّ تيهاء ويشفق برقع

وعرضـها عبارة عن التعهّد والالتزام بواجب طاعة الإمام التي افترضها الله علي عامّة البشر، فكان هذا العرض علي المخلوقات عرض اختبار لا عرض اختيار، إذ لا خيرة لمخلوق مع إرادة الخالق، وإباء السماوات والأرض ومن معناها ليست

إبايـة امتنـاع ومعصـية، بل إبايـة عـدم تكليف، فحملها الإنسان الـذي هو أظهر أفراد الأنواع المكلّفـة من الحيوانات، لأنّه محسوس بخلاف الملـك والجنّ، فإنّها أجسام غير مرئيّـة، ولهـذا جحـدها الجاهلون من الفلاسـفة، فكان الإنسان ظلوماً بحملها في العهـد السابق واللاحق، فيقول: بخّ بخّ مرّة، ويقول مرّة أُخري: وسّـعوها في قريش تّتسع، وكلّ من قام بطاعة الإمام ونصره فقد أدّي الأمانة، وأبو الفضل من أعظم أفراد هذا القسم.

الثاني:

1- الأحزاب: 72.

إنّ الحسين(عليه السلام) من العترة التي هي أحد الثقلين الذين أوصي رسول الله(صلي الله عليه واله) أُمّته في التمسّك بهما وبحفظهما والاقتداء بهما، وجعلهما أمانة عند أُمّته، وأبو الفضل العبّاس(عليه السلام) من الأعيان الأوفياء بتأدية هذه الأمانة، وإيصالها لرسول الله(صلي الله عليه واله) محترمة معظّمة، بذل دون حفظها نفسه النفيسة، وجعل يتلقّي السلاح بوجهه وصدره ونحره لئلاّ يصل إلي وديعة رسول الله(صلي الله عليه واله) منه شيء، وضحّي إخوته وولده لفداء الحسين(عليه السلام).

الثالث:

البيعة للحسين(عليه السلام) والبيعة أمانة عند المبايع، وإنّ التزامه بشرائطها تأدية لها، والقتل من أظهر مصاديق الوفاء، وأجلي مظاهر التأدية للأمانة، ولهذا كان كلّ من أراد الشهادة من أصحاب الحسين(عليه السلام) يقف أمامه ويستأذن للبراز ويقول: السلام عليك يا أبا عبد الله أوفيت يابن رسول الله؟

فيقول(عليه السلام): نعم، أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ جدّي وأبي وأُمّي عنّي السلام، وقل لهم: تركت حسيناً وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين.

الرابع:

ويحتمل في تأدية الأمانة وجهاً رابعاً، وهو ما رواه بعض أرباب

المقاتل من أنّ مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) أوصي ولده العبّاس الأكبر(عليه السلام)بنصرة أخيه الحسين(عليه السلام)، فكانت هذه التوصية أمانة عنده من أبيه(عليه السلام) فقد أدّاها وسقط عنه فرض التكليف بها.

الخامس:

أن تكون الأمانة هي ما روي عن رسول الله(صلي الله عليه واله) في خبر شهادته(عليه السلام) في حديث طويل:

فقال: يا بلال ائتني بولدي الحسن و الحسين، فانطلق فجاء بهما، فأسندهما إلي صدره، فجعل يشمّهما.

قال علي(عليه السلام): فظننت أنهما قد غمّاه - أي أكرباه - فذهبت لأؤخرهما عنه، فقال: دعهما - يا علي - يشمّاني وأشمّهما، ويتزوّدا مني وأتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدي زلزالاً وأمراً عضالاً، فلعن الله من يحيفهما [يخيفهما]، اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين(1).

***

وكلّ هذه الوجوه صالح للحمل عليه، ولا مانع من إرادة الجميع،

1- الأمالي للطوسي: 600 مج 27، كشف الغمّة للأربلي: 1/409.

وإن كان الحمل علي الإمانة أظهر لمصير أكثر المفسّرين إلي أنّ المراد الأمانة هي الإمامة.

الشعر في مدح العباس(عليه السلام) بالمناصحة

أمّا الشعر في مدح العبّاس(عليه السلام) بالمناصحة:

فهو كثير ومنه قول الإمام السبط سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) فيما رواه الفاضل الدربنديّ في أسرار الشهادة(1) ولفظه قال:

فلمّا أتاه الحسين(عليه السلام) رآه صريعاً علي شاطئ الفرات بكي، ثمّ قال: وا أخاه وا

عبّاساه! الآن أنكسر ظهري وقلّت حيلتي، ثمّ قال: جزاك الله عنّي يا أخي يا أبا الفضل العبّاس خيراً.

قيل: ثمّ أنشأ:

أخي يا نور عيني ياشقيقي

فلي قد كنت كالركن الوثيق

أيا ابن أبي نصحت أخاك حتّي

سقاك الله من كأس رحيق

أيا قمراً منيراً كنت عوني

علي كلّ النوائب في المضيق

فبعدك لا تطيب لنا حياة

سنجمع في الغداة علي الحقيق

ألا لله شكوائي وصبري

وما ألقاه من ظمأ وضيق

وقال الأزري البغدادي الحاج محمّد رضا:

وأخ كريم لم يخنه بمشهد

حيث السراة كبابها إقدامها

1- أسرار الشهادة: 322.

وللشيخ المظفر :

فديت أبا الفضل من ناصح

لسبط الرسول ونعم النصيح

فداه فدته نفوس الأنام

بكلّ نفيس وغال ربيح

وحرص أبي الفضل في حفظه

بما يستطيع كحرص الشحيح

الإيثار

ومن صفات العبّاس الأكبر ابن أمير المؤمنين(عليه السلام) الإيثار.

وإيثار أبي الفضل العبّاس لأخيه الحسين(عليه السلام) يوم كربلاء ممّا لا شكّ فيه ولا ارتباب، والإيثار خصلة حميدة، وسجيّة فاضلة من سجايا الكرام، وأخلاق أهل العفّة والديانة، وأرباب المجد والسؤدد، وكونها من صفات المدح فممّا لا يرتاب فيه إلاّ أعوج السليقة، أو جاهل محض لا إلمام له بسير العقلاء، ولا معرفة عنده بأدلّة الأحكام.

معني الإيثار لغة:

قال الفّيوميّ في المصباح المنير: آثرته بالمدّ فضّلته.

وقال فخر الدين الطريحي رحمه الله في مجمع البحرين:)وَيُؤْثِرُونَ عَلَي أَنفُسِ هِمْ(أي يقدّمون علي أنفسهم، من قولهم آثره علي نفسه أي قدّمه وفضّله.

وقال ابن الأثير في النهاية: ويستأثر عليكم أي بفضل عليكم غيركم في الفيء.

ص: 335

وقال رشيد الوطواط في غرر النصائح الواضحة(1): ويقال: مراتب العطاء ثلاثة: سخاء وجود وإيثار؛ والسخاء إعطاء الأقلّ وإمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر وإمسالك الأقلّ، والإيثار إعطاء الكلّ من غير إمساك لشيء، وهذه أشرف المراتب وأعلاها وأحقّها بالمدح، فإنّ إيثار المرء غيره علي نفسه أفضل من إيثار نفسه علي غيره، وكفي بهذه الخلّة شرفاً مدح الله تعالي أهلها بقوله:)وَيُؤْثِرُونَ عَلَي أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ((2)...

مراتب الإيثار وأقسامه

الإيثار مرتبة هي أعلا مرتبة في السخاء، ودرجة هي أرقي درجة في الجود، وإذا كان كذلك فمراتب الإيثار لا تضبط، لأنّها نسبيّة وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، ويتميزّ منها مرتبتان بالإضافة إلي ما آثر به وبذله لغيره.

القسم الأوّل من الإيثار: بذل النفس

وهو الإيثار بالنفس وهو أفضل قسمي الإيثار وأعلا مراتبه وقال أبو تمام الطائيّ:

يجود بالنفس إذ ظنّ الجواد بها

والجود بالنفس أقصي غاية الجود

1- غرر النصائح الواضحة: 234.

2- الحشر: 9.

إيثار أمير المؤمنين(عليه السلام)

آثر سيّد المسلمين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام) رسول الله(صلي الله عليه واله) بحياته وفداه بنفسه وإيثاره أفضل كلّ إيثار في الدنيا، لأنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام) باهي الله به ملائكته وأنزل فيه قرآناً يّتلي في المحاريب قوله تعالي)وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ(، وحديث مبيت أمير المؤمنين(عليه السلام) علي فراش رسول الله(صلي الله عليه واله) ليلة الهجرة من أشهر الأحاديث، وهو متواتر بمعناه.

وقد بات أمير المؤمنين(عليه السلام) علي فراش النبيّ(صلي الله عليه واله) يقيه بنفسه مرّتين: مرّة في الشعب في حياة أبي طالب(عليه السلام)، ومرّة ليلة الهجرة، وتدوال الشعراء نقل المبيت علي الفراش فأكثروا من النظم(1).

وللشيخ المظفر :

أمن بات مثلوج الفؤاد مكانه

عليه قريش الغدر سلّت مواضيها

فنام قرير العين في الدار هادئاً

وضوضا قريش تستجيش حواليها

كمن بات في الغار المنيع عيونه

من الخوف قرحن الدموع مآقيها

يقول له خير النبيّن لا تخف

ولا تخش إنّ الله ذي العرش كافيها

فلم تطمئنّ النفس عن جيشانها

ولا القلب عن دقّاته هادئاً فيها

ولو كان من أهل الشجاعة والتقي

لواسي رسول الله أحمد هاديها

1- أنظر مناقب ابن شهر آشوب.

إيثار أنصار سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) له:

هو الإيثار المحمود وكلّ واحد منهم قد آثر الحسين(عليه السلام) بنفسه وفداه بروحه لو نفع الإيثار وقبلت الفدية.

فهذا سعيد بن عبد الله الحنفيّ وقف هدفاً للسلاح دونه، وهو يصلّي ببقيّة أصحابه صلاة الخوف، والحنفيّ يتلقّي كلّ طعنة بصدره، وكلّ ضربة بنحره حتّي قتل.

قال الطبريّ في التاريخ: ثمّ صلّوا الظهر صلّي بهم الحسين صلاة الخوف ثمّ أقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم ووصل إلي الحسين فاستقدم الحنفيّ أمامه فاستهدف لهم وهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يرمي حتّي سقط...

وقال السيّد ابن طاوس في اللهوف: وجد فيه ثلاثة عشر سهماً سوي ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح...

قال الطبري(1):

ص: 338

1- تاريخ الطبري: 6/252.

فلمّا رأي أصحاب الحسين إنّهم قد كثروا، وإنّهم لا يقدرون أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الفغاريّان، فقالا: يا أبا عبد الله! عليك السلام، حازنا العدوّ إليك، فأحببنا أن نُقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك.

فقال: مرحباً بكما أُدنوا منّي، فدنوا منه، فجعلا يقاتلان قريباً منه، وأحدهما

يقول:

قد علمت حّقاً بنو غفار

وخندف بعد بني نزار

لنضربنّ معشر الفجّار

بكلّ عضب صارم بتّار

ياقوم ذودوا عن بني الأحرار

بالمشرفيّ والقنا الخطّار

قال: وجاء الفتيان الجابريّان سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عمّ وأخوان لأُمّ، فأتيا حسيناً، فدنوا منه وهما يبكيان.

فقال: أي ابني أخي ما يبكيكما؟ فوالله إنّي لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري عين .

فقالا: جعلنا الله فداك، لا والله ما أنفسنا نبكي، ولكن نبكي عليك نراك قد أُحيط بك ولا نقدر علي أن نمنعك .

فقال: جزاكما الله أحسن جزاء المتّقين...

وقال(1): قال عابس بن أبي شبيب الشاكريّ: يا أبا عبـد الله! أما والله ما أمسـي علي ظهر الأرض قريب أو بعيد أعزّ عَلَيّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت أن أدفع عنك الضـيم والقتل بشـيء أعزّ عَلَيّ من نفسـي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهدك أنّي علي هداك وهدي أبيك، ثمّ مشي بالسيف مصلتاً نحوهم، وبه ضربة علي جبينه...

فهؤلاء الأعلام من العلماء والفطاحل العظماء من الفقهاء قـد أحبّوا أن يجمعوا إلي فضـيلة الشـهادة فضـيلة زيارة الحسـين(عليه السـلام) وفضيلة البكاء عليه وفضيلة الاهتمام له، فقد ورد في الحديث عن المعصومين: ما معناه: إنّ نفس المهموم لنا أهل البيت عبادة..

***

وقد آثر العبّاس الأكبر(عليه السـلام) أخاه الحسـين(عليه السـلام) بنفسه وفداه بروحه، وعلي سبيله سـلك شهداء كربلاء، فإنّ الجميع آثروا الحسـين(عليه السـلام)بنفوسـهم، غير أنّ فداء العباس(عليه السلام) اختلف عن فدائهم وإيثاره تميّز عن إيثارهم، لأنّ الأمر دار بين شخصه النفيس وشخص سيّد الكونين

1- اللهوف: 91، تاريخ الطبري: 6/253.

وإمام الثقلين، في ساعة من ساعات التاريخ...

وباقي الشـهداء في سائر الحروب الدينيّة ليسوا كذلك، لأنّ الشهداء مع رسول الله(صلي الله عليه واله)لم يظهر منهم ما ظهر من أولئك من الإقـدام علي المنيّـة، والاقتحام علي الموت، مع علمهم أنّهم لو تركوا لكانوا في مأمن ومنعـة، وموقفهم في صفّ الحسـين(عليه السـلام) لا يمنّيهم بالسلامة، ولا يبشرّهم بالبقاء في الحياة الدنيا أبداً.

وأصـحاب النبيّ(صـلي الله عليه واله) دلائل الظفر عندهم لائحة، وأمارات الغلب بهم واضحة، والقرآن يخبرهم بذلك، كما في بدر وخيبر:)وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَي الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ((1) و)وَعَدَكُمُ الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا((2).

والنبي(صلي الله عليه واله) يخبرهم بحسن العاقبة، وسلامة النفس والظفر، ومع ذلك يقولون:)وَما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورا((3).

فأين هؤلاء ممّن أذن لهم الحسـين(عليه السلام)بالانصراف وأخبرهم أنّهم يقتلون جميعاً، فيقولون: لو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك علي الإقامة فيها، هؤلاء وأبيك جوهر الرجال ولباب الفضيلة.

القسم الثاني: بذل القوت

1- الأنفال: 7.

2- الفتح: 20.

3- الأحزاب: 12.

الإيثار بالقوت، فقد آثر أهل بيت الرسول(صلي الله عليه واله) بأقواتهم وباتوا طاوين ثلاثاً، فنزلت سورة)هل أتي(مدحاً، وآية ((ويؤثرون))، وآثر أمير المؤمنين(عليه السلام) أصحابه مراراً عديدة

كالمقداد وعمّار وغيرهما.

وآثر أبو الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين أخاه الحسين(عليه السلام) بالماء فلم يشربه مع كونه شديد الظمأ، فقضي عطشاناً.

وقد هجم أبو الفضل العباس(عليه السلام) علي الفضيلة النبيلة واختيار الفعلة الحميدة، وهي الإيثار بنفسه وعلي نفسه، وهذه الفضيلة المعروفة في فضائل أسلافه السادات الأماجد الذين آثروا بنفوسهم وعلي نفوسهم مراراً عديدة، وقد نزل القرآن المجيد في مدحهم آيات وسور تتلي في المحاريب وعلي الأعواد، وتذاع في الأندية والمجتمعات...

الدلالة علي رجحان الإيثار:

لا شكّ في رجحانه الشرعيّ لقوله تعالي في معرض المدح للمؤثرين)وَيُؤْثِرُونَ عَلَي أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ((1)، فأثبت سبحانه الإيثار مع الخصاصة، وهي شدّة الحاجة، ثمّ قرن الفلاح بترك الشحّ الذي تشتدّ حاجتها إليه، ومن توقّي هذا الشحّ في الخصاصة وهو الإيثار فقد أفلح عند الله.

1- الحشر: 9.

وهذه الآية نزلت في أهل البيت: وهم أهل الكساء: عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فآل محمّد(صلي الله عليه واله) نزل بهم ضيف وليس عندهم غير ما يكفيه، فقدّموه له وأطفأوا السراج لئلاّ يراهم ولا شيء عندهم وباتوا طاوين.

وقال تعالي:)وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَي حُبِّهِ مِسْكِينا وَيَتِيما وَأَسِيرا((1) إلي آخر السورة، وهي مع اتفاق المفسّرين أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين: ظاهرة في مدح الإيثار، لا تفاقهم أنّهم باتوا ثلاثاً طاوين، وأطعموا هذه الأصناف

الثلاثة، وذلك في نذر الحسن والحسين(عليهما السلام) لمّا مرضا.

أمّا الأحاديث فكثيرة جدّاً، منها ما رواه الصدوق القمّي في الفقيه قال:

1- الإنسان: 8.

قال الصادق(عليه السلام): خياركم سمحائكم، وشراركم بخلائكم، ومن خالص الإيمان البرّ بالإخوان والسعي في حوائجهم، وإنّ البارّ بالإخوان ليحبّه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان.

ثمّ قال لجميل: أخبر بهذا غرر أصحابك.

قلت: جعلت فداك! من غرر أصحابي؟

قال: هم البارّون بالإخوان في العسر واليسر.

ثمّ قال: ياجميل! أما إنّ صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله – عزّ وجلّ – في كتابه صاحب القليل فقال:)وَيُؤْثِرُونَ عَلَي أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(.

إيثار العبّاس الأكبر ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام):

إيثار العبّاس للحسين(عليهما السلام) بالنوعين معاً، فإنّه آثره بنفسه وعلي نفسه: أمّا إيثاره بنفسه، فتبيّن من تضحية نفسه أمامه، وقد صرّحت بهذا أشعاره التي منها:

((نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا))

وأمّا إيثاره للحسين(عليه السلام) علي نفسه، فذاك حين رمي الماء من يده وقال:

لا ذقت الماء وابن رسول الله عطشان، مع كونه قد أشرف علي التلف من الظمأ وقد نطقت بذلك أشعاره كقوله:

يا نفس من بعدالحسين هوني

وبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين شارب المنون

وتشربين بادر المعين

قد صرّح(عليه السلام) في هذا الشعر أنّه آثر أخاه الحسين(عليه السلام) ليس علي سبيل الارتكاز الجبلّي ولا بداعي الطبع الفطري، ولا طاوع فيه الخلق الغريزي، وإنّما كان ذلك عن

فقه في الدين وعلم بما للمؤثر علي نفسه من عظيم الأجر، وبالأخصّ إذا كان الإيثار للإمام المفترض الطاعة، ذلك حيث يقول فيه:

وليس هذا من شعار ديني

ولا فعال صادق اليقين

لأنّ شعائر هذا الدين الموساة والإيثار حسبما سمعت من مدح القرآن للمؤثرين، وما ورد من إيثار رسول الله(صلي الله عليه واله) وأهل بيته.

والصادق اليقين في أنّ الله يجزي بالعمل الصالح ويثيب علي الإحسان، فأنّه يحصل له القطع بأنّ من آثر الحسين(عليه السلام) بنفسه أو علي نفسه كمن آثر رسول الله(صلي الله عليه واله) وقد قال في الحديث المتفق عليه: حسين منيّ وأنا من حسين.

فالموالي له ينال أعظم درجة الأجر عند الله، فإذا حاد عن سنن الإيثار له وانحرف عن جادة الموساة، فلا يشبه فعله فعل الصادق اليقين بأنّ إيثار العترة الطاهرة، ومواساة السلالة المطهّرة من أفضل

الطاعات، وأجلّ المقرّبات عنـد الله، بل هي ممّا افترض الله تعالي علي الاُمّـة القيام بها بقوله تعالي)قُل لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَي(([1]).

وقوله(صلي الله عليه واله) في حديث الثقلين: احفظوني في أهل بيتي، فأبو الفضل أدّي هذه الفريضة كما قد أدّي سائر الفرائض.

قال فخر الدين الطريحي في المنتخب[2]:

1- الشوري: 23.

2- المنتخب: 2/94.

لمّا اشتدّ العطش بالحسين(عليه السلام) وأصحابه دعي بأخيه العبّاس وقال له: اجمع أهل بيتك واحفروا بئر.

ففعلوا ذلك فطمّوها، ثمّ حفروا أُخري فطمّوها، فتزايد العطش عليهم، فقال العبّاس لأخيه الحسين(عليهما السلام): يا أخي! أما تري ما حلّ بنا من العطش، وأشدّ الأشياء علينا عطش الأطفال والحرم.

فقال الإمام(عليه السلام): امض إلي الفرات واتنا بشيء من الماء، فقال: سمعاً وطاعة.

فضمّ إليه رجالاً وسار حتّي أشرفوا علي الشريعة، فتواثب عليهم الرجال وقالوا: ممّن القوم؟

فقالوا: نحن من أصحاب الحسين(عليه السلام).

فقالو: ما تصنعون؟

قالوا: قد كضّنا العطش وأشدّ من ذلك علينا عطش الحرم والأطفال.

فلمّا سمعوا ذلك منهم هجموا عليهم ومنعوهم، فحمل عليهم العبّاس(عليه السلام)، فقتل منهم رجالاً، وجدّل أبطالاً حتّي كشفهم عن المشرعة، ونزل فملأ قربته، ومدّ يده ليشرب، فذكر عطش الحسين(عليه السلام) فنفض يده وقال: والله لا ذقت الماء وسيّدي الحسين(عليه السلام)عطشان.

ثمّ صعد المشرعة، فأخذه النبل من كلّ مكان حتّي صار جلده كالقنفذ من كثرته، فحمل عليه رجل من القوم فضربه ضربة

قطع بها يمينه، فأخذ السيف بشماله، فحمل عليه آخر فقطعها، فانكبّ وأخذ السيف بفمه، فحمل عليه رجل فضربه بعمود من حديد علي أُمّ رأسه، ففلق هامته ووقع علي الأرض وهو ينادي: يا أبا عبد الله! عليك منّي السلام.

فلمّا رأي الحسين(عليه السلام)أخاه قد صرع نادي: وا أخاه! وا عبّاساه! وا مهجة قلباه! عزّ عَلَيّ والله فراقك، ثمّ حمل علي القوم وكشفهم عنه، ثمّ نزل إليه وهو يبكي حتّي أُغمي عليه...

وذكره في مقتل العوالم وفي مصائب المعوصومين وفي أسرار الشهادة وفي البحار.

وقد ذكر مدحه بهذا الإيثار، فقال الحاج محمّد رضا الأُزريّ البغدادي من قصيدة:

وأبت نقيبته الزكيّة ريّها

وحشا ابن فاطمة يشبّ ضرامها

وقال الحاج هاشم الكعبيّ من قصيدة:

حتّي حوي بحرها الطامي فراتهموا

الجاري ببحر من الهنديّ ملتطم

فكفّ كفّاً من الورد المباح وفي

أحشائه ضرم ناهيك من ضرم

وهل تري صادقاً دعوي إخوته

روي حشاً وأخوه في الهجير ظمي

حتّي ملا مطمئنّ الجاش قربته

ثم انثني مستهلاً قاصد الحرم

وللمظفر:

يا بن الوصيّ جزاك الله صالحة

ياطيّب النفس والأعراق والشيم

آثرت سبط رسول الله محتسباً

بذاك ترجو رضا الرحمن ذي الكرم

ص: 348

فعن يقين بلا شكّ يخالطه

بأنّ إيثاره من أفضل النعم

والعقل والشرع في الإيثار متّفق

في أنّ رتبته العليا من الكرم

لمّا ملكت الفرات العذب رمت بأن

تطفي أوار فؤاد صار ذا ضرم

فلم تذق قطرة من ماءه أبداً

والسبط ظام مع الأطفال في الخيم

هذي الموساة والإيثار يشكره

ربّ البريّة والأحرار في الأمم

لقد مضيت حميداً نلت مرتبة

في حملك العلم بل في حملك العلم

يكفيكم مدح ربّ العالمين لكم

عن مدحة الناس في بسط من الكلم

وقد مدح العبّاس(عليه السلام) مدحه الأئمّة: بالإيثار كما في حديث الإمام زين العابدين(عليه السلام) لمّا نظر إلي عبيد الله بن العبّاس، وقال في جملة ما قال: إنّه آثر وأبلي وفدي أخاه الحسين(عليه السلام)، كما سيجيء أن شاء الله.

الزهد والنسك

الزهد هو الإعراض عن الدنيا وزينتها، وإطراح الملاذّ الشهوانيّة التي يستطيبها سائر الناس، والرضا بما قسّم الله من الرزق، وأن ينزل نفسه في هذه الدار منزلة المرتحل سريعاً إلي مقصده والقاصد حثيثاً إلي غايته، فإنّه إذا نزل منزل في أثناء سفره بقصد الراحة، فإنّه لا يهتمّ فيه بأكثر من أنّه يقيم قليلاً ليريح بدنه وراحلته ويأخذ ما يقوّي نفسه من الطعام الميسور، ثمّ يرتحل عنه إلي غيره.

ومن علم أنّ مكثه في هـذا المنزل يسـيراً لا وجه لإكثاره من رخرفته وتنميقه، فإنّه ليس بمنزل قرار، وتنقيح موطن النزول المؤقّت بما يوجب كلفة وعناء، ويستتبع مشقّة وعنتاً جهل محض، وغرور صرف.

فالدنيا عند الصـلحاء وأهل الدين بمنزلة المحلّ الذي ينزله المسافر ريثما يستريح فيه ثمّ ينتقل عنه، فهم لذلك ينزلون أنفسـهم منزلة السفار وعباري السبيل، ولهذا ما شـيّدوا البنيان، ولا زخرفوا الجدران، ولا نمّقوا الغرف، ولا نظّفوا القاعات المجلسيّة ونصبوا فيها الكراسيّ والأسرّة، ولا مهّدوا صالونات المنام بمهاد الأرائك المخمّلة، ولا تأنّقوا بنقوش غرفة الاستراحة، ولا غرسوا الحدائق الغنّاء حول المساكن والقصور، بل كانت نفوسهم منصرفة عن نعومتها ونعيمها، بل طلّقها العظماء من أهل البيت:.

فقـد قال مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السـلام) للـدينا وقـد تمثّلت له بصورة امرأة جميلة: أبي تعرّضت؟ أمّ إليّ تشوّقت؟ غرّي غيري قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك...

وقال سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن عليّ(عليهما السلام) وقد تمثّلت له يوم الطفّ

بصورة امرأة جملية وقالت: تزوّجني أرد عنك هذا الجمع: إعزبي ويحك أما علمت أنّ مطلقّات الآباء لا تحلّ للأبناء.

وفي الشعر المرويّ عن زين العابدين(عليه السلام) كما في كشكول الشيخ البهائي:

عتبت علي الدنيا فقلت إلي متي

أُكابد بؤساً همّه ليس ينجلي

أكلّ كريم من عليّ نجاره

يروح عليه الماء غير محلّل

فقالت نعم يابن الحسين رميتكم

بسهمي عناداً منذ طلقّني علي

معني الزهد لغة:

قال في المصباح المنير: زهد في الشيء وزهد عنه أيضاً زهداً بمعني تركه وأعرض عنه، فهو زاهد، والجمع زهّاد.

ومعني الزهد الاصطلاحي أخصّ من معناه اللغويّ، لأنّه مخصوص بالرغبة عن كلّ محقّر في نظر الشرع المقدّس أو تركه أولي، واللغويّ هو الرغبة في ترك كلّ شيء فمن ترك الواجبات يسمّي في عرف أهل اللغة زاهداً فيه، فيقال: زهد في الصلاة أي رغب عنها، ومثل هذا لا يسمّي زهداً في الشرع، بل يسمّي فسقاً.

الزهد في الأحاديث:

جاء تفسير الزهد في أحاديث أهل البيت(1)، فمن الأحاديث عن سيّد الزهّاد بعد رسول الله(صلي الله عليه واله) وعنه أخذ الزهّاد والنسّاك الطريقة في الزهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام) رواه الصدوق القمّي

1- فسّره كثير من الزهّاد كلّ بحسب مدركه التصّوريّ ومعقوله الفكريّ، إذ ليست له حقيقة مضبوطة عندهم، ولأنّه من المؤسّسات الإسلاميّة التي هي مدار الانصراف عن التهالك في الأُمور العاجلة، والإقبال علي الأُمور الباقية في دار الآخرة.

في معاني الأخبار(1) عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال:

قيل لأمير المؤمنين(عليه السلام): ما الزهد في الدنيا؟ قال: تنكّب حرامها.

وعن أبي الطفيل قال: سمعت أمير المؤمنين(عليه السلام)يقول: الزهد في الدنيا: قصر الأمل، وشكر كلّ نعمة، والورع عمّا حرّم الله عليك.

وعن إسماعيل بن مسلم قال: قال أبو عبد الله يعني الإمام الصادق(عليه السلام): ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله تعالي.

وعن عليّ بن هاشم البريديّ عن أبيه عن أبي جعفر يعني الإمام الباقر(عليه السلام): إنّ رجلاً سأله عن الزهد، فقال: الزهد عشرة أشياء، فأعلي درجات الزهد أدني درجات الورع، وأعلي درجات الورع أدني درجات اليقين، وأعلي درجات اليقين أدني درجات الرضا، ألا إنّ الزهد في آية من كتاب الله تعالي)لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَي مَافاتَكُمْ وَلاَتَفْرَحُوا بِمَا آتاكُمْ((2).

والأحاديث كثيرة، ولا نطيل بالإكثار من النقل.

مدح الزهد ورجحانه:

1- معاني الأخبار: 74 ب 94.

2- الحديد: 23.

كلّما دلّ علي مذمّة الدنيا والانخداع بظلّها الزائل، والركون إلي نعيمها الفاني المضمحلّ من الآيات والروايات، فهو مدح للزهد، كقوله تعالي)لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَي مَا فَاتَكُمْ(الآية.

وكقوله)وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَي مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا((1) إلي غيرهما من آيات القرآن الكريمة، وأمّا الأحاديث فلا تحصي كثرة.

زهد العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام):

إنّ العبّاس بن أمير المؤمنين قد شبّ ونشأ في صحبة أزهد الخلق أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأخويه الحسن والحسين:، وفي الحديث ما معناه، إذا

خفي عليك مال فانظر فيما ينفق، وإذا خفي عليك حال شخص فانظر من يصحب.

قال الشاعر:

صاحب أخا ثقة تحضي بصحبته

فالطبع مكتسب من كلّ مصحوب

وقال أعشي بني عوف:

فاعتبر الأرض بأسمائها

واعتبر الصاحب بالصاحب

فأبو الفضل العبّاس أوّلاً: كان من بيت خلقهم الله للآخرة لا

1- طه: 131.

للدنيا، فهو بطبعه وجبلّته يطلب ما خلق له، ويجانب ما لم يخلق له، فلا يجد لنعيم الدينا لذّة، ولا لزخرفها فائدة.

ثانياً: إنّه تربية أهل الزهد، وتهذيب أهل النسك، ومربيّه ومهذّبه من طلّق الدنيا طلاقاً لا رجعة فيه، ومع ذلك يدلّ علي زهده اُمور:

منها: ما سيجيء في عبادته من بيان أثر السجود بين عينيه.

ومنها: ما سيجيء في بصيرته في دينه، وفي فصل إيمانه ويقينه.

ومنها: ما ورد في زيارته عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) حيث يقول:

((فنعم الصابر المجاهد المحامي الناصر والأخ الدافع عن أخيه، المجيب إلي طاعة ربّه، الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل...)).

وليست هـذه الرغبة في الثواب المضاعف والثناء الدائم إلاّ الزهد في الدنيا الفانية والإعراض عن زهرتها وزهوتها اللذين شـغلا طلاّب الدنيا وعشّاق الشهوات عن اختيار الأعمال الصالحة المنوط بها الثواب والكرامة.

ومنهـا: إعراضه عن زهرة دنيـاه وهو في ريعـان العمر والعيش الغضّ، فـأعرض عن ذلـك المحبوب الطبيعيّ والمرغوب الفطريّ، فردّ الأمان واستقبل الأسنّة والحداد.

وقد قال من عرّف الدرجة الراقية في الزهد: هي أن يزهد في نفسه.

وقال بعضهم: الزهد: قصر الأمل.

قد صرّح كثير من العلماء: بأن الجهاد بإقبال وجدّ هو حقيقة الزهد.

فرفض الحيـاة والابتشار بالمنيّـة من أعظم درجات الزهـد واليقين، وقـد علم كلّ أحـد أنّ العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السـلام) رفض الحياة وأقبل علي الموت بابتهاج، وقـد ردّ الأمان علي أهل الكوفـة، كما علمت ذلك في إبائه، وامتنع من قبول الرخصة التي أتتهم من سـيّد الشهداء الإمام الحسين(عليه السلام) بالإنصراف عنه وطلب النجاة لأنفسهم علي أنّهم في حلّ ولا حرج عليهم ولا إثم.

فقد روي الشيخ المفيد والسيّد ابن طاوس وابن الأثير والطبريّ وغيرهم، واللفظ للطبريّ(1):

1- تاريخ الطبريّ: 6/238.

عن عليّ بن الحسين(عليهما السلام) قال:

جمع الحسين(عليه السلام) أصحابه عند قرب المساء، قال عليّ بن الحسين(عليهما السلام): فدنوت منه لأسمع ما يقول وأنا مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه:

أثني علي الله – تبارك وتعالي – أحسن الثناء، وأحمده في السرّاء والضراء، اللهمّ إنّي أحمدك علي أن كرّمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين.

أمّا بعد: فإنّي لا أعلم أصحاباً أولي ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً.

ألا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً.

ثم قال في حديث الضحّاك المشرقيّ، فقال:

وهذا الليل قد غشـيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثمّ تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتّي يفرّج الله، فإنّ القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب

غيري.

فقـال له إخوته وأبنـاؤه وبنوا أخيه وأبنـاء عبـد الله بن جعفر: لِمَ نفعـل؟ لنبقي بعـدك؟ لاـ أرنا الله ذلك أبـداً، بـدأهم بهـذا القول العبّاس بن عليّ(عليهما السلام)ثمّ إنّهم تكلّموا بهذا ونحوه....

وفي أسرار الشهادة(1) عن الخرايج عن عليّ بن الحسين(عليهما السلام) قال:

1- أسرار الشهادة: 347.

كنت مع أبي(عليه السلام) في الليلة التي قُتل في صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً فإنّ القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لكم لم يلتفتو إليكم، وأنتم في حلّ وسعة.

قالوا: لا والله لا يكون هذا أبداً.

فقال(عليه السلام): إنّكم تُقتلون غداً كلّكم ولا يفلت منكم رجل.

قالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك.

ثمّ دعا وقال: إرفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلي مواضعهم ومنازلهم من الجنّة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يافلان، وهذا قصرك يافلان، وهذه زوجتك يافلان.

فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلي منزله في الجنّة، ورواه الصدوق في علل الشرائع مختصراً.

للشيخ المظفر :

يا بن الوصيّ الذي سارت فضائله

في الخافقين رواها العرب والعجم

زهدت في العيش والأيّام مقبلة

هذا لعمر أبيك الزهد والكرم

فإنّ من يزهد الدنيا ويرفضها

والعيش فان ومنه العمر منصرم

فليس يشبه زهد الزاهدين بها

والعمر غضّ كثغر الحور مبتسم

يهنيك يابن عليّ كلّ مكرمة

ومفخر عجزت عن مثله الأُمم

أبوك بعد رسول الله خير فتي

تنمي إليه المعالي الغرّ والشيم

جمّ المناقب لا تحصي فضائله

خير الأنام علي رغم الأُولي رغموا

ص: 358

كانت منازل هارون له جمعت

إلاّ النبوّة فضل ليس ينكتم

فكنت للسبط يا تاج الفخار كما

أبوك للمصطفي في كفّه العلم

فخضتما غمرات الموت دونهما

حيث المصاليت منها زلّت القدم

فالله يجزيكما الخيرات ما طلعت

شمس النهار وجادت للثري الديم

العبادة

العبادة ذات تفاصيل مطوّلة لا يتّسع لنا استقصاؤها ولا استيفاء فروعها، ونحن نلخص منها ما يستفيده المطالع ولا يتضجّر به القارئ، ويرجع في التفاصيل إلي الكتب الموضوعة لها.

معني العبادة

معناها اللغويّ: هي الانقياد والإطاعة.

ومعناها الشرعيّ: هي الإخلاص في الإطاعة والانقياد السالم من شائبة الإشراك.

ومعناها عند الفقهاء: هي كلّ فعل مشروط بقصد القربة.

فبين المعنيين الأخيرين توافق حيث أنّ القربة لا تقع إلاّ مع الإخلاص، ولا يكون الفعل مقرّباً إلاّ إذا خلا من شائبة إشراك.

والمعني اللغويّ أعمّ من المعني الشرعيّ، لأنّه يصدق علي العبادة الفاسدة، والعبادة المحرّمة كعبادة الأوثان، فإنّها تسمّي عبادة لغة، ولا تسمّي عبادة شرعاً.

قال الشاعر:

أُحبّكم وهلاكي في محبّتكم

كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال سديف المكّيّ يمدح بني الحسن السبط ويذّم بني العبّاس:

ما تنقضي دولة أحكام قادتها

فينا كأحكام قوم عابدي وثن

وقـد حكي الله تعالي في القرآن المجيـد قول عبدة الأوثان:)مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَي اللَّهِ زُلْفَي((1) في آيات كثيرة سمّيت عبادتهم هذه مع فسادها عبادة.

وقد جمع المعنيين الصحيح والفاسد سورة)يا أيّها الكافرون..(.

فالنبيّ(صلي الله عليه واله) لا يعبد عبادتهم الفاسدة، وهم لا يعبدون عبادته الصحيحة.

قال الفيّوميّ في المصـباح: عبـدت الله أعبـده عبادة، وهي الانقياد والخضوع، والفاعل عابد، والجمع عبّادة وعبدة، ثمّ اسـتعمل فيمن اتّخذ إلهاً غير الله وتقرّب إليه، فقيل: عابد الوثن والشمس وغير ذلك...

عبادة العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام):

عبادة أبي الفضل العبّاس(عليه السلام) قد كانت بجميع أعضائه:

فلسانه، عبد الله بالذكر والشكر، والدعاء والاستغفار، والأمر

1- الزمر: 3.

بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاية إلي إمامة أمامه وأخيه الحسين(عليه السلام).

أمّا جبهته، فقد أثّر بها السجود.

وأمّا عينه، فقد نبت بها السهم في الجهاد دون إمامه .

وأمّا يداه، فقطعتها من الزند بعد أن عبد بها الله تعالي أنواعاً من العبادة، جاهد بها الأشرار، ورفعها في الأذكار، وبسطها في العطاء والسجود والركوع، وغير ذلك.

وأمّا رأسه، فقد فضخت هامته بعامود الحديد.

وأمّا رجلاه، فقد قام بها في كلّ عبادة، وسعي بها إلي كلّ خير، ومشي بها إلي الجهاد، وحمل الماء لعطاشي آل محمّد(صلي الله عليه واله)، وآخر عبادة عبد بها أنّه جعل يفحص بهما حين سقط علي شاطئ العلقميّ مفضوخ الهامة مقطوع اليدين، وقد قطعهما العدوّ حنقاً عليه لما أبلي فيهم، كما قاله القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار.

وأمّا وجهه الكريم، فقد سالت عليه الدماء في سبيل الله، وسال عليه مخّ اليافوخ المفضوخ.

وأمّا صدره الشريف، فقد وزّعته الأسنّة والسيوف والنبال المحدّدة.

وهكذا سبيل سائر أعضائه حتّي جاء في وصفه إنّه إذا حمل منه جانب سقط

الآخر لكثرة ضرب السيوف وطعن الرماح.

ص: 361

أثر السجود

وأمّا عبادته بالمعني المصطلح، وهو كثرة الصلاة حتّي يحصل من الإكثار منها أثر في أعضاء السجود، فذاك أمر معروف نصّ عليه العلماء.

قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيّين(1): قال المدائنيّ: حدّثني أبو غسّان، عن هارون بن سعد، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال:

رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك.

قال: إنّي قلت شابّاً أمرداً مع الحسين بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلاّ أتاني فيأخذ بتلبابي حتّي يأتي جهنّم، فيدفعني فيها، فأصيح فما يبقي أحد في الحيّ إلاّ سمع صياحي، قال: والمقتول العبّاس بن عليّ(عليهما السلام).

وهذا حديث مشهور رواه عامّة أهل المقاتل، وهنا استراب السيّد جعفر بحر العلوم في كتابه ((تحفة العالم)) بأنّ هذا الحديث لا يصحّ في العبّاس الأكبر(عليه السلام) لقوله ((غلام أمرد))، ويصحّ في العبّاس الأصغر(عليه السلام).

وهذا وجه وجيه لو كانت الرواية عند جميع من رواها كذلك، ففي كلام سبط ابن الجوزيّ في التذكرة(2) موافقة لما في المقاتل قال:

1- مقاتل الطالبيّين: 45.

2- تذكرة الخواص: 159.

عن القاسم بن الأصـبغ المجاشـعيّ قال: لمّا أُتي بالرؤوس إلي الكوفـة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً قـد علّق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنّه القمر ليلـة تمّه، والفرس يمرح، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت له: رأس من هـذا؟ فقال: رأس العبّاس بن عليّ، فقلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهن الأسديّ.

قال: فلبث أيّاماً وإذا بحرملـة ووجهه أشـدّ سواداً من القار، فقلت له: رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنظر وجهاً منك، وما أري اليوم لا أقبح ولا أسود وجهاً منك!

فبكي وقال: والله منـذ حملت الرأس إلي اليوم ما تمرّ بي ليلـة إلاّ وإثنان يأخـذان بضـبعي، ثمّ ينتهيان بي إلي نار تأجّج، فيدفعاني فيها، وأنا أنكص، فتسفعني كما تري، ثمّ مات علي أقبح حال.

وأمّـا من رواهـا ولم يعبّر بأمرد، بل قال: رجل، فمنهم الصـدوق القمّي ، ونقلها عنه الفاضل المجلسـي في البحار(1)، ونصّها للصدوق في ثواب الأعمال(2):

عن القاسم بن الأصبغ قال:

1- بجار الأنوار: 10/270.

2- ثواب الأعمال: 11.

قدم علينا رجل من بني دارم ممّن شهد قتل الحسين(عليه السلام) مسودّ الوجه، وكان رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك لتغيّر لونك، فقال: قتلت رجلاً من أصحاب الحسين أبيض بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه.

قال القاسم: لقد رأيته علي فرس له وقد علّق الرأس بلبانها، وهو يصيب ركبتها، قال: فقلت لأبي: لو أنّه رفع الرأس قليلاً، أما تري ما تصنع به الفرس بيديها؟

فقال: يا بنيّ! ما يصنع به أشدّ لقد حدّثني فقال: ما نمت ليلة منذ قتلته إلاّ أتاني في منامي حتّي يأخذ بضبعي فيقودني فيقول: انطلق، فينطلق بي إلي جهنّم، فيقذف بي فيها حتّي أصبح.

قال: فسمعت بذلك جارة له، فقالت: ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه.

قال: فقمت في شباب من الحيّ، فأتينا أمرأته فسألناها، فقالت: قد أبدي علي

نفسه، وقد صدقكم.

والصدوق معتمد، وإذا كانت القاعدة الأُصوليّة هي حمل المطلق علي المقيّد، فإنّها تعارضها قاعدة الأصل عدم الزيادة.

علي أنّ رواية الصدوق مقيّدة أيضاً برجل، والأمرد في خبر الأصفهاني وسبط لعلّه وهم من الراويّ، فإنّ أبا الفرج وسبط لا يثبتان عبّاساً أصغر، وعمر العباس الأكبر عندهما سنّه 34 سنة، فوافق حديث الصدوق، وبقي الوهم من المحدّث عن القاسم بن الأصبغ.

ص: 364

ومن المحتمـل القويّ أنّ القاسم قال عن نفسه: رأيته وأنا أمرد، فظنّ الراوي أنّ المقتول كان أمرد، علي أنّه من الغريب حمل الغلام علي عادة العرب من إطلاقه علي الكهل، كما قال النابغة الذبيانيّ للحارث بن أبي شمر ملك غسّان:

هذا غلام حسن وجهه

مقتبل العمر سريع التمام

وقالت ليلي الأخيليّة في مرثيّة توبة بن الحمير الخفاجيّ عشيقها:

غلامان كانا استوردا كلّ سورة

من المجد ثمّ استوسقا في المصادر

وهذا كثير في كلام أهل اللسان، وأمّا توصيفه بالأمرد، فليس بعزيز في كلامهم لضرب من التجوّز، فقد يطلقون الأمرد علي الملتحي، إذا لم يبلغ سنّ الكهولة، كما في قصّة عين أباغ:

وأرسـل المنـذر الأكبر ملك الحيرة إلي الحارث الأكبر ملك غسّان: أعـددت لك الكهول علي الفحول، فأجابه الحارث: أعـددت لك المرد علي الجرد.

وليس المراد من المرد الـذين لا شـعر في وجوههم، بل هم الـذين لم يتجاوزوا سنّ الكهولـة، وهم في الدرجة القصوي من النشاط والقوّة، فـإذا أُريـد بالأمرد الخالي من الشـعر احتاج إلي قيـد، فيقال أمرد أجرد، كما حـديث: أهل الجنّـة مرد جرد، أو يقال: أمرد لا نبات بعارضه، فالأمرد يستعمل فيمن أنبت من الرجال مجازاً، وكلام العرب مبنيّ علي التوسعة.

الدلالة علي عبادة العباس(عليه السلام)

أمّا الدلالة علي عبادة العبّاس(عليه السلام) علي جهة العموم، فقد روي الشيخ المفيد في الإرشاد في أخبار الليلة العاشرة من المحرّم أنّ الحسين(عليه السلام)قام ليله كلّه يصلّي ويستغفر ويدعو ويتضرّع، وقام أصحابه كذلك يصلوّن ويدعون ويستغفرون.

وقال الطبريّ عن الصحّاك المشرقيّ: فلمّا أمسي الحسين(عليه السلام)وأصحابه قاموا الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون.

وقال السيّد ابن طاوس في اللهوف: وبات الحسين(عليه السلام) وأصحابه تلك الليلة، ولهم دويّ كدوي النحل بين راكع وساجد وقائم وقاعد... وكلّ هذه تدلّ بعمومها علي عبادة أبي الفضل(عليه السلام).

قال الشيخ المظفر :

سمياء عبّاس الشهيد بوجهه

سيما أبيه الخير والأسلاف

أثر السجود بجبهة ابن المرتضي

عنوان تقواه بغير خلاف

من معشر سيماهم بوجوههم

غرّ محجلّة من الأشراف

ولهم علي الأعراف أكرم موقف

يتوسمّون دلائل الأوصاف

طوبي لمن عرفوا وويل دائم

للمنكرين من العذاب الضافي

فعلي الصراط لنا النجاة بحبهّم

ولدي الحساب ومشهد الأعراف

البصيرة والإيمان

البصيرة في الدين تلازم قوّة الإيمان ملازمة حقيقة لا تنفكّ عنها، لأنّ الإيمان له مراتب، فأدناها مرتبة التصديق بما جاء به النبيّ(صلي الله عليه واله) مع عدم رسوخه في النفس.

قال تعالي:)وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَي حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَي وَجْهِهِ(الآية.

وهذا الحرف من الإيمان، وهو الطرف والجهة الواحدة، وهي جهة الرخاء فقطّ، وأمّا سائر الجهات، وهي جهات الابتلاء والتمحيص، فلا يشكّ معها، ويزول إيمانه ويصبح كما قال الله تعالي:)خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ(.

والمتبصّر في دينه تامّ الإيمان من جميع جهاته، فكلّما زاد البلاء واشتّدت المحنة يزداد ثباتاً، كما قال تعالي:)وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانا وَتَسْلِيما(.

فأعلا مرتبة التصديق هو التسليم لكلّ ما جاء من قبل الله، وذلك عند رسوخ العقيدة في النفس، فلذلك لا يتزعزع من كلّ شيء يضطرب منه ضعيف الإيمان، ولا يرتاب ولا يشكّ ولا يتزلزل ولو تظافرت المحن، كما قال المقداد بن عمرو لرسول الله(صلي الله عليه واله):

لو ضربونا – يعني قريشاً – حتّي يبلغو بنا برك الغماد لعلمنا أنّا علي حقّ وهم علي باطل.

وكما قال أبو اليقظان عمّار بن ياسر يوم صفّين: لو ضربونا – يعني أهل الشام – حتّي يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنّا علي حقّ وهم علي باطل.

ويسمّي صاحب هذا الاعتقاد قويّ الإيمان، وصلب الإيمان، ونافذ البصيرة، ومتبصّراً في دينه، وما شاكل هذا.

وهذه المرتبة العليا من الإيمان، لأنّ مراتب الإيمان الراسخ تتفاوت شدّة وضعفاً، وإن كانت أضعفها قويّاً متمكّناً، فتكون في بعض الأشخاص أقوي منها في البعض الآخر، مع اشتراكهم جميعاً في قوّة الإيمان، ورسوخ العقيدة، ونفوذ

البصيرة، نظير اشتراك أفراد الأبيض مع البياض مع تفاوتها في الشدّة والضعف، وقد جاء في الحديث عن أهل البيت(عليهما السلام): الإيمان عشر درجات.

معني الإيمان لغة:

الإيمان: هو التصديق المجرّد، حكي الله عن أولاد يعقوب بقوله:)وَمَا أَنتَ بِمُؤمنٍ لَنَا(يعني بمصدّق، ومن أسماء الله – تعالي – المؤمن، لأنّه يصدّق أنبيائه بإظهار المعجز علي أيديهم في دعوي النبوّة.

قال في القاموس: آمن إيماناً صدّق، والإيمان: الثقة، وإظهار

الخشوع، وقبول الشريعة.

قال الشريف الجرجانيّ في التعريفات: الإيمان في اللغة التصديق بالقلب.

معني الإيمان شرعاً:

قد فرق الله – تعالي – بين الإسلام والإيمان بقوله:)قالت الأعراب آمنا قُل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم(الآية، وقد ورد الحديث به من طريق أصحابنا عن أئمتنا: وهو كثير، ومنه ما حدّث به ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي(1):

1- أُصول الكافي: 241.

عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق(عليه السلام): أخبرني عن الإسلام والإيمان أهم مختلفان؟

فقال: إنّ الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان.

فقلت: فصفهما.

فقال(عليه السلام): الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله(صلي الله عليه واله) به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلي ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدي، وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل، والإيمان أرفع من

الإسلام بدرجة، لأنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة.

وفي معناه غيره، وهو دليل علي أنّ الإيمان أخصّ من الإسلام.

وعن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال: سمعته يقول:)قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا(فمن زعم أنّهم آمنوا فقد كذب، ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب.

وفي حديث أبي حمزة عن الإمام الباقر(عليه السلام) المروي في الكافي لثقة الإسلام الكليني(1):

1- أُصول الكافي: 238.

قال(عليه السلام): بني الإسلام علي خمس: علي الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية، ولم ينادي بشيء كما نودي بالولاية.

ومثله حديث الفضيل عن الباقر(عليه السلام)، وزاد فيه: فأخذ الناس بأربع وتركوا واحدة – يعني الإمامة –.

أمّا حديث عجلان بن أبي صالح عن الإمام الصادق(عليه السلام) فعدّ الأُصول هكذا بنصّ الحديث:

قلت لأبي عبد الله (ع): أوقفني علي حدود الإيمان!

فقال: شـهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمد رسول الله(صلي الله عليه واله)، والإقرار بما جاء به من عند الله، والصلوات الخمس، وأداء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، وولاية وليّنا، وعداوة عدوّنا، والدخول مع الصادقين.

ومن أراد الزيادة فليراجع الكافي وغيره من كتب علمائنا.

البصيرة في الدين:

وهي ثمرة الإيمان، وهي كنايـة عن المعرفة الصادقة بحقيقة الإيمان، والإحاطة التامّة بجميع ما يقول به الدين، ويشاد به الإسـلام، والاطلاع والخبرة بضلالة المضلّ وباطل المبطل.

معني البصيرة لغة:

هي المعرفة عند أهل اللغة، قال ابن الأثير في النهاية: علي بصيرة

أي علي معرفة من أمركم ويقين.

وقال الفيروز آباديّ في القاموس: والبصيرة عقيدة القلب والفطنة...

قال فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين(1) في قوله تعالي)قد جاءكم بصائر من ربكم((2) أي حجّة مبيّنة، واحدها بصيرة، وهي الدلالة يستبصر بها الشيء علي ما هو به، وهو نور القلب كما أنّ البصر نور العين، سمّيت بها للدلالة، لأنّها تجلي القلب ويبصر بها.

إنّ للقلب عيون نورانيّة أنفذ شعاعاً من شعاع البصر، ولهذا وصفها الله تعالي بالعمي حيث قال:)فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور((3) وقال الشاعر:

قلوب العاشقين لها عيون

تري ما لا يراه الناظرونا

وقال عبد الله الأنصاري في منازل السائرين: قال تعالي:)قل هذه سبيلي أدعوا إلي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني(البصيرة ما يخلصك من الحيرة..

إيمان العبّاس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) وبصيرته:

هو فيهما في عداد أهل بيته:، لأنّه(عليه السلام) قد جمع كلّ الأسباب الموجبة لنفاذ البصيرة من الأخبار الصادقة عن الأئمة الطاهرين كأبيه

1- مجمع البحرين: 256 طبع تبريز.

2- الأنعام: 104.

3- الحجّ: 46.

وأخويه السيّدين الحسن والحسين:،

ومشاهدة المعجزة، والتفكّر في صحيفة الوجود، وصفاء النفس والكشف، فقد صحّ أنّ أصحاب الحسين(عليه السلام)كشف لهم، وليس وراء عبّادان قرية.

ويشهد له الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)فيما رواه السيّد الداودي وغيره ولفظه في عمدة الطالب:

قال الصادق جعفر بن محمد(عليهما السلام): كان عمّنا العبّاس بن عليّ(عليهما السلام) نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله(عليه السلام) وأبلي بلاء حسناً ومضي شهيداً، ودم العبّاس(عليه السلام) في بني حنيفة..

وقوله(عليه السلام) في زيارته التي رواها ابن قولويه في كامل الزيارة:

((أشهد أنّك لم تهن ولم تنكل وأشهد أنّك مضيت علي بصيرة من دينك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين))..

وقد بلغ العبّاس بن أمير المؤمنين(عليه السلام) الدرجة العليا للإيمان، لأنّ الإمام(عليه السلام) أثبت له أمرين: قوّة الإيمان والبصيرة، وأثبت هو لنفسه – كما عرفت في ما مضي – درجة صدق اليقين، وسري الإيمان في جميع جوارحه، وأنبتّ في عامة أعضائه، وخالط لحمه ودمه، واستغرق في حبّ الله – تعالي – وفني إحساسه في حبّ الذات الصمديّة، فليس يري في الوجود إلاّ الله، ولا يشعر بغير كمالاته – تعالي –، فإنّ الحبّ الصحيح يوجب الاستغراق، ويستولي علي كيان الشعور، ويستلب المشاعر والحواسّ.

وفي بسط الإيمان علي الجوارح حديثان رواهما الكلينيّ في الكافي

أحدهما عن أبي عمرو الزبيريّ عن الإمام الصادق(عليه السلام)(1).

ص: 374

1- في الكافي: 2/34 ح1: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ بُرَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الزُّبَيْرِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْعَالِمُ أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا بِهِ قُلْتُ: وَ مَا هُوَ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَعْلَي الْأَعْمَالِ دَرَجَةً وَ أَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً وَ أَسْنَاهَا حَظّاً قَالَ: قُلْتُ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِيمَانِ أَقَوْلٌ هُوَ وَ عَمَلٌ أَمْ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ؟ فَقَالَ: الْإِيمَانُ عَمَلٌ كُلُّهُ وَ الْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ بَيَّنَ فِي كِتَابِهِ وَاضِحٍ نُورُهُ ثَابِتَةٍ حُجَّتُهُ يَشْهَدُ لَهُ بِهِ الْكِتَابُ وَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ صِفْهُ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ حَتَّي أَفْهَمَهُ. قَالَ: الْإِيمَانُ حَالَاتٌ وَ دَرَجَاتٌ وَ طَبَقَاتٌ وَ مَنَازِلُ فَمِنْهُ التَّامُّ الْمُنْتَهَي تَمَامُهُ وَ مِنْهُ النَّاقِصُ الْبَيِّنُ نُقْصَانُهُ وَ مِنْهُ الرَّاجِحُ الزَّائِدُ رُجْحَانُهُ. قُلْتُ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَتِمُّ وَ يَنْقُصُ وَ يَزِيدُ؟ قَالَ نَعَمْ، قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَي فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَي جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ وَ قَسَّمَهُ عَلَيْهَا وَ فَرَّقَهُ فِيهَا فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وَ قَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا فَمِنْهَا قَلْبُهُ الَّذِي بِهِ يَعْقِلُ وَ يَفْقَهُ وَ يَفْهَمُ وَ هُوَ أَمِيرُ بَدَنِهِ الَّذِي لَا تَرِدُ الْجَوَارِحُ وَ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَ أَمْرِهِ وَ مِنْهَا عَيْنَاهُ اللَّتَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَ أُذُنَاهُ اللَّتَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَ يَدَاهُ اللَّتَانِ يَبْطِشُ بِهِمَا وَ رِجْلَاهُ اللَّتَانِ يَمْشِي بِهِمَا وَ فَرْجُهُ الَّذِي الْبَاهُ مِنْ قِبَلِهِ وَ لِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَ رَأْسُهُ الَّذِي فِيهِ وَجْهُهُ فَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وَ قَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ يَنْطِقُ بِهِ الْكِتَابُ لَهَا وَ يَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهَا فَفَرَضَ عَلَي الْقَلْبِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي السَّمْعِ وَ فَرَضَ عَلَي السَّمْعِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي الْعَيْنَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَي الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي اللِّسَانِ وَ فَرَضَ عَلَي اللِّسَانِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي الْيَدَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَي الْيَدَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي الرِّجْلَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَي الرِّجْلَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي الْفَرْجِ وَ فَرَضَ عَلَي الْفَرْجِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَي الْوَجْهِ. فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَي الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ وَ الْمَعْرِفَةُ وَ الْعَقْدُ وَ الرِّضَا وَ التَّسْلِيمُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهاً وَاحِداً لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَداً وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص وَ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ كِتَابٍ فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَي الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَ الْمَعْرِفَةِ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً وَ قَالَ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ قَالَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَي الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَ الْمَعْرِفَةِ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ رَأْسُ الْإِيمَانِ. وَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَي اللِّسَانِ الْقَوْلَ وَ التَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ وَ أَقَرَّ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَي وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ قَالَ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَي اللِّسَانِ وَ هُوَ عَمَلُهُ. وَ فَرَضَ عَلَي السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الِاسْتِمَاعِ إِلَي مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَي اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْهُ وَ الْإِصْغَاءِ إِلَي مَا أَسْخَطَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَالَ فِي ذَلِكَ وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّي يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ثُمَّ اسْتَثْنَي اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَوْضِعَ النِّسْيَانِ فَقَالَ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْري مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ قَالَ فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ وَ قَالَ وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ وَ قَالَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَي السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يُصْغِيَ إِلَي مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ. وَفَرَضَ عَلَي الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَي مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّا نَهَي اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ وَهُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فَقَالَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَي قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ فَنَهَاهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَي عَوْرَاتِهِمْ وَ أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَي فَرْجِ أَخِيهِ وَ يَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ وَ قَالَ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَي فَرْجِ أُخْتِهَا وَ تَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَا وَ قَالَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ الْفَرْجِ فَهُوَ مِنَ الزِّنَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ. ثُمَّ نَظَمَ مَا فَرَضَ عَلَي الْقَلْبِ وَ اللِّسَانِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ فِي آيَةٍ أُخْرَي فَقَالَ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ وَ الْأَفْخَاذَ وَ قَالَ وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ

السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلَّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا فَهَذَا مَا فَرَضَ اللّٰهُ عَلَي الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَمَّا حَرَّمَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ عَمَلُهُمَا وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ. وَفَرَضَ اللّٰهُ عَلَي الْيَدَيْنِ أَنْ لَا يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَي مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَ أَنْ يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَي مَا أَمَرَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ فَرَضَ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وَ صِلَةِ الرَّحِمِ وَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ الطَّهُورِ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَي الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَي الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَي الْكَعْبَيْنِ وَ قَالَ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّي إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً حَتَّي تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها فَهَذَا مَا فَرَضَ اللّٰهُ عَلَي الْيَدَيْنِ لِأَنَّ الضَّرْبَ مِنْ عِلَاجِهِمَا. وَفَرَضَ عَلَي الرِّجْلَيْنِ أَنْ لَا يَمْشِيَ بِهِمَا إِلَي شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللّٰهِ وَ فَرَضَ عَلَيْهِمَا الْمَشْيَ إِلَي مَا يُرْضِي اللّٰهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَالَ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا وَ قَالَ وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ وَ قَالَ فِيمَا شَهِدَتِ الْأَيْدِي وَ الْأَرْجُلُ عَلَي أَنْفُسِهِمَا وَ عَلَي أَرْبَابِهِمَا مِنْ تَضْيِيعِهِمَا لِمَا أَمَرَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ وَ فَرَضَهُ عَلَيْهِمَا الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلي أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ فَهَذَا أَيْضاً مِمَّا فَرَضَ اللّٰهُ عَلَي الْيَدَيْنِ وَ عَلَي الرِّجْلَيْنِ وَ هُوَ عَمَلُهُمَا وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ. وَفَرَضَ عَلَي الْوَجْهِ السُّجُودَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فَهَذِهِ فَرِيضَةٌ جَامِعَةٌ عَلَي الْوَجْهِ وَ الْيَدَيْنِ وَ الرِّجْلَيْنِ وَ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً. وَقَالَ فِيمَا فَرَضَ عَلَي الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّهُورِ وَ الصَّلَاةِ بِهَا وَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمَّا صَرَفَ نَبِيَّهُ (صلي الله عليه واله)إِلَي الْكَعْبَةِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ما كانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ فَسَمَّي الصَّلَاةَ إِيمَاناً. فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ حَافِظاً لِجَوَارِحِهِ مُوفِياً كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مُسْتَكْمِلًا لِإِيمَانِهِ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ تَعَدَّي مَا أَمَرَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ نَاقِصَ الْإِيمَانِ. قُلْتُ: قَدْ فَهِمْتُ نُقْصَانَ الْإِيمَانِ وَ تَمَامَهُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَتُهُ؟ فَقَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَي رِجْسِهِمْ وَ قَالَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً، وَ لَوْ كَانَ كُلُّهُ وَاحِداً لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَ لَا نُقْصَانَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَي الْآخَرِ، وَ لَاسْتَوَتِ النِّعَمُ فِيهِ، وَ لَاسْتَوَي النَّاسُ وَ بَطَلَ التَّفْضِيلُ، وَ لَكِنْ بِتَمَامِ الْإِيمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَ بِالزِّيَادَةِ فِي الْإِيمَانِ تَفَاضَلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَ بِالنُّقْصَانِ دَخَلَ الْمُفَرِّطُونَ النَّارَ.

قال الشيخ المظفر :

إيمان شبل عليّ ظاهر الأثر

للناظرين ما قد جاء في الخبر

بأنّه صلب إيمانٍ بصيرته

في الدين نافذة أكرم بخير سري

فدي الحسين بنفس لا مثيل لها

بعد الأئمة والسادات للبشر

ص: 377

مطهّر النفس من عيب يدنسها

مقدّم في سبيل الخير ذا أثر

أبوه أكرم خلق الله قاطبة

بعد النبي المعلي خيرة الخير

به افتخار بني عدنان قاطبة

علي بني يعرب إذ كان من مضر

وشبله السيّد العبّاس موقفه

بالغاضرية فيه خير مفتخر

فيا له موقف تبقي فضائله

ما دام يمشي علي الغبراء من بشر

وراحل لجنان الخلد جهّز من

جند ابن ميسون آلافاً إلي سقر

لولا الكمين الذي أردي بساعده

لم يبقي حيّاً يحامي قطّ عن عمر

بري الكمين يديه والعدي أحتوشوا

ذاك الكمي احتواش السغب للجزر

آداب العبّاس الأكبر (عليه السلام)

معني الأدب في اللغة:

قال الفيروزآبادي في القاموس: الأدب – محرّكة – الطريق وحسن التناول، أدب كحسن أدباً فهو أديب، وأدبته كعلمته فتأدب وأستأدب..

وهـذا المعني هو المتداول عند عامّة الناس تجدهم يقولون للوقح الجريء والبذيء المتفحش: تأدّب واسـتأدب، ويوصون الصـغير والعامّي فيقولون: تأدّب مع الكبير ومع العالم، أي الزم ناحيته في الهدوء والسكون والكلام المحمود وفي الجلوس وأمثالها.

قال الفيومي في المصباح المنير: أدّبته أدباً من باب ضرب علّمته

ص: 378

رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

وقال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع علي كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، والجمع آداب.

وقال الجواليقي في شرح أدب الكاتب(1): فالأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم، مثل ترك السفه، وبذل المجهود، وحسن اللقاء.

أنواع الأدب:

لكلّ طائفة من طوائف الإسلام وفرقهم اصطلاح خاصّ في الأدب، وبهذا يتنوّع الأدب إلي أنواع ثلاثة:

الأدب العربي:

ويطلق في مصطلح أهل اللسان علي جميع العلوم المأخوذة عن قدماء العرب

التي هي لسانهم، كاللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وأوزان الشعر وأمثالها، وقد يطلق الأدب ويراد به ديوان العرب، وهو الشعر والقوافي خاصّة، وهذه العلوم تكون داخلة فيه، لأنّه بها يسمّي شعراً، وإطلاق الأدب علي الشعر لفظ مولّد فيما قاله الخفاجي في شفاء الغليل.

1- شرح أدب الكاتب: 13.

الأدب الشرعي:

وهو مصطلح المتشرعة من علماء الدين عبارة عن الأخذ بالفرائض والسنن الثابتة في الشريعة النبوية والمأثورة عن أئمة أهل البيت: وتهذيب النفس عن رذائل الأخلاق التي نهي عنها الشارع، كما في وصيّة النبي(صلي الله عليه واله)لأمير المؤمنين(عليه السلام) ولأبي ذر الغفاري، ووصيّه أمير المؤمنين(عليه السلام) لولديه الحسن الزكي ومحمد بن الحنفية وأمثال ذلك، وتثقيف النفس بمحاسن الصفات التي ندب الشارع المقدّس إليها، ويجمع هذه ألآداب أمران: فعل ما رغب فيه، وترك ما نهي عنه.

الأدب العرفاني:

وأهل العرفان قسمان: قسم هم أهل الطريقة، وهم أرباب التصوّف والتقشّف التصنّعي، ومسلكهم وعر في الآداب بحمل المريد علي طريقتهم في أُمور ابتدعوها أكثرها موافقة لمذاهب أهل الحلول من صوفيّة الفلاسفة وتناسخيتهم، ويزعمون أنّها ثبتت لديهم بطريق الكشف والشهود.

وقسم هم أهل الحقيقة، وهم النسّاك وأهل الزهد حقيقة، والمتورّعون الأتقياء، لم يسلكوا مسالك الصوفية، ولم يتّخذوا التقشّف طريقة، ولم يزعموا أنّ الغيبة والشهود أحوالاً، بل مسلكهم اقتفاء طريقة الشارع المقدّس، واقتباسهم التهذيب النفسيّ من شريعة سيّد

المرسلين(صلي الله عليه واله) ومنهاج الأئمة المعصومين:، فالآداب عندهم ما جاءت به الشريعة المحمدية، كترك ما لا يعنيه من الفضول قولاً وفعلاً، وتحمّل ما يقدر عليه تكليفاً، واجتناب ما لا يجوز شرعاً، فهذه الطريقة العرفانية من هذا الوجه تتّفق مع الأدب الشرعي، ومن فسّره إنما فسّره علي الطريقة الأولي، فلذلك افترق عن الأدب الشرعي.

آداب أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين

قد جمع(عليه السلام) هذه الأنواع من الأدب التي أشرنا إليها جميعاً، وهي الأدب العلمي الذي هو فن المنظوم والمنثور من الكلام العربي، والأدب الشرعي الذي هو عبارة عن المحافظة علي ما ورد في الشرع، والأدب الروحاني العرفاني وهو عبارة عن تهذيب النفس عن ذميم الأخلاق، ومراعاة حقوق الاحترام لأهل الرفعة والمنصب السامي، وقد استبان ممّا سبق تفوّقه في الأدب العلمي والشرعي والعرفاني فيما ذكرناه من علومه وعبادته.

وأمّا أدبه السلوكي ففي سلوكه الأدبي الذي ظهر في صحبته لأخيه الإمام الحسين(عليه السلام) فسلوك الأبرار، وطريقته طريقة الصلحاء الأخيار، قد قضي حياته معه لا يردّ عليه قولاً، ولا يعارضه في فعل، وإذا أمره مضي لأمره، وإذا وجهه في مهمّ لا يبرم أمراً ولا ينقضه حتّي يطالع قوله ويحيل ذلك إليه قبولاً وردّاً.

ولم يخاطبه مدّة حياته إلا بقوله: سيّدي أو يا بن رسول الله،

وما جري مجراهما من المخاطبات الدالّة علي الاحترام، ويعرض كثيراً عن الخطاب بالإخوة، وإن نطق بها أحياناً، لعلمه أنّها تشعر بالكفاءة، وإنها ممّا يخاطب بها الأكفاء الأكفاء، فيصلح مثل ذلك للحسين(عليه السلام) في خطاب الحسن(عليه السلام)، أمّا من عداهما من ولد علي(عليه السلام) فلا يخاطبهما بمثل هذا الخطاب المشعر بالمكافأة والمساواة، وإنما يصلح لهم من باب الأدب أن يخاطبوهما بخطاب العبد للمولي والمسود للسيّد، ولا كفوء للحسين(عليه السلام) في نظر العباس(عليه السلام) وإن كان هو أخوه النسبي وابن أبيه، لكنّه كان يجلّه ويحترمه ويري أنّه سيّده وإمامه وابن رسول الله(صلي الله عليه واله)، فيري أنّ هذا هو الأصوب والأوفق لذلك.

كان لا يخاطبه إلا سيّدي يا بن رسول الله(صلي الله عليه واله) أو يكنّيه بأبي عبد الله أو ما شابه ذلك، إلا في موارد الحنان والإشفاق حيث خاطبه عند آخر نقطة من حياته، وقرب الوقت الذي لفظ فيه نفسه الزكية، وذلك عند سقوطه علي شاطيء العلقمي مقطوع اليدين مفضوخ الهامة، والسهم قد شكّ عينه، فنادي: السلام عليك يا أبا عبد الله أدركني يا أخي!

هذه كلمة الحنان الدافئة، التي كان الحسين(عليه السلام) يشتهي أن يسمعها من أخيه أبي الفضل، يا للأسف إنها قارنت الأحزان الموجعة لقلب الحسين(عليه السلام)، وقد كان يودّ سماعها مقترنة بالمسرّة والابتهاج، لأنّ هذا الأخ المصافي والشقيق المهذّب إذا خاطب الأخ العظيم المحترم في بعض الآنات بلفظ الأخوة، فإنّه يلتذّ ويشتاق لسماعها، ففاه أبو الفضل بهذه

الكلمة عندما أزف علي فراقه، وإن خلي بعض المقاتل عن ذكرها، لكن المعروف إنّه قال: أدركني يا أخي، مع قوله: يا أبا عبد الله ويا بن رسول الله، فروي كلّ ما وصل إليه.

ويدلّ علي أدب العباس(عليه السلام) القصّة التاريخية المشهورة وقد رواها جماعة منهم الشيخ المفيد والطبري في التاريخ، وهي قصّة زحف عسكر ابن سعد علي الحسين(عليه السلام) عصر الخميس نهار التاسع من المحرم، وإن الحسين(عليه السلام) أرسل العباس بن علي(عليهما السلام) إليهم ليعرف أمرهم، وأنّهم أخبروه أنّهم يريدون نزول الحسين(عليه السلام)علي حكم ابن زياد أو قتله، والعباس يعلم أنّ الحسين(عليه السلام) لا ينزل علي حكم الدعي، لكنّه سلك طريق الأدب مع أخيه الحسين(عليهما السلام) فلم يقل: إنّه لا ينزل علي حكم ابن زياد، بل قال لهم: لا تعجلوا حتّي ارجع إليه وأخبره بما ذكرتم.

هذا ما رواه المفيد والطبري، لقد سلك طريق الأدب بأنّه لم يجب علي حسب علمه حتّي رجع إلي أخيه الحسين(عليهما السلام) وأخبره، وخذ القصّة بتفصيلها من التاريخ.

وهذه مرتبة عظيمة من مراتب الأدب السلوكي تدلّ علي معرفة محكمة بحقّ الإمام.

ص: 383

ويقول صاحب معالي السبطين: إنّه ما كان يجلس بين يدي الحسين(عليه السلام) إلا بإذنه، كان له كالعبد الذليل بين يدي المولي الجليل ممتثلاً لأوامره ونواهيه، مطيعاً له، وكان له كما كان أبوه لرسول الله(صلي الله عليه واله)، ومن تأدبه لم يكن يخاطب الحسين(عليه السلام)إلا ـ ويقول له: يا سيّدي، يا أبا عبد الله، يا بن رسول الله، وما كان يخاطبه بالأخوة – قيل – مدّة عمره إلا مرّة واحدة خاطب الحسين(عليه السلام) بالأخوة، وهي الساعة التي ضربوه بالعمود...

وليس الأمر كما ذكر، بل خاطبه قبلها بأخي، كما في القصّة التي أشرنا إليها من حديث زحف القوم، وإنّه قال: يا أخي! أتاك القوم، حسبما رواه المفيد والطبري وغيرهما، لكنّه قليل بالنسبة إلي سائر المقامات، فإنّ سلوكه بها بخطاب التعظيم له.

قال الشيخ المظفر :

آداب شبل علي أفضل الأدب

في الدين موروثة عن سادة العرب

عن الوصي علي وهو والده

وسيّد الرسل طه خير منتجب

وإنّما أفضل الآداب ما أخذت

تعلّماً عن وصي صادق ونبي

ما قال للسبط إلا سيّدي أبداً

ولم يقل يا أخي يوماً ويا بن أبي

إلا قليلاً ومنها عند مصرعه

نادي أخي ونداه واضح السبب

أراد يوفيه حقّاً للأخوة لم

يفصح به قبل ذا في سالف الحقب

فظنّها حسرة تبقي بمهجته

وما له بسواها قطّ من إرب

ورام تجديد عهد بالحسين وقد

حمّ الفراق وجدّ الموت في الطلب

ص: 384

فجاءه السبط بادي الحزن مكتئباً

يكفكف الدمع بالكمين ذا كرب

ألفاه مثل هلال خرّ من أفق

تذري الرياح عليه سافي الترب

أهوي عليه ودمع العين منحدر

مثل الجمان علي خدّين كالذهب

نادي أبا الفضل من يحمي حماك ومن

يحمل لواك فقم يا فارس العرب

ولم يزل عنده حتّي قضي فمضي

نحو المخيم بادي الحزن والنصب

فاستقبلته بنات الوحي صارخة

هاذي تقول أخي قل لي وتلك أبي

أين الذي كان مأوانا ومؤلنا

ومن يجود لنا بالبارد العذب

فاستعبر السبط حزناً حين قال قضي

يا زينب البطل المغوار فاحتسبي

فحسبي الله قالت والدموع جرت

مثل السحاب بهطّال ومنسكب

لكن سكينة قالت من تلهّفها

خذني إليه ليسقيني من العذب

صبراً سكين فأمر الله ليس له

من دافع إنّه قد خطّ في الكتب

وإنّني لاحق فيه ومرتحل

إلي الجنان لجدّي المصطفي وأبي

ألا استعدّي لذلّ الأسر واعتمدي

علي السباء وهتك الستر والسلب

وقال الشيخ المظفر أيضاً:

بدم الشهادة لا بحبر خطّ في

غرر المعالي للتحرّر أسطرا

عباس نهضته الوحيدة منهج

للناهضين ومن يروم تحرّرا

قد باع أغلي ما لديه علي العلا

هي نفسه وبها المفاخر قد شري

هو مصلح من مصلحين ومرشد

من مرشدين وفيهموا صلح الوري

والدين دين العدل حقّاً دينهم

والحقّ مثل الصبح لما أسفر

دين الهداية لا الغواية دينهم

ما كان هذا الدين ديناً مفتري

ضربوا خراطيم الغواة وأرجعوا

ما زاغ للإسلام فاعتدل السري

لكن أمية لم يرقها كسرهم

هبلاً ولا آساف في أمّ القري

كتمت نواياها لحقن دمائها

وجميع من رام النفاق تستّرا

خافوا سيوف محمد ووصيّه

إذ كن يمطرن النجيع الأحمرا

أخفوا تحرّقهم حذاراً إذ رأوا

هبلاً كآنية الزجاج مكسّرا

حتّي إذا امتلكوا الخلافة عنوة

ونزوا علي الأعواد أبدوا المنكرا

فتكشفت أستارهم مذ أعلنت

أسرارهم بغض النبي مكبرا

وأعانهم من لم يشايع أحمدا

إلا رياء أو نفاق أو مرا

حتّي يقول الساخطون لدينه

ما كان وحي ذاك قول مفتري

فتجمّعوا وتحزّبوا وتعاقدوا

أن لا يلي أمر الخلافة حيدرا

لم يكفهم غصب الوصي حقوقه

وله الخلافة بالنصوص بلا مرا

حتّي رموا قلب الزكي بشربة

للسمّ ذاب بها الحشا فتفسّرا

ثم استجاشوا للحسين بكربلاء

ملء الفضا جنداً عليه وعسكرا

ذادوه من ماء الفرات وورده

مهر أُمّه عنده يذاد تجبّرا

قتلوه عطشاناً وأجروا خيلهم

عدوا عليه وغادروه بالعرا

الفصل الثالث : في مقتله (عليه السلام) و في ذكر وظائفه،وبعض الخطط الحربية و مدفنه و كرامته

اشارة

ص: 387

منزلة أبي الفضل العباس(عليه السلام) عند الله تعالي

لا ريب أنّ المنزلة تكون بنيل الفضيلة ونيل الفضيلة عند الله تكون بالطاعة له، وتعلو المنزلة وتسمو الفضيلة بصحّة الاعتقاد وخلوصه وبكثرة الأعمال الخيرية، فكلّما كان الإنسان حريصاً علي تحصيل الفضل، مجتهداً في الطاعة، كثير الخيرات، يكون عند الله عظيم المنزلة، كبير الفضيلة، سامي الدرجة، عالي المرتبة..

والفضيلة عند الله تزداد كلّما ازدادت أعمال الإنسان الخيرية، وأكثر من اكتساب الأعمال الصاحلة.

الولاية والتسليم والبراءة

وأهمّ تلك الأعمال عند الله تعالي الولاية والتسليم لأئمة الحقّ الذين فرض الله طاعتهم، والبراءة من أعدائهم، والعبادة بأنواعها لقوله تعالي:)وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون(، فأخبر سبحانه أنّه لم

يخلقهم سواماً مهملين، ولا بهائم مرسلين، همّهم الدنيا، منهمكون في لذّاتها الفانية، متكالبين علي نعيمها البائد، واثقين بظلّها الزائل.

أمّا أبو الفضل العباس(عليه السلام) ففي الصفّ الأوّل من صفوف المتّقين، وفي الطليعة المتقدّمة من طلائع المتعبّدين، ومن أعلام الرافضين للدنيا التاركين لزبرجها، ومن عيون الأوّابين المتألهين الدائبين في العبادة، والمواظبين علي أعمال البرّ والطاعة، والمسارعين إلي مرضاة الله واكتساب رضوانه في السرّ والعلانية.

الجهاد

والجهاد علي الدين لقوله تعالي:)إنّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا((1) وقوله:)فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسم علي القاعدين درجة((2) إلي غيرهما .

وأبو الفضل(عليه السلام) في هذه الفضيلة أثره بارز، ومقامه فيها مشهور في الأجيال كلّها، ويميّز بهذا الجهاد علي سائر المجاهدين بثباته وإقدامه، وبحسن نيّته وإخلاصه، وقد أحسن راثيه بقوله له:

لك موقف بالطفّ أنسي أهله

حرب العراق بملتقي صفين

1- الصف: 4.

2- النساء: 95.

تعليم الجاهل

وتعليم الجاهل وإرشاد من ضلّ طريق الهداية وزاغ عن القصد لقوله تعالي:)والذين جاهدوا فينا لنهديهم سُبُلنا((1)، وهذه المجاهدة ليست المجاهدة البدنية، بل الدعاية إلي الدين وإيضاح محاسنه، وهي عبارة عن تعليم الجاهل وإرشاد الضال، وإقناع الزائغ بالوعظ والإرشاد، وبثّ الخطب النافعة وإلقاء الكلمات المؤثرة الجذابة المتضمّنة للترغيب والترهيب، المشوقة للجنان المزخرفة، المحذّرة من النيران المسجّرة، وتذكير الإنسان الغافل عن نعم الله تعالي بإيقاظه إلي ما ناله من العافية في الدين والدنيا، والسلامة من الفتن والأراجيف المضرّة، وإلفات نظر هذا الإنسان الطائش المنتشي بنشوة الجهل بمواقع إفضال الله الوفيرة وآلائه الدارة ونعمه المغدقة عليه، ليري ما سخّر الله له من الموجودات الكائنة علي السواء الحيّة منها والجماد، وهذا ما أخذه الله علي العلماء.

وفي الحديث النبوي:

إذا تظافرت البدع فعلي العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنه الله.

ومعناه وجوب القيام بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير ومقاومة الضلالات وقمع البدع، وعلي مثل ذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل الكتب السماوية مفسّرة لذوي العقول غوامض

1- العنكبوت: 69.

المشكلات، ولا يجهل محلّ أبي الفضل(عليه السلام) في هذه المسألة، وقد ذكرنا فيما تقدّم بعض مقاماته في وعظ الأعداء.

التقوي

والتقوي لقوله الله تعـالي:)ولباس التقوي ذلك خير((1)، وقوله تعـالي:)إن أكرمكم عن الله أتقاكم((2)، ولم يزيّن الله العباد بزينة أفضل من التقوي، كما هو نصّ الحديث النبوي.

وفي الأُولي ردّ علي المفتخرين بالملابس الفاخرة المتباهين بالكسوة الثمينة.

وفي الآية الثانية ردّ علي المفتخر بالآباء والأسلاف دون الأعمال الصالحة المستغني عن كرم الفعل بكرم الأصل.

ويروي لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب8:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه

فلا تترك التقوي اتكالاً علي النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس

وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

الزهد

والزهد في الدنيا والعزوف عن مقتنياتها وترك نفائسها المنقصة التي

1- الأعراف: 26.

2- الحجرات: 13.

يسـمونها بالكماليـات إيثاراً للآخرة علي الأُولي، علماً منه بأنّ الله تعالي جعل نصـيب المؤمن الأوفر في وفوده عليه لقوله تعالي:)وللآخرة خير لك من الأولي ولسوف يعطيك

ربك فترضي((1)، وقوله تعالي:)ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الآخرة من نصيب((2).

فالعاقل لا يترك نصيب الآخرة الوافر لنصيب الدنيا الناقص.

الصبر

والصبر بأنواعه لقوله تعالي:)ومن يتق الله يجعل له مخرجا((3)، وقوله تعالي:)إن الله مع الصابرين((4).

ومن كان الله معه، فقد رفع منزلته، وقد عرفت صبر العباس(عليه السلام) فيما سبق.

الشكر

1- الضحي: 4.

2- الشوري: 20.

3- الطلاق: 2.

4- البقرة: 153.

والشكر لقوله تعالي:)وسنجزي الشاكرين((1).

الإحسان

والإحسان بأنواعه، وهو أيضاً بجمع أنواع الخيرات، قال الله تعالي:)إن الله يأمر بالعـدل والإحسان((2)، وقال تعالي:)إنا لا نُضيعُ أجر من أحسن عملاً((3).

اليقين

واليقين، قال الله تعالي:)واعبد ربك حتّي يأتيك اليقين(.. إلي غير ذلك من الفضائل الدينية..

وقد اتصف بكلّ هذه الصفات، وتحلّي عامّة هذه الفضائل أبو الفضل العباس(عليه السلام)، كما حاز غيرها من صفات الكلام وقد تقدّم.

وجوه منزلته عند الله

فكان له من مجموع هذه عند الله منزلة عظيمة ومقام أسمي، والفضل

1- آل عمران: 145.

2- النحل: 90.

3- الكهف: 30.

الذي له عند الله يقع من وجهين:

المنزلة والدرجة في الجنان

من حيث المنزلـة والدرجة في الجنان العالية، وهذا ما تتباهي به هناك عباد الله الصالحون وأوليائه العاملون، فهم يتفاخرون فيما حبوا به من الكرامات، لأنّ الله – تعالي – يمنحهم الكرامـة مقابلة للعمل الصالح وجزاء للطاعة، ويحبوهم تفضّلاً أضـعاف ما اسـتحقّوه بالعمل، وقد نصّ علي ذلك حديث الإمام زين العابدين(عليه السلام) السابق: ((إنّ لعمّي العباس درجة بغيطه بها جيمع الشهداء)).

الحياة الخالدة

ومن حيث الحياة الخالدة حياة الذكري الجميلة وهذه من ناحيتين:

الحياة البرزخية

الحياة البرزخية، لقوله تعالي)ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون((1)، وليس المراد بالحياة في هذه الآية إلا الحياة في البرزخ، وإلا لما كانت فضيلة للشهداء إذ أنّ الحياة الكبري للحساب، واستيفاء المثوبة والعقوبة تشترك فيها الأتقياء

1- آل عمران: 169.

والأشقياء، ويتساوي فيها الصالح والطالح، وقد قال الله تعالي

في المعذبين في النار)كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها((1)، وقوله تعالي)لا يموت فيها ولا يحيي((2).

والآيات كثيرة وناصّة علي هذا وناطقة صراحة بحياة الكافرين في محاورتهم للملائكة واستغاثتهم وطلبهم الماء من أهل الجنّة، وغير ذلك ممّا لو استقصيناه لأسهبنا.

ولولا هذه الحياة في المحشر لما كان لكثرة الثواب وشدّة العذاب الذي أوعد الله بها عباده وجعلهما جزاء للطاعة والمعصية من فائدة، إذ الميت لا يعرف لذّة النعيم، ولا يحسّ بمسّ العذاب الأليم.

فإذا المراد بحياة الشهداء هي الحياة البرزخية كما أشار لذلك النبي(صلي الله عليه واله) فقال: مرّ عليّ جعفر بن أبي طالب في رعيل من الملائكة، فسلّم عليّ فرددت عليه السلام.

فإذا اتصلت هذه الحياة بحياة الجميع، فتكون مدّة موتهم قليلة جدّاً بمقدار انتقالهم من هذه الدار إلي الدار الأُخري، كالمجتاز من دهليز، وكالمارّ من شارع إلي آخر، وهو بمنزلة الذي ينام ثم يستيقظ، ويغفو وينتبه، وهذا معتقد علماء الشهداء.

قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) لمّا ضربه ابن ملجم

1- النساء: 56.

2- طه: 74.

المرادي: فزت وربّ الكعبة.

وقال عمير بن الحمام الأنصاري أحد شهداء بدر مع النبي(صلي الله عليه واله): بخ بخ ما بيني وبين دخول الجنّة إلا أن أرمي هذه التميرات، لتميرات كانت في يده يأكل منها، فرماها واستقدم فاستشهد.

وقال برير بن حضير الهمداني المشرقي سيّد القراء الشهيد مع مولانا الحسين بن

علي(عليهما السلام) ما بيننا وبين أن نعانق الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم.

وقال علي بن الحسين الأكبر(عليهما السلام) الشهيد مع أبيه الحسين(عليهما السلام) بطفّ كربلاء: هذا جدّي رسول الله(صلي الله عليه واله) قد سقاني شربة لا أظمأ بعدها، وغير ذلك ممّا يمنعنا من إيراده التطويل.

بقاء الشعائر

ومن حيث بقاء الشعائر في قصد زيارته من أدني الأرض وأقصاها، وإحياء الذكري بإقامة التذكار في الأجيال، ونصب مأتم العزاء في القري والأمصار، وإعلان النياحة وتدفّق المواكب العزائية اقتراناً بزيارة أخيه الحسين(عليه السلام) ونياحته، وقصد المواكب قبّتيهما حاملة أعلام الحزن السوداء، لاطمة الصدور، حفاة الأقدام، حاسري الرؤوس،

حتّي أنّ الفرد منهم لو أُصيب بأعزّ مفقود من أُسرته أو ثكل أيّ عزيز من رهطه لما أدّي له عشر ما أدّي للحسين والعباس(عليهما السلام) من اللطم واللدم وإعلان الصرخة والبكاء.

وما دامت الدنيا باقية، فالزوّار متدفّقة كالسيول، والمواكب تتلو المواكب قاصدة تلك المراقد، وجاهرة بالعزاء المبرح في مختلف أقطارها، معلنة مراثيه بمتباين لهجاتها وألسنتها.

وأضف لهذا ظهور الكرامات الباهرة عند مرقده المقدّس، وهي من الدواعي الكبري لإحياء هذه الذكري، وتجديد تذكار المأساة.

منزلة الغبطة

لأبي الفضل(عليه السلام) فضيلة الحياتين: البرخزية والتذكارية، وفضيلة الدرجة الراقية في جنّة المأوي، وهي التي تدعو بسموّها إلي الغبطة عليها من جميع الشهداء، وتعرب بارتفاعها في الدرجات العلي عن منافسة المقتولين علي الإيمان والحقّ والعدل لصاحبها، فهي لا شكّ من أسمّي رتب الشهداء، ومن أرفع درجات السعداء.

ولعلّ الناظر في هذا الحديث يقول بتعميمه وتسريته إلي أعظم شهيد كحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله سيّد الشهداء وجعفر الطيّار ذي الجناحين، فيرتاب في التفضيل عليهما، وليس الحديث الشريف بناظر إلي التفضيل، ولا لامح جهة المفاضلة، وإنّ للمفاضلة أدلّة أُخري.

لكن الحـديث يـذكر أنّ درجة العباس(عليه السـلام) يغبطه بها جميع الشـهداء حتّي جعفر وحمزة، والغبطة تمني نيل ما حصل للمغبوط، وإن لـم تكن من جهة فضـيلته الشخصـية، بل من حيث فضيلة نفس الشهادة وعظم خطرها، وهذا شيء نلفت إليه نظر أهل الوعي والشعور، لأنّ شهادة العباس(عليه السلام) اشتملت علي خصائص ومميّزات لكلّ واحدة فضلها علي حياله، ولـم تحصل لهذين الشهيدين العظيمين حمزة وجعفر(عليهما السـلام)، كالإيثار الذي وقع من أبي الفضل لأخيه الحسين(عليهما السلام) علي نفسه لمّا رمي الماء من يده، وسقاية العطاشـي من آل محمـد(صـلي الله عليه واله)، وردّ الأمان الذي بذل له خاصّة، والمحن التي ابتلي بها، وبعضـها يوجب دهشة المحارب وانذهاله، وفي مداراتها العناء الشديد والمشقّة الشاقة، وقد جاء الحديث: الأجر علي قدر المشقّة.

فمن تلك المحن مـدارات نساء مذعورة، وعقائل مرعوبة، وصبية تتصارخ وتضجّ ضـجيجاً يؤلـم قلب الغيور، ويجرح ضـمير المتحمّس وقد تؤثر صـدعاً في كبـد الحرّ صاحب الشـعور والوجـدان، وهو مع ذلك في الآونـة تلو الآونـة يحمل شاباً كفلقـة بـدر وكشـظية كوكب وهّاج تجسّدت الدماء عليه، ووزّعته الأسـلحة إراباً مفصّـلاً، وينقل إلي الخيمة الحين بعد الحين كهلاً لا نظير له في شـمائله وأوصافه قتيلاً فيضعه بين القتلي، وكلّ هؤلاء الشـبان والكهول ليس لهـم شبيه علي وجه الأرض، وفيهـم الأخ الشـقيق، وابن الأخ الشـفيق، وولـد العمّ الـذي هـم كطاقة

ريحان مسّ ها وهـج السـمائم فذبلت، وولد هو قطعة كبد وفلذة قدّت من القلب فربت ونمت، هكذا جرت له الأقدار مقاسات هذه الأرزاء، ومكابدة هذه المحن العظام.

ويلتفت إلي سـيّده وإمامه الحسين(عليه السلام) قد تفاني جيمع من يدافع عنه، وقتل كلّ من يقيه بنفسه، وذهب عامّة من يفديه بروحه، فهو لاـ يطمع له بالحيـاة، ولاـ يرجو له البقـاء، ليهون عليه الخطب، ويسـهل الأـمر، وتهون المصـيبة كما هانت علي حمزة وجعفر اطمئنانهما بسلامة رسول الله(صلي الله عليه واله)، فإنّ معه من يقوم بالدفاع عنه والمجادلة دونه.

وليس أمام حمزة وجعفر(عليهما السـلام) صبية تزعجهما، ولا نسوة تشـغلهما بصـراخها وعويلها كما شـغلت بطل العلقمي(عليه السلام) صرخة تلك النسوة المذعورة، وما أحرج موقفه تجاه الصبيان العطاشـي والتجاءهن إلي عاطفته يسترحمنه ويستدررن تلك العاطفة المتدفّقة بالحنان والعطف: هذه تقول: عمّ اسقني، وأُخري تقول: أما تري حالي؟ وثالثة تقول: تفتت كبدي؟ ورابعة تقول: عمّي من لي؟ وخامسة: أين أبي؟ وسادسـة: تناشـده أين تركت أخي؟ وسابعـة تقول: فـديتك احملني إلي عمومتي يسـقوني ماءاً، هذه وأمثالها ممّا يفتت الأكباد ويقرح الأعين.

ولم يجري لحمزة وجعفر(عليهما السلام) مثل ما جري للعباس(عليه السلام)، ولم يصبهما مثل ما أصابه من الظمأ، ولم ينقطع عنهما الإمداد، ولم يحصرا في فلاة جرداء قاحلة، ولم يشاهدا مصارع الأحبّة، ولم يدر الأمر بين حياته وحياة إمامه في ساعة من الزمن بحيث يقدّم حياته بالقطع واليقين ليبقي إمامه ويحمي حرمه ويؤخر سبيهن ويؤجل الغارة عليهن إلي غير ذلك من الأُمور التي شاهدها أبو الفضل العباس(عليه السلام)، فقابلها برباطة جأش وبثبات مدهش، فكان كما مدحه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) بقوله: ((نعم الصابر المجاهد)).

قال الشيخ المظفر :

فمحنتك العظمي بساحة كربلا

أبا الفضل تندكّ الرواسي أمامها

تشاهد أجلاف البريّة حاصرت

بجرداء من أرض الطفوف أمامها

وقد منعت ورد المباح عياله

فجاءتك تشكو يا حماها أوامها

وقد أرعبت صبيانه زعقاتها

وقد سددت نحو الخيام سهامها

فصلت بسيف النصر صلتاً مجرّداً

تحوط وتحمي خدرها وخيامها

فأرجعت جند الغي قسراً إلي الوري

كليث الشري غضبان لاقي سوامها

وما زلت حتّي فارق الكفّ زنده

تفلّق في عضب الغرارين هامها

فعاقك والأقدار أعظم عائق

لنفس المحامي أن تنال مرامها

فلم تستطع إيصال ما كنت حاملاً

من الماء كي تروي العطاشي أوامها

وقعت علي شاطي ء الفرات مجدّلاً

بقفراء قد أذكي الهجير ضرامها

وكلّما اشتد البلاء وعظم العناء تضاعف الأجر حسبما نطقت به

ص: 400

الأحاديث الشـريفة، وكلّما تضاعف الأجر علت المنزلـة، وكلّما علت المنزلة حصـلت الغبطة، وبهذا يحكم العقل والوجدان – لو حكم – فإنّ جيش الملك لو كان فيه قوّاد قام أحـدهم بعدّة أعمال عظيمة في صالح الأُمّة والسـلطان، وأتي بعدّة خدمات لم يأتي بها أحد سواه أليس يسـتوجب عند شـعبه الثناء الجميل، وعند مليكه أسـمي الرتب وأرقي الدرجات، فيحبوه بعدّة أوسـمة من الدرجة الأُولي، ويرقّيه إلي أسمي مراتب الشـرف، وإنّ المساوي له في المرتبة والتفوّق عليه في الوظيفة سـيغبطه علي ذلك لا ريب ولا شك فيه، فكلّما عاين تلك المرتبة التي اكتسـبها بجلائـل أعمـاله، ولـم يتهيأ له هو القيام بمثل تلك الأعمال ولا ساعـدته الظروف علي اكتسابها ليضلّ دائماً مظهراً للغبطـة يتمنّاها ويودّها.

وإن شئت فقل: إنّ تلك المنزلة خصوصية خصّ الله بها أبا الفضل العباس(عليه السلام) دون غيره من العالمين.

فهذا ما نظر إليه الحديث الشـريف، وكلام المعصوم مبني علي الحكمة، وإن أردت أن تشقّ إلي المفاضـلة طريقاً وتثبت الأفضلية بالأعمال الصالحة، فأعمال

الجميع أمامك وقارن بينها وقف مع كثرتها وتميّزها واحتكم إن شئت واحكم بما أرشدك إليه العلم.

للمظفر :

أبو الفضل إن نال عند الإله

مراتب في الجنّة العاليه

فتلك مآثره الصالحات

أتاحت له الرتبة الراقيه

لقد جاهد القوم حقّ الجهاد

بصبر وفي نية صافيه

وآثر بالنفس سبط الرسول

كما قد سقي العترة الظاميه

ولما رأي قومه ظاعنين

جميعاً إلي عيشة راضيه

تقدّم نحو أخيه الحسين

وعيناه أدمعها جاريه

يقول له يا بن خير الوري

ويا بن المطهرة الزاكيه

سئمت الحياة ولا صبر لي

وأسمع في حيّك الواعيه

فدعني أموت ولم أستمع

لباكٍ عليك ولا باكيه

فسار إلي الموت مستقدماً

وصار إلي جنّة عاليه

للفاضل الدربندي في أسراره(1) كلام قف عليه: وفيه:

1- أسرار الشهادة: 336.

وقد حكي جمع من الصـلحاء أنّ واحداً من أهل كربلاء، وهو الآن موجود - يعني في عصره - كان يزور سيّد الشهداء(عليه السلام) في كلّ يوم وليلـة مرّتين أو ثلاثاً، ولا يزور العباس(عليه السـلام) إلا بعـد مضـي عشـرة أيام من زيارته، فرأي في المنام الصدّيقـة المعصومة الزهراء فاطمة(عليها السلام)، فسلّم عليها فأعرضت عنه، فقال لها: سيّدتي ما تقصيري؟

فقالت(عليها السلام) له: استقلالك من زيارة ولدي.

قال: أزور ولدك كلّ يوم ثلاث مرّات .

قالت: نعم، تزور ولدي الحسين(عليه السلام) هكذا، ولا تزور ولدي العباس إلا قليلاً.

فـانظروا أيّهـا الإـخوان إلي عظمـة شأن العباس فيما أعطاه الله ممّا نشاهـده وممّا لا نشاهـده.. إلي آخر ما قال والكلام مطول، وجـدير بأبي الفضل(عليه السلام) أن يفضل، وحريّ به أن يقدّم.

وختاماً لهذا المقام نورد كلمة للشـيخ محمد طه نجف في كتاب الإتقان(1) فإنّها عظيمة عند التأمّل، وافية بالمطلوب، بلغت علي وجازتها ما لم تبلغه المطوّلات من العبارات، وهذا نصّها:

1- الإتقان: 75 ط النجف.

العبـاس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السـلام) أبو الفضل هو أجلّ من أن يـذكر في المقام، بل المناسب أن يـذكر عنـد ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

قال هذا في قسم الثقات، وهو كما يقول: العباس(عليه السلام) فوق الثقة منزلة وأعظم بآلاف المراحل.

للشيخ المظفر :

وإني لأستشفي بذكر ابن حيدر

إذا مسّني سقم أو انتابني ضرّ

طبيبي أبو الفضل العميد وحبّه

لدنياي والأُخري هو الكنز والذخر

ونحن الإماميون كان شعارنا

ولاء علي والحسين وذا فخر

وحبّ الهداة الغرّ منهم وإنّهم

لنا عصمة مهما استطال بنا العمر

نلوذ بقبر ابن الوصي بكربلا

وذا كعبة الزوار مهما دعي قبر

مقام له عند المهيمن شامخ

وقدر رفيع الشأن ما مثله قدر

لقد خلّد الرحمن في الدهر ذكره

وما الفضل إلا ما أُشيد له الذكر

وفي الحشر لم يعط شهيد عطائه

لذا صار مغبوطاً وهذا له سرّ

منزلة أبي الفضل العبّاس عند أخيه الحسين(عليهما السلام)

هي منزلة عظيمة جدّاً، فإنّ للمنزلة حيثيات واعتبارات توجب ارتفاعها، وتقتضي عظمتها، منها: الأخوة والصحبة.

ومنها: الفضل أو كمالات الشخص ومحاسن أخلاقه.

ومنها: الطاعة وغير ذلك.

فمن حيث الأخوة والخدمة والإخلاص والمحبّة وكمال الأدب، فقد عرفت ذلك، وكذلك قد مضي ذكر خصاله الحميدة وسجاياه الفاضلة ممّا يوجب مزيد الرغبة في المتّصف بها، وتؤكّد له القبول عند العظماء وذووا الشأنية والمقدرة من الأقرباء، فأكّدت هذه الشمائل والأوصاف الممتازة في نفس سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) محبّة أخيه العبّاس الأكبر(عليه السلام)، وأدّت إلي تقديمه علي من سواه من الأصفياء والمخلصين وسائر الأحباء الذائبين في محبّته بالتفادي العظيم والتضحية الكريمة فضلاً عن بقية الأشقاء الكرام.

ص: 405

فإذا انضـمت هذه الفضائل المكتسـبة إلي سـجاياه المبرّزة في جبلته وطبعه كالإباء والفروسـية والسخاء، والمقتبسة له من الهداة البررة أهل العصـمة: نحو العلم والبصـيرة والتقوي والمروة والوفـاء والصـلاح والعفّـة وغير ذلك، تعرف أنّ للعباس(عليه السـلام) عنـد أخيه الحسـين السـبط(عليه السـلام) مكانة مكينة ومرتبة سامية ومحلّ رفيع؛ لأنّ الفضل يعرفه ذو الفضل، فتعرف أنّ اختصاصه به أعظم اختصاص لا من ناحيـة الإخاء فقط، بل من وجهـة الفضائل، ولم يزل سـير العقلاء ورأي الحلماء تفضـيل مثل هذا الأخ علي من سواه، وتقديمه علي غيره، حسبما اتجهت به وجهة الفضائل الجمّة والسجايا الفذّة.

حزن سيّد الشهداء علي أبي الفضل العباس(عليهما السلام) وتأبينه له

وكم تجـد في التاريـخ ممّن فقـد أخاً كريماً وشـقيقاً ماجـداً، فـدام أليف الحسـرة واللوعة لمضاضة فقد ذلك العزيز المبجّل مصاحباً البكاء والنياحة، أليف اللهفة والحرقة لافتقاد ذاك الراحل المقدّر.

وهناك رجال كثير قـد مسّـتهم تلك اللوعـة الممضّـة، وذاقوا تلك الجرعة المرّة، فاحتسوا صابها المرّ الممزوج بذعاف ممعّر، فندبوا إخوتهم أشـجي ندبة، واسـتعبروا لفقدهم بعبرة لاذعة، واستشـعروا الحزن والوجد لأجلهم، فمنهم من أخرجه الجزع عن سمت الوقار، ومنهم تدرّع الصبر ولبس جلباب التجلّد، وإن عظمت المصيبة،

وأمضّت الفادحة، كفّاً للعاطفة الجامحة، وزمّاً لها بزمام الوقار، وإلجاماً لها بما ندبت إليه الشريعة الغراء المحمدية من الصبر الجميل احتساباً للأجر المضاعف، وخلوداً إلي ما يرومه الشرف من التمادح بالسلوة، وإن جلّ الفادح وعظمت الرزية.

فهذا سيّد الشهداء قدوة الصابرين، وإمام المتجلّدين الحسين بن علي(عليهما السلام) ينفض يده من تراب قبر الزكي المؤتمن أبي محمد الحسن(عليه السلام) ويفيض عينه سجلاً أو سجلّين، فيقوم قائماً علي قبره حزيناً مكتئباً فيقول:

أأدهن رأسي أمّ تطيب مجالسي

وخدّك معفور وأنت سليب

وأستمتع الدنيا بشيء أحبّه

ألا كلّ ما أدني إليك حبيب

فما زلت أبكي ما تغنّت حمامة

عليك وما هبّت صباً وجنوب

وما هملت عيني من الدمع قطرة

وما اخضرّ في دوح الحجاز قضيب

بكائي طويل والدموع غزيرة

وأنت بعيد والمزار قريب

غريب وأطراف البيوت تحوطه

ألا كلّ من تحت التراب غريب

فلا يفرح الباقي خلاف الذي مضي

وكلّ فتي للموت فيه نصيب

وليس حريب من أُصيب بماله

ولكن من واري أخاه حريب

ولم تزل الأمم مجبولة علي نياحة الأخوة النبلاء الذين جمعوا محاسن الأخلاق، وحازوا مزايا الحمد، وتقمّصوا الفضيلة وخلعوا الرذيلة، ولكن من لم يكن كالحسين(عليه السلام) الوقور في القدرة، فهو يذهب في الجزع كلّ مذهب، ويرد من الهلع كلّ مورد، ويجري في غلوائه

مطلق العنان

ص: 407

بدون حدّ إلي غير أمد وغاية، ويذهب في أفانين الحزن لغير تحديد ونهاية.

وللأخ بحسب الفطرة والارتكاز الجبلّي وقع ومحلّ يوحي باختياره وانتخابه من سائر طبقات الأرحام.

وقد علّل الشاعر أنّ الأخ لا يخلف، وليس هو تحت قدرة المكتسب بخلاف المال، فإنّه إذا ذهب يعاد بالاكتساب، ويسترجع بالكدّ والتحصيل، وغيرها من الأسباب، فلذلك قال:

يمضي أخوك فلا تلقي له خلفاً

والمال بعد ذهاب الأصل مكتسب

وعدّ لقمان الحكيم مصيبة الأخ من قواصم الظهر ما احتسب ما عداه من مصائب الأقارب غنيمة من أعظم الغنائم، فقد قرأنا في أخباره أنّه قدم من سفر له طويل، فلقي غلاماً له في بعض الطريق، فقال له: يا غلام! ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: ملكت أمري .

قال: ما فعلت زوجتي؟ قال: ماتت، قال: جدّد فراشي .

قال: ما فعلت أُمّي؟ قال: ماتت، قال: استرحت من عقوقها.

ما فعلت أُختي؟ قال:ماتت؟ قال: سترت عورتي.

ما فعل ولدي؟ قال: مات، قال: يجيء غيره .

قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال لقمان: الآن انكسر ظهري...

وقد قال هذه الكلمة بعينها سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) حين وقف علي أخيه العباس(عليه السلام).

في أسرار الشهادة(1):

ص: 409

1- أسرار الشهادة: ص321.

في حديث: فأتاه الحسين(عليه السلام) كالصقر إذا انحدر علي فريسته، ففرّقهم يميناً وشمالاً بعد أن قتل من المعروفين سبعين رجلاً، فجاء نحو العباس(عليه السلام) وهو ينادي: وا أخاه! وا عباساه! الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي.

ثم انحني عليه ليحمله، ففتح العباس(عليه السلام) عينيه، فرأي أخاه الحسين(عليه السلام) يريد أن يحمله، فقال له: إلي أين تريد يا أخي؟ فقال: إلي الخيمة، فقال: يا أخي! بحقّ جدّك رسول الله(صلي الله عليه واله) عليك أن لا تحمليني، دعني في مكاني هذا، فقال(عليه السلام): لماذا؟ قال: لأني مستح من ابنتك سكينة، وقد وعدتها بالماء ولم آتها به...

فقال الحسين(عليه السلام): جزيت عن أخيك خيراً حيث نصرته حيّاً وميتاً.

قال: فوضعه علي مكانه ورجع إلي الخيمة يكفكف دموعه بكمّه، فلمّا رأوه مقبلاً أتت إليه ابنته سكينة ولزمت عنان جواده وقالت: يا أبتاه! أين عمّي العباس؟ أراه أبطأ، وقد أوعدني بالماء وليس له عادة أن يخلف وعده..

فعندها بكي الحسين(عليه السلام) وقال: يا بنتاه! إنّ عمّك العباس قد قتل، وبلغت روحه الجنان.

فلمّا سمعت زينب(عليها السلام) صرخت ونادت: وا أخاه! وا عباساه! وا قلّه ناصراه! وا ضيعتنا بعدك!

فقال لها الحسين(عليه السلام): إي والله وا ضيعتنا بعده! وا انقطاع ظهراه!

فجعلت النساء يبكين ويندبن عليه،وبكي الحسين(عليه السلام) معهن....

وفي مصائب المعصومين(1): فانقلب عن فرسه وصاح إلي أخيه الحسين(عليه السلام): أدركني، فقال الحسين(عليه السلام): الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي.

فلمّا أتاه رآه صريعاً علي شاطئ الفرات، فبكي. ومثله في مقتل العوالم(2).

وقد رثاه بذلك الشعراء حاكين مقالة الحسين(عليه السلام)، فمنها قول بعضهم:

فمشي إليه السبط ينعاه كس-

-رت الآن ظهري يا أخي ومعيني

والسيّد جعفر الحلي قال:

ما خلت بعدك أن تشلّ سواعدي

وتكفّ باصرتي وظهري يقصم

وحقيق أن يكون فقد الأخ الكريم من قواصم الظهر، لأنّه العضد والساعد والناصر والمساعد، والعدّة للحرب، والسلاح للكفاح، لم يرض الرجل الصميم بأن يعدّ الأخ عوناً فقط، ولا مسعداً فحسب، بل ترقي وعدّه مع ذلك عدّة للنوائب وسلاحاً للخطوب، وإن الوحيد المنفرد من الإخوة كالأعزل الذي لا سلاح له، وهو في خطّة الحرب وحومة ميدان القتال، فقال:

أخاك أخاك إن من لا أخاً له

كساع إلي الهيجا بغير سلاح

1- مصائب المعصومين: 360.

2- عوالم العلوم: 95.

بيد أنّ مطمح الأنظار، ومحطّ أفكار النبلاء من الإخوة من كان مستكملاً للصفات الجميلة، ومستجمعاً للكمالات، ومن تتبع أحوال الرجال وسبر مزاياهم لم يجد نظيراً للعباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)، فإنّ له أكمل منزلة، ورقي بمزاياه الرتبة العليا، ونال الدرجة السامية، وما سطّرناه سابقاً من محاسنه ليبرهن علي أنّه الأسمي في أندية الفخار رتبة، والأعلي في صفّ المقدّمين مرتبة، وكرسيّه الأوّل في قاعات المفاخر، وله الصدر في منتدي الفضائل.

ولذلك أذري عليه الحسين(عليه السلام) وهو الصبور عبرته، ورقرق وهو المتجلّد دمعته أمام أعين الشامتين، وبمرأي من الكاشحين، فما أرخص الحسين(عليه السلام) عليه دمعته الغالية إلا لعظمته، ولا بذل عبرته النفيسة إلا وهو أنفس شيء يعدّه الإنسان المحترم.

وصبر الحسين(عليه السلام) وتجلّده في كلّ مأساة وفادحة ونكبة مؤلمة ممّا لا يصل إليه

الواصل، ولا تستطيع تلمسه يد المتناول، وقد قيل فيه:

للّه درّك يا صبور علي الأذي

ولأنت أقدر قادر يتخلّص

وقد عجبت لصبره ملائكة السماء، لكن جلالة الفقيد وعظمة الراحل أجرت تلك العبرات العزيزة، وأرسلت تلك الدمعة الغالية، كما أجرت مدامع سيّد الكائنات رسول الله(صلي الله عليه واله) أصبر الخلق علي المصائب وأجلدهم عند صدمات النوائب مصيبة عمّه حمزة يوم أُحد، ومصيبة ابن عمّه جعفر يوم مؤتة، فمن بكاء رسول(صلي الله عليه واله) علي عمّه حمزة وابن عمّه جعفر، وبكاء الحسين علي أخيه العبّاس(عليهما السلام) عرفنا أنّ لهؤلاء

الشـهداء الثلاثـة رتبـة عاليـة ومحـلّ سـامي، وقـد وقف رسول الله علي عمّه حمزة وأبّنه بكلمـات لاذعـة وألفاظ موجعـة تأخـذ من القلب مأخذها...

والحسـين(عليه السـلام) أبّن العباس(عليه السلام) بكلمات محزنة يحترق بلذعتها القلب، وتجري بسماعها الدمعة الحارة، منها ما رواه في أسرار الشهادة بقوله:

وفي روايـة أخري: فضـربه رجل منهم بعمود حديد ففلق هامته وانصـرع عفيراً علي الأرض يخور بدمه وهو ينادي: يا أبا عبد الله! عليك مني السلام .

فلمّـا سـمع الإمـام(عليه السـلام) قال: وا أخاه! وا عباساه! وا مهجـة قلباه! إلي أن قال: فبكي بكاء شديـداً حتّي بكي جميع من كان حاضـراً، وقال(عليه السلام): جزاك الله من أخ خيراً لقد جاهدت في الله حقّ جهاده.

وزاد الطريحي في المنتخب بعد هذه الألفاظ: يعزّ عليّ والله فراقك، وإنّه أغمي عليه من شدّة البكاء، وقد عرفت أنّ المفقود عظيم.

ولا ريب أنّ التأبين وهو تعداد محاسن الميت كما عرّفوه إنما يسـتحقّه العظيم من الناس لشرفه وسؤدده، ولأعماله الصالحة ولمآثره الجميلة، أو لأنّ له منزلة عظيمة من المحبّة في قلب المؤبّن، فعند ذلك يلقي كلمات التوجّع ويفوه بألفاظ التأسّف ويظهر التفجّع له.

تأبين الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين لأخيها الحسين(عليهما السلام):

ص: 413

وقد أبّنت الحوارء زينب بنت أمير المؤمنين أخيها الحسين: حينما مرّوا بهن علي جثث القتلي حيث جعلوا طريقهم علي المعركة ليضاعفوا الأحزان علي مخدرات الوحي والرسالة.

ذكر الدربندي في أسرار الشهادة(1) والسيّد ابن طاوس في اللهوف(2) والطبري واختصرها وهذا نصّ المختصر في تاريخه(3): عن قرّة بن قيس الحنظلي قال:

1- أسرارا الشهادة: 467.

2- اللهوف: 262.

3- تاريخ الطبري: 6/262.

نظرت إلي تلك النسوة لمّا مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن.

قال: فاعترضتهنّ علي فرس فما رأيت منظراً من نسوة قطّ كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك! والله لهنّ أحسن من مهي يبرين!! فما نسيت من الأشياء لا أنسي قول زينب ابنة فاطمة(عليهما السلام) حين مرّت بأخيها الحسين(عليه السلام) صريعاً، وهي تقول: يا محمداه! يا محمداه! صلّي عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مزمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذرّيّتك مقتلة تسفي عليها الصبا.

قال: فأبكت والله كلّ عدو وصديق..

أمّا الدربندي فلفظه في مرور الحرم علي مصارع الشهداء من آل الرسول(صلي الله عليه واله):

إعلم إنّ المستفاد من أخذ جامع الأخبار والروايات هو أنّ مرور النساء علي مصارع الشهداء كان في اليوم الحادي عشر من المحرم بعد الزوال، لأنّ ذلك الوقت كان وقت ارتحال عمر بن سعد – لعنه الله – مع عسكره من كربلاء إلي الكوفة، ثم قد اختلفت أقوال أصحاب المقاتل في أنّ ذلك المرور هل كان بطلب من النساء والتماسهن ذلك، أو كان ذلك عدواة وعناداً من ابن سعد؟ فأكثر أصحاب المقاتل قد صاروا إلي الأوّل والبعض منهم إلي الثاني.

فقال السيّد في اللهوف:

ثم أخرجوا الحرم من الخيمة، واشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسرّ الذلّة، فقلن: بحقّ الله إلا ما مررتم بنا علي مصرع الحسين(عليه السلام).

فلمّا نظر النسوة إلي القتلي صحن وضربن وجوههن، قال الراوي: فو الله لا أنسي زينب بنت علي(عليها السلام) وهي تندب الحسين(عليه السلام) وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب:

يا محمداه! صلّي عليك مليك السماء، هذا حسين مزمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلي الله المشتكي، وإلي محمد المصطفي، وإلي علي المرتضي، وإلي حمزة سيّد الشهداء.

يا محمداه! هذا حسين بالعراء تسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، يا حزناه! يا كرباه! اليوم مات جدّي محمد رسول الله، يا أصحاب محمد! هؤلاء ذرّيّة المصطفي يساقون سوق السبايا.

وفي رواية: يا محمد! بناتك سبايا وذرّيّتك مقتّلة تسفي عليها ريح الصبا، هذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردا، بأبي من عسكره يوم الإثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطّع العري، بأبي من لا غائب فيرجي ولا جريح فيداوي، بأبي من نفسي له الفدا، بأبي المهموم حتّي قضي، بأبي العطشان حتّي مضي، بأبي من شيبته تقطر بالدما، بأبي من جدّه رسول الله إله السما، بأبي من هو سبط نبي الهدي، بأبي ابن محمد المصطفي، بأبي ابن خديجة الكبري، بأبي ابن علي المرتضي، بأبي ابن فاطمة

الزهراء سيّدة النساء، بأبي ابن من ردّت له الشمس حتّي صلّي.

قال الراوي: فأبكت كلّ عدوّ وصديق.

ثم إنّ سكينة اعتنقت جسد أبيها فاجتمع إليها عدّة من الأعراب حتّي جرّوها عنه.

هذا ما في اللهوف، وأمّا ما في بعض الكتب المعتبرة الأخري فهو ما روي عن عبد الله بن أويس عن أبيه أنهم جاؤوا بالنساء عناداً وعبروا بهن علي مصارع القتلي من آل الرسول، فلمّا رأت أمّ كلثوم أخاها الحسين(عليه السلام) تسفي عليه الرياح وهو مكبوب ومسلوب وقعت من أعلي البعير إلي الأرض واحتضنت أخاها، وهي تقول ببكاء وعويل:

يارسول الله! أُنظر إلي جسد ولدك ملقي علي الأرض بغير دفن، كفنه الرمل السافي عليه، وغسله الدم الجاري من وريديه، وهؤلاء أهل بيته يساقون أُساري في أسر الذلّ ليس لهم من يمانع عنهم، ورؤوس أولاده مع رأسه الشريف علي الرماح كالأقمار، يا محمد المصطفي! هذه بناتك سبايا وذرّيّتك مقتلة.

فما زالت تقول هذا القول حتّي أبكت كلّ صديق وعدوّ حتّي رأينا دموع الخيل تتقاطر علي حوافرها، وساروا بها وهي باكية حزينة لا ترقي لها دمعة ولا تبطل لها عبرة.

ثم ذكر(1)

ما لفظه: روي بعضهم

ص: 418

1- أسرار الشهادة: 468.

أنّه كان للحسين(عليه السلام) بنت صغيرة وكانت بين تلك السبايا جالسة حول أبيها قابضة علي كتفه وكفّه في حضنها، فتارة تشمّ كتفه، وتارة تضع أصابعه علي فؤادها، وتارة علي عينها، وتأخذ من دمه الشريف وتخضّب شعرها ووجهها، وهي تقول: وا أبتاه! قتلك أقرّ عيون الشامتين وسرّ المعاندين، يا أبا عبد الله! ألبستني بنو أُمية ثوب اليتم علي صغر سني، يا أبتاه! إذا أظلم الليل من يحمي حماي، يا أباتاه! أُنظر إلي رؤوسنا..! وإلي أكبادنا الملهوفة، وإلي عمّتي المضروبة، وإلي أُمّي المسحوبة.

قال: فذرفت عند ندبتها العيون، فأتاهم زجر اللعين وقال: إنّ الأمير نادي

مناديه بالرحيل فهلمّوا واركبو.

فأتت البنت إلي السائق اللعين فوقعت بين يديه وقالت: يا هذا! سألتك بالله وجدّي رسول الله(صلي الله عليه واله) أنتم اليوم تقيمون أو ترحلون؟ قال: بل راحلون!

قالت: يا هذا! إذا عزمتم علي الرحيل سيروا بهذه النسوة واتركوني عند والدي، فإني صغيرة السنّ ولا أستطيع الركوب، فاتركوني عند والدي أبكي عليه، فإذا متّ عنده سقط عنكم ذمامي ودمي، فدفعها عنه وأبعدها منه.

فلاذت بأبيها سيّد الشهداء – روحي له الفداء – واستجارت به، فأتي إليها وجذبها من عند أبيها، فقالت له: يا هذا! إنّ لي أخاً صغيراً، فدعني أودعه.

فأمهلها فتخطّت خطوات قليلة، لأنّه كان قريباً من أبيه(عليه السلام)، فلمّا وقعت عيناها عليه تحسّرت، ثم إنها لثمته لثمات متتابعات، ثم أجلسته ووضعته في حضنها، وجعلت فيها علي نحره الشريف ونادت: يا أخي! لو خيّروني بين المقام عندك أو الرحيل عنك لاخترت المقام ولو أنّ السباع تأكل لحمي، فها أنا راحلة عنك غير جافية لك، وهذه نياق الرحيل تتجاذبنا علي المسير، قد أتونا بها مهزولة، لا موطئة ولا مرحولة، وناقتي يا أخي مع هزلها صعبة الانقياد، فلا أدري أين يريد بنا أهل العناد، فاقرأ جدّي علي المرتضي وجدّتي فاطمة الزهراء عني السلام وقل لهما: أُختي شاكية إليكما حالها، قد خرموا أُذنيها، وفصموا خلخالها.

ثم إنها وضعت فمها علي شفتيه وقبلّت خديه، فأتاها السائق اللعين فجذبها عنه، وأركبها قهراً.

فلمّا ركبت الناقة التفتت إلي أبيها وقالت: يا أبة! ودّعتك الله السميع العليم وأقرؤك السلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

للمظفر :

إنّما هذه اليتيمة أشجت

كلّ قلب بندبة وعويل

حين مرّوا بها بجسم أبيها

حوله خير فتية وكهول

أعولت عنده وقالت دعوني

عنده لا أُحبّ عنه رحيلي

اتركوني أبكي أبي وشقيقي

نور عيني عسي أبلّ غليلي

ولو أنّ السباع تأكل من

لحمي لا أُبالي في قرب خير سليل

أنهضوها عن جسم والدها البرّ

بضرب السياط والتنكيل

ثم لاذت به وما رحموها

شرّ قوم وعصبة وقبيل

فاستغاثت بالسبط وهو صريع

بدموع دفّاقة كسيول

أبتا ما تري صنيع عداكم

سلبوني من بعد قرطي حجولي

كلّما مررت بهـذه الحادثـة يتفتت كبدي لوعة، وينصدع قلبي حرقة، إنها ولا أُغالي لو قلت: من القصـص المروّعة والحكايات المحزنة التي تثير اللوعة، وتبعث الشجا، وتستدرّ الدمعة، وتستدعي العبرة.

ولعلّ مسـتغرباً يسـتغرب مثل هذه القصّة، ويعدّها من ضـروب الأقاصـيص، أمّا الشـكّاك والمنحرف فندعه وعقيلته السخيفة التي قادته إلي التشكيك في مسلّمات التاريخ وقطعياته.

وأمّا غير هـذا المتعجرف وسوي هـذا المتطرّف إذ يرتاب فيها من ناحيـة صـدور هذه البلاغة ووقوع هذه الإبانة العجيبة الأسـلوب من طفلة صغيرة السنّ، فلا ريب أنّ هذا المستريب جاهل بأهل البيت النبوي، وما خصّهم الله به من الذكاء الفطري، وجبلهم عليه من الإفصاح.

للشيخ المظفر :

إن كانت الطفلة في سنّها

صغيرة فالعقل منها كبير

لأنّها تنمي إلي دوحة

فيحاء تزهو وسط روض نضير

فروعها خير شباب الوري

وحيدر الأصل وطاها البشير

ص: 421

أوراقها تزهو وأغصانها

تسبق إذ تسقي بخير وخير

ينمو به الفرع ويزهو كما

تزهو النباتات بماء نمير

بيان هذي البنت إرث لها

من صاحب الإسرا أتي والغدير

معرفة منزلة العباس عند الحسين من الحزن عليه وتأبينه

ومن هنا تعرف إنّ للعباس(عليه السلام) عند أخيه الحسين(عليه السلام) أعظم المنازل وأسمي المراتب لمحبّته إيّاه ولفرط إعجابه به لا من حيث الأخوة، وإن كانت بعض المقتضي للمحبّة، بل من حيث الأعمال الصالحة والمآثر الكريمة والطباع الفاضلة والسجايا المحمودة، وإنّه أعظم من ضحي نفسه أمامه وفاداه، وإنّه أشدّهم همّة في المحامات عنه، وأفضلهم شجاعة وأكثرهم برّاً وألفاظاً به، وأسرعهم قياماً بخدمته، وأحسنهم إيثاراً له ومناصحة، فلتلك الأسباب وغيرها أبّنه بما سمعت، وإلا فقد تسمع كمية من استشهد مع الحسين(عليه السلام) من إخوته، ولعلّ عددهم يزيد علي خمسة عشر، وكلّ واحد منهم كان حبيباً إليه، فما سمعنا أنّه قال عند قتله: الآن أنكسر ظهري وقلّت حيلتي وشمت بي عدوي، علي ما ذكره السيّد هبة الدين الشهرستاني في النهضة الحسينية(1).

1- النهضة الحسينية: 106.

والفقيد الذي يوجب افتقاده شـماتة الأعداء وذهول الرئيس الحازم عن تدبير الحيلة في المصلحة الحربية المهمّة في مقابلة العدو المتكالب لفقيد عظيم ومنزلته لا تقاس بها منزلة، ورتبته لا تدانيها رتبة، وقد دلّ دلالة واضـحة أن أثره في حياته كان كبيراً حتّي يكون أهلاً لئن يوصـف بهذه الأوصاف، وإنما يشمت العدوّ بفقد من يعدّ فقده كسراً في عدوّه وهدّاً عظيماً في ناحية خصمه.

إنّ هذه الكلمات الثلاثة من سـيّد الشـهداء(عليه السـلام) وردت لبيان فضيلة العباس(عليه السلام) وكشف حقيقته المخفية علي الجاهلين بقدره، وأنّ له منزلة عظيمة، بل هي أعظم

منازل الشهداء معه وأرفعها وأعلاها.

وهو مع ذلك فقد كان باب الحسين(عليه السلام) كما كان أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أبوه باب رسول الله(صلي الله عليه واله) ومنزلته منه تلك المنزلـة، فقـد كان رسول الله(صـلي الله عليه واله) يعـدّ علياً(عليه السـلام) لكلّ عظيمـة، ويدعوه عند كلّ نازلة، ويختصه ويحبوه ويكرمه، وكذلك كان أبو الفضل العباس(عليه السـلام) عند الحسـين(عليه السـلام) يعدّه لكلّ عظيمة، ويدعوه لكلّ نازلة، كما سمعت من حديث ردّ العسكر الزاحف إليه يوم التاسع، وبعثه لجلب الماء من الفرات، وانتدابه لا ستنقاذ أصحابه الذين اقتطعهم جيش عمر بن سعد.

قال هبة الدين الشهرسـتاني في نهضة الحسين(عليه السلام) (1): كان الحسـين(عليه السلام) مستميتاً ومستميت كلّ من كان معه، وكانت أنفسهم الشريفة متشربة

1- النهضة الحسينية: 106.

من كأس التضـحية، وريانة من معين التفادي، وفي مقدّمة هؤلاء أبو الفضل أكبر إخوة الحسـين(عليه السلام) الممتاز في الكمال والجمال، وقمر بني هاشم، وحامل راية الحسين(عليه السلام)، وعقيد آماله في المحافظة علي رحله وعياله، لذلك شقّ علي الحسين(عليه السلام) إن يأذن له بالبراز إلي الأعداء....

للمظفر :

قل لأبي الفضل عليه السلام

شبل علي الطهر مولي الأنام

فدتك نفسي ونفيسي معاً

يا بن إمام وأخاً للإمام

نلت علي رغم العدي رتبة

مقامها في العزّ أسمي مقام

قد كنت باب ابن نبي الهدي

وركن جيش السبط عند الخصام

والجيش بالركن كما حققوا

يقوي إذا أتقن عقد النظام

وتحمل الراية قدّامه

تضرب بالسيف وجوه الطغام

نظمت بالرمح الكلي طاعناً

وناثراً بالسيف أيد وهام

تنفض كالصقر ولكنّما

صيدك صيد القوم دون الحمام

أوصلت فالليث سطي مغضباً

مستبدل الأنياب حدّ الحسام

فلا يلام السبط لمّا مضي

محدوب الظهر يؤم الخيام

إنّ الأخ الناصح فقدانه

ليقصم الظهر أشدّ انقصام

لو سيم بالدنيا لما باعه

ومن سمي الأقران أني يسام

وإنّ من كنت له ناصراً

يا بن علي أبداً لن يضام

ص: 424

الوظائف السامية التي للعباس الأكبر عند الإمام الحسين(عليهما السلام)

إنّ هـذه الوظـائف التي نلمّ بهـا هي من أعظم الوظـائف في عصـر الحضـارة والمدنيّـة، والتي تلحظها الـدول الحرّة والممالك الراقيـة بعين الإحترام والتبجيل بما لها من عنايـة، وما لها من ميزة خاصّة، فالشـخص الذي يحظي بواحدة من هذه الوظائف يكون له الكرسـي الأوّل في صفّ كراسـي أعيان الدولـة، ويقابله عاهل الأمّـة مقابلـة التشـريف، ويختصّه بالعنايـة الزائـدة، فما ظنّك بمن حظي بهذه الوظائف الأربعة، وحازها كلّها، وحمل أوسمتها أجمع، ذاك من لا يقاس به إنسان في شعبه وأُمّته.

وحيث كان الحسـين بن علي(عليهما السـلام) ملك الـدنيا والآخرة وسـلطانها بعـد جدّه وأبيه وأخيه عليهم الصـلاة والسـلام من الوجهتين السياسيتين: سياسة الآخرة والدنيا، فالسياسة الدينية فيهما واحدة من جهة إتجاهها إتجاهاً مستقيماً حقيقاً علي معدل واحد من حيث النظام والتشكيل

الذي يقتضيه حفظ النظام العسكري، وإن اختلفت المقاصد والأغراض، وتباينت الغايات والأهداف.

فالملك السياسي الدنيوي غايته وهدفه إستقامة الملك، ومقصده سلامة الدولة والسلطنة وحفظ كيانها، وتركيز سيطرتها، وتعميم نفوذها الخارجي الاستعماري.

والملك السياسي الديني مقصده الأسمي وغرضه الوحيد حفظ نظام الدين، وغايته حماية الملّة وحراسة الشريعة عن التغيير والتبديل، وتوسيع نطاق الدعوة إليه بأساليبه السلمية، إلا أن تضطره الظروف إلي اتخاذ وسائل الحرب.

السفير

وحيث كان الهدف واحد، والمنحي واحد، وهو المحافظة علي بقاء النظام وحفظه لأجل استدامة السلطة الحكومية التي يتوصّل بها إلي إشادة ما قصد له – دينياً كان المقصود أو دنياوياً – لابد له حينئذٍ من دعاية لأجل جذب النفوس إليه بواسطة السفارة، أو من ينوب عن تلك الدولة، ولا يقوم بهذه الوظيفة المهمّة إلا رجل مثقّف محنك ذا تجربة ومهرة فنية قد درس السياسة درساً متقناً، وألمّ بالعلوم إلماماً كافياً، مع كونه شديد الإخلاص لدينه وأميره متفانياً في ترقّي دولته وحكومته إن كان سياسياً دنياوياً صرفاً عاقلاً حكيماً يمثّل أميره

وإمامه تمثيلاً بديعاً، ويصوره بأحسن تصوير علي كلا الحالين وبدون فرق بين المصلح الديني والأمير السياسي المحض، وهو المعبر عنه السفير، أو وزير الخارجية، أو القنصل، إذ ربما تجتمع هذه الألقاب وربما تنفرد.

أمّا قدماء المسلمين فيطلقون عليه اسم الوالي الخاصّ أحياناً، والوكيل والداعي أحياناً، ويعنون به نائب الخليفة والسلطان عند الحكومات الأجنبية أو في داخلية البلاد للأُمور الخاصّة، وقد يكون ممثلاً لأمّته وشعبه وسفيراً عن حكومته خارج المملكة، وهو بهذا الاسم، وربما أطلقوا عليه اسم الرسول.

وهذه الوظيفة بأيّ معانيها أُخذت، وبأيّ سمّيتها: سفارة أو نيابة أو ولاية كانت لمسلم بن عقيل بن أبي طالب: فإنّه كان نائب الحسين(عليه السلام) في الكوفة وسفيره عند أهل العراق.

وقد يكون السفير سفيراً في المسائل الخاصّة ما بين الملك وشعبه، أو بينه وبين دولة أجنبية، ويحدّد له الملك تلك المسألة الخاصة تحديداً لا يتجاوزه، فيحمل إليهم رسائله وخطاباته المتضمّنة لإرادته، ويطلعه علي أسراره، وهذه الوظيفة كانت للعباس بن علي(عليهما السلام).

معني السفارة:

حيث أنّ هذا اللفظ مادة عربية مستعملة في معني الإيضاح اشتق

منها هـذا لمناسـبة بينهما، لأنّ السـفير يوضّح مقاصد منتدبه، وتلك المادة إمّا تكون هي الإسـفار، إذ يقال: أسـفر الصـبح إذا وضح، أو من السفور، وهو رفع الحجاب، يقال: امرأة سافرة: يعني واضحة المنظر لا يسترها حجاب ولا نقاب.

قال الفيومي في المصباح المنير(1): سـفرت الشمس طلعت سفراً من باب ضرب، وسفرت بين القوم أسفر بينهم - بالكسر - أصلحت، فأنا سافر وسفير.

وقيل: الوكيل ونحوه سـفير، والجمع سـفراء، وكأنّه مأخوذ من قولهم سـفرت الشـيء سفراً من باب ضرب إذا كشفته وأوضحته، لأنّه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه، وسفرت المرأة سفوراً كشفت وجهها فهي سافر، وأسفر الصبح إسفاراً أضاء، وأسفر الوجه إذا علاه جمال.

وفي القاموس: سـفر الصـبح يسـفر أضاء وأشـرق كأسـفر، والحرب ولّت والمرأة كشفت عن وجهها فهي سافر، وسفر بين القوم أصلح يسفر ويسفر سفراً وسفارة فهو سفير.

وقال بعد كلام: والسفراء الكتبة جمع سافر، والملائكة يحصون الأعمال .

وفي مجمع البحرين(2): السفر: - بالكسر - الكتاب يسفر عن

1- المصباح المنير: 1/173.

2- مجمع البحرين: 304.

الحقائق، والسفير الرسول بين القوم يزيل ما بينهم من الوحشة، والسفارة – بالكسر – الرسالة، فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم بما أشبته عليهم.

وفي الحديث: حقّ إمامك عليك في صلاتك بأن تعلم أنّه تقلّد السفارة – أي الرسالة – بينك وبين ربّك.

معاني السفير:

يتحصّل لنا من مجموع الأقوال أنّ للسفير ستّة معان:

أحدها: إنّ السفير هو الرسول، وهو واسطة التبليغ.

الثاني: إنّ السفير هو الوكيل، وهو النائب في أمر خاصّ أو عام.

الثالث: إنّ السفير هو الكاتب المختصّ بوظيفة المخصّص لشأن مهمّ.

الرابع: المصلح، وهو الساعي في إخماد ثورة أو تسكين مشاغبات بين عشيرتين أو حكومتين أو شعب وحكومة.

الخامس: المفسّر المتكفّل بيان ما أشكل من الأُمور الغامضة، وإيضاح الموادّ المبهمة من الأحكام الشرعية والحقوقية السياسية الكاشف عن دقائقها ومخبآتها وخفاياها كشفاً مقبولاً.

السادس: الشخص البارز بصورة ترفع التلبيس، والظاهر بصفة تزيل التشكيك، كالصبح المسفر بما يزيل الشكّ عن إقبال طلوع الشمس

سفارة العباس(عليه السلام)

وسفارة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) بين الحسين(عليه السلام) وبين شيعته وبينه وبين الأجانب كانت سفارة خاصّة في أوقات معينه، فهو سفير موقّت لا سفير دائمي كمسلم بن عقيل، فمن سفارته ما قدّمناه من أنّه بعثه للجيش الزاحف عليه نهار التاسع فراجعه.

العميد

وكما أنّه لابد له من دعاية يمثلها معتمد خبير مدرّب يقوم بهذا وينظر في المصالح وينظّم الأُمور السياسية خارج العاصمة، لابدّ له أيضاً من جيش عسكري مدرّب علي أحسن نظام وأجود طراز في التثقيف والتمارين الحربية علي الأساليب والفنون الملائمة للعصر، وإذا اضطر إلي تأليف جيش احتاج إلي توظيف عميد له، ولابدّ أن يكون مثقفاً ماهراً في الفنون التمرينية والأساليب العسكرية، شجاعاً ثابت القلب، ليحمي عسكره وجنده بثباته، محنّكاً ذا تجارب وفكر ليحصنه بفكره ورويّته، ويقويه بتجاربه وخبرته، ويتولي تقسيمه علي المنهج الحربي حسبما تدعو إليه القواعد الحربية وتقتضيه النظم الفنية، كتقسيمه إلي فرق، فأفواج، فكتائب، فسرايا، ففصائل إن كان كبيراً، وإلي كتائب وفصائل إن كان صغيراً، ويخطط الخطط الدفاعية والهجومية وغير ذلك.

وهذه الوظيفة – أي وظيفة عميد العسكر – كان يتلقّاها العباس الأكبر بن أمير المؤمنين عند أخيه الحسين بن عليّ(عليهما السلام)، وليس غيره لهذه الوظيفة عنده.

خصال العميد ووجه التسمية

وإنما سمّي عميداً لأنّه عليه اعتماد الجيش وبه يثقفون في الملمّات وفي الشدائد الحربية، فهو بمنزلة عمود الخيمة وعماد البناء الذي عليه يعتمد السقف وتقوم الخيمة، أو لأنّ عليه اعتماد السلطان.

وعلي كلّ لا ـ يكون عميداً للعسكر إلا ـ من كان شجاعاً مقداماً من غير تهوّر ذا جرأة وثبات، خوّاضاً للغمرات، قذّافاً بنفسه في الأهوال والمتالف مع تحرّي الظفر والفوز، ومجرّباً خبيراً بفنون الحرب وأساليبها، محنّكاً ذا مهارة فنية وثقافة حربية وخبرة تامّة بشؤون الإقدام والإحجام والتقدّم والتأخر ليقي نفسه وجيشه من

العطب إن لم يكن مستميتاً، فإنّ عميد الجيش ما دام في مركزه يخفق لواؤه علي رأسه، فالعساكر ثابتة في مراكزها علي نظامها وترتيبها الذي رتبه، فإذا زال عن مركزه ولم يكن إنسحاباً بانتظام يعلم به القوّاد، أو قتل ولم يقم مقامه نظيره اختلّ النظام وتبدّد الجيش ونال العدوّ منه ما يريد.

ولهذا قال القائل وقد سُئل عن مالك الأشتر بعد موته:

ما أقول بمن هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق.

معني العميد لغة:

قال في القاموس: والسيّد كالعميد ورئيس العسكر.

وفي مجمع البحرين: وعميد القوم وعمودهم سيّدهم، ومنه قوله(عليه السلام): من عميد هذا الجيش، أي كبيرهم الذي إليه المرجع.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: وهو عميد قومه وعمود حيّه أي قوامهم.

وفي المنجد: عميد القوم سيّدهم وسندهم وظاهر في مقدم الجيش، لأنهم يسندون أمرهم إليه ويستندون عليه كما يستند البناء علي العمود.

وربما أطلق الناس لفظ ((العجيد)) لمقدّم الغزو، ويلقّبون العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) بالعجيد، وما أدري ما يعنون بالعجيد، أهو العقيد المصطلح عليه عند الدول الحديثة الذي هو دون العميد بمرتبتين، لا أظن أنهم يعرفون هذا الإصطلاح العسكري الجديد، خصوصاً وقد عاشوا أزمنة الأتراك المشبعة بالألفاظ التركية كيوزباشي وبميباشي وأمثالهما، أمّ يعنون به الرئيس كما هو في لغة العرب، وهذا هو الأقرب لإصالة عدم النقل، ولأنّ العامّة يطلقونه علي مقدّم الغزو.

والعشائر وسكّان البوادي والأرياف يسمّون الرئيس الغازي ودليل الغازين منهم إذا دلّهم علي عدوّ لهم أو علي محلّ تحصل لهم فيه ((نهيبة))

غنيمة ((العجيد))، فيقولون: فلان عجيد الغزو، وفلان عجيد الرجبة، وعجيد السرية، وتاه العجيد يعنون الدليل، في هذا الأخير.

ثم إنّ للعجيد عندهم شروطاً:

أحدها: أن يكون رئيساً.

الثاني: أن يكون شجاعاً، ويطلقون عليه لفظ رجّال زين.

الثالث: أن يكون خبيراً بالطريق، ودليلاً حاذقاً يسلك بهم علي غير الجواد المسلوكة والطرق المألوفة خوفاً من الإنذار للمغزويين، وحذراً من الطلب إذا كرّوا راجعين، ولهم حكايات وأقاصيص في دلالة هؤلاء بالأهوار والبوادي.

ويتبين أنّ المعني العامّي هو المعني اللغوي، وأنّ العجيد هو العميد، وأنّ عليه اعتماد الغازين، سواء كان دليلاً فقط أو دليلاً ورئيساً معاً.

علي أنّ العميد هو رئيس الجيش الأوّل، وربما كان عند العوام الرئيس الثاني، إذا كان الرئيس العام يعني رئيس القبائل معهم، فيقولون: الشيخ سعدون السعدون وعجيد الجوارين ابن كبيح، وعجيد البدور شرشاب، وعجيد الغزي ابن حبيب، وهكذا.

العباس عميد عسكر الحسين(عليه السلام)

فالعباس الأكبر هو عميد عسكر الحسين(عليه السلام) مفاد ما دلّت عليه الروايات الورادة في كتب المقاتل، والتي اعتني بضبطها علماء هذا الشأن، وقد عبر عنها الحسين(عليه السلام) بقوله:

أنت مجمع عددي والعلامة من عسكري.

وقول العباس(عليه السلام) له لما أراد حمله إلي خيمة الشهداء: أنا مجمع عددك والعلامة من عسكرك(1)، وهي صريحة في إرادة العميد، لأنّه مجمع العسكر والعلامة لهم، لأنّه حامل لوائهم، والإشارة النظامية معه.

قال في معالي السبطين: كان لواء الحسين(عليه السلام) معه، وكان أميراً وزيراً وسفيراً...

قال الشيخ المظفر :

هو العميد لجيش السبط يوم دعا

أنصاره جاهدوا الكفار في الدين

قوموا إلي الموت ذي رسل العداة لكم

يعني السهام وحوطوا آل ياسين

فقام أنصاره الأفذاذ واستبقوا

للموت شوقاً إلي الولدان والعين

دعا العميد معي خلفي فأتبعها

صحابه الغرّ زحفاً للميادين

كأنّما الحرب زفّت في الجلاد لهم

أبهي عروس من البيض الخواتين

ما مثل موقفهم بالطفّ معركة

لا يوم أُحد ولا أيام صفين

سبعون شهم من الأبطال يرهبهم

سبعون ألف من الشوس الملاعين

طعانهم بحراب السمر تحسبها

جناد كوفان فيها نفث طاعون

هبت بجيش ابن سعد الرجس زوبعة

من عزمهم نسفته دون توهين

وربّ عاصفة هوجاء قد قلعت

ما حصّنته البرايا أيّ تحصين

1- أسرار الشهادة:

جدّد لهم ذكريات المجد محتفلاً

بمنتدي الفخر ممزوجاً بتأبين

مثل علي مسرح العليا عميدهم

تمثيل حيّ شعور راسخ الدين

واروي لهم عزمه العالي وهمّته

بما يلذّ ويحلو من أفانين

الحاجب والمرافق

ومن وظائف العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) الحجابة، لأنّه الحاجب والمرافق للحسين(عليه السلام) حيث أنّ الحسين(عليه السلام) كما كان له سفير وعميد للجيش كذلك كان عنده ((المرافق الخاص)) باصطلاح المدنيين، و((الحاجب)) باصطلاح القدماء، وإن لم يكن محتجباً حقيقة ليتولي شؤونه الخاصّة، ولا يفارقه في سفر ولا حضر، ولا في قيام ولا قعود لأُمور شتّي إلا في شؤونه النفسية، وتلك الأُمور التي يلازمه لأجلها منها أن يتولّي المدافعة عنه إذا أراد اغتياله أحد أعدائه، لأنّ من كان بهذا المنصب من العظمة وارتفاع الشأن فلا ريب أنّه بمعرض الخطر من ناحية الاغتيال السرّي والفتك العلني، وقد علمت ما جري لأمير المؤمنين(عليه السلام).

وكما أنّه ينتفع به لذلك ينتفع به أيضاً لإرسال رسول أو إحضار شخص أو ما شاكله من المهمّات الفوتية، فيقوم الحاجب أو المرافق بمباشرة هذه الأعمال.

ولابد فيه من الكفاءة والمعرفة والعقل والشجاعة والعلم واليقظة والبصيرة والإخلاص لمن ولاه ذلك.

هذه الوظيفة كان يتولّاها أبو الفضل العباس بن أميرالمؤمنين(عليهما السلام)عند أخيه الحسين(عليه السلام) لاجتماع هذه الصفات فيه، وهي لا تحوجنا إلي تقديم الشاهد واستدعاء الحجّة للإتفاق علي أنّ أخصّ بني هاشم بالحسين(عليه السلام) وأقربهم منه أخوه العباس الأكبر وابنه علي الأكبر، والعباس(عليه السلام) أكثر مباشرة لأعمال الحسين(عليه السلام).

معني المرافق لغة وعرفاً:

معلوم أنّ المعني اللغوي للمرافق هو الرفيق المصاحب ما دام في رفقته وصحبته، فإذا فارقه زال الاسم عنه، كما نصّ عليه صاحب القاموس وغيره، وهذا المعني هو المرتكز في أذهان عامّة الناس والسائد علي أفهامهم.

لكن ذكر اللغويون للمرافق معني قريب المأخذ ينطبق علي ما نريد، وهو أنّ المرافق الحاذق الماهر المتأني في حوائجه والطبيب الحاذق، ومن مجموع هذه المعاني أخذ صفة المرافق للملك عند المدنيين.

وظيفة المرافق

وكان في العصور القديمة يتولّي المقابلات الرسمية وعرض القضايا والاتصالات موظف واحد يطلقون عليه اسم ((الحاجب)) كرئيس الديوان اليوم، وله وظيفة المقابلات من قسم التشريفات، وله أعوان

ومساعدون، وأمّا البوّاب فهو الذي يلازم الباب برسم الخدمة.

فالحاجب ومعاونه يرافقان الملك في تجوالاته وأسفاره، ويلازمان بابه سفراً وحضراً، ولا يفرّقون بين الحاجب والمرافق، وهو المسؤول عن حفظ الملك، فمتي أدخل أحد بدون أمره أو دخل داخل لا يعلم به عوقب أشدّ العقوبة وجوزي بأوجع الجزاء.

مرافقا الحسين

وإذا عرفت وظيفة المرافق قديماً وحديثاً تعرف أنّ للحسين بن علي(عليهما السلام) مرافقين، وهما أخوه أبو الفضل العباس وابنه علي الأكبر(عليهما السلام)، فإنهما كانا يلازمان بابه، ويمشيان في ركابه، وإذا دخل علي بعض الأمراء كانا معه، كلّ ذلك حفظاً له وحياطة له، وقياماً بواجب أمره.

فقد تحدّث المؤرّخون وأرباب المقاتل في قصّة دخول الحسين(عليه السلام) علي الوليد بن عتبة والي يزيد علي المدينة، وقد دعاه ليلاً إلي بيعة الفاجر يزيد، وإنّ الحسين(عليه السلام) جمع فتيانه وجعلهم علي باب الوليد.

ويتحدّث اليزدي في مصائب المعصومين(1) في أخبار كربلاء قال:

1- مصائب المعصومين: 224.

ثم أرسل الحسين(عليه السلام) إلي عمر بن سعد: إني أُريد أن أُكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين(عليه السلام) في مثل ذاك.

فلمّا التقيا أمر الحسين(عليه السلام) أصحابه فتنحّوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر(عليهما السلام)، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحّوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

فقال له الحسين(عليه السلام) ويلك! أما تتقي الله الذي إليه معادك؟! أتقاتلني وأنا ابن من قد علمت؟! دع هؤلاء القوم وكن معي، فإنّه أقرب لك إلي الله.

فقال عمر بن سعد لعنه الله: أخاف أن تهدم داري!

فقال له الحسين(عليه السلام): أنا أبنيها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين(عليه السلام) أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

فقال: لي عيال وأخاف عليهم من ابن زياد! ثم سكت ولم يجبه إلي شيء.

فانصرف عنه الحسين(عليه السلام) وهو يقول: ما لك؟! ذبحك الله علي فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلا يسيراً، فقال ابن سعد لعنه الله: في الشعير كفاية عن البرّ! مستهزءاً بذلك القول...

للشيخ المظفر :

أبا الفضل إنّ السبط سبط محمد

مليك بني الدنيا وأنت المرافق

تقوم علي أعتاب سدّة بابه

تبادر في حاجته وتسابق

ويوم أتي دار الوليد صحبته

وحولك من عدنان غرّ غرانق

ويوم ابن سعد قمت والسيف مصلت

علي رأسه والسبط فيك لواثق

وإن شمّرت عن ساقها الحرب عنوة

وسالت كزخّار السيوف فيالق

تسل رهيف الشفرتين وما اتقت

مضاربه أدراعها واليلامق

وتترك أشتاتاً من الرعب صيدها

فسيح الفضا فيما تراه مضائق

فلم تعطهم قوّاتهم قطّ قوّة

ولا نفعتهم سمرهم والبوارق

وفرّوا ولكن مثل حمر بقفرة

لها القسور الدامي البراثن سائق

تكدّست القتلي فكانت روابياً

وبحر الدما فيه الخيول زوارق

وقايضهم بالحتف سيفك في الوغي

لدي الضرب لكنّ النفوس وثائق

أصاعقة ذاك الحسام أمّ أنّه

شهاب هوي انقضّت وراه الصواعق

أبوك الذي لم تشهد الحرب مثله

مغاربها تعنوا له والمشارق

فقد كان في فنّ الشجاعة معجزاً

ومعجزه في كلّ هيجاء خارق

فبدر واُحد بل حنين وخيبر

شواهد في إعجازه ومصادق

وصفين بل يوم الخريبة إذ أتي

يسوق لظعن الأم بالشرّ سائق

وأنت ابنه تروي لنا حملاته

وقد كان ما ترويه بالضرب صادق

تقدّ كما قد قدّ شطرين قرنه

وقد هدرت للمعلمين شقاشق

تقطّ كما قطّ اليراع رقابه

وتبري كما تبري القداح مرافق

الحجابة والحاجب

كما يحتاج الملك إلي السفير والعميد والمرافق في السفر ومقامات الخطر يحتاج إلي الحاجب ليقوم بعرض الكتب الواردة عليه من الآفاق، ويأخـذ الأجوبـة منه فيـدفعها إلي أربابها، ويتناول من يده الرسائل فيسـيّرها إلي البلدان والنواحي النائية والدانية، ويتولّي أمر إدخال الواردين عليه من الآفاق من الوفود ورسل الملوك ورؤساء القبائل وأُمراء الجيوش وقادة الجنود وولاة المدن وأُمراء الخراج والجباة ومدراء الاسـتخبار وأصحاب الأسرار وعامّة ذوي الحاجات، وكلّ هذه الأُمور تناط قديماً

بموظف يمسي بالحاجب، وربما كان المرافق هو الحاجب، وربما كان غيره.

وهـذا العنوان – أي عنوان الحجابة – من العناوين المهمّة قديماً، وقد طرأت عليه تطورات كثيرة، وترقيات وتحسـينات، وأحياناً تفاجئه آفات سقوط، فما زال بين طورين ضعف وقوة تتجاذبه قوّتان هبوط وصعود وارتفاع وانخفاض إلي أن وصل إلي هذا الزمان، فاكتسبت الحجابة دائرة كبري، وسمّيت بإدارة الديوان، وإن نسخ اسم الحجابة لفظاً، فقد ثبت معناه، كما سمعت في المرافق.

إلفات نظر مهم

وأوّل مهمّ نلفت إليه أنظار القراء، وننبه المطالعين عليه أنّ نسبة

الحجاب لرسول الله(صـلي الله عليه واله) وأئمة أهل البيت النبوي: ليست حقيقية، بل هو شـبه حجاب، لأنهم لم يحتجبوا عن الناس، إنما كانوا يختلطون بهم، وكانوا يلتقون الناس علي عهد النبي(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين علي(عليه السلام) في المسجد الأعظم.

وهـذه سـيرهم تنطق باختلاطهم بالناس، ومجالسـتهم للعامّة، وأنهم يؤاكلون الفقراء، وربما افترش أحدهما عباءته ونام في المسـجد، وربما توسّد ذراعه وانضـجع علي التراب، وكلّ هذه الأعمال ممّا تنفي عنهم اتخاذ الحجاب الحقيقي الذي أحدثته الجبروتية الأموية في الإسلام، وأوّل مؤسس له في الملّة معاوية بن أبي سفيان.

حقيقة الحجاب:

هي التستر عن الناظرين والترفّع عن مخالطة الناس، وهو ضدّ السـفور والابتذال بكلّ معني، لأنّ السفور البروز والظهور علي حالة التكشّف والابتـذال، فالاحتجاب ضدّه، وهو الاختفاء عن النظّار، وهو محمود في النساء، لأنّ العقائل عند العرب أعزّ من نفائس الأموال المثمنة التي تصان وتحفظ في صـناديق الحديـد كالجواهر الفريـدة والعقود النفيسة ذات الأثمان الراقية، فيقفل عليها بالأقفال الثقيلة، ويرتج عليها أقوي رتاج بعد أن تستودع الخزائن الحريزة، والحجاب مفهوم بسيط.

معني الحجاب لغة:

قال الفيروزآبادي في القاموس: حجبه حجباً وحجاباً ستره، وقد احتجب، والحاجب البواب جمعه حجبة، والحجاب ما احتجب به.

وقال الفيومي في المصباح: حجبه حجاباً في باب قتل منعه، ومنه قيل للستر: حجاباً، لأنّه يمنع المشاهدة، وقيل للبواب: حاجب، لأنّه يمنع من الدخول، والأصل في الحجاب جسم حائل بين جسدين، وقد استعمل في المعاني، فقيل: العجز حجاب بين الإنسان ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربّه...

قال أحمد بن أبي الربيع في سلوك المالك: وأمّا الحاجب فهو واسطة بين الملك وبين من يريد لقاءه ليرتب الناس بين يدي الملك كما يليق بمجلسه...

وقال: وصفته أن يكون فهماً ذا خلق واسع ومنطق بارع.

وأن يكون طويلاً جسيماً وسيماً لتروع العيون هيبته وهيئته.

وأن يكون ذا عقل وحكمة يدلّانه علي صواب ما يأتي ويذر.

وينبغي أن يكون لا مكفهراً ولا سهلاً، ليّن الانقياد، ويجب عليه أن يعرف مراتب الداخلين علي الملك فينزلهم منازلهم...

ذم الحجاب للرجال:

الأحاديث في ذمّه كثيرة منها ما رواه ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال:

أيما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله – عزّ وجلّ – بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور، ما بين السور إلي السور مسيرة ألف عام.

وروي عن أبي حمزة عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في

مسلم أتي مسلماً زائراً أو طالب حاجة، وهو في منزله، فاستأذن عليه فلم يأذن له، ولم يخرج إليه؟!

قال: يا أبا حمزة، أيّما مسلم أتي مسلماً زائراً أو طالب حاجة، وهو في منزله، فاستأذن له ولم يخرج إليه، لم يزل في لعنة الله حتّي يلتقيا.

فقلت: جعلت فداك، في لعنة الله حتّي يلتقيا؟!

قال: نعم يا أبا حمزة(1).

حجابة العباس الأكبر(عليه السلام) كيف كانت؟

قد عرفت أنّه لم يكن لرسول الله(صلي الله عليه واله) ولا لأحد من عترته: جميعاً حجاب، وليس هذا الكتاب موضع نقل الأحاديث في هذا المعني، فليس لهم كما للملوك الجبابرة وطواغيت الأمم حجبة وبوّابون، وإنما لهم خدم وعندهم رجال مختصّون مخصّصون لقضاء حوائجهم يلازمون أبوابهم في سائر الأوقات أشبه شيء بخدم الخاصّة للملوك من غير

1- الكافي: 2/365.

عبيدهم ومماليكهم يسمونهم ((بوّابين)) إشعاراً بالاختصاص، وإشارة إلي المواظبة، ويطلق عليهم اسم الحجاب توسعة في الكلام علي ضرب من المجاز تمييزاً لهم عن العبيد الأرقاء، وموالي العتاقة، لأنهم أحرار كجويرية بن مسهر العبدي عند أمير المؤمنين(عليه السلام)، وحذيفه الغفاري عند الحسن بن علي(عليهما السلام)، والعباس بن علي وعلي بن الحسين عند الحسين:.

للشيخ المظفر :

أبو الفضل عند ابن النبي مقدّم

بإخلاصه من بين أهل وأصحاب

فقد كان مختصّاً به ومقرّباً

لديه لهذا لقّبوه ببواب

ولم تك عند السبط دار إمارة

فيحتاج مثل الطائشين لحجاب

فقد كان مستناً بسنّة جدّه

وسيرته المثلي وأفضل آداب

تري بابه مفتوحة أمّها الوري

يحييهم بشراً بأهل وترحاب

إذا ما لقي المحتاج يلقاه باسماً

ولم يمزج العطف الجميل بإرهاب

ومن رام إرشاداً وعلماً يمدّه

ومن رام إسعاف حباه بإيجاب

فهاتيك أخلاق النبي وهذه

شمائله الحسني تفيض بإرغاب

فحجابة العباس لأخيه الحسين(عليهما السلام) من نمط ما ذكرنا عن النبي(صلي الله عليه واله) وعترته:، فإنّه كان يلازم بابه ليقوم بقضاء حوائجه ومهمّاته، فإذا أراد أمراً يتعلّق بشأن من شؤونه التي هي خارج السدّة الشريفة أمر أخاه العباس أو ولده علي الأكبر(عليهما السلام)

بذلك فسارعا إلي قضاء ذلك اللازم، وأسرعا في إنجاز ذلك المهمّ الذي عرض له(عليه السلام)، لأنّهما

ص: 444

مخصّصان لهذه الوظيفة.

قال الطبري في التاريخ(1) في حديث كربلاء: فلمّا دنا منه القوم دعا براحلته فركبها، ثم نادي بصوت عالٍ يسمعه جلّ الناس:

أيّها الناس! اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّي أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتي أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوني النصف من أنفسكم ((فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إلي ولا تنظرون))(2)، ((إنّ وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولي الصالحين))(3) .

فلمّا سمع أخواته كلامه صحن وبكين وبكي بناته وارتفعت أوصواتهن أرسل

إليهن أخاه العباس بن علي وعلياً ابنه وقال لهما: سكّتاهن فلعمري ليكثرن بكائهن...

وهذه وإن لم تدلّ صراحة علي الحجابة بمعناها السالف، لكنّها صريحة بملازمتها له واختصاصهما به، وترشيحهما لما يهمّه، وقد مرّت شواهد كثيرة تدلّ علي مواظبتهما للخدمة الحسينية، وخاصة

1- تاريخ الطبري: 6/243.

2- يونس: 71.

3- الأعراف: 196.

العباس(عليه السلام) الذي لم يدع ملازمته آناً ما سفراً وحضراً حتّي في آخر حياته، كما سيجيء في مقتله وشهادته عن الشيخ المفيد وغيره إنّه(عليه السلام) قصد المسناة وبين يديه أخوه العباس(عليه السلام).

فقد ظهر ممّا ذكرناه أنّ للعباس(عليه السلام) عند أخيه الحسين – صلوات الله عليه – أربعة وظائف مهمّة، هي: السفير، والعميد، والمرافق، والحاجب، سوي وظائف عسكرية أُخري تلقّاها يوم العاشر من المحرم اقتضتها حراجة الموقف سنشير إليها في الخطط العسكرية، وهذه الوظائف الأربعة وظائف سامية ورتب نبيلة كما عرفتها.

للشيخ المظفر :

جمعت وظائف ساميات جمّة

للشهم عباس بن ساقي الكوثر

فله السفارة والحجابة دائماً

وهو المرافق بل عميد العسكر

قد خصّه فيها الحسين فزاده

فضلاً علي فضل له لم ينكر

بذّ الكرام بما حبي من رتبة

وصفاته العليا وطيب العنصر

قرم مشا للموت دون إمامه

طلق المحيّا مشية المتبختر

باع النفيس ونفسه في كربلا

لكن سوي طيب الثنا لم يشتر

الدخول إلي الحرب تشكيل الخطط الحربية بكربلاء

الخطط الحربية تتشكّل بشكلين لا ثالث لهما: خطّة هجوم، وخطّة دفاع، عند سائر الأُمم الحاضرة والغابرة، وفي جميع الحروب النظامية وغير النظامية، وسواء كانت الطريقة هي الكرّ والفرّ، أو الاصطفاف أو الكردسة أو تفرقة الجند علي طريقة الحضارة الحادثة، كلّ ذلك سواء في طريقي الهجوم والدفاع لا يشذّ عن هذا غير أُسلوب اللصوص وخطط القرصان وقطاع الطريق وأهل الغارات والسرايا المغيرة والبعوث التي ترسلها الملوك وقوات الثغور المرابطة قد تتّبع هذا النظام وقد تغايره، لكن الجيوش المنظمة المتقابلة هذه خططها وهذه أنظمتها سواء تكافأ الجيشان في القوّة أم اختلفا، فلابد من تنظيم خطّتين: أحدهما للهجوم، والأُخري للدفاع.

فالحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) اختار خطّة للدفاع بديعة جدّاً نظراً منه لقلّة عسكره، وضخامة جيش الأعداء،

وانقطاع المـدد من جيشه الصـغير عدداً، واتصال الإمداد بجيش عدوّه الكبير عدداً، فإنّ القوّات تتلو القوّات، والجحافل تقفو الجحافل حتّي قيل:

ملأوا القفار علي ابن بنت محمد

جنداً وملؤ صدورهم ذحل

بجحافل بالطفّ أوّلها

وأخيرها بالشام متصل

أمّا قائـد قوات الأعـداء عمر بن سـعد، فقد اختار في تنظيم جيشه الكبير المقابل لجيش الحسـين(عليه السـلام) الصـغير ما تفعله الجيوش الصغيرة في مقابلة الجيوش الكبيرة، وتعتمده الأجناد القليلة في ملاقاة الأجناد الكثيرة، وهو الكردسة.

وهذا النظام الذي اختاره عمر بن سعد يدلّ أنّ قوّة ثبات جيش سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام) الصغير أعظم من قوّة جيشه الجرار، وهو كما ظنّ الخبيث.

خطة الدفاع:

الخطّة التي رسـمها الإمام الحسـين(عليه السـلام) لجنده اليسـير عدداً في الدفاع والدفع لذلك الجيش العرمرم الضخم الذي أحاط بجيش الحسـين(عليه السلام) من جميع الجهات، وإنّ الحسين(عليه السلام) رأي عند نزوله بكربلاء تلاعاً ثلاثة متقاربة ترسم بصورة هلال، فيتقّن أنها تكون مكاناً ومكمناً لخيول الأعداء، وذلك حيث يقول لنافع بن هلال:

خرجت أتفقّد هذه التلاع مخافة أن تكون مكمناً لخيول الأعداء يوم تحملون ويحملون.

فاحتاط منها لئلا يأتيه العدوّ من خلف، كما وقع لجيش النبي صلي الله عليه و آله يوم أُحد وجيشه لقلّته لا يستطيع الممانعة والمدافعة مستقبلاً ومستدبراً، وإذا فرّقته الحملة لم يستطع أن يحمي ما وراء ظهره، وإنما يستطيع الممانعة والمدافعة للعدوّ باجتماعه وانضمام بعضه إلي بعض، فكان من لوازم الحزم واليقظة اتخاذ وسيلة لصدّ هجمات العدوّ عليه من خلفه، وليضطرّه إلي المكافحة من أمام، فاحتفر خندقاً من وراء المخيّم يحيط بجميع الخيم من جهات ثلاثة علي شكل هلال أيضاً، فكان الخندق محيطاً بجيشه ومخيّمه من الجنبات الثلاثة: اليمين واليسار والوراء، وملأه بالحطب حتّي إذا شبّ القتال ونشبت الحرب أضرم فيه النار، فيمنع من أراد الاقتحام من ناحيته، ويردّ من حاول الهجوم عليه من هذه الجنبات، فيكون قتاله للأعداء من جهة واحدة، ويلقاهم من وجه واحد، لأنّ الخندق المضطرم بالنار لا يقتحمه فارس، ولا يقتحمه راجل، فأصبح هو والتلال الثلاثة المشرفة كأمنع حصن، وأحصن سدّ، وأقوي استحكام يقيمه محارب لجيش مصحّر لعدوّه.

تعبئة الحسين(عليه السلام) لجنده:

ونحن نبدأ بتعبئة الجيشين المتقابلين في كربلاء: جيش سيّد الشهداء الحسين بن علي(عليهما السلام) وجيش قائد القوات عسكر السقيفة الأموية عمر

بن سعد، وسأرسم ذلك إن شاء الله مستنتجاً ما أُحرره من أسفار التاريخ ومقتضباً له من مجموعة الأثار

المتصدّية لإيراد وقائع ذلك اليوم الفظيع والموقعة المؤلمة والمذبحة التي هي أفضع مذبحة بشرية واجهها التاريخ ضحي فيها بسلالات الأنبياء، وأضع أمام ذلك خريطة ليفهم القارئ أنّ جيش الحسين(عليه السلام) كان في ضمن جيوش الأعداد كنقطة في دائرة، أو خرزة في وسط حلقة، وخذ رسم الخريطة:

ثم إنّ الحسين(عليه السلام) عبّأ أصحابه وقسّم جنده إلي ثلاثة أقسام، فتكوّنت له ثلاث كتائب صغيرة، فجعل واحدة في الوسط، وهو القلب، واثنين مجنبتين ميمنة وميسرة، وهذا التقسيم للرجالة المشاة، فجعل قائد المجنبة اليمني، وهي عشرون رجلاً زهير بن القين البجلي، وقائد المجنبة اليسري، وهي أيضاً عشرون رجلاً حبيب بن مظاهر الأسدي، وجعل قائد كتيبة القلب، وهي ثلاثون رجلاً أخاه العباس بن علي(عليهما السلام)، ودفع إليه لواء العسكر، وهو لواؤه الأعظم، ووضع له كرسي فجلس عليه في مركز القلب خلف موقف حامل اللواء، وهذه الكتائب الثلاثة أقامها حرساً للأخبية والبيوت، ولتصدّ هجمات العدوّ علي تخوم ذلك المناخ.

وجعل قائد القوات جميعاً أخاه العباس(عليه السلام)، وجعل له حرساً خاصّاً أقامه علي رأسه ليدفع عنه من قصده من مردة الأعداء، وهذا الحرس مؤلّف من أربعة أبطال من أنصاره، وهم: نافع بن هلال الجملي

البجلي، وحنظلة بن أسعد الشبامي الهمداني، وأبو ثمامة الصائدي الهمداني، وسعيد بن عبد الله الحنفي، ورأّس عليهم ابنه علي الأكبر(عليه السلام)، فعلي الأكبر(عليه السلام) رئيس الحرس الحسيني الخاصّ، ونافع بن هلال تلقّي وظيفة إمارة الرماة، فكان من رجال الحرس الخاص وقائداً للرماة.

ثم ألف(عليه السلام) كتيبة رابعة وهي كتيبة الخيالة ((الفرسان))، ويبلغ عدد فرسانها سبعين فارساً جعلها كبكبة واحدة، وجعل كتيبة الرماة أمام كتيبة الخيل حامية لها من هجمات الأعداء المفاجئة، وجعلها صفّاً واحداً أمام فرسانه، وفي هذه الكتيبة من مهرة الرماة الفانين وخبرائهم، ومن لا تخطئ له رمية إلا نادراً، أمير الكتيبة نافع بن هلال وأبو الشعثاء يزيد بن المهاصر الكندي أحد بني هند، وكانت معه مائة نبلة نثلها أمام قدمي الحسين(عليه السلام)، وكان يقول: ((بنو بهدلة فتيان العرجلة))، فأصاب بخمسة وتسعين نبلة، وكان كلّما رمي نبلة قال الحسين(عليه السلام): اللهم سدّد رميته، واجعل ثواب عمله الجنّة.

وكذلك فعل نافع بن هلال، وكان يكتب علي النبلة اسمه واسم أبيه، فيرمي فلا يخطئ.

تعبئة جيش عمر بن سعد لعنه الله:

ص: 451

أمّا عمر بن سعد – لعنه الله – فجعل تلك الخيل الكثيرة كراديساً، وهو عبارة عن كوكبة واحدة مجموعة من فرسان، وأمرها أن تحوم علي عسكر الحسين(عليه السلام) من جهاته الأربعة، وجعل علي الخيل كلّها عزرة بن قيس الأحمسي البجلي.

وعبأ العسكر تعبئة الحرب علي النظام المعمول به في تلك العصور: فقسّم إلي ميمنة وميسرة، وهما المجنبتان، وقلب وساقه، وجعل قائد المجنبة اليمني الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي المذحجي، وجعل لكلّ كتيبة وسريّة قائداً، وعلي المجنبة اليسري الميسرة شمر بن ذي الجوشن الضبابي من بني كلاب بن عامر، وجعل اللواء لواء العسكر لدريد مولاه، وهو علي القلب، ووضع له كرسي في مركز القلب، فجلس عليه من وراء الحامية وخلف الصفوف.

وجعل علي خيل الكشف والطلائع التي تمنع القاصدين إلي الحسين(عليه السلام) عن الالتحاق به وتردّ الخارجين لطلب الميرة أو لاستنهاض قبيلة الأزرق الشبامي من همدان، وهو الذي حارب الأسديين الذين استنهضهم حبيب بن مظاهر لنصرة الحسين(عليه السلام)، فردّهم علي أعقابهم وحال بينهم وبين الوصول إلي الحسين(عليه السلام) بقوّته التي لم تكن لهم طاقة بمقاومتها، فرجعوا إلي حيّهم وارتحلوا من ليلتهم مخافة أن يبيّتهم عسكر ابن سعد، وهذا الشقي التعيس قتله القاسم بن الحسن(عليهما السلام) فيما قيل.

وجعل علي كردوس من الخيل كثير بن عبد الله الشعبي شعب

همدان، وكان فاتكاً فاجراً شيطاناً مارداً أموي العقيدة عثمانياً متصلّباً قاسي القلب لئيم المحضر عديم الحياء، فهو من شرّ خلق الله وأخبثهم وأجرأهم علي سفك دم محترم، وهو القائل لعمر بن سعد لمّا ندبه لمواجهة الحسين(عليه السلام) ليسأله عن مقدمه إلي العراق وما يريد به، قال: والله إن أمرتني أن أفتك به فعلت، فقال: لا ما آمرك أن تفتك به، ولكن سله ما الذي أقدمه علينا؟

فاتجه اللعين يحمل خبثاً وشرارة، ويضمر غشّاً ودغلاً، وينوي فجوراً وغدراً، ولمّا رآه الحسين(عليه السلام) مقبلاً سأل عنه، فقال أبو ثمامة الصائدي من همدان: يا أبا عبد الله! هذا والله شرّ أهل الأرض وأجرأهم علي دم....

وجعل ابن سعد علي كردوس آخر مسروق بن وائل بن حجر الحضرمي الكندي، فرجع عن حرب الحسين(عليه السلام) لمّا رأي استجابة دعائه سريعاً علي عبد الله بن حوزة.

ثم صفّ ابن سعد الرجالة صفوفاً، ويقال: كردسهم أيضاً قبالة الحسين(عليه السلام)، وأعطي القيادة العامّة علي كتائب المشاة لشبث بن ربعي من بني عمر بن تميم، وكان مؤذّن سجاح المتنبئة مع ابن النواحة مؤذّنها الآخر.

وصفّ ابن سعد الرماة أمام الخيل المكردسة صفوفاً، وهم عشرة آلاف رامي، وجعل قيادتهم لمدير شرطة ابن زياد حصين بن تميم التميمي، وهو الذي كان علي القادسية، ووجّه الحرّ الرياحي ليجعجع

بالحسين(عليه السلام) إن لقيه، وهو الذي قبض علي رسول الحسين(عليه السلام) قيس بن مسهر الصيداوي، فأرسله إلي ابن زياد فقلته، ولهذا اللعين أخبار رديئة أُطلب ترجمته من كتاب ((الميزان الراجح للمظفر)).

ثم نظم ابن سعد – لعنه الله – كتائب القبائل، وجعلها أربعة فرق، كما هي عادة قبائل أهل الكوفة، وكلّ فرقة تشتمل علي أفواج، فجعل أهل العالية هم أهل

المدينة فرقة، وهؤلاء قريش وكنانة والأنصار ومزينة وغيرهم، وولي قيادة هذه الفرقة عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وهذا الخبيث قاده الشقاء إلي هذا الموطن، وإلا فقد كان شهد مع أمير المؤمنين علي(عليه السلام) حروبه، وهو ابن أخي مخنف بن سليم، وكان مخنف صحابياً شيعياً، ومات علي ذلك ولم يبدّل كما بدل ابن أخيه هذا الشقي، اللهم نعوذ بك من عاقبة السوء.

وجعل علي الفرقة الثانية التي تجمع كندة وربيعة وحضرموت ومن معهم قيس بن الأشعث بن قيس الكندي، وهذا الخبيث هو الذي استلب قطيفة الحسين(عليه السلام)، فعيرته العرب بذلك، ولقّبوه بقيس القطيفة، وهذا الرجل ملعون من بيت شقاوة ملعون هو وأبوه وأخوه وابن أخيه كلّهم أشقياء، فأبوه الأشعث خارجي وشارك ابن ملجم وأعانه علي قتل أمير المؤمنين(عليه السلام)، وأخوه محمد بن الأشعث قتل مسلم بن عقيل وشارك في قتل الحسين(عليه السلام)، وابن أخيه عبد الرحمن بن محمد شارك في قتل مسلم بن عقيل، وأشار علي مصعب بن الزبير بقتل أصحاب المختار، فذبح منهم أربعة آلاف صبراً بعد أن أعطاهم الأمان،

وأخته جعدة بنت الأشعث سمّت الحسن بن علي(عليهما السلام).

وجعل عمر بن سعد علي الفرقة الثالثة التي تجمع تميماً وهمدان شبث بن ربعي التميم بعد أن كان الحرّ هو القائد لهذه الفرقة، فتركها ولحق بالحسين(عليه السلام)، وشبث هذا كما عرفته ممّن ارتد مع سجاح، وكان يؤذّن لها، وراجع الإسلام وشهد صفين مع أمير المؤمنين(عليه السلام) ثم تحوّل خارجياً، وراجع ظاهراً واعتقد الخارجية باطناً، وهو شريك عمرو بن حريث وجرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس في مبايعة الضبّ وخلع بيعة أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، ثم خرج إلي حرب الحسين(عليه السلام)، ثم حارب المختار، فهو يتقلّب في الضلالة أولاً وأخيراً.

وجعل ابن سعد علي الفرقة الرابعة التي تجمع مذحجاً وأسداً ومن معهم عبد

الرحمن بن أبي سبرة الجعفي من مذحج، وهذا الخبيث كان صحابياً وقوّياً من أقوياء العرب، ولكنّه كان أموي الرأي عثماني العقيدة، وهو من شهود الزور الذين شهدوا علي حجر حتّي قتله معاوية.

ثم رتّب عمر بن سعد حرس الشرائع، فجعلها كتائب، وكان حرس الشرائع قوّياً، والشرائع كلّها علي ضفاف نهر العلقمي، وهو شعبة من الفرات الأعظم يسمّي بالفرات الأصغر، فمنها:

شريعة الغاضرية، وتسمّي اليوم ((أرض الحسينية))، وتبعد عن معسكر الحسين(عليه السلام) بمقدار ميلين تقريباً.

وشريعة نينوي أو أراضي السليمانية اليوم، وهذه المشرعة تبعد عن

عسكر الحسين(عليه السلام) بمقدار ميل ونصف ميل تقريباً.

وشريعة المسناة أو قنطرة العلقمي، وهذه الشريعة تبعد عن معسكر الحسين(عليه السلام) بنصف ميل، فهي أقرب الشرائع إلي معسكر الحسين(عليه السلام)، ومنها استقي العباس(عليه السلام)، وعلي ضفتها سقط، وبالقرب منها مرقده الشريف.

وشريعة النواويس، وهي بالقرب من مرقد الحرّ الرياحي اليوم، وتبعد عن معسكر الحسين(عليه السلام) بما يزيد علي ميلين، وتعتبر أبعد الشرائع عن مخيم الحسين(عليه السلام).

وأمراء حرس هذه الشرائع:

عمر بن الحجاج الزبيدي في أربعة آلاف مسلح مدجّج من الأقوياء، والأزرق الشبامي، وإسحاق بن حيوة الحضرمي، ويقال: الأزرق الشبامي.

وكلّ واحد من هؤلاء القوّاد كان يتلقّي وظيفتين وأكثر في جيش عمر بن سعد، فالأزرق الشبامي كان علي خيل الكشف، وأمير حرس الماء، وعمرو بن الحجاج علي المجنبة اليمني ((الميمنة)) وعلي حرس الماء وعلي خيل الطلائع، والشمر علي المجنبة اليسري، وعلي قطعة من الخيالة، وعلي حرس المشاة ليلاً، والحصين بن تميم علي الشرطة وعلي الرماة من الجنود، وعزرة بن قيس علي فرق الخيالة وعلي الحرس الليلي، وهكذا كثير من الباقين.

ص: 456

اختيار ابن سعد للكردسة شأن الضعيف مع القوي:

بقي علينا أن نفهم لم اختار عمر بن سعد – لعنه الله – الكردسة، وإنما يختار الكردسة الضعيف في قبال القوي، وتعوّل عليها القلّة في جنب الكثرة، وقوّة العدوّ القوّية وتفوّقه في الاستعداد، فتخشي منه الغلبة، فيخاف الجيش الصغير أن يحطمه الجيش الكبير ويغلبه بكثرته، فيركن إلي الكردسة حين تظهر له أمارات عدم المقاومة لذلك الجيش الضخم المستعدّ، فيضطر القائد المجرّب إلي الكردسة ليبيّن أثرها إذا اجتمعت، وتظهر نكايتها في الصدمة.

فهل تري عمر بن سعد استقلّ جيشه الكثير الجرار المتلاحق الإمداد؟ أمّ استكثر جيش الحسين(عليه السلام) الصغير العدد الفاقد المدد؟

كلاـ لاـ هذا ولاـ ذاك، ولكنّه استعظم جيش الحسين(عليه السلام) بثبات رجاله الأفذاذ، لأنهم من أهل الحفاظ والبصيرة في الدين، والمستميتين، وهم فرسان العرب وأبطالهم المتميّزون بالنجدة والشجاعة، شهدت لهم الوقائع الإسلامية والفتوحات وحروب الجمل وصفين والنهروان بالبطولة، وتحامتهم الأبطال في المعارك، وحادت دون لقائهم الكماة، فتيقّن ابن سعد أنّ جيشه الكبير لا يثبت أمام صدمتهم، ولاـ تقف خيله الكثيرة لخيلهم القليلة، وليس لجيشه استماتتهم، ولاـ تبصّرهم في دينهم، فإنما كلّه فساق طمّاعون ومرّاق مخادعون، وهو سيندك أمام صدمة التبصّر الديني، وينهار عند الاحتكاك بأسطوانة الاستماتة المحكم، ورصيف التفاني الثابت علي

أُسسه القويمة.

فرأي من التدبير الفني الحربي – والحالة هذه – التعويل علي الكردسة لعلمه أنّ أصحابه وإن كثر عددهم واستكمل عددهم، وأضعفوا علي جيش الحسين(عليه السلام) أضعافاً كثيرة، لكنّ عزم كلّ فرد من أفراد هذا الجيش الصغير أقوي بالضعف المضاعف من عزم ذاك العدد المتكاتف بالكثرة، وفرق بين من يقاتل طمعاً وخوفاً وتعذيراً، وبين من يقاتل تديّناً وتبصيراً واستماتة وتفانياً.

وعمر بن سعد وقوّاده يعرفون شجاعة أصحاب الحسين(عليه السلام) وبسالتهم ونجدتهم في الحروب معرفه دقيقة، معرفة حقيقية، معرفة واقعية، معرفة تجربة واختبار لا مجرد ظنّ وتخمين لما شهدوه وعاينوه من فعالهم في المغازي والفتوحات الإسلامية، فكان الواحد منهم يكاد يلتهم الجيش بأسره لولا عوائق القدر وحيلولة القضاء المبرم، ومع ذلك فلهم به البطشة الكبري والنكاية التي لا يمحي ذكرها مدي الأزمان، وهم في قدرة ولهم مقدرة أن يأتوا علي الجمع بحذافيره والحشد بأسره لولا الأقدار والظمأ الذي حال بينهم وبين مشاهدة السماء لشدّته، فكان كالدخان المنعقد في الأجواء.

وقد عضدت تلك البسالة والنجدة وشدّة الشكيمة والحفاظ والحمية بصيرة الدين، وصفاء النيّة في الاعتقاد، واليقين وبلوغهم في الإيمان الدرجة القصوي، وارتقائهم في الديانة إلي أرفع المراقي، ولهم مع ذلك الرجاء بموعود الله تعالي للمجاهدين في سبيله، والثقة بصدق وعده

لمن حامي عن دينه، ودعا إلي سبيل ربّه.

وهم كذلك مستميتون في سبيل العزّ، متفانون في إحياء الذكري الجميلة، مستميتون في الدفاع عن عرض النبي(صلي الله عليه واله) وحرم الله ورسوله(صلي الله عليه واله)، وعن حبيبهم وحبيب الله وسيّد شباب أهل الجنّة، وقد يبلغ الفرد المستميت ما لا يبلغه الجيش الجرار، فالاستماتة لها أثرها ولها مفعوليتها.

وجيش عمر بن سعد خال من البصيرة، وقد عدم الإسلامية وسلب روح الإيمان، وهو متيقّن سوء العاقبة، وواثق بتعاسة المنقلب، وله مندوحة النجاة إذا ما فرّ أو أنهزم.

ومن كانت هذه صفته فهو قليل، وإنّ كثير جمعه ضعيف، وإن كمل استعداده واتصلت إمداده، فإنّه لا يثبت أمام الحائز لتلك الصفات، وإن قلّ العدد وانقطع المدد، فإنّ المتصف بهذا لا يري إلا الموت إمامه، ويعلم أن لا سبيل إلي الحياة وهو مستقبل دار البقاء الآخرة مستدبر دار الفناء الدنيا، معرض عن زهرتها وزهوها، ومتجاف عن نضرتها وغضارتها، فهو يقدم بثبات روح الإيمان إقدام المستميت المتبصّر بما هو أثبت من قنن الرواسي، وأرسي من أركان الشامخات الرواسخ، معقله سيفه، وحصنه رمحه، واستحكامه بطشه، إذا تلبط الكماة بالاستحكام، وتحصن الأبطال بالمعاقل.

للشيخ المظفر :

لهم عزمهم حصن حصين وبطشهم

بجيش العدي في الحرب أقوي المعاقل

فسل صحف التاريخ تنبئك إنّهم

مساعير من أعلا حماة القبائل

وهم نخبة من خير عدنان عنصراً

ومن يعرب أهل الحفاظ الأماثل

لقد أصحرتهم كالأُسود كريهة

يحامون عن ثقل الهدي والعقائل

رعوا لرسول الله فيهم وصاية

وقد جالدوا عنهم بغاة الغوائل

غداة أثار الغدر حرباً عليهم

فسار بجيش ذا قناً وقنابل

ومن بايعوهم بعد توكيد عهدهم

غدو بين حربي شديد وخاذل

ولم يحفظ العهد الوكيد بنصرهم

سوي نفر غرّ كرام قلائل

سروا في ركاب السبط للموت عنوة

وما كانت الدنيا لديهم بطائل

فقد بذلوها أنفساً عزّ مثلها

فداء حسين خير حاف وناعل

وقالوا هي الفردوس لا شيء غيرها

فسيروا إلي ريحانها سير عاجل

فابن سعد – لعنه الله – كردس الخيل لهذا الغرض، وقد استشعر أهل الكوفة هذا من أصحاب الحسين(عليه السلام)، فلذلك استقبلوهم

بكمال الاستعداد خوفاً علي عطب جيشهم الكبير، واستئصال عددهم الكثير بين ذلك العدد النزر والجيش الصغير، فاحتطوا لذلك بكردسة الخيل، وقدّموا كتائب الرماة، ثم كتائب المطاعنة أهل الرماح المشرعة التي لا تقدم علي أسنّتها الخيل، وأضافوا إليها أصحاب المقاليع الذين يقذفون الحجارة بالمقلاع، ومع ذلك كلّه فقد استبان الخلل في الكوفيين، وظهر عياناً عند المقاومة وساعة الالتحام.

وإنّ تلك الخيل المكردسة كراديساً، فإنّ العشرة آلاف فرس المكردسة، والعشرون ألفاً المشاة انهارت أمام حملات أصحاب

الحسين(عليه السلام)، واختلّت أنظمتها، وسبعون فارساً يقاوم عشرة آلاف فارس أو أكثر، كما قال السيّد الهندي في استنهاض الإمام المهدي المنتظر(عليه السلام) ويرثي بذلك جدّه الحسين(عليه السلام):

هب أنّ جندك معدود فجدّك قد

لاقي بسبعين جيشاً ما له عدد

ولهول الصدمة من هجمة السبعين فارساً علي العشرة آلاف فارس، واندحار العشرة آلاف أمام السبعين، بل الثلاثين، أرسل قائد كتائبها وأمير سراياها العام عزرة بن قيس الأحمسي إلي القائد العام عمر بن سعد يشكو إليه عدم ثبات خيله أمام هذه الخيل اليسيرة، ويستنجده ويستعين به في تقوية خيله بالقوّة المرامية، وهي عشرة آلاف لتعقر الخيول التي يمتطيها أصحاب الحسين(عليه السلام)، وهذا لفظ الطبري في تاريخه(1):

وقاتلهم أصحاب الحسين(عليه السلام) قتالاً شديداً، وأخذت خيلهم تحمل، وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل علي جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته، فلمّا رأي ذلك عزرة بن قيس، وهو علي خيل أهل الكوفة، وإنّ خيله تنكشف من كلّ جانب بعث إلي عمر بن سعد عبد الرحمن بن حسن فقال: أما تري ما تلقي خيلي منذ اليوم من هذه العدّة اليسيرة، إبعث إليهم الرجال والرماة.

فقال لشبث بن ربعي: ألا تقدّم إليهم بالرماحة؟

1- تاريخ الطبري: 6/249.

فقال: سبحان الله! أتعمد إلي شيخ مضر وأهل المصر عامّة تبعثه في الرماة لم تجد من تندب لهذا أو يجزي عنك غيري؟

قال أبو زهير العبسي: أنا سمعته في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسدّدهم لرشد، ألا تعجبون إنّا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا علي ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية، ضلال يا لك من ضلال!

قال: ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم فبعث معه المجففة، وهم خمسمائة من المرامية، فأقبلوا حتّي إذا دنوا من الحسين(عليه السلام) وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجالة..

فهذا قائد كتائب الخيالة وسرايا الفرسان يستغيث بأمير الأمراء وقائد القوات العام من سرية خيل عدد فرسانها إثنان وثلاثون ما صبرت كتائبه وسراياه لها حتّي عززت قوّته بقوّة المرامية من أصحاب الأقواس والمقاليع الذين يقذفون الحجارة والسهام، وهم عشرة آلاف علي ما رواه غير الطبري.

وهذا قائد المجنبة اليمني عمرو بن الحجاج الزبيدي يهجّن عقل أصحابه، ويفيل رأيهم، ويستحمقهم في المبارزة لأصحاب الحسين(عليه السلام)، لأنّه قد عاين أنّه ما برز منهم أحد لأصحاب الحسين(عليه السلام) إلا وقتل، وكان خبيراً ببطولتهم وفروسيتهم، وعارفاً بشجاعتهم المدهشة حيث كانت تجمعه وإياهم الملاحم في الفتوحات والمغازي،

وأيام الجمل وصفين والنهروان، فلهذا يتقدّم لأصحابه بالنصيحة، وينذرهم بالخطر في مبارزتهم، ويعرفهم أنّه سفه واغترار، كما تحدّث الطبري في التاريخ(1) بما نصّه:

فصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقاء! أتدرون لمن تقاتلون؟ فرسان المصر قوماً مستميتين، لا يبرزنّ لهم منكم أحد، فإنهم قليل وقلّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال عمر بن سعد: صدقت الرأي ما رأيت، وأرسل إلي الناس يعزم عليهم لا يبارز رجل منكم رجلاً منهم...

وخذ إليك نبذة من اعتراف أهل الكوفة بتفوّق أصحاب الحسين(عليه السلام) شجاعة ونجدة في الأفراد والجماعة كلّ ذلك عن تاريخ الطبري:

منها: قول شبث بن ربعي التميمي في مسلم بن عوسجة الأسدي في قصّة استشهاده، قال(2):

1- تاريخ الطبري: 6/249.

2- تاريخ الطبري: 6/249.

فصاحت جارية له فقالت: يا بن عوسجتاه! يا سيّداه! فقال أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي!

فقال شبث: ثكلتكم أُمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلّلون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة، أما والذي أسلمت له، لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستّة من المشركين قبل أن تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!

وقول أيوب بن مشرح الهمداني الخيواني في الحرّ بن يزيد اليربوعي الرياحي لفظه: إنّ أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحرّ بن يزيد فرسه حشأته سهماً فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب الحرّ عنه كأنّه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تعقروا بي فإنا ابن الحرّ

أشجع من ذي لبد هزبر

قال: فما رأيت أحداً قطّ يفري فريه.

قال: فقال له أشياخ من الحيّ: أنت قتلته؟ قال: لا والله ما أنا قتلته، ولكن قتله غيري، وما أُحب أني قتلته، فقال له أبو الوداك: ولم؟ قال: زعموا أنّه كان من الصالحين، فوالله لئن كان ذلك إثماً لأن ألقي الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إليّ من أن ألقاه بإثم قتل واحد منهم!!!!

فقال له أبو الوداك: ما أراك إلا ستلقي الله بإثم قتلهم أجمعين، أرأيت لو أنّك رميت هذا فعقرت ذا ورميت آخر، ووقفت موقفاً وكررت

عليهم، وحرّضت أصحابك وكثّرت أصحابك، وحمل عليك فكرهت أن تفرّ، وفعل آخر من أصحابك كفعلك وآخر وآخر كان هذا وأصحابه يقتلون؟! أنتم شركاء كلّكم في دمائهم.

فقال له: يا أبا الوداك! إنّك لتقنّطنا من رحمة الله!!! وإن كنت وليّ حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله لك إن غفرت لنا، قال: هو ما أقول لك(1).

ومنها: قول ربيع بن تميم الهمداني من أهل الكوفة في عابس بن أبي شبيب الهمداني الشاكري ولفظه(2):

1- أبو الوداك هـذا هو ابن نوف البكـالي صاحب أمير المؤمنين(عليه السـلام)، وكان أبو الوداك كأبيه نوف شـيعياً، وله بلاء عظيم في حروب الطلب بثأر الحسين(عليه السلام) أيام المختار، ترجمه الشيخ المظفر في كتابه ((الميزان الراجح)) وذكر أخباره.
2- تاريخ الطبري: 6/254.

عن رجـل من همـدان يقال له ((ربيع بن تميم)) شـهد ذلك اليوم قال: لمّا رأيته مقبلاً عرفته وقـد شاهـدته في المغازي، وأنّه أشـجع الناس، فقلت: أيّها الناس! هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟ فقال عمر بن سـعد – لعنه الله –: ارضخوه بالحجارة.

قـال: فرمي بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأي ذلك ألقي درعه ومغفره، ثم شـدّ علي الناس، فوالله لرأيته يكرد أكثر من مأتين من الناس، ثم إنهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب فقتل.

قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد – لعنه الله – فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله إنسان واحد، ففرّق بينهم بهذا القول.

وفي رواية غيره: لم يتقله إنسان واحد.

وهل حـدّثك التاريـخ في غابره وحاضـره مثل هـذا الرجل؟ إنّ الأبطال مهما بلغوا في البطولـة يعتصـمون بالحصون والمعاقل، ويتّخـذون الأدراع والمغافر للوقاية، حتّي أنّ بعضـهم ليظاهر بين درعين، ويلبس بيضتين أو بيضة ومغفراً، وهذا البطل المسـتميت يلقي درعه، ويرمي مغفره وترسه، عجب في البطولة وفريد في الرجولية.

ومنها: قول قاتل برير بن حضير الهمداني المشرقي، وخذ القضية

بنصّها وطولها(1): عن عفيف بن زهير بن الأخنس، وكان شهد مقتل الحسين(عليه السلام) قال:

وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة من ربيعة، وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس، فقال: يا برير! كيف تري صنع الله بك؟

قال: صنع الله والله بي خيراً وصنع بك شرّاً.

قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذوباً، هل تذكر وأنا أُماشيك في بني لوذان وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفان كان علي نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية بن أبي سفيان ضالّ مضلّ، وإنّ إمام الهدي والحقّ علي بن أبي طالب؟

فقال برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي.

فقال يزيد بن معقل: أشهد أنّك من الضالّين.

فقال برير بن حضير: هل لك فلأُباهلك، ولندعو الله أن يلعن الكاذب ويقتل

المبطل، ثم أخرج فلأُبارزك.

قال:

1- تاريخ الطبري: 6/247.

فخرجـا فرفعا أيـديهما إلي الله يـدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقّ المبطل، ثم برز كلّ واحـد منهما إلي صاحبه، فاختلفا ضـربتين، فضـرب يزيد بن معقل بريراً ضـربة خفيفة لم تضـرّه شـيئاً، وضـربه برير بن حضـير ضـربة قدّت المغفر وبلغت الدماغ، فخرّ كأنما هوي من حالق، وإنّ سـيف ابن حضـير لثابت في رأسه، فكأني أنظر إليه ينضـنضه من رأسه، وحمل عليه رضـي بن منقد العبدي فاعتنق بريراً، فاعتركا ساعة، ثم إنّ بريراً قعد علي صدره، فقال رضي: أين أهل المصاع والدفاع؟

قال:

فذهب كعب بن جاير بن عمرو الأزدي ليحمل عليه، فقلت له: هذا برير بن حضـير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد! فحمل عليه برمـح حتّي وضـعه في ظهره، فلمّا وجد مسّ الرمح برك عليه، فعض بوجهه وقطع طرف أنفه، فطعنه كعب بن جابر حتّي ألقاه عنه، وقد غيّب السنان في ظهره، ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتّي قتله.

قال عفيف: كأني أنظر إلي العبدي الصريع قام ينفض التراب عن قبائه ويقول: أنعمت عليّ يا أخا الأزد لا أنساها أبداً.

قال: فقلت: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم رأي عيني وسماع أُذني.

فلمّـا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته أو أُخته النوار بنت جابر: أعنت علي ابن رسول الله وقتلت سـيّد القراء؟! لقـد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً .

وقال كعب بن جابر:

سلي تخبري عنّي وأنت ذميمة

غداة حسين والرماح شوارع

ألم آت أقصي ما كرهت ولم يخل

عليّ غداة الروع ما أنا صانع

معي يزني لم تخنه كعوبه

وأبيض مخشوب الغرارين قاطع

فجرّدته في عصبة ليس دينهم

بديني وإنّي با بن حرب لقانع

ولم تري عيني مثلهم في زمانهم

ولا قبلهم في الناس إذا أنا يافع

أشدّ قراعاً بالسيوف لدي الوغي

ألا كلّ من يحمي الذمار مقارع

وقد صبروا للطعن والضرب حسّراً

وقد نازلوا لو أنّ ذلك نافع

فابلغ عبيد الله إما لقيته

بأنّي مطيع للخليفة سامع

قتلت بريراً ثم حمّلت نعمة

أبا منقذ لمّا دعا من يماصع

قال: وزعموا أنّ رضي بن منقذ العبدي ردّ بعد علي كعب بن جابر قوله فقال:

فلو شاء ربّي ما شهدت قتالهم

ولا جعل النعماء عند ابن جابر

لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبّة

تعيّره الأبناء بعد المعاشر

فيا ليت إنّي كنت من قبل قتله

ويوم حسين كنت في رمس قابر

وللشيح المظفر يردّ علي كعب بن جابر قوله السابق:

أيا كعب كعب الكلب شرّ عظامه

نباحك في غاب الضراغم ضائع

تبجّحت في لدن الكعوب ومرهف

وما ذاك في نادي المفاخر نافع

تجرّده فيمن تخالف دينهم

فما لك منهم أيّها الرجس شافع

ودينهموا دين الإله ووحيه

بأبياتهم يتلي وتملي الشرائع

وحسبك إذ خلّفتهم متديّناً

بدين ابن حرب للصلاح تنازع

أبوه أبو سفيان خصم لجدّهم

وللشرّ في نفس ابن حبّ منازع

فهاجر عنهم نحو طيبة فاحتمي

بأنصاره إذ لم ترعه الروائع

وعيناك لم تنظر شبيهاً من الوري

لعصبة حقّ عن حسين تدافع

ولا نظرت عينا سواك مثيلهم

ومظهر أفذاذ الرجال الوقائع

قتلت بريراً مستطيلاً بقتله

ففخرك مردود عليك وضائع

فلو كنت قرماً يحتمي الذمّ لم تجئ

علي غرّة للؤم فيك مشارع

لقد جئته مستدبراً فطعنته

وليث الشري فوق الفريسة راكع

فهلا لك الخزي الطويل أذنته

ليعلم أيّ الفارسين الممانع

ولو كانت الأُنثي مكانك أدركت

فقد كان ألهاه الكمّي المصارع

وتدعو عبيد الله عبداً مجدّعاً

وليس ندا أهل الشقاوة نافع

ومنها: ما رواه الطبري في غير موضع وغيره من العلماء: أنّ بعض أهل الكوفة لام صديقاً له ممّن شهد قتل الحسين(عليه السلام) وقال له: قتلتم ابن رسول الله(صلي الله عليه واله) والعباد الصالحين وقرّاء أهل المصر!

فقال: ثارت إلينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها، لو ونينا عنهم ساعة لأتوا علي الجمع بحذافيره، فما نصنع لا أُم لك؟

ونكتفي بهذا المقدار.

وسائل الظفر التي أتخذها جيش العدو:

إنّ ابن سعد – لعنه الله – كان علي يقين من أنّ كثرة جمعه لا تجديه نفعاً في مقاومة هؤلاء الكرام الذين هم نخبة العالم وصفوة الإنسانية وزبدة البشرية ولباب الكائن في ذاك العصر، ومن هذه الوجهة حكّمت التجارب الحربية في نفسه كردسة الخيل وتقديم المرامية والتطويق والحصار ومنع المنازلة وإلقاء الذعر في نفوس النساء والصبيان بكلّ ما وجد إليه سبيلاً، ليوهن عزم المحاربين، وأمثال ذلك فيما يتصوّره خياله الباطل ووهمه الزائف.

أمّا اللعين ابن زياد، فقد كان من أوثق عري الغلبة عنده، وأقوي

حبال الظفر في نفسه حتّي من جيشه الجرار الذي ملأ الفضاء وسدّ الآفاق منع الحسين(عليه السلام) وأصحابه الماء لاعتقاده أنّ هذه العدّة اليسيرة في جيش الحسين(عليه السلام) وإن قلّت، والعصبة المستنزرة العدد التي قطع مددها لا يقاومها مقاوم، فلا وسيلة أقرب إلي

القضاء عليها سريعاً وإبادتها عاجلاً وإتلافها بأسرع وقت إلا أن يمنعها من ورد الماء، لتموت عطشاً، فإنّ الحياة لا بقاء لها مع العطش، ولا يمكن أن يعيش ذو روح بغير ماء، خصوصاً الإنسان، فكانت هذه النيّة الخبيثة والفكرة الملعونة تختلج نفسه الشريرة أنها ستكون من أهمّ التحوطّات، وأقوي وسائل الدفاع في نفس ذلك الشيطان المتمرّد واللقيط الجبار، والدعي المنبوذ بأقبح الألقاب، فصدر أمره الرسمي إلي أمير اُمرائه وقائد قوّاته المرتكس في الضلال عمر بن سعد:

أمّا بعد؛ فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وأمنعهم أن يذوقوا منه قطرة...

فبادر ابن سعد علي الفور لامتثال ذلك الأمر القاسي بتنظيم الحرس علي الشرائع الأربعة، فنظمها كما سمعت، وقوّاها بالأسلحة، وجعل لها قوات إضافية إحتياطية، فلم يضعضع ذلك أصحاب الحسين(عليه السلام) ولا أدخل وهناً عليهم، بل زادهم بصيرة وثباتاً وعزماً ونشاطاً، فتقوّت عزائمهم وإن ضعفت الأبدان، وقد صار العطش بينهم وبين السماء كالدخان، لكن صرخة النساء، وضجّة الأطفال الذين بلغ بهم صبرهم لشدّة الظمأ أثّرت في أنفسهم كسراً، وفي قلوبهم صدعاً وجرحاً لا

يندمل، كما ينبئ عنه كلام عميده العباس بن علي(عليهما السلام) في قوله لأخيه الحسين(عليه السلام) كما سمعته سابقاً.

لكن قابلوا هذه الشدّة الشديدة، والمحنة الصعبة العظيمة بالصبر والاحتساب لكلّ ما أصابهم في جنب الله، إنّ امتلاك الشريعة والغلبة علي الماء، وتقويـة حرسه بالاسـتحكامات المنيعة، وحمايته بالقوّة القويّة التي لا يتمكّن المقابل من خرق خطوطها الأمامية ولا الاستيلاء عليها له الأثر التام في الرجحان الحربي، وإنّه الكفيل بتفوّق من ملك الماء وضمين له بالغلبة إذا استحكمه استحكاماً منيعاً، وجعل عليه خطّ دفاع قوّي يصدّ هجمة المقابل، فإنّ الرجحان الحربي يكون له، لأنّ نفوس من منعو الماء تضعف، وهممهم تقلّ، وعزائمهم تنكسر وتهن، وإن

كانوا غالبين ابتداءاً يصبحوا مغلوبين بالتالي، بهذا قضت التجارب، ودلّت الاختبارات العديدة.

حيث أنّ الماء ضـروري للحياة، وهو مادة البقاء وجزؤها المقوّم، والبطل وغيره إذا أصابه العطش الشديد ربما يصل إلي درجة لا يكاد يبصر مـا أمـامه ومـا خلفه، وقـد لاـ يقوي علي حمـل السـلاح فضـلاً عن المجالـدة، وربما تلف كما تلف كثيرون ممّن احتال عليهم أعـداؤهم فأضلوهم في المفاوز العديمة المياه، فهلكوا عطشاً.

إنها لقضية مسلّمة وظاهرة وجدانية يعرفها كلّ أحد، لذلك كانت أُمية الفاجرة تستغل هذه الفرصة الهمجية، وتستعمل هذه الأعمال المنكرة القبيحة القاسية الفظّة الصارمة المخالفة لمناهج الإنسانية،

المحضورة في الديانة السماوية، فلا يزالون يحصرون أعداءهم في البوادي والمفاوز إذا سبقوا إلي شرائع الماء، ويصرّون علي منعهم من ورد المباح المشترك بين البشرية وغيرها، وهو موزّع علي الإنسانية بالسواء، كما قال رسول الله(صلي الله عليه واله) في الخبر المشهور: ثلاثة الناس فيها شرع سواء: الماء والنار والكلاء.

فمنع بني اُمية الماء لمن حاربهم من الناس مخالف لسلك البشرية والقاعدة الدينية، كما صنع جيش اللعين يزيد بجيش الحسين عليه السلام يوم كربلاء، وإنّ هذا الخبيث في أعماله اقتدي وتأسّي بأبيه معاوية مبتدع كلّ قبيح في الإسلام ومخترع كلّ مشوه لسمعته، فإنّه بصفين حصر جيش أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في البيداء، ومنعهم من الماء، لأنّه سبقهم إلي النزول علي شريعة الفرات، وقال في جملة ما أجاب به من نهاه عن منعهم الماء: دعوهم يعطشوا يوماً، فإنهم إذا لم يشربوا انصرفوا، وكان انصرافهم هزيمتهم.

وهذا رأي فايل وتفكير خاطئ خاب مرتئيه، وضلّ مدبّره، أيظنّ انصراف جيش قوّي القوّة عظيم الاستعداد والأهبة فيه فرسان العرب وأبطال المسلمين وأرباب الحفيظة من أهل العراق والحجاز واليمن، وقائدهم الأعلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أشجع الناس؟!

هيهات نجاح ابن آكلة الأكباد، إنّ أبا الحسن(عليه السلام) القرم وجّه كتيبتين من جنده، كتيبة من المشاة الرجالة وكتيبة من الفرسان الخيالة بقيادة الأشتر عدد الكتيبتين عشرة آلاف مسلّح، فصدموا الجيش الشامي

العرمرم البالغ عـدده علي أقلّ ما قيل: مائـة وعشـرين ألفاً، وأفقـدوه علي أعاظم قوّاده وأركان اثني عشـر ركناً خمسـة بيد المشاة، وسـبعة بيد الأشتر، عدي سواهم من القواد، واضـطرّوا ذلك الجيش إلي تخليه الشـريعة والارتفاع إلي البرّ بمقدار أربعة أميال، وامتلكوا شـريعة الفرات، وقد كان هذا الحصار اليسير والمنع الموقّت قد أثر في نفوس جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) وأصابهم الخلل فاهتمّ أمير المؤمنين(عليه السلام) اهتماماً عظيماً حيث أنّه كان يقصد الجلاد علي الدين، فحرّض أصحابه وحرّكهم وشجّعهم وهوّن الأمر عليهم، وأثار شـعراؤهم وخطباؤهم النخوة فيهم، وأهاجوا الحماس بما ألقوا من الخطب والأشـعار حتّي دبّت نشوة الحفاظ في رؤوسهم، وتغلغلت الحميّة في أدمغتهم، وهزّتهم الحفيظة، وشـهّت لهم الأريحية ورد حياض المنية قبل ورد الشريعة، فيثاروا مصمّمين علي امتلاك المشرعة، طالبين من أمير المؤمنين(عليه السـلام) أن يفسـح لهم مجال الجلاد، فشدّوا بفيلق قد خيروا جنده الناهض بين ورد المنون أو ورد المعين، فشدّت الرجالة مشـرعة الأسـنة، وأغارت الخيالة مصلتة السيوف، فأقحموها شريعة الفرات، وطار الجيش الشامي كاليعافير إلي قلب البادية، وفرّوا كحمر مسـتنفرة إلي حيث تقيم الأضـبة واليرابيع، وصـممّ العراقيون علي منع الشاميين من الورود إيفاء للكيل بالكيل، ومقابلـة للوزن بالوزن.

فأبي أبو الحسن(عليه السلام) إلا الكرم والرأفة ومقابلة الإساءة بالإحسان،

فإنّ العفو من سماته، والصفح من شمائله، فأباح لأهل الشام الورود، فكانت الشريعة مورد الجمعين علي الاشتراك.

وليست نسبة جيش أمير المؤمنين(عليه السلام) الباسل المتميّز بكثرة العدد كنسبة جيش الحسين(عليه السلام) المستميت في قلّة العدد، فإنّ جيش أمير المؤمنين علي(عليه السلام) علي أقلّ ما قيل: تسعون ألفاً، وجيش الحسين(عليه السلام) مع قلّة العدد أقوي عزماً وأشدّ ثباتاً وأعظم صبراً من جميع الجيوش الجرّارة الملتحمة في المعارك الطاحنة.

وليست تحوطات ابن زياد من حركة أصحاب الحسين(عليه السلام) مقصورة علي هذا، بل اتخذ عامّة التدابير الأخري للتحوطات(1)، وكلّ ذلك لم يوهن عزمهم، ولم يفتّ في أعضادهم، بل زادهم إقداماً وتسرّعاً إلي الموت، والعادة قاضية بأنّ القوّة القوية تضعف معها عزائم المعارضين، إلا هذه العصابة، فإنّ عزائمها تقوي كلّما ازدادت قوّة الأعداء، وتستأسد وتستبسل كلّما تكاثرت جموع المحاربين لهم، وهذا ممّا لم يشهد التاريخ مثله في قديم أزمنته وحديثها، جزاهم الله أحسن الجزاء .

1- انظر للتفصيل: الميزان الراجح في تراجم التوابين للشيخ المظفر.

صفة القتال يوم كربلاء وشهادة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)

استبان أنّ العباس بن علي(عليهما السلام) هو عميد العسكر الحسيني، وأنّ مركزه القلب، وعرفنا كيفية تنظيم الجيش الحسيني، وأنّ تعبئته هلالية الشكل، وعنه أخذ المتأخّرون التعبئة الهلالية.

والآن نذكر كيفية محاربة العباس الأكبر(عليه السلام) بطل الهاشميين وكيفية شهادته.

وهنا قد اختلف أرباب المقاتل واضطربت كلماتهم في وقت شهادته(عليه السلام) وكيفيتها، وصفة شهادته ومن قتله.

أمّا وقت شهادته(عليه السلام):

فالأقوال في ذلك ثلاثة:

أنّه قُتل قبل جميع الشهداء رضوان الله عليهم، وأفرط أهل هذا القول حتّي زعم بعضهم أنّه قُتل يوم السابع، وآخر يوم التاسع كمقتل

أبي مخنف الصـغير، أو المقتل المنسوب إليه، وجزم به بعض متأخّرين الفرس ونور العين لأبي إسحاق الإسفرائني(1)، ويظهر من كلامه أنّه استشهد قبل شهادة الحسين(عليه السلام) بيوم، هكذا يقول في نور العين(2) بعد ذكره لمحاربة العباس(عليه السلام) قال:

ثم ضـربه رجل منهم بعمود من حديد علي رأسه ففلق هامته، فانصرع إلي الأرض وهو ينادي: يا أخي! يا حسين! عليك مني السلام، فحمل الحسـين(عليه السـلام) علي القوم وحاربهم حرباً شديـداً حتّي قتل منهم ثمانمائة فارس، وأتي إليه وحمله، وأتي به فطرحه بين القتلي، وكان الليل قد أتي عليه، فباتوا تلك الليلة.

وفي الصـباح ركب القوم ورجعوا علي الحسـين(عليه السـلام)، فتذكّر أخاه العباس(عليه السـلام) وشفقته عليه، وجعل ينادي: وا غوثي بك يـالله يـا غياثـاه، ثم يخرج من قومه فـارس بعـد فارس، وكلّ منهم يقتل مقتلـة عظيمـة ثم يقتل، فيحمل علي القوم نحو المائتين والثلاثمائة والأكثر والأقلّ، ثم يحمله ويأتي به إلي موضع القتلي، ولم يزل حتّي قُتل جميع الأنصار والمهاجرين الـذين معه، وهو يأتي بهم واحـداً بعد واحد...

وهذا القول ضعيف جدّاً.

وأضعف منه قول أبي مخنف في المقتل الصغير إن صحّت نسبته إليه،

1- بغض النظر عن صحّة نسبة الكتاب للمؤلف.

2- نور العين: 20.

فإنّه يـذكر شـهادة العباس الأكبر(عليه السـلام) يوم السابع، وهـذان القولان غايـة في الشذوذ، بل صدمة للقطعي الذي لا يشكّ فيه أحد أنّ العباس(عليه السـلام) لم يدفن إلا يوم دفن الحسـين(عليه السلام)، وكيف يتركه الحسين(عليه السلام) هذه المدّة من غير دفن، أو يتركه بين جموع أعدائه يمثلون به أشدّ التمثيل، وهو إذ ذاك قوّي منيع لا يحول دون مقصده حائل، وسلامة أصحاب الضواري الساغبة إلي طعم المنيّة لا يعوقها عن حملة عائق، إذن فلا نعدّ هذا قولاً، وإن ذكرناه للتنبيه علي ضعفه وترك الجنوح إليه.

وهو الذي عليه عامّة أهل التاريخ من أنّه(عليه السـلام) استشـهد يوم العاشر بعد شهادة أكثر الأنصار، واستشهد قبله فتية من بني هاشم، إمّا كلّهم أو بعضهم، لأنّ أهل هذا القول قد اختلفوا علي قولين، وبهذا الاختلاف وضمّه إلي ذلك القول الشاذ تكون الأقوال ثلاثة.

أحد القولين: أنّه سبق علياً الأكبر(عليه السلام) بالشهادة، وعليه جماعة من أرباب المقاتل منهم فخر الدين الطريحي.

وعبد الرزاق اليزدي، فيقول في مصائب المعصومين(1) بعد شهادة قاسم بن الحسن والعباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام): تقدّم علي بن الحسين(عليهما السلام) وهو المشهور بعليّ الأكبر...

ومنهم سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة(2) فقد قال: قال الشعبي:

1- مصائب المعصومين: 266.

2- تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 145.

أوّل قتيل منهم العباس بن علي، ثم علي بن الحسين الأكبر.

ومنهم ملا عبد الله في مقتل العوالم، فإنّه ذكر شهادة العباس(عليه السلام) سابقة علي شهادة علي الأكبر(عليه السلام)، وبعد أن أتمّ الكلام علي شهادة العباس(عليه السلام) قال(1): ثم تقدّم علي بن الحسين(عليهما السلام).

وكذا قال الفاضل المجلسي في البحار، وهو قول محمد بن شهر آشوب في المناقب، وسنذكر ذلك إن شاء الله، وغير هؤلاء.

ثاني القولين: أنّه آخر من قتل من بني هشام قبل شهادة الحسين(عليه السلام)، وإنّ أوّل قتيل من بني هشام هو علي بن الحسين الأكبر، وقد كثرة القائل به من المؤرّخين، وبه قال أبو الفرج الأصبهاني بعد ما نقلناه عنه من قول الشعبي، وأبو حنيفة الدينوري المؤرخ في الأخبار الطوال(2)، وهذا لفظه: وبقي العباس بن علي(عليهما السلام) قائماً أمام الحسين(عليه السلام) يقاتل دونه، ويميل معه حيث مال، حتّي قُتل رحمة الله عليه، وبقي الحسين(عليه السلام) وحده...

والطبري في تاريخه ذكر أنّ علي بن الحسين(عليه السلام) أوّل قتيل من بني هاشم، والشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، والشيخ جعفر بن نما الحلي في مثير الأحزان، والسيّد ابن طاوس في كتاب اللهوف، ولفظهم جميعاً:

1- العوالم: 95.

2- الأخبار الطوال: 255.

أنّه لمّا اشـتدّ العطش بالحسـين(عليه السـلام) فركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوه بين يديه، فاعترضته خيل ابن سعد، فرمي رجل من بني أبان بن دارم الحسـين(عليه السـلام) بسـهم فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع – صلوات الله عليه – السهم، وبسط يديه تحت حنكه حتّي امتلأـت راحتـاه من الـدم، ثم رمي به، ثم قـال: اللهم إني أشـكو إليـك ما يفعل بابن بنت نبيك، ثم اقتطعوا العباس عنه، وأحاطوا به من كلّ جانب حتّي قتلوه(عليه السلام)، فبكي الحسين(عليه السلام) لقتله بكاء شديداً...

وآخرون غير هؤلاء يقولون بمثل هذا القول، فيكون العباس(عليه السـلام) آخر من استشهد من العلويين، وكلامنا المتقدّم في اللواء يعطيك صورة واضحة بتأخر شهادته عن غيره.

شهادته(عليه السلام)

للشيخ المظفر :

بطل أبوه حمي النبي محمداً

في كلّ ملحمة بحدّ حسامه

سل عنه أُحداً بعد بدر واعتبر

في خيبر النكراء عن إقدامه

والصاحبين الناهضين لمرحب

فبرا كلمح البرق من قدامه

والليث حيدر حين زمجر راعه

وأقام مبهوتاً علي إحجامه

أبليس شجّعه فكّر وإنّه

كرّ سيورده حياض حمامه

قد عاجلته يد الوصيّ بضربة

شطرته متزناً إلي أقدامه

فعلي ناصر أحمد في معرك

هاب الصحاب الكلّ عن إقحامه

هاذي حنين هل أتاك حديثها

هي ترجمانك عن علو مقامه

ذا شبله العباس مثّل عزمه

لمّا تقدّم حاسراً عن لامه

متدرّعاً بثابته وحسامه

كالنار يلهب في الوغي بضرامه

علم الفخار يرف فوق متونه

والجيش ذعراً فرّ عن أعلامه

أمّ المسناة التي قد سدّها

جيش الطغاة بمتقن استحكامه

نسفت قواعدها الحصينة همة

من يمنع البركان عن إقدامه

حاز الشريعة عنوة ومنكساً

جيش الدفاع وساحقاً في هامه

مدّ اليد البيضاء يغرف غرفة

يروي حشا قدحت أوار أوانه

فرماه مؤتسياً بسبط محمد

وبعاطش الأكباد من أرحامه

قلّ السقاء وسار فيه مبادراً

نحو الخيام وذاك جلّ مرامه

كي ترتوي أكباد آل محمد

ويبلّ بارده لقلب إمامه

***

كيفية شهادته(عليه السلام):

فقد اختلف فيها الناقلون أيضاً، فمنهم من يذكر أنّه مشي أمام أخيه

ص: 482

الحسين(عليه السلام) فاقتطعوه منه، كما مرّ.

ومنهم من يـذكر أنّه بـارز مرّات قتل في آخرها، وهـذا لا ينافي ما تقـدّم، إذ كان للمرّة الأخيرة مشـي أمام الحسـين(عليه السـلام) فاقتطعوه، ولفظهم هذا مجمل، لأنّه لم يبيّن صـفة اقتطاعه، فوجب المصـير إلي قول المفصّل الذي يقول: قطعت يمينه وشماله، وفضخت هامته، لأنّ المعارضة بين القولين معارضة المجمل للمبين، والمجمل يحمل علي المبين بحسب الأُصول العلمية، ويعنون أنّ المبين شـرح للمجمل، فالذي يقول إنّه مشـي أمام أخيه الحسـين(عليه السـلام) لم يورد تفصـيلاً ولا بيان كيف كان اقتطاعه، ولا بيان كم مرّة حمل علي القوم، إنما قصد أنّه آخر مراحل حياته(عليه السـلام) كانت كذلك، أمّا المبين فقد تعرّض للكمية والكيفية، كيف قاتل، وكيف قُتل، فذاك آثر الاختصار فأجمل، وهذا أحبّ التفصـيل فبيّن، وكثر من العلماء اعتماداً علي الشهرة لم يذكروا شهادة العباس(عليه السلام) رأساً كالصدوق القمّي في الأمالي، والشـهيد الواعظ محمـد بن أحمـد بن الفتال النيسابوري في روضـة الواعظين، وما ترك ذكر مقتله إلا للاكتفاء بشـهرته ومعروفيته، وعلي هذا جري من لم يفعل، فإنّه اقتصر علي ذكر آخر نقطة لفظ بها نفسه النفيسة وروحه الطيبة، وخذ المقتل الشريف مفصّلاً:

قال رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني في

المناقب(1):

كـان العبـاس السـقاء قمر بني هاشم صاحب لواء الحسـين(عليه السـلام) وأكبر الإخوان، مضـي يطلب الماء، فحملوا عليه وحمل عليهم، وجعل يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا

حتّي أواري في المصاليب لقا

نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا

إنّي أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقي

ففرّقهم، فكمن له زياد بن رقاد الجهني من وراء نخلة، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسـي، فضـربه علي يمينه، فأخذ السيف بشماله، وحمل عليهم وهو يرتجز:

والله إن قطعتموا يميني

إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتّي ضعف، فكمن له حكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة، فضربه علي شماله، فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفار

وأبشري برحمة الجبّار

مع النبي المصطفي المختار

قد قطعوا ببغيهم يساري

فأصلهم يا ربّ حرّ النار

1- المناقب لابن شهر آشوب تحقيق السيّد علي أشرف: 10/357.

وفي مصـائب المعصومين ومقتل العوالم(1) وتذكرة الشـهداء للملا حبيب الكاشاني(2) وأسـرار الشهادة للملا الدربندي: إنّ العباس لمّا رأي وحدة أخيه الحسين(عليه السلام) أتي أخاه وقال: يا أخي! هل من رخصة؟

فبكي الحسين(عليه السلام) بكاء شديداً، ثم قال: يا أخي! أنت صاحب لوائي، وإذا

مضيت تفرّق عسكري.

وروي أنّه قال: يا أخي أتتركني في هذه البيداء بين هؤلاء القوم وتمضي(3)؟!

فقال العباس(عليه السـلام): قد ضاق صدري، وسـئمت من الحياة، وأُريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين، فقال الحسين(عليه السلام): فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

وفي تذكرة الشهداء:

1- مصائب المعصومين: 259، مقتل العوالم: 92.

2- تذكرة الشهداء لآية الله حبيب الكاشاني ترجمة السيّد علي أشرف: 303 وما بعدها.

3- تذكرة الشهداء لآية الله حبيب الكاشاني ترجمة السيّد علي أشرف: 315.

روي أنّه قال له: إنّ أبي أوصاني أن أفديك بنفسي في مثل هذا اليوم، وأن لا أخذلك ولا أفارقك، فقد خرجت في يوم من أيام صفين إلي القتال فقاتلت ورجعت إلي أبي أمير المؤمنين(عليه السلام) وكان الغبار علي وجهي والعطش أذبل شفتي، فدعاني إليه ومسح الغبار بيديه وقال: إذا رأيت أخاك الحسين(عليه السلام) في عرصة كربلاء وحيداً فريداً فلا تقصّر في الدفاع عنه، وضحّي بنفسك دونه.

يا ابن رسول الله(صلي الله عليه واله) أريد اليوم أن أعمل بوصيّة أبي وأفديك بنفسي.

فقال الحسين(عليه السلام): يا أخي كنت العلامة من عسكري ومجمع عددنا فإذا أنت غدوت يؤول جمعنا إلي الشتات، وعمارتنا تنبعث إلي الخراب.

فقال العباس(عليه السلام): لقد تأجّل حمل اللواء إلي الآخرة، فاذن لي في القتال والتضحية بالنفس دونك.

فلمّا أكثر العباس من الإلحاح وبالغ في طلب الإذن، والأطفال ينادون العطش، قال الإمام(عليه السلام): إنّك تصير إلي الشهادة، ولكن اطلب أولاً لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء، واخرج إلي القوم فعظهم وانصحهم، فلعلهم يسقون هؤلاء النسوة والأطفال شيئاً من الماء، أما تري ما حلّ بنا من العطش، وأشدّ الأشياء علينا عطش الأطفال والحرم.

وروي أنّه قال: اركب إلي الفرات فلعلّك تأتي بالماء.

قال الدربندي في حديث أبي مخنف: وقال له العباس(عليه السلام): سمعاً وطاعة.

وروي أنّه لمّا توسط الميدان وقف وقال: يا ابن سعد هذا الحسين بن بنت رسول الله(صلي الله عليه واله) يقول: إنّكم قتلتم أصحابه و إخوته وبني عمّه وبقي فريداً مع أطفاله وعياله، وهم عطاشي قد أحرق الظمأ قلوبهم، فاسقوهم شربة من الماء، لأنّ أطفاله وعياله شارفوا علي الهلاك من حرارة الشمس والظمأ...

فخرج الشمر وشبث بن ربعي، فجاءا نحو العباس(عليه السلام) وقال: قل لأخيك: لو كان وجه الأرض كلّه ماء وكان تحت أيدينا ما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد!

فتبسم العباس(عليه السلام) من قولهم – كيف يتوّقع هؤلاء المسوخ أن يبايع معدن الطهارة والقدس ليزيد معدن النجاسة والرجس – ومضي إلي أخيه الحسين(عليه السلام) وعرض عليه ما قالوا.

فلمّا يأس الأطفال من الماء صرخوا وبكوا بصوت عال وهم ينادون: العطش.

فلمّا سمع العباس(عليه السلام) ذلك رمق بطرفه إلي السماء، وقال: إلهي وسيّدي أريد أن أعتدّ بعدّتي وأملأ لهؤلاء الأطفال قربة من الماء...

وفي بعض الروايات :

ص: 487

قبّل ما بين عينيه وودّعه، يعني أنّه ودّعه وداع من لا يعود.

وروي أنّ العباس(عليه السلام) لم يودّع أحداً غير أنّ الإمام(عليه السلام) ذهب إليه وعانقه وودّعه ومشي خلفه، وهو ينظر إليه نظر موّدع لا يعود ويتنفس الصعداء ويبكي.

وفي رواية: أنّ فراق وجه أبي الفضل العباس صعب علي الإمام(عليه السلام) فناداه، فالتفت إليه العباس(عليه السلام)، فرأي أخاه باكي العين، وهو يقول: أخي اصبر هنيئة حتّي أراك مرّة أخري.

فلمّا رأي العباس(عليه السلام) دموع أخيه وسمع مقالته قال: أو أقتل يا أبا عبد الله(عليه السلام)؟ فبكي الإمام واعتنقا وجعلا يبكيان حتّي كادا يسقطان إلي الأرض، ثم إنّ الحسين(عليه السلام) قبّله في جبهته وودّعه.

وفي بعض الكتب:

إنّه جاءت سكينة بالقربة وقالت: يا عمّ! العطش، فقصد نحو الفرات.

قال: فسار العباس(عليه السلام) حتّي أشرف علي الفرات، وفي أطرافه أصحاب ابن زياد لعنه الله، فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا العباس بن علي بن أبي طالب، فقالوا: ما تصنع ها هنا؟ قال: كطّنا العطش وأشدّ الأشياء علينا عطش الحسين(عليه السلام).

فلمّا سمعوا كلامه حملوا عليه حملة رجل واحد، فقاتلهم العباس(عليه السلام)، فقتل منهم رجالاً أبطالاً وأنشأ:

أُقاتل القوم بقلب مهتد

أذبّ عن سبط النبي أحمد

أضربكم بالصارم المهنّد

حتّي تحيدوا عن قتال سيّدي

إنّي أنا العباس ذو التودّد

نجل علي المرتضي المؤيّد

قال: فلمّا فرغ من شعره حمل علي القوم، ففرّقهم يميناً وشمالاً، وقتل رجالاً أبطالاً، وأنشأ:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا

حتّي أُواري ميتاً عند اللقاء

إنّي صبور شاكر للملتقي

ولا أخاف طارقاً إن طرقا

بل أضرب الهام وأفري المفرقا

إنّي أنا العباس صعب في اللقاء

نفسي لنفس الطاهر السبط وقا

قال: فلمّا فرغ من شعره حمل علي القوم وكشفهم عن المشرعة ونزل ومعه القربة، فملأها ومدّ يده ليشرب، فذكر عطش الحسين(عليه السلام) فقال: والله لا ذقت الماء وسيّدي الحسين(عليه السلام) عطشان،

ثم رمي الماء من يده وخرج والقربة علي ظهره، ويقول:

يانفس من بعد الحسين هوني

فبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين شارب المنون

وتشربين بارد المعين

هيهات ما هاذي فعال ديني

ولا فعال صادق اليقين

وفي بعض الكتب:

ص: 490

إنّ جواد أبي الفضل العباس لمّا رأي العباس(عليه السلام) رمي بالماء ولم يشرب رفع رأسه ولم يشرب هو أيضاً.

قال: ثم صعد إلي المشرعة، فثوّروا عليه النبال من كلّ مكان كالجراد المنتشر، وهو يقاتل والقربة علي كتفه حتّي صار درعه كالقنفذ، وهو لا يبال ما دام السقاء سالماً، وكلّ همّه إيصال الماء إلي الحسين وأهل بيته: الذين أحرق الظمأ أكبادهم في تلك الرمضاء، فلمّا رأوا السقاء سالماً لا تصل إليه نبالهم حملوا عليه مرّة أخري بالسيوف والرماح، والعباس(عليه السلام) يقاتلهم، ومع ذلك لم يجرؤ أحد من الاقتراب إليه، وكلّ من ضربه في تلك الحال إنما توصّل إليه بالكمين، فبينما العباس(عليه السلام) يقاتل القوم كمن له رجل يقال له: زيد بن ورقاء(1) فضربه علي يمينه، فبراها كبري القلم، فأخذ السيف بشماله وأنشأ يقول:

والله إن قطعتموا يميني

لأحمين جاهداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

سبط النبي الطاهر الأمين

نبيّ صدق جاءنا بالدين

مصدّقاً بالواحد الأمين

قال: فحمل علي القوم فقتل منهم رجالاً كثيراً، ونكّس أبطالاً والقربة علي ظهره، فلمّا نظر عمر بن سعد إلي ذلك قال: يا ويلكم! ارشقوا القربة بالنبل فوالله إن شرب الحسين الماء أفناكم

1- كذا البحار وفي الأسرار وأبي مخنف ((أبرص بن سنان))، ، وفي بعض النسخ: ((زيد بن الرقاد))، وقيل: أعانه عليها حكيم بن الطفيل الطائي.

عن آخركم، أما هو الفارس ابن الفارس البطل ابن البطل المداعس.

قال: فحملوا عن العباس(عليه السلام) حملة منكرة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، فكمن له لعين حكيم بن الطفيل(1) وراء نخلة فضربه علي شماله فطارت من الزند، فانكب

علي السيف بأسنانه، وقال: اللهم إنّ أطفال الحسين(عليه السلام) عطاشي! وحمل علي القوم وهو يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفار

وأبشري برحمة الجبار

مع النبي سيّد الأبرار

وجملة السادات والأخيار

قد قطعوا ببغيهم يساري

فأصلهم يا ربّ حرّ النار

ثم حمل علي القوم ويداه تنضحان دماً، فحملوا عليه جميعاً فقاتلهم قتالاً شديداً، فلمّا رأي القوم الظالمون أنّه سيصل بالقربة إلي الخيمة عجّلوا عليه فجاءه سهم، فأصاب القربة وأريق ماؤها، فوقف العباس(عليه السلام) آيساً من الحياة، لأنّه إنما كان يقاتل ليوصل الماء إلي الشفاه الذابلات من أطفال آل البيتول، فلمّا وقف العباس(عليه السلام) وقد كضّه العطش ونزف الدماء أحاط به القوم فرماه لعين بسهم في صدره وضربه رجل منهم بعمود حديد(2)

1- وروي أنّه عبد الله بن يزيد الشيباني.

2- عمود الحديد تسميه العامة اليوم ب-((الدبوس)) و ((الدنبوس)) وهو من أسلحتهم، وقد أشتهر بحمله في المعارك الحربية القديمة جماعة من أبطال العرب المسلمين مثل المقداد بن عمرو البهرائي المعروف بابن الأسود وحمزة بن عبد المطلب علي ما ذكر ومالك بن الحارث الاشتر.

ففلق هامته، وانصرع عفيراً علي الأرض يخور بدمه، وهو ينادي: يا أبا عبد الله! عليك مني السلام، يا أخا أدرك أخاك .

فلمّا سمع الإمام(عليه السلام) نداءه قال: وا أخاه وا عباساه وا مهجة قلباه!

فلمّا سمع الأطفال العطشي نداء الحسين(عليه السلام) وبكاءه خرجوا من الخيام دفعة واحدة وهم يبكون بكاءاً عالياً وألقوا بأنفسهم علي التراب وهم ينادون: العطش، العطش.

ثم حمل الحسين(عليه السلام) علي القوم وهم يفرّون بين يديه وهو يقول: أين تفرّون وقد قتلتم أخي وكسرتم ظهري؟!

وروي:

ص: 493

أنّ ذا الجناح وقف ولم ينبعث خطوة واحدة، فنظر الإمام(عليه السلام) وإذا بكفّي

أبي الفضل العباس(عليه السلام) علي الأرض، فنزل الحسين(عليه السلام) فأخذهما وجعل يمسحهما علي وجهه ويقبّلهما، وقال: لقد قتلوا أخي!

فركب مرّة أخري وهو ينادي: أخي عباس! ومضي قليلاً ثم وقف ذو الجناح ثانية، فنظر وإذا بالقربة ممزّقة وهي علي الأرض، فبكي ومضي حتّي وصل إلي الفرات، فرأي أخاه مقطعاً إرباً، وذلك أنّ القوم لمّا رأوا الحسين(عليه السلام) مقبلاً إلي أخيه أحاطوا بالعباس(عليه السلام) وهو صريع، وتكاثروا عليه وجعلوا يضربونه بالسيوف ويطعنونه بالرماح حتّي قطعوه إرباً إرباً، وأخذ بعضهم قطعاً من بدن العباس(عليه السلام) ورفعوها علي رؤوس الرماح.

قال القاضي أبو حنيفة النعمان في شرح الأخبار: قطعوا يديه ورجليه حنقاً عليه لما أبلي فيهم.

فكشفهم الحسين(عليه السلام) عنه ونزل إليه وأخذ رأسه أخيه، فضمّه إلي صدره وجعله في حجره وجعل يمسح الدم والتراب عنه، وبكي بكاءاً شديداً حتّي أبكي جميع من كان حاضراً وقال: جزاك الله من أخ خيراً لقد جاهدت في الله حقّ جهاده..

وفي البحار:

ص: 494

فلمّا رآه الحسين(عليه السلام) صريعاً علي شاطيء الفرات بكي وأنشأ يقول:

تعدّيتم يا شرّ قوم ببغيكم

وخالفتموا دين النبي محمد

أما كان خير الرسل أوصاكم به

أما نحن من نسل النبي المسدد

أما كانت الزهراء أمّي دونكم

أما كان من خير البريّة أحمد

لعنتم وأخزيتم بما قد جنيتم

فسوف تلاقوا حرّ نار توقّد

ثم خرجت النساء وبكين عليه وعلت أصواتهن بالبكاء والنحيب حتّي بكت لبكائهن ملائكة السماء، فأدخلهن الحسين(عليه السلام) إلي الخيام.

للشيخ المظفر

أبا الفضل أبكيت الحسين وإنّه

صبور علي جلّ الخطوب صليب

فلم يبكه إلا افتقادك إنّه

عظيم له تحت الضلوع ندوب

فلا لوم إذ يبكيك إذ قمت بالذي

يحقّ له والناصرون ضروب

فكنت له طوع الإرادة لم تهن

وأنت له دون الحماة حبيب

وقد كان أن يدعو أجبت ملبياً

فها هو يدعو ما يراك تجيب

ألم تسمع الصوت الذي قد دعا به

وأنت علي شاطي الفرات تريب

وكنت تجيب الصوت من أبعد المدي

فلم لا أجيب الصوت وهو قريب

***

ص: 495

بكاء سيّد الشهداء (عليه السلام)

لم ينفرد هـذا الناقل لبكاء الحسـين(عليه السـلام) علي أخيه العباس(عليه السـلام)، بل هو المشـهور عنـد أرباب المقاتل، وهو يكشف أنّ درجة العباس(عليه السـلام) أعظم الدرجات سـمواً وارتفاعاً وأسـماها مفخراً، إنّ من أجري افتقاده دمعة الحسـين(عليه السـلام) الصـبور، وأسبل مصابه عبرة الإمام(عليه السلام) الأبيّ الغيور، الذي يأنف أن يشاهد منه العدوّ الكاشح وهناً وانصداعاً، أو يري انكساراً، فيتجلّد تجلّد الأباة، ويصبر صبر الكرام، وقد بلغ من محافظته(عليه السلام) علي هذه الغاية السامية أن لايدع النساء يبكين خوفاً من شماتة الأعداء، أليس هو القائل لابنه علي الأكبر وأخيه العباس(عليهما السـلام) وقد سـمع بكاءهن عصر التاسع في خطابه للأعداء: أسكتاهن فلعمري إنّ البكاء أمامهن!

نعم، إنّ في الرجال من يسـتحقّ البكاء، ويسـتأهل أن تستدرّ العظماء عليه حلب أجفانها، وتسيل عصارة دموعها، هذا سيّد البشر أبو القاسم محمد رسول الله(صلي الله عليه واله) لم توازن ثباته الجبال الرواسي، ولم تعدل صبره الصمّ الصلاد قد جزع لعمّه حمزة بن عبد المطلب، ورثي لابن عمّه جعفر الطيار، وبكاهما وأستبكي لهما حيث قال في حمزة: ((لكن حمزة لا بواكي له))، وقال في جعفر:

((علي مثله فلتبكي البواكي)).

وما بكاهما إلا لعظمتهما وجلالـة قدرهما، وبكي عمّه أبا طالب(عليه السـلام) حين توفي وقال: ((وصـلتك رحم يا عمّ وجزاك الله خيراً))، وبكي ولده إبراهيم، فهذا البكاء دليل عظمة المبكي وبرهان سمّوه.

والـذي أبكي النبي(صـلي الله عليه واله) شديـداً علي عمّه حمزة أنّه وقف عليه فرآه ممثّلاً به أسوأ تمثيل، قد شقّ بطنه، وبقر عن كبده، وجدع أنفه وأذناه ومـذاكيره، كلّ ذلك من فعل آكلـة الأكباد هنـد جـدّة يزيد بن معاوية، فاشـتدّ بكاؤه عليه لذلك، وقال: وما وقفت موقفاً هو أغيظ لقلبي منه.

والحسـين(عليه السـلام) وقف علي أخيه العباس(عليه السلام) فرآه قد مثّل به، فرأي منه ما استاء له وتغيّظ منه، فاحترق قلبه حزناً، وترقرقت عبرته وجداً عليه حيث وجده مقطوع اليدين والرجلين، مفضوخ الهامة، دمه يسـيل مختلطاً بمخّ دماغه، السـهم قد نبت في عينه، ويروي أنّ سهماً شـكّه في قلبه، ولا ريب أنّه خرج من ظهره، لأنّه لم تبقي له يد ينتزع بها السـهم، أو يتلقّي بها الأرض إذا سـقط عن الجواد، خصوصـاً علي المروي: أنّ الذي ضربه بالعمود جاءه من خلف ظهره، فسقط علي وجهه، ويروي أنهم احتوشوه لمّا سقط حتّي وزّعوه بالسيوف.

وقد ورد في بعض روايات دفن الشهداء :

أنّه كلّما حمل منه جانب سقط جانب.

ومهما شكّكوا في صحّة بعض الروايات، فلا شكّ في فضخ الهامة وقطع الكفين وسهم العين، وإذا كان الحسين(عليه السلام) وجده مكبوباً علي وجهه، فالحالـة محزنـة، وإذا كان السـهم في القلب، فهو لا شكّ يلاقي الأرض فتدفعه بقوّتها وقوّة السـقوط من ظهر الجواد المشـرف، فيخرج السهم من قفاه لا محالة.

قاتل العباس

أمّـا قاتل العباس بن علي(عليه السـلام) فاختلف فيه العلماء فقيل: هو زرعـة بن شـريك الـدارمي من تميم، وقيل: زيـد بن رقاد الجنبي من مذحج، ويقال جهني من قضاعة، وقيل: حكيم بن الطفيل السنبسـي من طي، وقيل غير ذلك، والدارمي هو الذي صرّحت به الزيارة المروية عن صاحب الزمان عجّل الله فرجه، وأمّا الجنبي والسنبسـي فعليهما نصّ المؤرّخين، ولفظ أبي الفرج في المقاتل(1): عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر(عليه السلام): إنّ زيد بن رقاد الجهني وحكيم بن الطفيل الطائي قتلاً العباس بن علي(عليهما السلام)....

والجمع ممكن بأن يكون علي ما صرحت به الأخبار أنّ الجنبي قطع يمينه، والسنبسي قطع يساره، والدارمي ضربه بالعمود.

1- مقاتل الطالبين: 34.

وأمّا رواية سبط ابن الجوزي في التذكرة من أنّ قاتل العباس(عليه السلام) حرملة ابن الكاهن الأسدي فيمكن حملها علي أنّه مشترك معهم، لأنّه صاحب السهم الذي وقع في عينه المباركة، فيكون هؤلاء الأربعة قد اشتركوا في قتله، ويؤكّده رواية من روي أنّ حرملة صاحب السهم الذي وقع في قلبه.

انتقام الله تعالي من قتله العباس(عليه السلام):

أمّا الدارمي التعيس فقد عاقبه الله وجعله عبرة لأهل الجور والظلم فيما عاجل الله به قتلة الحسين(عليه السلام) من العقوبة في الدنيا.

وأمّا الجنبي والسنبسي، فأخذهما المختار وقتلهما، وكذلك حرملة.

صفة قتل الطائي:

ذكر الجزري والطبري واللفظ للأخير في تاريخه(1) قال:

ثم إنّ المختار بعث عبد الله بن كامل إلي حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي، وكان قد أصاب سلب العباس(عليه السلام)، فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه، ثم أقبل به، فذهب أهله فاستغاثوا بعدي بن حاتم، فلحقهم في الطريق فكلّم عبد الله بن كامل فيه، فقال: ما إليّ من أمره شيء، وإنما ذاك إلي الأمير المختار، قال: فإني آتيه، قال: فاته راشداً.

1- تاريخ الطبري 128/7 .

فمضـي عدي نحو المختار وكان قد شـفّعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشـيء من أمر الحسـين(عليه السلام)، فقالت الشيعة لابن كامل: إنّا نخاف أن يشفّع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث فدعنا نقتله، قال: شأنكم به.

فلمّـا انتهوا به إلي دار العنزيين وهو مكتوف نصـبوه غرضاً، ثم قالوا له: سـلبت ابن علي(عليه السـلام)ثيابه، والله لنسـلبنّك ثيابك وأنت حيّ تنظر، فنزعوا ثيابه ثم قالوا له: رميت حسـيناً(عليه السـلام) واتخذته غرضاً لنبالك وقلت: تعلّق سـهمي بسرباله ولم يضرّه، وأيم الله لنرمينّك كما رميته بنبال ما تعلّق منها بك أجزأك، قال: فرموه رشقاً واحداً، فوقعت به منهم نبال كثيرة فخرّ ميتاً.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو الجارود عمّن رآه قتيلاً كأنّه قنفذ لما فيه من كثرة النبل....

وبنو سنبس رهط الشقي حكيم بن الطفيل من قبائل طي.

أما صفة قتل ابن الرقاد:

فذكرها المؤرّخان المذكوران أيضاً، ونصّ الطبري(1) قال:

وبعث المختـار عبـد الله الشاكري إلي رجل من جنب يقال له ((زيـد بن رقاد))، وكان يقول: لقـد رميت فتي منهم بسـهم، وإنّه لواضع كفّه علي

1- تاريخ الطبري: 128/7 .

جبهته يتّقي النبل، فأثبت كفّه في جهبته، فما استطاع أن يزيل كفّه عن جبهته.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو عبد الأعلي الزبيدي أنّ ذلك الفتي عبد الله بن

مسلم بن عقيل، وإنّه قال حيث أثبت كفّه في جبهته: اللهم إنهم استقلّونا واستذلّونا، اللهم اقتلهم كما قتلونا، وأذلّهم كما ذلّونا، ثم إنّه رمي الغلام بسهم آخر فقتله، فكان يقول: جئته ميتاً فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه، ولم أزل أُنضنض السهم من جبهته حتّي نزعته، وبقي النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت علي نزعه.

فلمّا أتي ابن كامل داره أحاط به واقتحم الرجال عليه، فخرج مصلتاً بسيفه وكان شجاعاً!!!

فقال ابن كامل: لا تضربوه ولا تطعنوه برمح، ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة، ففعلوا ذلك به فسقط.

فقال ابن كامل: إن كان به رمق فاخرجوه، فأخرجوه وبه رمق، فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج روحه...

بنو جنب رهط هذا الشقي من مذحج.

أمّا صفة قتل ابن الكاهن:

ص: 501

فيروي الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الأمالي(1) بالإسناد إلي المنهال بن عمرو الاسدي قال:

ص: 502

1- الأمالي للطوسي: 149 .

دخلت علي علي بن الحسين(عليه السلام) منصرفي من مكّة فقال: يا منهال! ما صنع حرملة بن كاهن الأسدي؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة.

قال: فرفع يديه جميعاً فقال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار.

قال المنهال: فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة وكان لي صديقاً.

قال: فمكثت في منزلي أياماً حتّي انقطع الناس عنّي، فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال! لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهنئنا بها، ولم تشركنا فيها.

فأعلمته أني كنت بمكة، وأني قد جئتك الآن، وسايرته ونحن نتحدّث حتّي أتي الكناس، فوقف وقوفاً كأنّه ينتظر شيئاً، وقد كان أُخبر بمكان حرملة، فوجّه في طلبه، فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وهم يشتدّون حتّي قالوا: أيّها الأمير! البشارة قد أخذ حرملة بن كاهن.

فما لبثنا أن جيء به فلمّا نظر إليه المختار قال: الحمد لله الذي أمكنني منك، ثم قال: الجزار الجزار، فأُتي بجزار فقال: إقطع يديه، فقطعتا، ثم قال: إقطع رجليه، فقطعتا، ثم قال: النار النار.

فقلت: سبحان الله! فقال: يا منهال! إنّ التسبيح لحسن ففيم سبّحت؟

فقلت: أيّها الأمير دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة علي علي بن الحسين(عليهما السلام) فقال لي: يا منهال! ما فعل حرملة بن الكاهن الأسدي؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً وقال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار.

قال: فنزل عن دابّته فصلّي ركعتين، فأطال السجود، ثم قام فركب وقد أُحرق حرملة، وركبت معه وسرنا، فحاذيت داري فقلت: أيّها الأمير! إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتتحرّم بطعامي.

فقال: يا منهال! تعلمني أنّ علي بن الحسين(عليهما السلام) دعا بأربع دعوات فأجابه الله علي يدي، ثم تأمرني أن آكل؟! هذا يوم صوم شكرا لله تعالي علي ما فعلته بتوفيقه.

وسبب دعوة الإمام زين العابدين(عليهما السلام) علي حرملة خاصّة وأفراده بالدعاء عليه دون سائر قتلة الحسين(عليه السلام) لجرأته العظيمة علي الله لمقارفته فظائعاً شتي، منها ذبح الطفل الرضيع في حجر أبيه مع أنّه رمي العباس(عليه السلام) بسهم أصاب عينه، ورمي الحسين(عليه السلام) بسهم وقع في صدره، وهو غير سهم أبي الحتوف المحدّد الذي وقع في لبّة قلبه.

وتمثّل قساوته البالغة أقصاها امتناع العسكر من إجابة عمر بن سعد وإسراعه لما انتدبه عند إقبال الحسين(عليه السلام) بطفله المشرف علي الموت من الظمأ عبد الله الرضيع يستسقي له الأعداء، فسارع اللعين متقبلاً ذاك الاقتراح القاسي من الغوي قائد الغواة في أن يحسم نزاع العسكر،

فتحرّي عـدوّ الله رقبة الطفل البيضاء، واسـتهدف ومضة عنقه اللماعة التي تشعّ علي ذراع أبيه الحنون المنعطف، فسدّد المشوم رميته صوب هـدفه، وقرطس بسـهمه الناقع سـمّاً رقبـة الطفل الضـعيف الـذي يسـتدرّ عاطفة الحنان، ويسـتدعي حدب الإنسانية، فذبحه من الوريد إلي الوريد.

ويزعـم أقسـي الخليقة قلباً وأغلظ البشـرية كبداً أنّه رقّ لذاك الطفل الذي جيء به يسقي الماء السلسال، فسقي من دمه السيّال، متي زعـم هذا العاتي تلك الرقّـة المزعومة وانكسار الخاطر المكذوب حين أحسّ الطفل المغمي عليه من العطش بحرارة السـهـم الحادّ فاسـتخرج يده من القماط لائذاً بالأب العطوف، عائذاً بالوالد الحنون، معتنقاً إيّاه عناق وداع وفراق لا عناق استقبال وتلاق.

وربّ رضيع أرضعته قسيّهم

من النبل ثدياً درّه الثرّ فاطمه

فلهفي له مذ طوّق السهم جيدّ

كما زيّنته قبل ذاك تمائمه

ولهفي له لما أحسّ بحرّه

وناداه من طير المنية حائمه

هفا لعناق السبط مبتسم اللمي

وداعاً وهل غير العناق يلائمه

إنّ مثل هـذه لو صوّرها الخيال علي مسـرح الفكر لما تيقّن صـدق هـذه المخيلـة الشاذة بتصوير مثل هذه البشـعة النكراء، فكيف إذا كانت حقيقة وواقعة من إنسان العدوان، إنسان القسوة، إنسان الجلفية، قد قلنا أنّه إنسان إفهاماً وتفهيماً في التمثيل، وإلا فإنّه شـيطان متمرّد تشـكّل بصورة إنسان، ومارد متشيطن تقمّص بقالب بشر، بل سبع

نهم وذئب مقرم يقضم بأنياب مطامعه لحوم التوحيد، ويقطع بنواجذ شرهه أعصاب الدين.

ولعظم هذه الجريمة وفظاعتها وضع الحسين(عليه السلام) يده تحت نحر الطفل حتّي إذا

امتلأت من دمه رمي بها إلي أُفق السـماء قائلاً: اللهم لا يكن أهون عليك من فصيل، ولا غرابة أن لا يرجع إلي الأرض من ذلك الدم الطاهر الزكي قطرة، ولا عجب لو ترشـفته السـماء الصافية الأديم ترشـفاً، وطرّزت به آفاقها، ولوّنت به شفقها المحمر دوماً، ليترجم للأجيال القادمة فعال تلك العاصبة الشريرة.

وهذا الجرم العظيم وهذه الجرأة البالغة وغيرها استدعت من الإمام السجاد(عليه السلام) الاهتمام بالدعاء عليه خاصّة، ولعلّ اختيار إعدامه حرقـاً لأنّ هـذا اللعين قـد أحرق بفعله قلوباً: قلب أُمّه الرباب المصابـة بوحيـدها، وقلب أبيه المـذبوح طفله علي ذراعيه، وقلوب آل البيت جميعاً من حضر منهم كربلاء ومن لـم يحضر، وقلوب شيعتهم إلي يوم القيامة، اللهم أذقه حرّ النار، استجاب الله لك يا أبا محمد.

ص: 506

مرقد العباس(عليه السلام)

مرقد العباس(عليه السلام) حيث يزار الآن باتفاق الناس لم يخالف في ذلك مخالف لتظافر النصوص الواردة في دفن الشهداء:، وأنهم دفنوا كلّهم حول قبر الحسين(عليه السلام) إلا الحرّ بن يزيد الرياحي والعباس(عليه السلام) دفن حيث سقط.

السرّ في إبقائه حيث سقط:

إنّ الحسين(عليه السلام) لم يحمل العباس(عليه السلام) إلي خيمة الشهداء كما حمل إليها بقية الشهداء من أصحابه وأهل بيته، لأنّه(عليه السلام) نصب خيمة في وسط المعركة يحمل إليها كلّ من استشهد من أصحابه وأهل بيته، وربما أفردها من المخيم وجعلها وسط لدواعي عديدة منها:

الداعي الأوّل:

الداعي الحفاظي وذلك أنّه(عليه السلام) من لباب أرباب الحفاظ والشيم

وسـادات أرباب الغير والحميـة الـذين يغارون علي الحرم، ويغالون في صونها ببـذل المجهود، وبكلّ ما في وسع الجهود، وفي جيشه نساء مخدّرة، وعقائل محترمة مصونة بصـيانة الجلالة والعظمة، ومسترة بستر الاحترام والتجلّة، مرخي عليها رواق الحشمة والعظمة، والمرأة مهما كانت محتفظـة بوقارها مبالغـة في التمسك بسترها إذا رأت بعينها فقيـداً عزيزاً تنـذهل، وقـد يغلبها الجزع لعظم الصدمة، فتلهوا عن الوقار، وتـذهل عن الاحتشام، وربما تبـدو حاسـرة أو تظهر سافرة مكشوفـة الوجه للنظار، فإنّ المـذهول المنـدهش لخوف شديد أو لصدمة جائحة ممضّة لا يحتفظ كما في آنات الأمن والسرور.

وقد قال الربيع بن زياد أحد بني عبس ورئيسهم في الجاهلية في رثائه مالك بن زهير العبسي لما قتلته فزارة:

من كان مسروراً بمقتل مالك

فليأتي نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه

يلطمن أوجههن بالأسحار

فمحافظة علي هذه المقاصد العليا والغايات الشريفة أبعد أشخاص الشهداء عن أعين العقائل، فالحسين(عليه السلام) حافظ تمام المحافظة علي عـدم إزعاج العقائل من خـدورهن كي لا تصاب لمذهولـة غرّة، وتنال من مـذعورة غفلة بسـقوط خمار أو رفع برقع أو كشف نقاب عن وجه محجبة لا زال تصونه النبوة بقداستها ويستره الوحي بجلاله.

فلم يحمـل أخـاه العبـاس(عليه السـلام) إلي هـذه الخيمـة التي تجمع الشـهداء من أنصـاره وأهـل بيته، والتي هي غير بعيـدة عن المخيم الحسيني، ولا نائية

عن أخبية النساء.

الداعي الثاني:

راعي في إبقـاء العباس(عليه السـلام) في موضع سـقوطه غير ما ذكرنا أمور أخري تشفّ لمتأمّلها عن عظمـة شأنه، وترمز إلي شـموخ محلّه وسمو منصبه، إذ أنّه عنوان الفضائل ورمز الجلالة:

إنّه(عليه السلام) قصد بذلك إظهار فضيلته المستقبلة، وإبانة جلالته في الأجيال الآتية، ليعرف قدره، ويستبين تفوّقه الذي يلتئم مع شخصيته الفذّة، ويتّفق مع أهليته، فأحبّ لذلك أن يبقي هناك، ليدفن في موضـعه حتّي يكون له قبر مشيّد بانفراده، وعلم ظاهر، ومرقد مشهور، فيمتاز بعـد وفاته كما امتاز في حياته، وليبقي ذاك القبر المقدّس، والضـريح المتسامي للضـراح، والقبّة السامقة تفاخر نجوم الثريا شـموخاً وارتقاء، ويبقي ذاك المرقـد المنيف مقصـد العـدوّ الـذي يسـمّيه الإمام العباس(عليه السـلام)، والولي الذي يسـمّيه قاضـي الحاجات علي السواء، وليخضع الجريء في أعتابه فيقول بعامّيته: ((الترهب بيبانه))، هذا سرّ واضح يتجلّي لنا نوره متألّقاً.

الداعي الثالث:

إنّه(عليه السلام) حين صرع أخوه العباس(عليه السلام) لم يبق معه أحد من أنصاره

وأهـل بيته من يحمله، فـإنّ العبـاس(عليه السـلام) كـان بطلاً ممتـازاً بالجسامـة، ومعروفاً بالضـخامة، فيحتاج إلي من يحمله ليحامي عن الحسين(عليه السلام)، ويدفع عنه الأعداء، فإنّه لو حمله هو بنفسه ما وجد له من يحمي ظهره من العدوّ الغادر الذي يتحيّن الفرص في قتله، ويتحرّي الوصول إلي القضـاء عليه بكلّ ما أمكنه من جهود، وحيث لا حيّ في الخيام ممّن له قابليـة الـدفاع، لأنهم قتلوا وجرحوا جراحات تمنعهم من الجلاد، فإذن ليس إلا الإمام العليل(عليه السـلام) الـذي أسـقط عنه الدفاع عدم التمكّن من القيام، وعدم الاسـتقلال بالنهوض وحـده إلا متوكئاً علي شـيء أو معتمـداً علي إنسان، ومن كان بهـذه الصـفة لا يسـتطيع أن يحمي ظهر المحارب الذي شُغل بالحمل عن الحملة، وهناك صبية صغار ونسوة مذاعير، فلا مجال لحمله(عليه السلام) ولم تسنح فرصه لنقله.

الداعي الرابع:

إنّ الحسـين(عليه السـلام) لمّا وصل إلي أخيه العباس(عليه السـلام) عقيب ندائه: أدركني يا أخي، وشقّ إليه الصـفوف العدوانية المتكدّسة علي مصـرعه شـقّاً، وصـدع جموعهـا بجولته ألفـاه بآخر رمق من الحياة يكاد أن يلفظ آخر نفسه له، وما كلّمه تلك الكلمات الوجيزة الحارّة اللاذعـة إلا ولفظ مع آخرها روحه الزكيـة، وختم بها حياته الطيبـة، ولا معني لحمل من حضـره الموت الذي لابد منه مع أنّ الغرض الذي يحمل من أجله الشهداء، وهو الخوف من أن يجهز العدو علي الجريح قد زال بوفاته،

فأبقاه في موضعه.

الداعي الخامس:

إنّ في المخيّم من نساء وأطفال وجرحي في خيمة القتلي كانوا جميعاً غير مرتاعين ولا منزعجين وحياة العباس(عليه السلام) قائمة، واثقين شبحه قائماً في المعركة يجالد الأعداء، فهم في منعة، وأملهم وطيد بأنّه سيّدفع عنهم التعدّيات العدوانية، وإنّه يقوم بالدفاع المشترك مع أخيه الحسين(عليه السلام) والتعاون معه، وبذلك الدفاع الثنائي من الأخوين سيكون المخيم كعرينة الليث، وسيبقي المنزل العائلي كغابة الأسود تزأر أمامها السباع الضواري، وما دامت الأسود تهدر والنمور تزأر لا تدنو الوحوش، فلا تقترب الذئاب الساغبة فيها، فإذا هذا الصوت الأسدي الصاخب من ناحية اقتحامها الذئب المخاتل هذا، ويرون أنّ حياة الحسين(عليه السلام) مضمونة بضمان السلامة ما قام أبو الفضل ينافح عنه ويكافح دونه، وقد جعل نفسه وقاية له، وحياته فداء لحياته، فإذا حمله إلي الخيمة، فإنهم ولا شكّ إذا رأوه قتيلاً يرتاعون أشدّ الارتياع، ويندهشون أعظم الاندهاش، ويخالجهم الرعب والذعر الذي لم يخالجهم وشخصه بالوجود، ويحسبون لقتل الحسين(عليه السلام) ألف حساب، وقد عقدوا فيه آمالهم، فإذا قتل العباس(عليه السلام) فإنّه سيستقتل ويستهدف للأعداء ويصحر لهم وقد فقد المحامي والمدافع لا ريب في ذلك، لأنّه مطلوب أهل الكوفة،

والغاية المقصودة من تحشدّهم، وقد فتحت الثغرة بقتل العباس(عليه السلام)، ولاحت الثلمة في الحصّ لرامقها، فترك العباس(عليه السلام) في موضع سقوط متعين لهذه المصلحة الحربية، والحسين(عليه السلام) معروفة مهارته الحربية، وخبرته بفنون القتال، فهو القائد المحنّك، والزعيم المجرّب، فإبقاء الفقيد العزيز في موضعه أقرب للمصلحة الحربية من تهايج النساء المذعورة، وهيجان الصبية المرعوبة، فإنّ إزعاجها وقلقها يزعج راحة قلب الغيور ويقلقه.

الداعي السادس:

إنّ بعض أهل المقاتل يصرّح أنّ العباس(عليه السلام) أحبّ ذلك واختاره لأمرين:

إحدهما: ما ذكرنا في نزول الموت به.

وثانيها: الاستحياء من الوعد الذي قطعه لسكينة(عليها السلام) بإحضار الماء لها، ولم يأتها به لحيلولة الأقدار دون ذلك، فأقسم علي أخيه الحسين(عليه السلام) بحرمة جدّه رسول الله(صلي الله عليه واله) أن يدعه في مكانه، ولا خفاء أنّ خلف الوعد ولو كان لسبب قهري صعب عند ذوي الشهامة والمروّة، والاعتذار عسير عند صاحب الإباء والحفيظة، ونفس العباس(عليه السلام) الحرّة، وشعوره الحي، ويقظته الوقّادة تأبي أن تتوسّم في ملامحه، أو ترتسم في أسارير غرّته الغراء آثار الخلف وعدم الوفاء بالموعود، ولو كان بغير اختيار لغلبة الأقدار وحيلولة القضاء بينه وبين مبتغاه،

وعرقلة المنيّة لنجاح مسعاه والفوز والظفر بموعوده.

وهنا يقول اليزدي في مصائب المعصومين(1): روي في بعض المقاتل أنّه لمّا رأي الحسين(عليه السلام) أخاه العباس(عليه السلام) قد وقع علي الأرض مقطّع الأعضاء مزمّل بالدماء بكي بكاء عالياً، فقال له: هل من وصية؟

قال: يا أخي! وصّيتي أن لا تحملني إلي الخيام ما دمت حيّاً.

فسأله عن سببه؟ قال: إني أستحي من سكينة، لأني ما قدرت علي إتياني لها بشربة من الماء، ثم ارتحل روحنا لروحه الفداء.

هكذا تجد النفوس الزكية والأرواح الطيبة إن نظر الموعد إلي وجه الموعود كسراً وهضماً، إذ لم يبلغه الأمل ولم يوصله إلي البغية ولم يمكنه من المراد.

الداعي السابع:

يظهر من بعض المقاتل ما يمكن أن نعدّه سبباً آخر، وهو أنّ جسد العباس(عليه السلام) قد وزّعته أسلحة الأعداء توزيعاً، وفصّلته مفاصلاً وآراباً بحيث لا يمكن حمله لتساقط أعضائه، فيحتاج في حمله إلي وعاء ((سدية)) لتجمع أعضائه الموزّعة، وهذا غير بعيد عن النظر الدقيق، فإنّ التفكّر في قسوة جيش السقيفة، وغلظة أكباد أُمرائه وقوّاده

1- مصائب المعصومين: 360 .

وجلفيتهم وأخلاقهم الجافية في عموم بني الإنسان، فإذا أُضيف إلي هذا بغضهم لآل علي(عليه السلام) الذي أباد أسلافهم في حروبه ونظر إلي حنقهم الزائد علي العباس(عليه السلام) خاصّة، وتأثّرهم من حدّ صارمه الخاطف في ساحة الجلاد، والذي نثر جماجم أعيانهم وهام أبطالهم علي وهاد كربلاء قادهم إلي التشفّي الغليظ الشائك منه بتوزيع أشلائه المباركة غيظاً وحنقاً عليه.

روي في بعض الكتب: أنّ من كثرة الجراحات الحالّة عليه لم يقدر الحسين(عليه السلام) أن يحمله إلي محلّ الشهداء، فترك جسده الشريف في محلّ مقتله ورجع(عليه السلام) باكياً إلي الخيام..

***

ويلزمنا هنا بيان أمرين:

أحدهما: دفن الشهداء كيف كان؟

ثانيهما: التعريف بكربلاء القديمة وبعض قراها، لتعرف ((الغاضرية)) و((نينوي)) و((العقر))..

دفن الشهداء وأين دفنوا؟

إنّ أبا الفضل(عليه السلام) بدون ارتياب ولا تشكيك دفن علي مسناة

العلقمي، وهذا متواتر في النقل، وعليه عمل الشيعة من حين دفنهم إلي يومنا هذا.

قال فخر الدين الطريحي في المنتخب(1): وأمّا العباس(عليه السلام) فإنّه دفن ناحية منهم في موضع المعركة عند المسناة، وقبره ظاهر علي ما هو الآن.

وقال السيّد الداودي في العمدة(2): وقبره - يعني العباس(عليه السلام) - قريب من الشريعة حيث استشهد، وكان صاحب راية أخيه الحسين(عليه السلام) ذلك اليوم..

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد(3): ودفنوا العباس بن علي(عليهما السلام) في موضعه الذي قتل فيه علي طريق الغاضرية حيث قبره الآن.

وقال ملا محمد حسن القزويني في رياض الأحزان(4):

1- منتخب الطريحي: 18/1 .

2- العمدة: 323.

3- الإرشاد: 258.

4- رياض الأحزان: 38 .

اتفق أهل السير وأرباب الخبر علي أنّ قوماً من بني أسد جاؤوا إلي مصرع الحسين(عليه السلام) بعد أن خلت ساحة ذلك البرّ من سواد العسكر لدفن تلك الجثث الشريفة والأجساد المطهّرة والأبدان المنوّرة، ولم يتعرّض أحد ممّن يعتمد عليه لبيان موجب انبعاثهم لذلك.

نعم حكي السيّد الجزائري: أنّ ما رآه زراع العلقمي وسمعه دعاه إلي ذلك من غير ذكر منه وبيان أنّه أخبر بني أسد بما ظهر له، فوافقه منهم جماعة علي عزيمة الدفن أم لا؟ وإن كان شراء الحسين(عليه السلام) ما شراه من أرض كربلاء من أهل الغاضرية مع إخباره إيّاهم بشهادته وشهادة أصحابه، وكانت تلك الأرض مدفناً لهم وحفرة وتربة، وشرط عليهم ما شرط بعد حبس الأرض أنهم جاؤوا لدفنه وفاء ببعض ما شرطوا له(عليه السلام) .

وفي بعض ما ألّف في المقتل:

ص: 516

أنّ نساء الغاضـرية بعد ما مضي الموعد وشاع ذكر قتله(عليه السلام) اجتمعت وقالت للرجال: ألا تذهبون إلي مصارع آل الرسول تواروهم وتحرسونهم من السباع وعسلان القاع؟ أما تخافون الله؟ أما تؤمنون برسول الله(صلي الله عليه واله)؟

فقالوا لهن: نعم لكن نخاف من العتل الزنيم عبيد الله بن زياد أو ما علمتن ما صنع بآل الرسول وأولاد فاطمة البتول؟

فقلن لهم: إن كنتم تخافون علي أنفسكم وعلينا منه، فإنّا لا نخاف علي أنفسنا وعليكم، ونذهب الآن إلي دفن أجساد الشهداء، وأنفسنا لهم الفداء، والله يعطي الجزاء .

فلمّا قلن ذلك صحن وضججن وتهيئن للخروج بآلات الحفر للقبور، فحين ما رأي الرجال والفتيان هذا من النسوان أخذتهم الغيرة والحمية!!! وأقبلوا لمصارع

الشهداء لدفنهم ومواراتهم.

قال: إنّ جسد الحسين(عليه السلام) مع من كان معه من الشهداء كان ملقي ثلاثة أيام في عرصة كربلاء، فجاءهم أهل الغاضرية، والغاضرية قرية علي شاطئ الفرات، وكانوا من بني أسد، فأقبلوا إليهم وقالوا: يا للمسلمين! تلك الجثث والأجساد عرضة للأسود والذئاب! كلا والله فاتقو الله واحذروا من غضبه، فاجتمع عند ذلك كلّهم وجاؤوا إليهم، فأخبروهم ودفنوا جثة الحسين(عليه السلام) هناك بلا رأس، ودفنوا علي بن الحسين عند رجليه وسائر الشهداء في الموضع المعروف إلا العباس بن علي(عليهما السلام)،

فإنهم دفنوه في مصرعه علي طريق الغاضرية..

وقال صاحب رياض الأحزان، قال(1): وفي كامل الزيارة: إنّه لمّا ارتحل عمر بن سعد – لعنه الله – مرّ بالشهداء قوم من بني أسد مرتحلين من الغاضرية، فلمّا وصلوا كربلاء رأوا حالة الشهداء أقاموا ودفنوا الحسين(عليه السلام) وحده وعلي بن الحسين(عليهما السلام) عند رجليه والعباس بن علي(عليهما السلام) في شاطئ العلقمي، والباقين من الشهداء في حفرة عظيمة دفنوهم بأسرهم في موضع واحد، وأشخص أقرباء الحر بن يزيد جثته إلي قبيلتهم فدفنوه هناك.

وأطال في نقل الأقوال، ولا حاجة بنا إلي الإطالة في النقل بعد العلم بأنّ المباشر لدفن الشهداء هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)، وأعانه علي ذلك بنو غاضرة من بني أسد.

ويهمّنا بيان اُمور:

أحدها: أين قبور العلويين وقبور أنصار؟

ثانيها: كم مكثوا بلا دفن؟

ثالثها: هل استقلّ الأسديون بدفنهم أم أعانهم غيرهم؟

الجهة الاُولي: قبور الشهداء

تصرّح الأحاديث أنّ الشهداء حفرت لهم حفيرتان:

1- رياض الأحزان: 39 .

واحدة: للعلويين ممّا يلي رجلي الحسين(عليه السلام).

والثانية: لأنصارهم خلف حفرتهم.

كما صرّحت أخبار أُخر أنّ الحائط أو الحائر - علي الأصحّ - محيط بهم، ولأجل أن نفقه رمز مجموعة الأخبار، لنستنتج منها صورة واضحة نفهم منها امتداد هذه الحفرة إلي أين ينتهي، يجب علينا أن نفهم عدد هؤلاء الشهداء بالضبط وكيفية الدفن.

لا ريب أنّ أقلّ ما روي في شهداء بني هاشم ثمانية عشر، وفي الأنصار سبعين، هذا هو المتيقن، لأنّه أقلّ الأقوال، وهم أكثر من ذلك قطعاً، ويتفسّح في جانب الكثرة.

فإذا قلنا: أنّ الدفن هو الشرعي، لا أنهم جمعوهم جمع الحاجيات في المستودعات، فلابد أن يشقّ لكلّ واحد في الحفيرة ضريح لا يقلّ عرضه عن متر واحد، فإذا قست ثمانية عشر متراً من رجلي الحسين(عليه السلام) إلي الرواق الشرقي استوعبت قبور الهاشميين الرواق الشرقي كلّه، وربما أخذت من الصحن شيئاً، إذ مسافة الساحة من رجلي الحسين(عليه السلام) إلي الرواق الشرقي لا يزيد عن هذا المقدار إن لم تنقص عنه.

وإذا انتقلنا إلي حفرة الشهداء كذلك بجعل الواحد إلي جنب الآخر نحتاج إلي سبعين متراً - علي الأقلّ - باتجاه سور الصحن الشرقي إن لم يزد عن هذا المقدار فلا ينقص عنه، فلابد أن تكون مساحة مراقد الشهداء أوسع من هذه الدائرة الضيقة المحصورة في الرواق الحسيني.

ولا يعقل أن يجزم بها إلا علي إلغاء الدفن الشرعي، وجعلها مستودعات

للجثث الواحدة فوق الأخري، كمستودعات أكياس الحبوب، وهذا ما لا يجوز التفوّه به، ومحال أن يفعله الإمام زين العابدين(عليه السلام)، بل حتّي لو اقتصرنا علي الأسديين محال أن يفعلوا ذلك وهم عقلاء مسلمون أنهضتهم حمية الدين واقامتهم غيرة الإسلام علي مواراة خير رجاله ونخبة أبنائه أن يستهينوا بهم ويقذفوا بهم في الحفر كما تقذف السلع في المستودعات، وفيهم من رهط النبي(صلي الله عليه واله)، ومن عباد الله الصالحين أهل النسك والزهد والعبادة، فليعمل من شاء فكره الدقيق ليظهر له ما ظهر لنا، ونرجوا من الله التسديد.

فلنتق الله ولنحذر انتهاك حرمة أجساد الشهداء الطاهرة لخير الأصحاب، زواراً ومتولّين وقائمين علي خدمة الروضة الحسينية المقدّسة، ولا شكّ أنّ الاحتياط في احتجاز الجانب الشرقي من الصحن الشريف ممّا يلي رجلي سيّد الشهداء(عليه السلام) بالمقدار الذي يقطع الزائر أنّه لا يمشي علي تلك الجثث الزواكي الطواهر ولا يعلوها بقدمه، فإنّ في ذلك من الآثار ما هو غاية في الخطورة وغاية في الهبوط وإساءة الأدب والانحدار، كما أنّ فيه آثاراً تكوينة تؤذي الزائر وتحرمه الكثير من الفيوضات، وما ضرّنا أن يكون الشبّاك المقدّس كبيراً يسمح لأكثر الزوار أن يتمسكوا به علي كثرتهم.

وهذا الأمر يخصّ بالدرجة الأولي العلماء وذوي الوجاهة وأصحاب الكلمة المسموعة، والقائمين علي خدمة الروضة الحسينية المقدّسة، ولو

أنّهم أعرضوا عن ذلك وتركوا الاهتمام به – والعياذ بالله – لأيّ سبب كان، فهو لا يسوّغ للزائر أن يرتكب مثل هذه الوقاحة.

الجهة الثانية: بقاء الأجساد الطاهرة بلا دفن ثلاثاً

قد شاع علي ألسنة المؤرّخين واقتبسه مهم الشعراء أنّ الحسين(عليه السلام) بقي ثلاثة أيام بلا دفن، وقد يتوهّم المتوهّم من قول الطبري وابن الأثير وابن كثير من مؤرّخي

العامّة، وهما ناقلان عن الطبري، ومن كلام الشيخ المفيد وابن شهر آشوب وابن طاوس من مؤرّخي الشيعة أنّ بني أسد دفنوا الشهداء بعد قتلهم بيوم، فيكون دفن الشهداء يوم الحادي عشر، وهذا خطأ، فقد نصّ أهل هذا القول علي ارتحال عمر بن سعد – لعنه الله – بعد إكمال اليوم الحادي عشر، كما هو في قول الطبري في التاريخ بعد أن ذكر أنّه أرسل رأس الحسين(عليه السلام) يوم مقتله إلي ابن زياد قال(1): وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري، فأذّن في الناس بالرحيل إلي الكوفة...، ومثله قال ابن الأثير وابن كثير.

وقول الطبرسي في إعلام الوري(2): وأقام هو – يعني ابن سعد – بقيّة يومه واليوم الثاني إلي الزوال، ثم نادي في الناس بالرحيل وتوجّه نحو الكوفة..

1- تاريخ الطبري: 262/6.

2- إعلام الوري: 148.

وهنا نفهم أنّه لا يتمّ لهم رحيل إلا ليلة الثانية عشر، ولا تبلغ الأخبار برحيلهم إلي بني أسد إلا يوم الثاني عشر لانقطاع المارّة هيبة ورهبة للجيش، فإن كانوا في حيّهم نزولاً فقد يجوز أنهم دفنوهم في اليوم الثاني عشر، وهو ثالث يوم قتلهم، فيكون بقاؤهم بلا دفن يومان ونصف.

وإن كانوا في البادية قد فرّوا من وجه جيش عمر بن سعد – لعنهم الله – علي ما هو المروي والعمل عليه اليوم، فيكون رجوعهم إلي حيّهم يوم الثاني عشر بعد التيقّن لارتحال الجيش، فيعودون مساءاً – يعني ليلة الثالث عشر – ويغدون صباحاً علي دفن الشهداء لا يكون ذلك الوقت إلا وقت فراغهم من إصلاح منازلهم، فتكمل ثلاثة أيام ملفقة، وهذا هو الموافق لما نصّ عليه الدينوري، قال في الأخبار الطول(1): وأقام عمر بن سعد – لعنه الله – بعد مقتل الحسين(عليه السلام) يومين، ثم أذّن في الناس بالرحيل...

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا، قال الشاعر كما في رياض الأحزان:

يا عين جودي بالدموع فإنّما

يبكي الحزين بحرقة وتفجّع

يا عين ألهاك الرقاد بطيبة

عن ذكر آل محمد بتوجّع

باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم

بين الوحوش وكلّهم في مصرع

وقال الشريف الرضي من قصيدة في رثاء جدّه الحسين(عليه السلام):

1- الأخبار الطوال: 256.

للّه ملقاً علي الرمضاء غصّ به

فم الردي بعد إقدام وتشمير

تحنو عليه الربي طوراً وتستره

عن النواظر أذيال الأعاصير

تهابه الوحش أن تدنوا لمصرعه

وقد أقام ثلاثاً غير مقبور

الجهة الثالثة: الإمام لا يدفنه إلا إمام

وذلك في حضور الإمام زين العابدين(عليه السلام) بكربلاء وقت دفن الشهداء لأجل مواراة تلك الأجساد الطيبة والأبدان الزاكية، وإنزال كلّ جثمان في حفرته، وإلحاد كلّ جسم مطهّر في قبره، فالناس في هذا صنفان، وفي إثباته ونفيه فريقان:

الصنف الأوّل يقول: دفنهم أهل الغاضرية وسكت، ولم يصرّح بانفرادهم، وإنهم استقلّوا بدفنهم، ولم يصرّح بالنفي لاشتراك أحد معهم.

الصنف الثاني: يثبت حضور الإمام زين العابدين(عليه السلام) في ذلك الوقت، وهو الذي تولي مواراة الشهداء ودفنهم، وبيده أنزل أباه الحسين(عليه السلام) إلي ضريحه المقدّس، وهذا هو الأوفق بمنهج مذهب الجعفرية، وأُصول قواعد الإمامية، بل هذه العقيدة أصل من أُصول مذهب الإثني عشرية من أنّ المعصوم لا يتولي أمره إلا المعصوم، وقد دلّت عليه الأحاديث الصحيحة عن أئمة أهل البيت: واحتجّوا به علي مخالفيهم.

وأصل ذلك توصيه النبي(صلي الله عليه واله) أن لا يغسّله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وأمر أمير المؤمنين علي(عليه السلام) للفضل بن العباس بن

عبد المطلب لمّا دعاه لمعاونته علي تجهيز النبي(صلي الله عليه واله) أن يعصّب عينيه معلّلاً ذلك بأنّه لا يري أحد من النبي(صلي الله عليه واله) في تلك الحال إلا طمست عيناه، وقد روته أهل الخلاف في كتبها، ولذكره محلّ آخر، ومعناه أنّ النبي(صلي الله عليه واله) معصوم لا يطلع عليه إلاـ معصوم، وأمير المؤمنين معصوم دون الفضل، فاحتاج الفضل إلي شـدّ عينيه دون أمير المؤمنين علي المعصوم، وقصـدنا ها هنا إيراد ما روته الشيعة، فإنّه معتقدها وافقها الخصم أمّ لا.

روي أبو عمرو الكشي في كتابه(1) عن إسماعيل بن سهل قال: حدّثني بعض أصحابنا وسألني أن أكتم اسمه قال:

1- رجال الكشي: 289 .

كنت عنـد الرضـا(عليه السـلام) فـدخل عليه علي بن أبي حمزة وابن السـراج وابن المكـاري – هؤلاء من الواقفـة – فقال له ابن أبي حمزة – البطائني –: ما فعل أبوك؟ قال: مضـي، قال: مضـي موتاً(1)؟ قـال: نعم، قال: علي من عهـد؟ قال: إليّ، قال: فأنت إمام مفترض الطاعـة من الله؟ قال: نعم .

قال ابن السراج وابن المكاري: قد والله أمكنك من نفسه!

قـال: ويلكما وبما أمكنت؟ أتريـدان أن آتي بغـداد وأقول لهارون أنا إمام مفترض الطاعـة، والله ما ذاك عليّ، وإنما قلت ذلكم عنـدما بلغني اختلاف كلمتكم وتشتّت أمركم، لئلا يصير سرّكم في يد عدوّكم.

قال له ابن أبي حمزة: لقد أظهرت شيئاً ما كان يظهره أحد من آبائك ولا يتكلّم به.

قال: بلي لقد تكلّم خير آبائي رسول الله(صلي الله عليه واله) لمّا آمره الله أن ينذر

1- التعبير بالموت ليس مقابل القتل، وإنما مقابل الغيبة.

عشيرته الأقربين جمع أهل بيته أربعين رجلاً وقال لهم: أنا رسول الله إليكم، فكان أشدّهم تكذيباً له وتأليباً عليه عمّه أبو لهب، فقال لهم النبي(صلي الله عليه واله): إن خدشني خدش فلست بنبي،

هذا أوّل ما أبدع لكم آية النبوة، وأنا أقول: إن خدشني هارون خدشاً فلست بإمام، هذا أوّل ما أبدع لكم من آية الإمامة.

فقال له علي – يعني ابن أبي حمزة –: إنّا روينا عن آبائك أنّ الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله!

فقال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): فأخبرني عن الحسين بن علي(عليهما السلام) كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن ولي أمره؟ قال: علي بن الحسين(عليهما السلام).

قال: وأين كان علي بن الحسين(عليهما السلام)؟

قال: كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد.

قال: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتّي ولي من أمر أبيه ثم انصرف.

فقال أبو الحسن(عليه السلام): إنّ هذا الذي أمكن علي بن الحسن(عليه السلام) أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه، فهو أمكن صاحب هذا الأمر – يعني نفسه – أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف، وليس في حبس ولا في إسار،

إلي آخر الحديث، ورواه الصدوق في عيون أخبار الرضا(عليه السلام) وغيره من كتبه.

وروي الكليني في أُصول الكافي(1) باب أنّ الإمام لا يغسّل له إلا إمام من الأئمة بسنده عن أبي معمر قال: سألت الرضا(عليه السلام) عن الإمام يغلسّه الإمام؟ قال: سنّة موسي بن عمران.. وذكر أحاديثاً غيره.

قال صاحب رياض الأحزان(2): قد قال أبو إبراهيم - يعني الكاظم(عليه السلام) - لمسيب بن زهير في حديث طويل: إنّ الملعون سندي بن شاهك يزعم أنّه يرتكب تغسيلي وتكفيني، هيهات هيهات، لا يكون هذا أبداً، فإنّ الأنبياء العظام وأوصياءهم لا يغسّلهم ولا يكفّنهم إلا نبي أو وصيّ نبي...إلي آخر ما ذكر فإنّه عقد فصلاً

لإثبات هذا أطال فيه، ولا معني للتطويل في إثبات أمر هو ثابت عند الإمامية ومن أساسيات عقائدهم.

حضور الإمام زين العابدين(عليه السلام)

ص: 527

1- أُصول الكافي: 151.

2- رياض الأحزان: 41 وما بعدها.

قال الفاضل الدربندي في أسراره: روي السيّد نعمة الله الجزائري في كتاب مدينة العلم عن رجاله عن عبد الله الأسدي أنّه قال:

ص: 528

كـان إلي جنب العلقمي حيّ من بني أسـد، فتمشّت نساء ذلك الحيّ إلي المعركـة، فرأين جثث أولاد الرسول وأفلاذ حشاشـة الزهراء البتول وأولاـد علي أمير المؤمنين فحـل الفحول وأولاـدهم في هاتيك الصـحاري وتلك القفار تشـخب الـدماء من جراحاتهم، وقلن لأزواجهن ما شاهـدنه، ثم قلن لهم: بم تعتـذرون من رسـول الله(صـلي الله عليه واله) وأمير المـؤمنين وفاطمـة الزهراء إذا وردتم إليهم أنّكم لم تنصـروا أولادهم ولا دافعتهم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح ولا بحذفة سهم؟

فقالوا لهن: إنّا نخاف من بني اُمية.

وقد لحقتهم الذلّة وشـملتهم الندامة من حيث لا تنفعهم، وبقين النسوة يجلن حولهم ويقلن لهم: فاتتكم نصرة تلك العصابة النبوية والذبّ عن هاتيك الشنشـنة العليّة العلوية، فقوموا الآن إلي أجسادهم الزكية فواروها، فإنّ اللعين ابن سعد قد واري أجساد من أراد مواراته من قومه، فبـادروا إلي مواراة أجسـاد آل رسول الله وارفعوا عنكم العـار، فمـاذا تقولون إن قـالت العرب لكم: إنّكم لن تنصـروا ابن بنت نبيكم مع قربه وحلوله بناديكم، فقوموا واغسلوا بعض الدرن منكم.

فقالوا: نفعل ذلك.

فأتوا المعركة وصارت همّتهم أوّلاً مواراة الحسين(عليه السلام) ثم الباقين، فجعلوا ينظرون الجثث في المعركة فلم يعرفوا جثة الحسين(عليه السلام) من بين تلك الجثث، لأنها بلا رؤوس!

فبينما هم كذلك إذا بفارس مقبل إليهم حتّي إذا قاربهم قال: ما بالكم؟

قالوا: إنّا أتينا لنواري جثّة الحسين(عليه السلام) .

فلمّا سمع ذلك حنّ وأنّ وجعل ينادي: وا أبتاه! يا أبا عبد الله! ليتك حاضراً وتراني أسيراً...

ثم قال لهم: أنا أرشدكم إليه.

فنزل عن جواده وجعل يتخطّي القتلي، فوقع نظره علي جسد الحسين – روحي له الفداء – فاحتضنه وهو يبكي ويقول: يا أبتاه! بقتلك قرّت عيون الشامتين، يا أبتاه بقتلك فرحت بنو اُمية، يا أبتاه بعدك طال حزننا، يا أبتاه بعدك طال كربنا.

قال: ثم مشي قريباً من جسده فأهال يسيراً من التراب، فإذا قبر محفور ولحد مشقوق، فأنزل الجثة الشريفة وواراها في ذلك المرقد الشريف علي ما هو الآن.

قال: ثم إنّه جعل يقول: هذا فلان وهذا فلان والأسديون يوارونه.

فلمّا فرغ منهم مشي إلي جثّة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) فانحني عليه، وجعل ينتحب ويقول: يا عمّاه! ليتك تنظر حال الحرم والبنات وهن ينادين: واغربتاه!

ثم أمر بحفر لحده وواره هناك.

ثم عطف علي جثث الأنصار، وحفر حفيرة واحدة واراهم فيها إلا

حبيب بن مظاهر دفنه ناحية عن الشهداء.

قال: فلمّا فرغ الأسديون من مواراتهم، قال لهم: هلمّوا لنواري جثّة الحرّ الرياحي.

قال: فمشي وهم خلفه حتّي وقف عليه وقال: أمّا أنت فقد قبل الله توبتك، وزاد في سعادتك ببذلك نفسك أمام ابن رسول الله(صلي الله عليه واله).

قال: فأراد الأسديون حمله إلي محلّ الشهداء قال: لا، بل في مكانه واروه.

فلمّا فرغو من مواراته ركب ذلك الفارس جواده، فتعلّق به الأسديون وقالوا: بحقّ من واريته بيدك، من أنت؟

فقال: أنا حجّة الله عليكم، أنا علي بن الحسين، جئت لأواري جثّة أبي ومن معه من إخواتي وأعمامي وأولاد عمومتي وأنصاره الذين بذلوا مهجهم دونه، وأنا راجع إلي سجن ابن زياد، وأمّا أنتم فهنيئاً لكم، لا تجزعوا أن تضاموا فينا، فودّعهم وانصرف عنهم، وأمّا الأسديون، فإنهم رجعوا إلي حيّهم..

نقد الخبر

ربما ينتقد الناقد هذه الرواية بنقدين:

النقد الأوّل:

لِمَ يسأل الأسديون من الفارس قائلين له: من أنت؟ وقد عرفوه

بقوله: يا أبتاه ويا عمّاه؟

والجواب عن هذا سهل، فإنّ تلك المعرفة إجمالية، فأرادوا منه المعرفة التفصيلية المشخّصة، لأنّه يجوز أن يخاطب الرجل الرجل العظيم ذا الشأنيـة والعظمـة بلفظ الأب والعمّ علي جهة التبجيل والاحترام، وإن لم يكن ابناً أو ابن أخ نسبي، كما قال رسول الله(صـلي الله عليه واله) الخالـة والـدة، والعمّ والد، وقال الله تعالي في نساء النبي(صـلي الله عليه واله): ((وأزواجه أمهاتهم))كلّ ذلك علي جهة الاحترام والتجلّة، فسؤالهم عنه ليعرفوه أنّه من الخطاب الحقيقي النسبي أمّ المعظمين المحترمين له من المسـلمين الذين يرون عظمة منزلته، وأنّ احترامه فوق احترام الأبوين الحقيقيين.

النقد الثاني:

كيف يتوقّف الأسديون عن معرفة جسد الحسين(عليه السلام) ولا شكّ أنّ جسده معلوم لأمرين لا يستريب فيهما أحد:

أحدهما: استعلاء نوره علي أنوارهم، وإشراق أشعته، وقد أجاد الكعبي بقوله في مرثية له:

ومجرّح ما غيّرت منه القنا

حسناً ولا أخلقن منه جديدا

قد كان بدراً فاغتدي شمس الضحي

مذ ألبسته يد الدماء برودا

ثانيهما: الهيبة الإلهية التي جلّلت جسده الشريف، فإنها ليست لباقي

الشـهداء معه، وبهـا حرست تلك الأجساد الطاهرة المنبوذة في بطاح الفلاة من هوام الأرض ووحوش الفلا حتّي هابت الـدنو منهم، وحتي أصبحت السباع الضارية والوحوش الساغبة تلك الهيبة حرساً للأجساد الطاهرة، وقد قال الشريف الرضي:

تهابه الوحش أن تدنو لمصرعه

وقد أقام ثلاثاً غير مقبور

ثم أنّ هناك قرائن وأمارات وعلائم تعيّن للأسديين جسد الحسين(عليه السلام) وتفرده عن أجساد باقي الشهداء:

1 علمت بنو أسد أنّ الخيل قد وطئت صدر الحسين(عليه السلام) وظهره.

2 طـارت الأنبـاء إليهم علي ألسـنة الركبان والمارّة من عابري الطريق أنّ الأعـداء لمّا قطعوا رأس الحسـين(عليه السـلام) تركوه مكبوباً علي وجهه!

3 قـد علم الأسـديون أنّ الحسـين(عليه السـلام) قـد جمع أصـحابه الشـهداء في محلّ واحد، وبقي هو في محلّ مصـرعه لـم يحمله أحد، والأعداء لا حاجة لهم في وضعه مع أصحابه، وقد عرف الأسديون ذلك.

4 ما نبأهم به الزراع علي نهر العلقمي أنّه شاهـد أسـداً رابضاً عند جسد الحسـين(عليه السـلام) يحرسه، فهو يشاهده كلّ ليلة قبل دفنه يأتي حتّي يربض عند الجسد المنفرد عن الأجساد، فيلثمه ويشمّه ويتمسّك به، ثم يبعد عنه قليلاً فيربض إلي الصباح.

فهذه القرائن لا يحتاج معها الأسديون إلي سؤال عن معرفة الجسد الشريف.

والجواب عن هذا: أنهم قد عرفوا جسد الحسين(عليه السلام) بالاعتبارات السالفة لكن تردّدهم ربما كان لأمرين:

أحـدهما: لزيادة العلم، فإنّ هـذا أمر من الأُمور الكبري التي لها أهمّتيها العظمي في الأجيال المتعاقبـة علي زيارة هذه المراقد، والمسؤول عن تعيينها من باشر الدفن

وقام بمهمّة المواراة، فكلّما ازداد علماً ويقيناً كان أبلغ في العذر، ولا ريب أنّ بالدلالة الصـريحة مع تلك الأمارات تكون الحادثة حادثة علم يقيني لا يتطرّقه ريب ولا يتخلّله تشكيك .

ثانيها: إنّ تردّدهم حول الأجساد وإكثارهم من الذهاب والإياب لم يكن منبعثاً عن شكّ في تعيين جثمان الحسـين الأقدس(عليه السـلام)، فإنّه معلوم لـديهم بأنواره وهيبته، ولكن تردّد حيرة وذهول وأصابتهم الدهشة والانفعال الحادّ والتألم الحارّ اللاذع من فعل أعدائهم الأجلاف فيما جنوه عليهم من التمثيل القاسـي، فقد أحلّ بهم أرذال المخلوقات ما لا تجنيه الكفرة من الجنايات مسـتفظة في أموات زهقت نفوسـهم وفارقت أرواحهم أجسادهم من قطع الرؤوس والأيدي وسلب الأبدان، هذا أمر عظيم يوجب التفكّر فيه والحيرة ويبعث التردّد.

وشـيء آخر يلزم الأسـديين التفكّر فيه فيطول لـذلك تردّدهم ليصـيبوا جهـة الرأي هو كيفية دفن هذه الأجساد الملقاة بقرب الحسـين(عليه السـلام)، ويبحثـون عن معرفـة الأعيـان منهم، لأجـل أن يجيبو عن السؤال المتوجّه إليهم فيمـا بعـد عن مراقـدهم، فهـذا موجب تفكيرهم والموحي

إليهم التردّد عن سرعة الإقدام لا لأن الحسين(عليه السلام) لم يعرف عنهم.

***

للشيخ المظفر في خطاب ضريح سيّد الشهداء(عليه السلام)في بعض زيارته له في صفر:

يا قبر زرتك والدموع ذوارف

منّي ونيران الأسي تتوقّد

يا قبر هل تدري بأنّك روضة

من جنّة المأوي وريّك أبرد

يا قبر هل تدري بأنّك كعبة

لحجيج زوّار الأنام ومقصد

يا قبر أنت مطاف أملاك السما

منهم ركوع في ثراك وسجّد

حسد الضراح ضريح من ورايته

طاب الضريح وطاب فيه المشهد

يا قبر فيك إمامة مهدية

تهدي بها جلّ الأنام وترشد

يا قبر فيك وديعة لمحمد

بل فيك ريحان جناه أحمد

يا قبر قد أصبحت مرقد سبطه

تالله ما يحكي جلالك مرقد

يا قبر غابت فيك شمس هداية

للعالمين وحلّ فيك الفرقد

يا قبر فيك إمام عدل حقّه

فرض به صحّ الحديث المسند

يا قبر قد واريت جثّة سيّد

ما مثله وعلا أبيه سيّد

ما للحسين مماثل في سؤدد

كلا وما مثل ابن فاطم يوجد

أبواه حيدر والبتول وجدّه

خير الوري وهو النبي محمد

ص: 535

يا قبر هذا الروح ينزل زائراً

سبط النبي من السماء ويصعد

ووراه أفواج الملائك أهبطوا

لصلاة بارئهم عليه ردّدوا

فمسبّح ومهلّل ومكبّر

منهم ومنهم حامد وممجّد

أنا مؤمن يا قبر في أهل الكسا

والحقّ حقّهموا بذلك أشهد

يا قبر عندي نيّة لو أنّني

أدركته استشهدت حيث استشهدوا

لكنّني أخّرت فاشهد أنّني

في نصره بشبا يراعي أجهد

لا زلت يا قبر ابن فاطم عامراً

تؤتي من الفجّ العميق وتقصد

يا قبر حدّثني فلست بحاضر

يوماً به قتل الحسين السيّد

هل شكّ بالسهم المحدّد قلبه

وأُبين رأس ابن النبوة واليد

قل لي وهل داست عوادي خيلهم

صدراً علي علم النبوة يوصد

قل لي وهل سلبت عقائل أحمد

حتّي البراقع ساءني ما أوردوا

هل أحرقوا فسطاطه وتناهبوا

أثقاله والنار فيه أوقدوا

هل ركّبوا فوق الجمال عياله

حسري وسائقها عنيف ملحد

هل ربّقوها بالحبال وكهفها

زين العباد مغلّل ومصفّد

إنّي سمعت بأنّه في شدّة

من سقمه إذ سار وهو مقيّد

قل لي فما قالت سكينة إذ رأت

جسم الحسين حواه قاع أجرد

قل لي وما قالت رباب في ابنها

مذ كان ملقي والحصي يتوقّد

قل لي وزينب كيف كانت حالها

وشقيقها لثري الربي متوسّد

والشمس تصهره بلفح هجيرها

والجسم من كلّ اللباس مجرّد

هل أنّها همّت لترمي نفسها

أي قبر تقتلني الهموم فأنشد

إنّي وقفت عليك أذري دمعتي

حزناً كغادية الحيا لا تجمد

وقصدت قبراً بالشريعة حلّه

بدر العشيرة والهمام الأمجد

شبل الإمام أخو الإمام ومن له

مجد العشيرة حبوة والسؤدد

فوقفت أسفح عبرتي ومناشداً

وكذاك من طلب الحقيقة ينشد

يا قبر عباس بن حيدر ذي العلا

وافاك عبد الواحد المسترشد

هل أنت يا قبر الشهيد مجيبه

عمّا يسائل وهو باك مكمد

هل عينه سهم الأعادي شكّها

وتعمّد اليافوخ منه الأعمد

أم هل بروا بري القداح أكفّه

ما يصنع الضرغام إن تبري اليد

قل لي فهل ردّت يداه لجسمه

والرأس حتّي ضمّهن المرقد

يا مشهد العباس تِه فخراً به

واسموا بعلياه فنعم المشهد

المزارات الأربعة لباب الحاجات أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام)

تشاد لأبي الفضل العباس باب الحسين بن أمير المؤمنين علي باب رسول الله(صلي الله عليه واله) أربعة مزارات تزار وتعظّم، وهذه إحدي الخصائص العباسية التي اختصّ بها دون سائر الشهداء، فإنّا لم نعرف لسائر الشهداء بعد الحسين بن علي(عليهما السلام) منذ عصر النبوة إلي يومنا هذا من شيّدت له أربعة مزارات مواضع، وكلّ واحد منها يقصد بالزيارة

ص: 537

ويطـاف به ويتبرّك فيه، كمـا يتبرّك بركن البيت الأـعظم، ويلثم كما يلثم الحجر الأسـعد، ويلتزم ويسـتلم كما يمسك الملتزم ويسـتلم ركن الحطيم.

ليس هذا بعد الحسـين(عليه السـلام) ريحانة الرسول(صـلي الله عليه واله) الذي شيّدت له عدّة مزارات إلا لحامل لوائه أبي الفضل العباس الأكبر(عليه السلام)، فكانت هذه المزارات الأربعة في التبرّك بها من أزمنة قديمة:

مزار الرأس الشـريف في العاصـمة الأموية دمشق الشام، ومزاراته الباقية تشرّفت بها كربلاء حيث احتوت عليها وضمّتها جميعاً، وإن تفرّقت في أرجائها، فمزار الجثمان الأقدس حيث القبّة المشـيّدة والمرقد السامي والضـريح المبارك المشـهور، ومزار الكفّين خارج الصـحن، كما سنحقّق موضعهما.

احتفظت بهـذه الآثار شـيعة الحسـين(عليه السـلام) وعظّمت هـذه المزارات لهذه الأعضاء العباسـية الكريمة منذ عصـر الشـهادة في أوّل النصف الأخير من القرن الأوّل الهجري إلي اليوم، بالخلف يقتفي السـلف، لأنها قد شـهدت لها الأسـفار التاريخية بوقع الكفّين القطيعين كلّ واحدة من ناحية، وسـقوط الجسد في موضع الضـريح الحالي، والعضو الرئيس المبارك صـلب حيث المزار المشاد في دمشق العاصمة لسوريا اليوم.

لم تغفل شيعة الحسين(عليه السلام) علي التنقيب والبحث عن الأثار المقدّسة لأهل البيت

النبوي لتقوم بما ندبها الله تعالي إليه من واجب التعظيم لأوليائه، وحثّها عليه من احترام السـلالة النبوية المحترمة بقوله تعالي:)ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوي القلوب(.

إنّ الله تعالي ليـدلّ الناس علي جلالـة أوليائه عنـده، ويرشـدهم إلي عظيم منزلتهم لديه، ويعرّفهم أقدارهم ومحلّهم الخطير السامي، وعلو مكـانتهم الرفيعـة، ولكنّ الناس ليصـدفون عن الحقيقـة اللامعـة، وينفرون عن البرهان الساطع، ويتعامون عن الحقّ الواضـح، والحقّ تطفح غمرته، ولا يقاوم تياره، ولا يردّ سيله الهائل، ولا يحول دون جريانه حائل.

للشيخ المظفر :

دعوا يا خصماء آل أحمد لجا

جكم وجانبوا لؤم الجدل

فقد تنكّبتم طريق رشدكم

غيا وزيغا ثم بؤتم بالفشل

فقد أشاد الله بالرغم لكم

مشاهد الغرّ بني خير العمل

فلا يضرّ أحمد أو رهطه

جحود من زاغ عناداً وأضل

إن تنصروا الله إذن ينصركم

قد قاله ربّ الوري عزّ وجل

ومن أطاع الله عزّ إسمه

أطاعه الخلق وما شاء فعل

ويرفع الله الذين آمنوا

برحمة منه إلي أسمي محل

فهذه قباب آل أحمد شيدت علي

التقوي وإخلاص العمل

فهي قذي عيون جاحد يهم

ووهي الأعضاء ذوي البغضا شلل

وكلّ من لام علي إتيانها

فذاك عندي ذو جنون وخبل

مراقد سمت فخاراً وعلت

علي الضراح وارتقت أسمي محل

ص: 539

ترمي علي أعتابها تيجانها

كلّ الملوك ومشاهير الدول

لأنّهم سلالة طيّبة عليهم

الوحي من الله نزل

لم يجد المعادي لآل محمد(صلي الله عليه واله) سبيلاً إلي القدح في فضائلهم التي هي غرر في جباه الليالي والأيام، ولم يري وسيلة للغضّ، وألحّ به داء العداء المزمن فأخذ يتّجه إلي القدح في أعمال شيعتهم ظنّاً منه أنّه قد فتح رتاج مقفل يدخل منه إلي محو آثارهم، فشنّع عليهم بأنّ زيارة القبور بدعة، وأنّ الطواف بها حرام.

للشيخ المظفر :

حرم الله روح من قال هذا

روح جنّاته وأصلاه نارا

إنّما أسّس الزيارة طاها

إذ لقتلي الأصحاب في اُحد زارا

ولقد صحّت الرواية عنه

إنّه زار من توفّوا مرارا

استغوي المنحرف فئة من السخفاء بتمويهه واستجاش عادمي البصيرة والتفكير فنوّه بذلك الإنكار الطائشون إعلاناً ناقدين لهذه الفضيلة واسمين لها بالهمجية، وهي في الحقيقة نقد لشارع الإسلام، وتشنيع علي من تلقّي الوحي عن الله تعالي الذي أرسله للاُمّة بشيراً ونذيراً، وليس هذا بنقض علي شيعة الحسين(عليه السلام) إنما هو نقض علي جدّ الحسين(عليه السلام) القائل: زوروا القبور فإنها تذكّركم الآخرة، ولم يكتفي بالقول المجرّد بل باشر فعلاً فزار قبر اُمّه بالأبواء، وزار

شهداء أُحد والبقيع، وأمر بزيارتهم والإكثار منها، وجعل لبعض صلحاء أصحابه أمثال ابن مظعون علامة يهتدي بها الزائر لقبورهم.

وهكذا أشادت الصحابة آثار نبيّها المباركة، وتبرّكوا بجميع ما حلّ فيه وظهرت فيه بركته من مجالسه حتّي شادوا المزارات لمجالسه وآثاره المباركة في البوادي كمسجد الشجرة في الحديبية ومسجد مجلسه أمام العوسجة عند خيمة أُم معبد حتّي تخيّل من أعوزه الفقه في الدين وحمله الحقد الدفين علي سيّد المرسلين وأثري من عدم التفكير أنها ستعبد بتطاول الزمان كما عبدت الأشجار أهل الجاهلية، فأمر بطمس تلك الآثار المباركة ومحوها فأُزيلت.

أمّا الشيعة العلماء رفضوا هذه الحماقة وتركوا هذه الغباوة الفاضحة، وأحيوا سنّة النبي الهادي(صلي الله عليه واله)، واقتفوا أثر الرسول المصلح(صلي الله عليه واله)، وتبعوا سنّة أصحابه الفقهاء الأخيار والأفاضل العلماء، فشيّدوا قباب آل محمد(صلي الله عليه واله) وتتبعوا آثارهم، فجعلوا لها أعلاماً كما جعلت الصحابة لآثار النبي(صلي الله عليه واله) أعلاماً تُقصد، وأبنية يلوذ بها المتوسّلون إلي الله، ويطوف بها ذوو الحاجات عنده.

ومن تلك الآثار التي اهتمّ الشيعة بتشييدها المزارات الأربعة لأبي الفضل العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين(عليهما السلام).

للشيخ المظفر :

باب الحسين أبو الفضل بن حيدرة

الله شاد له أسمي مزارات

ثلاثة بربوع الطفّ عمّرها

بالزائرين وفرداً عند شامات

فأصبحت مثل بيت الله طاف بها

من كلّ فج أُناس أهل حاجات

مزار كفّيه معروف ومشهده

ملاذ زواره في كلّ أوقات

تري الملوك علي أبواب حضرته

ترمي بتيجان تمليك ثمينات

كم لاذ في مرقد العباس من ملك

وذلّ في بابه من آمر عاتي

ومشهد الرأس في الشامات تقصده

أهل الحوائج في كلّ العشيات

صلّي الإله علي العباس كم ظهرت

في قبره من كرامات وآيات

عناية الله طول الدهر تحرسه

إلي النشور وحتّي حشر أموات

وكلّ من عرف الرحمن نيّته

بمحض إخلاص تقريب وطاعات

أعطاه ما لا رأت عين ولا سمعت

أُذن فواضل نعماء وخيرات

فخلّد الله في الدنيا لذكرهمو

وفي المعاد حباهم خير جنات

قد أوقفنا التاريخ علي خبر محزن ونبأ مقلق، وهو أنّ الحسين والعباس(عليهما السلام) وزعا أوصالاً بالسيوف وقطّعا آراباً بحدود الأسلحة.

وصرّح لنا التاريخ بأنّ الحسين(عليه السلام) أُبين من جسده الشريف أربعة أعضاء:

إصبعه الذي قطعه بجدل بن سليم الكلبي لأجل الخاتم، وكفاه اللذان قطعهما الجمال علي التكّة، ورأسه الذي قطعه الشمر أو سنان أو خولي أو أخوه شبل علي الخلاف.

والعباس(عليه السلام) قد قطع كفّه اليمني حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي، وقطع كفّه اليسري زيد بن رقاد المذحجي الجنبي، وقطع رأسه الشريف أيضاً، فنحن قد علمنا هذا من التاريخ، فنريد أن نعرف أين

دفنت هذه الأعضاء الكريمة المبانة.

قال الشيخ المظفر: وقبل أن أُحرر ما ذكره المؤرّخ أبدي رأيي، وإنّي لا أشكّ أنّ الأعضاء الشريفة المفصولة من الأجساد الطاهرة عدي الرؤوس دفنت مع الأجساد:

أمّا إصبع الحسين(عليه السلام) وكفّاه، فلأنها لم ترمي بعيداً عن الجثة، بل رميت إلي جنبها، فدفنها مع الجثة واضح لا خفاء فيه.

وأمّا كفّا أبي الفضل فهما وإن وقعا ناحية عن الجثة وعدم وجود من يضمّها إليها بعد القتل لكن الذي يقوي في الظنّ أنهما عند الدفن التقطا ودفنا مع الجثة، والمزاران المشهوران لهما إنما شيّدا علي موضع قطعهما، وقد ورد في بعض المقاتل أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) التقط كفّي عمّه العباس(عليه السلام) ودفنهما مع جسده المبارك في الضريح.

***

وقال الأصطخري المعروف بالكرخي إبراهيم بن محمد الفارسي في كتاب المسالك إلي الممالك: وعلي باب جيرون حيث نصب رأس يحيي بن زكريا نصب رأس الحسين بن علي(عليهما السلام)...

وقال محمد بن حبيب النسابة البصري في كتاب المحبر: ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين وقتل معه العباس وجعفر وعثمان وعبد الله

ومحمد المكني أبا بكر بني علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن الحسن والقاسم وعبد الله أبناء الحسن، وعلي وعبد الله أبناء الحسين، وعبد الله وجعفر وعبد الرحمن بنو عقيل بن أبي طالب ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ومسلم بن عقيل، ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر، فحملت رؤوسهم إلي يزيد بن معاوية (لعنة الله عليه) فنصبها بالشام وبعث برأس الحسين فنصب بالمدينة..

مشهد رأسه الكريم

يحصر الخلاف في مدافن رؤوس الشهداء الشريفة ورأس أبي الفضل العباس(عليه السلام) في ثلاث مواضع:

أحدها: الشام.

وثانيها: بالمدينة حيث بعث يزيد بالرؤوس مع السبايا أو وحدها فدفنت بالبقيع.

وثالثها: وهو المشهور عند الإمامية أعادها الإمام زين العابدين(عليه السلام) فدفنها مع الأجساد الطاهرة في كربلاء، فكربلاء لهذه الهياكل القدسيّة ضمير انفصال واتصال، ومحور افتراق واجتماع، تفرّقت فيها أعضاؤها بالسيوف واجتمعت فيها تلك الأوصال، واتصلت الرؤوس بالأبدان بعد الانفصال.

ما جري علي رأس أبي الفضل العباس(عليه السلام):

ذكر سبط ابن الجوزي في التذكرة(1): حكي هشام بن محمد، عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي قال: لما أُتي بالرؤوس إلي الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً، وقد علّق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنّه القمر ليلة تمامه، والفرس تمرح، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت له: رأس من هذا؟ فقال: رأس العباس بن علي، قلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهل الأسدي .

قال: ولبثت أياماً وإذا بحرملة وجهه أشدّ سواداً من القار، فقلت له: لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجهاً منك، وما أري اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك!

فبكي وقال: والله منذ حملت الرأس إلي اليوم ما تمرّ علي ليلة إلا وإثنان يأخذان بضبعي، ثم ينتهيان بي إلي النار تأجج، فيدفعاني فيها وأنا أنكص، فتسفعني كما تري، ثم مات علي أقبح حال..

وإن حرملة بعد هذا التعذيب السماوي عذبه المختار لمّا قتله، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقي.

للمظفر :

تعلّق رأس عباس أُميّ

بجيد الخيل من حنق عليه

1- تذكرة الخواص: 159 .

فتدخله إلي كوفان عمداً

ويضربه الجواد بركبتيه

وذاك لأنّها بالطفّ كانت

بها حلّ الفنا من راحتيه

فلم تشفي برضخ الرأس منه

ولا في قطعها كلتا يديه

وكم باءت أُميّة بالمخازي

وأخزي الخزي ما اجترمت إليه

بعد أن فعل الشقي برأس العباس(عليه السلام) ما سمعت أمر ابن زياد أن يرفع علي قناة كسائر الرؤوس، ويطاف به معها في السكك والشوارع، ثم ساروا بتلك الرؤوس جميعاً مرفوعة علي الرماح حتّي دخلوا الشام.

ذكر ملا حسن القزويني في رياض الأحزان عن المنتخب حديث سهل بن سعد(1) ومن جملته:

رأيت باباً عظيمة وقد دخلت فيها الأعلام والطبول، فقالوا: الرأس يدخل من هذا الباب، فوقفت هناك، وكلّما تقدّموا بالرأس كان أشدّ لفرحهم، وارتفعت أصواتهم، وإذا برأس الحسين(عليه السلام) والنور يسطع منه كنور رسول الله(صلي الله عليه واله).

وفي الكامل في السقيفة قال سهل:

1- رياض الأحزان: 104 .

أوّل ما رأيته من الرؤوس رأس العباس أبن علي، فخلت أنّه يضحك، ورأيت رأس الحسين(عليه السلام) في هيبة عظيمة مع نور يسطع منه سطوعاً عالياً بلحية مدوّرة قد خالطها الشيب، وقد خضبت بالوسمة، أدعج

العينين، أزجّ الحاجبين، أقني الأنف، متبسماً إلي السماء، شاخصاً ببصره إلي نحو الأُفق، والريح تلعب بلحيته يميناً وشمالاً كأنّه أبوه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وكان علي رمح عمر بن منذر الهمداني، وساق الحديث بطوله.

ويذكر(1) عن التبر المذاب عن الزهري أنّه قال: لمّا جاءت الرؤوس كان يزيد - لعنه الله - علي منظرة جيرون فأنشد:

لمّا بدت تلك الرؤوس وأشرقت

تلك الشموس علي ربا جيرون

صاح الغراب فقلت صح أو لا تصح

فلقد اقتضيت من النبي ديوني(2)

ويذكر(3) عن نسخ المقتل المنسوب لأبي مخنف:

1- رياض الأحزان: 105.

2- حياة الإمام الحسين(عليه السلام) من التبر المذاب لابن الخافي تحقيق السيّد علي أشرف: 179.

3- رياض الأحزان: 107.

أنّ الرؤوس أدخلوها من باب الخيزران، وأن رأس الحسين(عليه السلام) مع الشمر.

قال:.. وأقبل من بعده رأس العباس(عليه السلام) يحمله قشعم الجعفي لعنه الله، وأقبل من بعده رأس علي بن الحسين(عليهما السلام) يحمله سنان بن أنس النخفي لعنه الله، وأقبلت من بعده السبايا يقدمهم علي بن الحسين(عليهما السلام)...

مزار رأس أبي الفضل العباس(عليه السلام) بالشام:

قلنا: إنّ الخلاف في رؤوس شهداء كربلاء غير الحسين(عليه السلام) ينحصر في ثلاثة مواضع: بالمدينة، وكربلاء، وبدمشق الشام.

ذكر السيّد محسن الأمين العاملي في كتاب أعيان الشيعة تحت عنوان ((مشهد رؤوس العباس وعلي الأكبر وحبيب بن مظاهر: بدمشق)) ونصّه:

رأيت بعد سنة 1321 في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق بابه صخرة كتب عليها ما صورته:

((هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي بن الحسين الأكبر ورأس حبيب بن مظاهر)).

ثم إنّه هدم - بعد ذلك بسنتين - هذا المشهد وأُعيد بناؤه وأُزيلت هذه الصخرة، وبني ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكن الحقيقة أنّه منسوب إلي الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدّم

ذكرها بحسب ما كان موضوعاً علي بابه كما مرّ.

وهـذا المشـهد الظنّ يقوي بصـحّة نسـبته، لأـنّ الرؤوس الشـريفة بعـد حملها إلي دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيـد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشـفي لابـد أن تـدفن في إحـدي المقابر، فـدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصـغيرة، وحفظ محلّ دفنها، والله أعلم(1).

قال الشيخ المظفر : يناقش هذا السيّد في أمرين:

أحـدهما: قوّة ظنّه تصـادم النصوص المصـرّحة بأنّ الرؤوس نقلت إلي المدينـة ودفنت بالبقيع، والنصوص المصـرّحة بأنّ الرؤوس الشـريفة أُعيدت إلي الجثث بكربلاء، ولا قيمة للظنّ في قبال النصّ، فإذن هذا المشـهد بني علي أساس صـلبها بهذا الموضع، أو أنها دفنت إلي حين رجوع السبايا، فنبشت وأُعيدت إلي الجثث أو دفنت بالبقيع.

ثانيهما: حصر النسبة لهذه الرؤوس الثلاثة المقدّسة لا مبرر له من نقل ولا من عقل، والذي كتب علي الصخرة لا يدلّ علي الحصرة في هذه الثلاثة، وإنما كتبت أسماء هؤلاء الثلاثة لجلالتهم، وأنهم رؤساء الشهداء وأعيانهم، فنسب المشهد إليهم ورؤوس الباقين معهم، كما اشتهر المرقد الشريف الذي يلي رجلي الحسين(عليه السلام) باسم علي الأكبر، وباقي شهداء بني هاشم معه بالاتفاق.

1- أعيان الشيعة 209 /4 قسم أ .

فإذن الحقّ مع ما نقش علي ضريح هذا المشهد، إذ لا معني لدفن رؤوس هؤلاء الثلاثة في هذا الموضع وتبعيد غيرهم عنهم، فإمّا أن تحكم بدفنهم هنا فأحكم بدفن الجميع، وإن قلت بالنقل فقل بنقل الجميع.

للمظفر :

أقدارهم عظمت وجلّت فانتمت

كلّ البلاد لفخرها ترجو ألسنا

حتّي ادّعت مثوي الرؤوس بأرضها

مصر وأرض الشام كي تلق المني

لكنّما مثوي الرؤوس بكربلا

حقّاً وتزعمه البلاد تيمّنا

لا بأس فالتذكار فخر خالد

فلتعمر الأقطار فيه موطنا

من كان حيّاً أينما حيّيته

ردّ التحية هاهنا أو هاهنا

مزار الكفين لأبي الفضل العباس(عليه السلام)

قد أُسس في كربلاء مشهدان أو مزاران حوالي صحن العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) رقم علي أحدهما ((مشهد الكفّ اليمني))، وعلي الثاني ((مشهد الكفّ اليسري)).

وهذا شيء توارثه الخلف عن السلف، وتراث مجد خلّفه الماضي للباقي، وليست هذه الآثار من المحدثة، ولا من الأشياء التي لم تبتن علي أُسّ قديم، بل هي سائرة مع بقية آثارهم، وتتعاهدها يد العمران إن طرقها طول الزمان بالتضعضع، أو أشرف بها علي الانهيار، فإذن هي صحيحة الإسناد الفعلي لا القولي، إذ كلّ جيل يتبع الجيل السابق في

احترامها وتعاهدها بالعمارة والتنميق حتّي تتصل بأوّل الأجيال التي اُشيدت بها مشاهدهم وقبابهم، وهذا ما يسمّيه الناس بالسيرة العملية، ويحتج بها الفقهاء علي إثبات الأحكام الشرعية.

فلا شكّ ولا ريب في هذين المقامين، ولكن يبقي الكلام هل دفن الكفان في هذين الموضعين؟ أم أنّه الموضع الذي قطعت فيه؟

يستبعد أن يكون مدفنهما، وذلك لوجود نوع من الاطمئنان الوجداني بأنّ الإمام الذي دفن جثّة العباس(عليه السلام) ألحق بها الكفين لقرب محلّهما منها، ولا حجاب حتّي يقال: إنهما لم يريا، ولا حاجة للأعداء بحملهما حتّي نظن أنهم حملوهما، ثم اُعيدا للبدن، كما حفظت علي ذلك آثار كثيرة علي هذا الطراز.

وعلي ما صرح به أرباب المقاتل من سقوط كلّ كفّ له(عليه السلام) تحت نخلة في ناحية من نواحي المسناة يكون المزاران المعروفان لها حوالي صحنه الشريف قد شيّدا علي أساس ما ورد في حديث شهادته(عليه السلام) حيث أنّ يده اليمني قطعت، وهو صادر من

المشرعة طالباً للخيم كي يوصل الماء لعيال الحسين(عليه السلام)، فعارضوه فقطع يده اليمني زيد بن رقاد المذحجي ثم الجنبي، ولمّا قطعت تقدّم إلي أخيه فعارضه أيضاً حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي، فقطع اليسري ومذ أمنوا بقطع يديه صدّوه بجماهيرهم المتكاثفة عن الوصول إلي الخيمة، وأرجوه قليلاً إلي الوراء، وهنا ضربوه بالعمود الحديد، فسقط حيث مشهده الآن قرب مشهدي الكفّين الشريفين، كما حدّثنا التاريخ، ورسمه لنا الأثر الباقي إلي اليوم.

وصفة المزارين كما يلي:

مزار الكفّ اليمني:

في جنوب الصحن العباسي(عليه السلام) قريب من باب الصحن الشرقي، وهو مشهد ملصق بالجدار عند مفترق أربعة طرق حوله بعض حوانيت، وعليه شباك نحاس صغير مقفل بقفل، ونقش عليه بيتان بالفارسية نصّها:

أفتاد دست راست خدايا زبيكرم

بر دامن حسين برسان دست ديگرم

دست چبم بجاست أگر نسيت دست راست

أما هزار حيف كه يك دست بي صداست

ولا تاريخ للشعر ولا لبناء المشهد، وعلي لوحه رسم كفّين متقابلتين نقشتا بالقاشاني.

مزار الكف اليسري:

في المشرق من الصحن الشريف في السوق الذي يحاذي باب القبلة، ويعرف بسوق ((باب العباس الصغير))، وعلي جداره الكاشاني شباك من النحاس الأصفر المسمّي ((شبه وبرنج)) منقوش في الكاشي أبيات شعر تنسب للشيخ محمد السراج هي هذه:

سل إذا ما شئت واسمع واعلم

ثم خذ منّي جواب المفهم

إنّ في هذا المقام انقطعت

يسرة العباس بحر الكرم

ها هنا ياصاح طاحت بعد ما

طاحت اليمني بجنب العلقمي

إجر دمع العين وابكيه أساً

حقّ أن تبكي بدمع عن دم

ويظهر من الشعر لمن تأمّله أنّ الموضعين أُشيد فيهما البناء تذكاراً لسقوطهما فيهما لا أنهما دفنا فيهما.

وهـذا كلّه نقوله ونراه جليّاً في الواقف علي هـذين المزارين يتذكّر كيف قطعت يمني العباس ويسـراه؟ وكيف ضمّ الباقي منهما علي اللواء؟ وإذا وقف علي ضريحه المقدّس ليذكر كيف فلقت هامته بعمود الحديد؟ وكيف سقط علي ضفاف العلقمي ونادي أخاه.

فالواقف علي مزار الكفّ اليمني كأنّه يري ويشاهد بريق سـيف الشـقي زيد بن رقاد وحده المخالط لعضو أبي الفضل الأكرم، والواقف علي مزار الكفّ اليسري كأنّه يلحظ بعينيه سيف التعيس حكيم بن الطفيل يطيح به ذاك العضو المشرف.

للشيخ المظفر :

يمناك للجيران يمن وفي

يسراك يسري دائماً للنزيل

جئت لنهر العلقمي صائلاً

كضيغم قد هاج من وسط غيل

ملكت نهر العلقمي عنوة

يا بطل العرب! بحدّ الصقيل

ملأت بالرغم لهم قربة

من مائه العذب الروي السليل

قصدك تسقي منه أهل الكسا

وكلّ عطشان لطه سليل

فتّت أكباد بني المصطفي

حرّ الظما كي تطفي منها الغليل

ص: 553

فاحتوشوك القوم بعداً لهم

وهدّت الأرض لعظم الصهيل

فالفوج يتلو الفوج في زحفهم

وأنت كالضرغام بين الرعيل

حتّي صبغت الأرض من هامهم

وخضت بالأشقر ذاك المسيل

ويح ابن رقاد فماذا جني

بقطع يمناك بضبّ صقيل

وطاحت اليسري التي يسرها

عمّ بسيف المعتزي للطفيل

والرأس من عاموده قد جرا

مع الدم المخ فأمسي يسيل

ورحت ظمئآن الحشا عاطشاً

تسقي من الكوثر والسلسبيل

كلّ مزار لابن حامي الحمي

عميد جيش ابن النبي الجليل

فهو لمن لاذ به والتجي

نعم الحمي للمحتمي والمقيل

من أُسرة الوحي وما مثلهم

في سائر الخلق وعزّ المثيل

فالوحي والتنزيل في دورهم

ينزل فيه دائماً جبرئيل

يهدي التحايا لهم دائماً

من حضرة القدس العلي الجليل

وهذا الوضع للمشـهدين يفصح عمّا ذكره التاريخ أنّ العباس(عليه السـلام) خرج من الفرات قاصداً مخيم الحسـين(عليه السلام)، فاعترضه زيد بن رقاد الجنبي فقطع يمينه، فسار علي قصده حاملاً سيفه بيساره، فاعترضه حكيم بن الطفيل السنبسي فقطع يساره، فسار

علي قصده فضرب بعامود الحديد، فسقط في موضع مشهده المقدّس.

مثوي العباس المقدس

عمارة المشهدين المقدّسين الحسيني والعباسي

في تشييد ضريح الحسين والعباس(عليهما السلام) وعمارة مشهديهما ننقل ما وجدناه في بعض المجلات وفي كتاب معالي السبطين وكلاهما متقارب، وهي ((رسالة كربلاي معلي))، ولفظ المعالي(1):

في كتاب الحرمين في عمارة المشهدين لثقة الإسلام السيّد حسن الصدر قال:

1- معالي السبطين: 178 .

وأمّا قبر سـيّدنا الحسين(عليه السلام) فقد أخذ الله ميثاق الناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماء أنهم يجمعون هـذه الأعضاء المتفرّقـة فيوارونها، وهـذه الجسوم المضـرّجة فيدفنونها، وينصـبون بهذا الطف علماً لقبر سـيّد الشـهداء(عليه السلام) لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه علي كرور الليالي والأيام، كما في حديث زائدة عن الإمام السجاد(عليه السلام)، وقد أخرج الحديث بطوله ابن قولويـة في كامل الزيارة، وهو صـريح في أنّ الذين دفنوه أقاموا رسـماً لقبره(عليه السـلام) ونصـبوا علماً، أي علامة وبناء لا يدرس أثره.

قال الشيخ المظفر : ولما زاره جابر كان للقبر الشريف رسم وعلامة، ولذا قال لعطية: ألمسني القبر.

وفي بعض الكتب سنة 65 بني المختار قبر الإمام(عليه السلام) بناء بالجصّ والآجر، وأصبح القبر مزاراً للناس.

قال (قدس سرّه):

ص: 556

وفي الآثـار الأخر أنّه كان ظاهراً عامراً(1) يقصـده الناس للزيارة وقضاء الحوائج، ويظهر منه المعجز الباهر، فيشـهد البرّ والفاجر، حتّي أني رأيت في أصل نوادر علي بن أسـباط، وهو من أصحاب أبي عبد الله الصادق(عليه السلام): أن في العام الذي قُتل فيه الحسين(عليه السلام) قصد قبره النساء العقم من أهل أطراف البلاد حتّي جاء إلي قبره الشريف نحو مائة امرأة، فتخطين قبره الشريف، فحملن كلّهن وولدن.

ثم ذكر بعض الأحاديث منها ما ذكره السيّد ابن طاوس في الإقبال عن الحسين بن أبي حمزة أنّه قال:

خرجت في آخر زمن بني اُمية وأنا اُريد قبر الحسـين(عليه السلام)، فأتيت الغاضرية حتّي إذا نام الناس اغتسلت ثم أقبلت اُريد القبر حتّي إذا كنت علي باب الحائر، وذكر الحديث، وهو نصّ في أنّ للحائر باب، والباب لا يكون إلا لبناء.

ثم قال(2):

1- يشهد له ما ذكره الطبري في التاريخ وابن نما في أخذ الثار: أنّ التوابين ازدحموا علي قبره أشدّ من أزدحامهم علي الحجر الأسود.
2- معالي السبطين: 179.

قال السـيّد الجليل محمد بن أبي طالب في كتاب تسلية المجالس: قد بني عليه مسجد، ولم يزل كذلك بعد بني اُمية، وفي زمن بني العباس إلا علي زمن هارون العباسي، فإنّه خرّبه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده.

ثم قـال: وأخرج الشـريف فخـار بن معـد ومحمـد بن المشـهدي في المزار الكبير حـديث صـفوان الجمـال قـال: قال لي مولاي جعفر بن محمد(عليه السلام): إذا أردت زيارة قبر الحسين بن علي(عليهما السلام)...

إلي أنّ قال: فإذا أتيت الباب فقف خارج القبّة وارمي بطرفك نحو القبر وقل... ثم أدخل رجلك اليمني القبّة وأخّر اليسـري، وقل.. ثم ادخل الحائر وقم بحذائه بخشوع، وذكر زيارة وارث المعروفة.

وفي البحار والمزار الكبير قال: ووجدت في نسـخة قديمة من مؤلّفات أصـحابنا قال: إذا أتيت باب القبّة فاستأذن وقل... ثم ادخل فقف علي القبر، إلي آخر ما ذكره.

ثم قال:

زيـارة أُخري عن أبي عبـد الله(عليه السـلام) قال: إذا وصـلت إلي الفرات فاغتسل.. إلي أن قال: وقف بالباب وكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة، إلي آخر ما ذكره.

وأخرج ابن قولويـة بإسـناده المعنعن إلي أبي حمزة الثمـالي عن أبي عبـد الله الصـادق(عليه السـلام) قـال: إذا أردت زيـارة قبر العبـاس بن علي(عليهما السـلام) وهو علي شطّ الفرات بحذاء الحائر، فقف علي باب السـقيفة وقل: سـلام الله وسلام ملائكته.. إلي أن قال: ثم ادخل وانكب علي القبر وقل: السلام عليك أيّها العبد الصالح.. وذكر كثيراً كلّه عن السيّد بن طاوس.

ثم قال(1): أقول: لم يزل مشهد الحسين(عليه السلام) معموراً إلي أيام هارون العباسي.

ثم ذكر عن الشيخ الطوسي ما معناه أنّ الرشيد أمر بكرب قبر الحسين(عليه السلام)، وقطع السدرة التي عنده، وأنّ جرير بن عبد الحميد رفع يديه عند سماع الحديث وقال: الله أكبر جاءنا فيه حديث عن رسول الله(صلي الله عليه واله) أنّه قال:

1- معالي السبطين: 180 .

لعن الله قاطع السـدرة ثلاثاً، فلم نقف علي معناه حتّي الآن، لأنّ القصد بقطعها تغيير مصـرع الحسـين(عليه السـلام) حتّي لا يقف الناس علي قبره.

وقال محمد بن أبي طالب في تسلية المجالس عند ذكره لمشهد أبي عبد الله(عليه السلام) ما هذا لفظه بحروفه:

وقـد كان بني عليه مسـجد، ولم يزل كـذلك بعـد بني اُميـة، وفي زمن بني العباس إلي زمن هارون، فإنّه خرّبه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده، وكرب موضع القبر، ثم اُعيد زمن المأمون وغيره إلي أن حكم المتوكّل من بني العباس، فأمر بتخريب قبر الحسين(عليه السلام) وقبور أصـحابه وكرب مواضـعها، وأجري المـاء عليهـا إلي أن قتل المتوكّل وقام بعـده ابنه المنتصـر، فأعاد القبور في أيامه، إلي أن خرج الـداعيان الحسن ومحمد ابنا زيد بن الحسن، فأمر محمد بعمارة المشهدين: مشهد مولانا أمير المؤمنين ومشهد الحسين8، وأمر بالبناء عليهما، وبعد ذلك بلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما، فكان يزورهما كلّ سنة .

وقال في البحار: إنّ المنتصر لمّا قتل أباه وتخلّف بعده أمر بعمارة الحائر وبني ميلاً علي المرقد الشريف.

وكان تملك المنتصـر في شوال سنة 247، وقد سـقطت عمارة المنتصر 273، أخرج الحـديث السـيّد ابن طاوس في أمان الاخطار، وذكر مختصر الحديث، وأنّ السقيفة سقطت علي زوار الحسين(عليه السلام) فلم تضرّ منهم

أحداً، وذلك في ذي الحجّة سنة 273.

ثم ذكر كلام ابن الأثير في تخريب المتوكّل للقبر الشريف، وتخريب دور المجاورين، وكلام الشيخ الطوسي، وليس هذا موضع ذكره.

وقال الحائري(1): وفي أيام المعتضد وجّه محمد بن زيد الداعي ملك طبرستان، فبني المشهد الحائري بناء مشيداً كما نصّ علي ذلك السيّد ابن طاوس في فرحة الغري، ومحمد بن أبي طالب في كتاب المقتل وغيرهما، وكان ابتداء تملّك المعتضد سنة 279 وانتهائه 289، فتكون عمارة محمد بن زيد في أثناء هذه المدّة.

ثم استولي عضد الدولة البويهي علي العراق، ودخل بغداد في شوال سنة 363، وعمّر المشهدين: مشهد أمير المؤمنين ومشهد الحسين(عليه السلام)، وبلغ الغاية في تعظيمهما والأوقاف عليهما، وتوفي في شوال سنة 373، وكانت ولايته العراق خمس سنين وستة أشهر، وكان عمره 75 سنة، وحمل إلي مشهد أمير المؤمنين(عليه السلام) فدفن به.

وجدّدت عمارة المشهد تجديداً حسناً قبل هذه العمارة الموجودة الآن، وكانت للحائر خزانة معظمة أخذها المسترشد بن المستظهر المتملّك سنة 511.

قال ابن شهر آشوب في المناقب: أخذ المسترشد مال الحائر وقال: إنّ القبر لا يحتاج إلي الخزانة، وأنفق علي العسكر، فلمّا خرج قتل هو

1- معالي السبطين: 182 .

وابنه الراشد.

ثم قال بعد كلام(1): فتحصّل من مجموع ما ذكرناه أنّ مشهد مولانا الحسين(عليه السلام) بني خمس مرّات غير العمارة الموجودة أو ستّة:

الأُولي: أيام بني أُمية، كما قد عرفت بني عليه مسجد، وله باب شرقي وباب غربي، وأنّه لم يزل كذلك إلي أيام هارون العباسي.

الثانية: عمارته بعد كرب هارون العباسي إلي أيام المتوكّل .

الثالثة: عمارة المنتصر إلي سقوطه سنة 273.

الرابعة: عمارته بعد هذا السقوط، وهي عمارة محمد بن زيد الداعي الحسني.

الخامسة: عمارة عضد الدولة ابن ركن الدولة، وكانت سلطنته بعد موت أبيه أيام الطائع بن المطيع.

السادسة: عمارته بعد حريق حدث سنة 407، وهي عمارة الحسن بن مفصل أبو محمد الرامهرمزي وزير سلطان الدولة الديلمي، وهو الذي بني سور الحائر الحسيني، كما حكاه السيّد المرعشي في كتاب مجالس المؤمنين في طبقات الشيعة عن تاريخ ابن كثير، وإنّ الوزير المذكور قتل سنة 413، وهي العمارة التي وصفها ابن بطوطة، والسور هو السور الذي ذكره الشيخ ابن إدريس سنة 588 في كتاب المواريث من السرائر.

1- معالي السبطين: 183.

السابعة: العمارة الموجودة الآن، وليست بويهية، لأنّ تاريخها سنة 767 بعد إنقضاء دولة بني بويه ب-220 سنة، لأنّ إنقضاء الدولة البويهية سنة 447، فما اشتهر بين الناس أنّ هذه العمارة الموجودة إلي الآن بويهية لا وجه له، وقد ذكرنا موضع تاريخ العمارة، وأنّه فوق المحراب القبلي ممّا يلي الرأس، وأنّه سنة 767 .

وكذلك ظهر توهّم من قال: أنها عمارة بني العباس، لأنّ دولتهم انقضت قبل هذا التاريخ سنة 656، وقد ذكر لي اسم صاحبها السيّد الجليل - سلّمه الله - خازن الحرم الحائري السيّد عبد الحسين بن السيّد الخازن السيّد علي بن السيّد الخازن السيّد جواد طاب ثراه، فلم يبقي ببالي، ولكن ببالي أنّه مكتوب مع التاريخ فراجعه، (انتهي ما في نزهة الحرمين للسيّد المرحوم).

وقال السيّد الجليل السيّد عبد الحسين الخازن: قد ذكرت للسيّد - متّع الله المسلمين بطول بقائه - أنّ البناء الموجود اليوم علي قبره الشريف أمر السلطان أويس الإيلكاني .

وفيه أيضاً: قال إبراهيم المجاب بن محمد بن الإمام الكاظم(عليه السلام) وقبره في رواق حرم الحسين(عليه السلام)، وهو أوّل من سكن الحائر من الموسوية، كان ضريراً يسكن الكوفة أوّلاً، ثم سكن كربلاء، وكان أبوه محمد العابد لكثرة صومه وصلاته.

وقال السيّد بحر العلوم في الفوائد الرجالية: إنّ قبر السيّد المرتضي وأخيه السيّد الرضي في كربلاء، وإنّ المكان المعروف في بلدة الكاظمية

بقبرهما إنما هو موضع دفنهم أوّلاً ثم نقلا إلي كربلاء، ولا بأس في زيارتهما بهذا الموضع، وإنما أبقوا ذلك لعظم شأنهما.

ثم قال : وإبراهيم الأصغر بن الإمام الكاظم(عليه السلام) فقبره في كربلاء خلف قبر الحسين(عليه السلام) بستّة أذرع، ويلقّب بالمرتضي، وهو المعقب المكثر جدّ السيّد المرتضي والسيّد الرضي، وجدّ جدّ أشراف الموسويين، ومعه جماعة من أولاده كموسي بن أبي شحمة وأولاده، وجدّنا الحسين القطيعي وجماعة من أولاده في سردابين متّصلين خلف الضريح المقدّس كانت قبورهم ظاهرة، فلمّا عمّر الحرم العامر الأخير محو آثارهم ومعهم قبر السيّد المرتضي والسيّد الرضي وأبوهما وجدّهما موسي الأبرش، وقيل: دفنا مع السيّد إبراهيم المجاب في الصندوق وليس بمعلوم. (انتهي ما في كتاب نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين للسيّد المرحوم السيّد حسن الصدر المتوفي سنة 1254ه- المدفون ببلدة الكاظمية)، و(انتهي ما لخّصناه عن معالي السبطين لمؤلفة الشيخ مهدي المازندراني نزيل كربلاء).

والمنقول عنه وهو السيّد الصدر معتمد في النقل، لكن بعض المواضع فيها مجال فسيح للبحث وميدان واسع للمناقشة طويناها حذر التطويل، وقد أوردنا كلامه مختصراً ولم نحكه بطوله.

أمّا صاحب كتاب كربلاي معلي(1) فقد ذكر مثله إلي حين عمارة أويس الإيلخائي (الإيلكاني)، ثم قال:

1- كربلاي معلي: 15 .

وأتمّه ولده السـلطان حسين، وفي سنة 932 أهدي السـطان إسـماعيل الصـفوي صندوقاً إلي القبر الطاهر الحسيني، وفي سنة 1048 شيّد السـلطان مراد الرابع العثماني القبّة المنوّرة وجصّصها، وفي سنة 1135 نهضت زوجة السـلطان نادر شاه كريمة حسين الصفوي إلي تعمير المسجد المطهر (يعني الصحن الشريف) والقبّة علي الطراز الأخضر (يعني الكاشي).

وفي أوائل القرن الثالث عشـر أهدي فتح علي شاه أحد ملوك إيران السبيكة من الفضه (يعني الشباك)، وفي سنة 1216 أمر محمد علي شاه بتزيين الحرم الشـريف وتعميره، وبذل بذلك مبالغاً، ويوجد اليوم في أعلي الأبواب المعظمة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل الوجه الشـريف وحوالي هذه المنارة (أمرت زوجة فتح علي شاه بتذهيب المأذنتين) يعني المنارتين.

في سنة 1275 غشيت قبّة الحرم بالذهب علي نفقه ناصر الدين شاه، كما هو مكتوب علي حائط فوق الباب بسطر من ذهب.

وفي سنة 1358 أهدي إمام الإسماعيلية شباكاً من الفضّة عظيم جداً.

***

والمرقد المنيف العامر بعناية الله تعالي وحراسته قد تلونا عليك

صفحة من تاريخ عمارة المشهد الحسيني، ويشاركه مرقد أخيه أبي الفضل في كثير منها، وقد كانت خصوصيات اختصّ بها أبو الفضل(عليه السلام) كما اختص أخوه الحسين(عليه السلام) بهدايا وتحف، وأمثال ذلك ممّا يلزمنا أن نقتضب عنواناً نخصّصه بعمارة مشهد أبي الفضل(عليه السلام) وبعض ما قدّمه الملوك والتجار الكبار من الخدمة له وخذ ملخصها:

في سنة 1032 من الهجرة النبوية بني الشاه طهماسب قبّة العباس(عليه السلام) بالكاشي، وجعل علي صندوق الضريخ المقدّس شباكاً من الحديد، ونظم الرواق والصحن وبني البهو أمام الباب المقدّم للحرم، وأهدي إلي مشهده الشريف فرشاً من صناعة الإيرانيين الممتازة.

وفي سنة 1155 في عصر نادر الشاه الأفشاري نقشت بعض الأروقة بالبلور علي نفقه نادر شاه، وأهدي إلي حرم العباس(عليه السلام) هدايا وتحفاً.

وفي سنة 1117 زار العتبات المقدّسة وزير نادر شاه، فجدّد صندوق الضريح وعمّر الرواق، وأهدي ثريا للضياء ليوقد فيها الشمع في صحنه المطهر.

وفي عام 1136 أمر الشاه محمد بن ميرزا القاجاري بتبديل الشباك الحديدي بالفضي فصنع كما أمر.

وفي عام 1259 أحدث عمارة في المشهد الشريف العباسي سلطان أود الهندي وهو محمد علي شاه بن السلطان ماجد علي شاه .

وفي سنة 1216 بعد النكبة الموجعة والحادثة النكراء وهجوم

الوهابية المشركين علي كربلاء المقدّسة مركز التوحيد والإباء، وما أحدثوا فيها من شنائع الأعمال وفظائع الأعمال، وتعدّيهم علي الحرمين الشريفين بالتخريب ونهب الذخائر والنفائس والمجوهرات التي يعزّ وجودها عند عظماء السلاطين، نهضت بالشاه فتح علي حمّيته وأقامته فبني قبّة الحسين(عليه السلام)، وصدّر الأيوان بالذهب، وجعل للضريح صندوقاً وشباكاً من الفضّة، وبني قبّة العباس(عليه السلام) بالكاشي البديع.

بني الحاج شكر الله الأفشاري أيوان الطارمة التي لأبي الفضل(عليه السلام) بالذهب، وكتب اسمه في صدر الأيوان بالذهب، وذلك بمساعي الفقيه المرحوم الشيخ زين العابدين المازندراني نزيل كربلاء المتوفي بها سنة 1309، وتاريخ التذهيب 1309 .

ثم إنّ نصير الدولة ذهّب منارة العباس(عليه السلام)، وكان الصائغ يغشّ الطلاء الذهبي بالصفر، ولمّا وقفوا علي الحقيقة استدعوا به، فجيء به من بغداد إلي كربلاء، فلمّا دخل صحن العباس(عليه السلام) اضطرب واسود وجهه ومات من الغد.

وإنّ التذهيب لإيوان الباب الأوّل لمدخل قبّة العباس(عليه السلام) لملك لكناهور محمد شاه، وزاد في الصحن محمد صادق الأصفهاني دوراً اشتراها، وتسقيف الطارمة للسلطان عبد الحميد خان، وجعل السيّد مرتضي سادن الروضة العباسية باباً من الفضّة، ومن الباب المتوسّط من الأبواب الثلاثة التي في الطارمة .

وفي سنة 1266 جاء تاجر زنجاني برخام، ففرش الحضرة والصحن

بـذلك الرخـام، وجلب الصـنّاع معه من إيران، وكـان التاجر يعرف بالحاج محمـد حسـين، ويلقّب بالحجار باشـي، كما حـدّثني الخطيب الأُسـتاذ الشـيخ علي بازي قال: طلب مني السيّد حسن كليدار الروضة العباسية أن أنظم أبياتاً فيها تاريخ ورود الرخام وانتهاء العمل في سنة 1366، فنظمتها ومن خطّه نقلتها:

ذا رخام لم يشاهد مثله

بل ولمّا يكتشفه من أحد

صبغة الله ومن أحسن من

صبغة الله له صبغة يد

هو من إيران قد جاء به

خيرة الحاج الهمام المعتمد

لقّب (الحجار باشي) لما

حاز من أيد جسام لا تعد

حقّق الله أمانيه غداً

وهنيئاً لفتي ينجو بغد

من أخ السبط وآل المصطفي

سوف يجزي بنجاح مطّرد

فحسين فيه أرّخت إلي

بطل الطفّ أبي الفضل ورد

ماء كربلاء القديمة أو نهر العلقمي:

هـذا نهر قـديم لا يدري من حفره وأجراه، ولعلّه كان أسـبق من عصور الأكاسـرة، وصدره من فوق سدّة الهندية قريباً من بلدة المسـيّب علي محاذاة نهر الحسـينية الحالي يمرّ بكربلاء حيث مرقـد سـيّدنا العباس الأكبر بن أمير المؤمنين(عليهما السـلام)، فإذا اجتازه إلي قرية نينوي انعطف متّجهاً إلي الجنوب الشـرقي إلي قريـة برس ((أو البرس))، وله مخاضـة أو معبر بالقرب من ناحية ذي الكفل ((الچفل)) تعرف بقرية شاهي تحاذي

الخان المعروف اليوم بخان الحماد ((أو خان النصف)) بين النجف وكربلاء، ثم يمرّ باتجاهه مشـرّقاً حتّي يصل بلـدة الكوفـة، وعليه تعتمد في شربها وسقي بساتينها، ولها أنهار غيره تأتي من الجنوب الشرقي، والتي تعرف اليوم بأراضي الشامية وعقر بابل.

وآثار العلقمي باقية إلي اليوم في جنوب شـرقي كربلاء بين الخانين: خان النخيلة وخان الحماد، واسمه كذلك عند عامّة الناس ((العلقمي)) مفخمـة قافـة، فهو الآن بين شطّ الهندية وشواطئ البادية، وقد دمّره الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، وآل العلقمي أصـلهم من أهل هذا النهر سكنوا النيل من الحلّة، وكان مؤيد الدين وزير المستعصم آخر ملوك بني العباس.

قال السيّد جعفر آل بحر العلوم في تحفة العالم(1): والعلقمي اسم نهر اقتطع من الفرات إلي كربلاء ومنه إلي الكوفة، وكان هو الباعث علي عمران الكوفة، وفيها أثره إلي الآن ظاهر قرب مرقد أبي الفضل العباس سلام الله عليه .

أمّا السـيّد هبة الدين الشهرسـتاني فلفظه في نهضة الحسـين7: وأمّـا نهر الفرات فعموده الكبير ينحـدر من عـاليه يسـقي القري إلي ضواحي الكوفة، وكذلك يشقّ من عمود النهر الشطّ من لدن الرضوانية نهر كفرع منه يسيل علي بطاح ووهاد شمال شرقي كربلاء وحتّي ينتهي إلي

1- تحفة العالم 193 /2.

قرب مثوي سيّدنا العباس(عليه السلام) إلي نواحي الهندية، ثم ينحدر فيقترن بعمود الفرات في شمال غربي ذي الكفل الكوثي القديمة، ويسمّي حتّي اليوم العلقمي.

وكان هذا الفرات الصغير من صدره إلي مصبّه يسمّي العلقمي، والطف اسم عام لأراض تنحسر عنها المياه، وسمّيت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفّاً لذلك، وسمّي ما جري للإمام الحسين(عليه السلام) فيه واقعة الطف(1).

واتفق المؤرّخون أنّ أحد المعسكرين كان علي سورا، وسورا نهر الجربوعية.

قال المسعودي في التنبيه والاشراف يصف الفرات: ثم ينقسم الفرات إلي جهتين: قسم منها يتوجّه مسيراً إلي المغرب يسمّي ((العلقمي)) يمرّ بالكوفة وغيرها، والقسم الآخر يسمّي ((سورا)) يمرّ بمدينة سوار إلي النيل والطفوف(2)...

لا يعني طفوف كربلاء، فقد كان ذلك يمرّ به العلقمي، وإنما عني به نيل الحلّة نهر المحاويل الحالي، والطفوف طفوف الحلّة.

وقد أكثر الشعراء من ذكره في مراثي الحسين(عليه السلام)، ومنهم من سمّاه ((الفرات)) كعبد الباقي العمري بقوله:

1- نهضة الحسين(عليه السلام): 67 .

2- التنبيه والأشراف: 47 .

بعداً لشطّك يا فرات فمرّ لا

تحلو فإنّك لا هني ولا مري

أيسوغ لي منك الورود وعنك قد

صدر الإمام سليل ساقي الكوثر

ومنهم من سمّاه ((العلقمي)) باسمه الشائع المشهور، كالسيّد جعفر الحلّي في

رثاء العباس(عليه السلام):

وهوي بجنب العلقمي وليته

للشاربين به يداف العلقم

وقال الشاعر العلوي الموسوي السيّد عبد الهادي الطعان من آل السيّد عطية بيتين هما:

جرعت أعداءك يوم الوغي

في حدّ ماضيك من العلقم

وقد بذلت النفس دون الحمي

مجاهداً يا بطل العلقمي

للشيخ المظفر :

ماء الفرات صداق للبتولة قد

صحّ الحديث وجاءت فيه أنباء

والأُمّ عند جيمع الناس إن فقدت

تحوي مواريثها لا ريب أبناء

فللحسين من الزهراء فاطمة

إرث ويحرم وهو الوارث الماء

يموت ظامي الحشا والغاصبون له

منه رواء وتروي المعز والشاء

هذا عجيب ونكر سهّلته لهم

سقيفة الغدر حتّي استفحل الداء

عاشت أُمية والإجرام سنّتها

ومنكرات أفاعيل وأسواء

تمضي العصور والأجيال قد نشرت

صحيفة لأميّ السوء سوداء

تلك القري وهي أنفال لوالده

نصّ الجلي وما في النصّ إخفاء

ص: 571

قد احتوت وهي غناء جيوشكم

وتحتوي جيشه بيداء جرداء

ص: 572

أولاد العباس بن علي(عليه السلام) وأحفاده

الحسن بن العباس، عبيـد الله بن العباس، محمـد بن العباس (استشـهد بكربلاء) أُمّهم جميعاً أُم الفضل الصـغري لبابـة بنت عبيـد الله بن العباس بن عبد المطلب .

الفضل بن العباس، عبيد الله بن العباس، القاسم بن العباس (استشهد بكربلاء).

اختلف النسابون في عدد أولاده، فمنهم المقلّ المقتصر علي واحد، ومنهم الموصل عددهم إلي ستّة ذكور.

وخذ ما قاله النسابون في طرفي القلّة والكثرة:

قال ابن قتيبة في المعارف(1): وأمّا العباس بن علي فقتل مع الحسين بن علي ابن أبي طالب، فولد العباس: عبيد الله، أُمّه لبابة بنت عبيد الله بن عباس، وله عقب...

1- المعارف: 65 .

وقال صاحب ناسخ التواريخ(1): وولد له ولدان أحدهما الفضل، والثاني عبيد الله...

أمّا محمد والقاسم، ذكر محمداً في الشـهداء ابن شـهر آشوب في المناقب وتبعه المجلسي في البحار، وذكرهما معاً في الشهداء أبو إسحاق الإسفرايني في نور العين، وصاحب مطلوب كلّ طالب في أنساب آل أبي طالب فارسي مطبوع ذكر أنهما بارزا وسنذكر كلامهما.

وعبد الله - مكبراً - مذكور في بعض كتب الأنساب المخطوطة.

وفي رياض الجنان(2): إنّ عبـد الله بن العباس بن علي كان طفلاً في الطف وأُخذ مع السـبايا، وعبيد الله بن العباس، ولا عقب للعباس إلا منه عند جمهور النسابين، إلا ابن قتيبة وصاحب طبقات الحنفية، فإنهما ذكرا للحسن بن العباس عقباً.

عبيد الله بن العباس:

كان رجلاً جليلاً فاضلاً ربّاه الإمام زين العابدين وزوّجه بنته خديجة، وجمع له معها ثلاث حرائر من بنات الأشراف يقصد بذلك تنمية نسل عمّه العباس(عليه السلام).

قال المجلسي في البحار: قال الزبير بن بكار: كان للعباس ولد اسمه

1- ناسخ التواريخ 306 /5 .

2- رياض الجنان: 368 طبع بمبئي.

عبيد الله كان من العلماء(1).

وقال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة العلوية: عبيد الله بن العباس تزوّج أربع عقائل كرام: رقية بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، وأُمّ علي بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: فلم تلد له، وأُم أبيها بنت عبد الله معبد بن العباس بن عبد المطلب، وابنة مسور بن مخرمة الزهري.

فولد لعبيد الله ابن العباس عبيد الله والحسن أُمّهما ابنة عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، والعدد والنسل في ولد الحسن بن عبيد الله، وتوفي الحسن بن عبيد الله وهو ابن 67 سنة.

قال السيّد حسون البراقي النجفي في النفحة العنبرية: في بحر الأنساب: أولاد العباس المعقّبين: عبد الله وعبيد الله والفضل.

وذكر في حدائق الألباب أولاد العباس المعقّبين الحسن وعبد الله، ثم ذكر عقبهما.

أمّا ابن عنبة في العمدة، فإنّه ذكر عبيد الله بن العباس، وهو المعقّب، وكذا في سبائك الذهب.

فعبيد الله هو المشهور بالعقب، وهو المقدّر والمحترم، وكان الإمام زين العابدين(عليه السلام) عظيم العناية به، كثير الشفقة عليه، ما نظر إليه إلا بكي، ولا لمحه إلا استعبر، وكان يحبّه ويؤثره ويقدّمه علي سائر

1- بحار الأنوار 700 /9 طبع تبريز.

أقربائه، ويقرّبه ويدنيه يتذكر به موقف أبيه العباس(عليه السلام) ذلك الموقف الكريم أمام إمامه الحسين(عليه السلام)، ذلك الموقف الذي ألبس الإنسانية أردية الفخار، وكسي المؤمنين كساء الرفعة.

وكان عبيد الله طفلاً عند قتل أبيه العباس(عليه السلام) بقي عند أُمّه بالمدينة، ولما طرق المدينة نبأ تلك المأساة الممضة وشاع خبر تلك المذبحة المؤلمة في أحياء يثرب، فسدّدت سهام آلامها إلي الصميم من قلب كلّ عقيلة فاطمية بنوافذها، وممّن شكّ قلبها بالسهم المحدّد ذي الشعب الفتاكة هي فاطمة أُم البنين(عليها السلام)، فهي امرأة رقيقة الجنان، قويّة العاطفة، وحصّتها من تلك الفادحة عند الاقتسام الوافية، وسهمها من تلك المأساة عند المساهمة الأوفي، فكانت تحمل عبيد الله الشبل الآساد الأربعة وخلف الليث الخادر علي كتفها، وتمضي به إلي بقيع المدينة فتندب أولادها الآساد الأربعة أشجي ندبة، وتبكيهم أوجع بكاء وأحزنه، وكان ندبتها تؤثر حتّي في قلوب القساة التي هي بالجلاميد الصماء أشبه، وتنصدع رقّة لها أفئدة الأعداء الغلاظ.

وقد كان العدوّ الألد والخصم الأقسي والبغيض الأجفي إذا سمع ندبتها البليلة بصوت الرقّة الندية بسجع الحنان لا يملك نفسه الشريدة حتّي يستعبر، ولا يستطيع المكاتمة دون أن يغلبه البكاء انجذاباً لتلك الرنّة المحزنة والحنة المشجية.

قال المجلسي في بحاره حكاه عنه صاحب رياض الأحزان ولفظه: وأمّا دار العباس بن علي(عليهما السلام) وإخوته فلم يكن بها منهم أحد رجع

إليها.

قال الشيخ محمد السماوي في إبصار العين: أنا أسترقّ جدّاً من رثاء أُمّه (يعني العباس(عليه السلام)) فاطمة أُم البنين(عليها السلام) الذي أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل، وقد كانت تخرج إلي البقيع كلّ يوم ترثيه وتحمل ولده عبيد الله، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، فيبكون لشجي الندبة، قولها:

يا من رأي العباس

كرّ علي جماهير النقد

ورواه من أبناء حيدر

كلّ ليث ذي لبد

نُبّئت أنّ ابني أُصيب

برأسه مقطوع يد

ويلي علي شبلي أما

ل برأسه ضرب العمد

لو كان سفيك في يد

يك لما دنا منه أحد

وقولها:

لا تدعونّي ويك أُم البنين

تذكريني بليوث العرين

كان بنون لي أُدعي بهم

واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربي

قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم

فكلّهم أمسي صريعاً طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا

بأنّ عباساً قطيع اليمين

ص: 577

محمد والقاسم الشهيدان مع عمّهما الحسين(عليه السلام):

هما ولد العباس بن علي(عليهما السلام) ولا عقب لهما، واستشهدا مع عمّهما الحسين(عليه السلام) بطف كربلاء.

أمّا محمد وحده فنصّ عليه محمد بن شهر آشوب في المناقب في شهداء الطف وقال: قتل مع أبيه العباس(عليه السلام)، وتبعه الفاضل المجلسي في البحار، والدربندي في أسرار الشهادة، وملا عبد الله في مقتل العوالم.

ونصّ علي شهادته وشهادة أخيه القاسم وأنهما قتلا محاربين مبارزة أبو إسحاق الإسفرائيني، والنسابة صاحب مطلوب كلّ طالب المطبوع في إيران فارسي، والقائني في الكبريت الأحمر، وهو فارسي أيضاً، وملخص ما ترجمناه منهما:

إنّ العباس(عليه السلام) لمّا ضرب بالعمود وسقط علي المسناة، وإنّ الحسين(عليه السلام) مشي إليه ورآه بتلك الحالة، وأنّه بعد رجوعه منه جعل ينادي: وا غوثاه بك يا الله، وا قلّة ناصراه، فخرج إليه من الخيمة محمد بن العباس والقاسم بن العباس يناديان: لبيك يا مولانا نحن بين يديك، وأجابهما الحسين(عليه السلام) بشهادة أبيكما الكفاية، فقالا: لا والله يا عمّاه.

وبعد وداع عمّهما خرجا إلي الميدان، ثم ذكرا أنهما قتلا عدداً كثيراً من الأعداء، وثلما من جيش أهل الكوفة ثلماً كبيرة.

ولا عجب فالشبل من ذاك الأسد، أبوهما العباس وجدّهما

أمير المؤمنين علي ابن أبي طـالب فـارس المشارق والمغارب، وعمومتهما الحسن والحسـين ومحمـد ابن الحنفيـة، وعمومـة الأب جعفر الطيار وطالب وعقيل، وعمومة الجدّ حمزة، وأخوال الأب ملاعب الأسنة ونزال المضيف وفارس قرزل ومدرك الثار وأربد الحتوف.

أمّا أبو إسحاق فذكر في نور العين(1) أنّه بعد نداء الحسين(عليه السلام) واستغاثته عند فقد الأنصار وبعد شهادة العباس(عليه السلام) خرج إليه من الخيمـة غلامان، أحـدهما محمـد بن العباس، والثاني أخوه القاسم، وهما يقولان: لبيك يامولانا نحن بين يديك، فقال: كفاكما قتل والدكما، فقالا: لا والله يا عمّاه، بل أنفسنا لك الفداء، فاذن لنا بالبراز . وساق قصّة شهادتهما...

هذا ما نقله هؤلاء الثلاثة ونقلناه بمعناه، ولم نحك الألفاظ فليراجعها من أرادها.

1- نور العين: 20 .

أحفاد العباس بن أمير المؤمنين(عليه السلام)

لقد ازدان التاريخ بعدد كبير من أحفاد العباس(عليه السلام)، وقد برز منهم أعلام في العلم والأدب والتجارة والصناعة والزراعة، وغير ذلك من المهن الحرّة الشريفة.

وكانت لهم منزلة عظيمة، وكمثل علي ذلك اعتبارهم بمنزلة بني فاطمة الزهراء(عليها السلام)، فعن معاوية بن عمّار قال: قلت للصادق(عليه السلام): كيف قسّمت فدك بعد ما رجعت إليكم قال: لولد العباس(عليه السلام) ربع والباقي لنا(1)، وعلي ذلك فقس.

ونحن نقتصر هنا علي ذكر نماذج منهم، ونختصر في ذلك علي بعض الأحفاد:

عبيد الله الثاني (الأمير):

لعبيد الله بن العباس حفيد من ولده الحسن اسمه عبيد الله أيضاً، ويعرف ب-((الأمير))، ذلك لأنّه تولّي علي إمارة الحرمين مكّة والمدينة في بداية العصر العباسي، فقد جاء في تاريخ الطبرسي أنّ هارون العباسي

1- سرّ السلسلة العلوية : 89، العباس للمقرّم : 81 .

ولاّه بعد ولاية صالح بن الرشيد.

الحمزة بن عبيد الله الثاني:

ولعبيد الله الثاني هذا ولد اسمه الحمزة كان عالماً أديباً فصيحاً شاعراً شجاعاً، وكان يشبه جدّه الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) .

قال الداوودي في العمدة: زاده المأمون مائة ألف درهم في العطاء لذلك الشبه.

محمد بن الحمزة بن عبيد الله الثاني:

وللحمزة بن عبيد الله الثاني ولد اسمه محمد عرف بالشهيد، لأنّه قتل غيلة ظلماً وعدواناً أيّام القرامطة، وكان عالماً سخيّاً شجاعاً فصيحاً جمع من الفضائل ما قلّ أن يجمع في غيره.

كما أنّه كان من رجال الأعمال والعقار والضياع مثرياً محسناً وجيهاً محبوباً... مع أنّه كان في غربة عن وطنه المدينة، فقد كان في طبرية بالأردن، وبها قتل مأسوفاً عليه، وعقبه يعرفون ب-((بني الشهيد))(1).

العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس(عليه السلام):

وللحسن بن عبيد الله بن العباس(عليه السلام) ولد اسمه العباس أيضاً،

1- عن كتاب بحر الانساب للعميدي : 66.

وللعباس الثاني هذا ولد اسمه عبد الله، ويعرف بالخطيب، وكان هو وأولاده من الأعيان البارزين، وكان شاعراً مجيداً كما جاء ذلك في كتاب ((العمدة)).

وله ولد اسمه القاسم كان فقيهاً محدّثاً ذا وجاهة كبيرة، وكان قاضي الحرمين مكّة والمدينة، كما كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، جاء ذلك في كتاب المناقب لابن شهرآشوب رحمه الله .

الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس(عليه السلام):

كما ولعبيد الله الأوّل بن العباس(عليه السلام) من ولده الحسن حفيد اسمه الحمزة أيضاً .

والحمزة هذا جدّ والد الحمزة الغربي المكنّي ب-((أبي يعلي بن علي بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس(عليه السلام)))، وهو ثقه جليل القدر، كما في كتاب تحفة العالم للسيّد بحر العلوم(1)، وكان مؤلّفاً عارفاً نبيلاً، ومن مشايخ الإجازة ورواة

الحديث، هكذا كان، بل أكثر كما قال عنه المؤرّخون والنسّابون وعلماء علم الحديث.

وله كتاب ((التوحيد))، وكتاب ((الزيارات والمناسك))، وكتاب ((الردّ علي محمد بن جعفر الأسدي))(2).

وقبره في الحلّة قرب القرية المزيدية، وللحمزة الغربي هذا كرامات

1- تحفة العالم : 2/34 .

2- عن رجال النجاشي : 101 .

باهرة حيّاً وميّتاً، ولـذلك تري قبره الواقع في القريـة المـذكورة بين قبائل آل سـلطان حافلاً بالزائرين يقصـده ذووا الحاجات للتوسّل إلي الله بمقامه عنده(1) عملاً بقوله تعالي)وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ(.

هذه نماذج من أحفاد العباس(عليه السلام) ممّن احتلوا المراكز العليا في مختلف الميادين.

يهنيك يا أمّ البنين بسادة

من أفضل الأبناء والأحفاد

وقال الشيخ هادي كاشف الغطاء رحمه الله:

أمّ البنين طابت الأبناء

منك كما قد طابت الآباء

أمّ الأسود من بني عمر العلي

أمّ الحماة والأباة النبلا

أمّ أبي الفضل وأمّ جعفر

وأمّ عبد الله شبل حيدر

وأمّ عثمان الذي أسماه

باسم ابن مظعون الأب الأوّه

الأنجبين الطاهرين أنفسا

الأكرمين الطيّبين مغرسا(2)

1- لصاحب كتاب ((مشاهد العترة الطاهرة)) السيّد كمونه رحمه الله تحقيق عن قبره في الموضع المشار إليه.

2- أنظر كتاب أم البنين(عليها السلام) والدة حامل لواء الحسين(عليه السلام) للسيّد علي أشرف.

من كرامات العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام)

هي كثيرة جدّاً لا تحصـي أو تحصي النجوم، ولا تعدّ أو تعدّ قطرات الغيوم، تتوالي علي ممرّ الأيام، وتتجدّد متتالية بتجدّد العصور والأعوام، وقد جمع جمّ من المؤلفين بعض هذه الكرامات ووثقوها وأثبتوها في كتب وأسـفار ضـخمة، منها كتاب ((جهرة درخشان قمر بني هاشم – سيماء قمر بني هاشم الوضاء)) للشيخ المرحوم علي الرباني الخلخالي في خمسة أجزاء ضخمة.

والكرامة كالمعجزة في كونها خارقة للعادة وقاهرة للنواميس الطبيعية.

أمّا كرامات العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام) فواردة مورد التواتر، بل متواترة قطعية في كلّ عصر وفي كلّ عام من أعوام الحياة وشاهدها العيان ودليلها الوجدان:

له قبّة سامي الضراح ضريحها

بها تكشف البلوي ويستدفع الضرّ

ص: 584

وفيها شفاء للسقام وثروة

لذي الفقر إن وافي إليها انتهي الفقر

وفيها علي رغم الحسود لخائف

أمان من البلوي وفي ظلّها النصر

***

لدي قبّة العباس حلو الغرائز

تشاهد بالعينين شتّي المعاجز

تجد عندها القصّاد من كلّ بلدة

وما صادر من عنده غير فائز

فثق زائر العباس إن زرت قبره

برضوان ربّ وهو أسني الجوائز

ونجح الأماني والشفا عند قبره

وأمن من الأرزاء عند الهزاهز

فما غيره بعد النبي وآله

أئمتنا من مستجار لعاجز

أقام لهم باري الأنام مراكز

مقدّسة أكرم لها من مراكز

تزورهم الأحياء منّا ومن يمت

نزورهم علي بعد المدي في الجنائز

فدع عنك قول الحاسدين لفضلهم

فلا تلقي في الحساد غير التغامز

فمن طيشهم قالوا الزيارة بدعة

ومن هذر قالوا البكا غير جائز

وهم يتركوا نصّ النبي محمد

لمن قال إنّ الدين دين العجائز

إنّ تسجيل كرامات العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) وضبط ما صدر منها من حين شهادته إلي يومنا هذا خارج عن الوسع والطاقة، وليس في مقدور إنسان أن يضبط كلّ الوقائع التي تتجدّد بتجدّد الأيام، وقد

نقل ثقاة العلماء مثل الصدوق الشيعي الإمامي، وأبو الفرج الأصفهاني الزيدي، وسبط ابن الجوزي الحنفي، وغيرهم قصّة قاتله الذي يجيء إليه كلّ ليلة، وهو حي فيغتّه في نار جهنم، فيصرخ صراخاً عالياً يفزع الجيران ويوقظ النوام قد شاهدوه مسودّ الوجه بعد أن كان صبيحاً، وقد تقدّمت القصّة.

أمّا الكرامات الواقعة في عصرنا ممّا شاهدناه ونقله لنا الثقاة فكثيرة جدّاً، وبالأخص تعجيل الله العقوبة لمن تعدّي عليه وتجاوز، وهو ما تسمّيه الناس بالشارة، وقد بلغ الرعب منه في نفوس عامّة الشيعة وخاصتهم حتّي أهل العامّة المختلطين بالشيعة يرهبون سيّدّنا العباس(عليه السلام) أشدّ الرهبة، فهم إذا أرادوا عقد موادعة، ويسمّونه بلسانهم علق وعطوة، أو أرادوا عقد صلح بتسليم الديّة، ويسمونها بلسانهم فصل، عقدوا راية باسم العباس(عليه السلام)، وجعلوه كفيلاً وثوقاً منهم بأنّ الله ينتقم من المعتدي سريعاً بدون إمهال، فهم مطمئنون بسرعة الانتقام من المتجاوز علي صاحبه، والذي يسمّونه بلسانهم كاسر راية العباس(عليه السلام) منكوب عندهم لا يرتابون في ذلك، فهم لذلك يسمّون القوي من المشائخ الكبار والسلطان إذا كان واسطة صلحهم وسبب قبول بعضهم الديّة ((الفصل)) من بعض الواجفة وعليه تنكيل الخارق لعهود المصالحة التي أجراها ذلك الرئيس القوي من رؤساء العشائر، وهو مع قوّته واقتداره لا يطمئن بنفسه وبقوّة عشائره علي التنكيل حتّي يعقد الراية باسم العباس(عليه السلام)، ويكون هو الواجفة في

((الفصل))، وكذلك العلق والعطوة، فإنّ المتجاوز والعباس الواجفة ينكب بدون إمهال قبل تنكيل الشيخ فيه، ويصاب إمّا ببدنه أو بفقد أعزّ ما لديه من مال وقرابة، أو يفقد هو نفسه، وهذا أمر معلوم عندهم لا يمتارون فيه ولا يرتابون، وإنّ التعدّي من عشيرة بكاملها لا من فرد، فهو إمارة تلفها وتشتتها وذهاب رجالها وأموالها، وكلّ واحد من أفراد العشائر إذا ذاكرته بهذا أفاض عليك بأحاديث متنوّعة من هذا الطرز يحصل بمجوعها التواتر.

أمّا التحالف، وهو أنواع عند العشائر، وهو أُعجوبة بكلّ أنواعه:

منها: أنّ شخصاً يخاف من شخص خيانة أو غدراً فيحلّفه بالعباس فيحلف ذلك، ولا يطمئن بحلفه له حتّي يعطيه سيف العباس، فيرفع الحالف عصا أو خنجراً أو عوداً من الأرض فيغرسه فيها، ويقول: هذا سيف العباس(عليه السلام) لا أخونك ولا أغدر بك، فيطمئن المحلوف له، فإذا خان الحالف أو غدر أصابه البلاء.

ومنها: إذا أراد أحدهم من الآخر سلعة أو خطب ابنته أو البنت التي يعشقها، فلا يطمئن بمواعيدهم له، فيرفعون عصا كالسابق ويقول الحالف: هذا سيف العباس(عليه السلام) لك إنّ ما أردته لك لا أبيعه من غيرك ولا أُزوج البنت من أحد سواك، فيكون سبيل هذا الحلف بسيف العباس(عليه السلام).

وهكذا لهم شكل آخر في مثل هذين النوعين من الحلف بأن يحفر نقرة في الأرض ويقول: هذه نقرة العباس(عليه السلام) فطمّها، فإذا طمّها علم

أنّه يفي، فإذا خانه بعد ذلك نكب.

ومنها: حلف الخصومات والمنازعات في جميع أنواع التهم من سرقة وقتل ودين وما أشبهه، فإنهم متي تفاقم الأمر واشتدّت الخصومة، ولم تستطع حلّها علماء الدين ولا رؤساء العشائر ولا موظفوا الدولة طلبوا المصفي، وهو العباس(عليه السلام)، فينتهي

النزاع بالحلف بالعباس(عليه السلام)، فينتهي قبل السفر باعتراف المتّهم، وفي أثناء السفر أو في الصحن الشريف، إمّا باعتراف المتّهم أو ببراءته بالحلف، وإن حلف مع تلوثه بالجريمة نكب إمّا في نفس الصحن، أو في عودته، ولا يقضي المجرم سنته إلا منكوباً، ولهذا يختارون الحلف بالعباس(عليه السلام) دون القرآن المجيد، لأنّ الله تعالي عندهم أقلّ حلمه أربعين سنة، وكذلك النبي(صلي الله عليه واله) وأمير المؤمنين، والحسين(عليه السلام)، يقولون: إنّ النبي(صلي الله عليه واله) فعلوا ما فعلوا معه من كسر رباعيته ونثر التراب عليه، وعلي(عليه السلام) قادوه بحمائل سيفه، والحسين فعلوا معه ما فعلوا ومع ذلك صبروا، ولكن العباس(عليه السلام) ليس كالأئمة:، ولهذا إذا قصدوا صاحوا: أبو راس الحار، المستعجل، المصفّي، فالمحلّف عندهم لا يجوز أن يزور الحسين(عليه السلام) قبل تأدية الحلف، لأنهم يقولون: إذا دخل قبّة الحسين(عليه السلام) فقد استجار به، والعباس(عليه السلام) لا يخفر جوار أخيه الحسين(عليه السلام)، بلسانهم: لا يأخذ دخيل أخيه.

هذه اُمور مكشوفة لكلّ إنسان، أمّا قضاء الحاجات ونجاح الآمال، فحدّث ولا حرج، وقد علم الشيعة كلّهم إنّه ما توسل إلي الله به

متوسّل إلا وقضي حاجته، ولا سأله بحرمته سائل إلا وتيسّر عليه مطلوبه، فلذلك سمّي بباب الحوائج .

للمظفر :

أبو الفضل ابن داحي الباب أعلا

إله العرش في الدنيا مقامه

وكم من معجزات باهرات

له قد عرفوها بالكرامه

حباه الله فيها منه فضلاً

كذا فرع النبوة والإمامه

فمن حين الشهادة قد تجلّت

لناظرها وتوصل بالقيامه

فكم من لائذ فيه حماه

وكم من خائف أضحي عصامه

وكم من معدم أضحي غناه

وكم ذي عاهة داوي سقامه

وكم قد حفّت الأخطار شخصاً

فلمّا جاءه لاقي السلامه

كرامة: وفا بحاجته وزيادة

قال الشيخ المظفر: حدّثني الخطيب الأديب الشيخ جاسم قسام عن الفقيه السيّد جاسم إمام جامع الصياغ في النجف، وكان رجلاً صالحاً ظاهر الخشوع وأثر الزهد عليه بيّن: أنّ رجلاً علوياً من سكّان بلدة الكاظمية، وكان غنيّاً مثرياً يجهز الزائرين لمرقد الحسين(عليه السلام) ويعينهم ويزوّدهم بالأقوات وأسباب الراحة ويبذل لهم المعونة والإسعاف بالنقليات من البغال وغيرها، ويقوم بالنفقة علي من رافقه إلي زيارة الحسين(عليه السلام)، فابتلي بالفقر في بعض الأعوام، وأصابته ضائقة شديدة

وفاقة وحاجة عجز معها عن تأدية ما كان يقوم فيه، واحتاج إلي ما يسدّ به حاجة رفقائه جرياً علي عادته، فما تيسّر له لذلك، ولم ترض نفسه بقطع العادة، فقام بكري حيوانات النقل، وأوعد المكاريين أن يوفيهم الكراء بكربلاء، واستدان من التجار ما يكفي لقوت من صحبه إلي الزيارة موعداً لهم بالوفاء عند رجوعه.

فلمّا وصل إلي الحائر الحسيني وألقي أثقاله هناك قصد الحرم الحسيني الشريف ووقف تجاه القبر المقدّس وأنشأ يقول:

جئت أسعي إليك من غير زاد

قاصر الخطو أحمل الآثاما

لم يدع لي الحياء عندك نطقاً

ربما يمنع الحياء الكلاما

فخرج من القبر ولم ينل منه مقصوده، فقال في نفسه: أخطأت لم أجب جهة الطلب، عليّ أن أدخل البيت من بابه وباب الحسين(عليه السلام) هو أبا الفضل(عليه السلام)، فجاء إلي ضريح أبي الفضل العباس(عليه السلام) فأنشا يقول:

أبا الفضل أنت الباب للسبط مثلما

أبوك علي كان باب لأحمدا

إذا أنت لم تسعف بمقصد وافد

إلي السبط لم ينجح له السبط مقصدا

ثم خرج من القبر فلقي رجلاً فناوله ورقة تحويل علي بعض التجار فيها وفاء بحاجته وزيادة.

كرامة: شفاء من السلّ القتّال

قال الشيخ المظفر : لدينا في النجف شاب علوي اسمه السيّد سعيد

بن السيّد إبراهيم البهبهاني، هو وأبوه من خطباء المنبر الحسيني، حدّثني بقصّته جماعة من الخطباء، ثم سمعتها منه مشافهة، وملخصها:

أنّه أُصيب بداء السل وعالجه كثير من الأطباء الحذّاق والدكاترة المتخصّصين بعلاج هذا الداء العضال حتّي يئسوا من برئه، وأجمعوا أنّه لا يبرء، وجزموا بموته عن قريب.

فلمّا سمع منهم تضاعفت أحزانه وأقلقله الخوف، ولم يري وجهاً يرجو منه الشفاء، ولم يجد سبباً لبرء هذا الداء القتّال، فرأي مناماً فيه أنّ رجلاً يشير عليه بقصد باب الحوائج أبي الفضل العباس(عليه السلام)، فلمّا استيقظ قصد زيارة العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) للاستشفاء بضريحه الأقدس.

فلمّا وصل إلي المشهد الشريف واضطجع إلي جنب الضريح أخذ البرء يدبّ في بدنه، والشفاء يسري في عروقه، ولاحت عليه أمارات الشفاء، وظهرت علامات العافية، ولم يطل الوقت حتّي عوفي بإذن الله وكرامة العباس(عليه السلام)، وها هو حي وفي تمام الصحّة والعافية، وقد أخبرني أنّ له شعراً في ذلك لم أكتبه عنه، وهذه قصص كثيرة لو تلوناها عليك لأسهبنا.

كرامة

ص: 591

قال الفاضل الدربندي في أسـرار الشهادة(1): ثم إنّ مقاماته النورانية، أي تصـرّفه في جملة المواضع لأجل هذه النشأة من اسـتخلاص زوار الحسين(عليه السلام) في طرق الزيارة من شرّ الأشرار الكفار، وإيصال جمع منهم إلي القافلة بعد أن ضلّوا الطريق ممّا

حصل به العلم لكلّ مؤمن مستبصر، فما يقع في كلّ عصر من ذلك القبيل يغني عن كلّ ما نقل في عصر سابق عليه، وهكذا خارق العادات والكرامات الصادرة عند قبره الشريف، فاقتصر علي ذكر بعض من ذلك ممّا أتيقن بوقوعه:

من ذلك ما أخبرني به السـيّد الأجل السـيّد أحمد نجل السـيّد الأفخم السـيّد الشـريف نصر الله المدرّس الحائري بأني كنت مع جمع من الخدّام قاعدين في الصحن الشريف للحضرة العباسية، فبينما نحن كذلك إذا خرج رجل من الحرم الشريف راكضاً عجلاً واضعاً إحدي يديه علي خنصر يده الأُخري حتّي إنّه خرج من الصحن!

فقمنا مسـرعين نحوه، فلقيناه بعد أن خرج من الصـحن، فرفع يده من أصل الخنصر، فإذا خنصره مقطوعة من أصلها والدم يسيل منها سيلان الماء من الميزاب، فرجعنا إلي الحرم الشـريف مسـرعين، فوجدنا خنصـره بين شبكات الضريح معلّقة عليها ولم تقطر قطرة منها كأنها عضو من أعضاء غير حيّ، ثم إنّ هذا الرجل قد مات بعد ليلة من ذلك اليوم، وكان ذلك لأجل صدور تقصير منه كالإهانة أو مخالفة عهد أو

1- أسرار الشهادة: 325 .

نذر ونحو ذلك.

للشيخ المظفر :

سلام علي باب الحوائج عباس

شبل الوصيّ علي فارس الناس

إنّ حامي الحمي الحسني مواهبه

في الدين والعلم والمعروف والباس

هو المجن لأحداث الزمان لنا

والعون عند لقاء الفادح القاس

إنّ الحديث الذي يروي كرامته

عندي صحيح علي العينين والراس

قد ثبّت الله فيهم ركن ملّته

ولا يثبتن البنا إلا بآساسي

وإنّهم عندنا سفن النجاة لنا

وما علينا بنقد الخصم من باس

نرجو الشفاعة منهم في المعاد لنا

لسنا من الفوز بالفردوس في ياس

وإنّما ربّنا من حوض كوثرهم

كأس هنيّ رويّ طاب من كاس

سيأمرون غداً فينا إلي غرف

محفوفة برياض الورد والآس

فالآمنون من النيران شيعتهم

إن أوقدت بالحجارة الصلد والناس

وإنّ شيعتهم في الحشر منزلهم

بين النبيّين مثل الخضر والياس

روح وريحان فيها والنعيم بها

عرف ذكا نشره من طيب أنفاس

والجاحدون لهم في قعر مظلمة

مع الشياطين في ذلّ وإبلاس

يكبّ ظالمهم والقاتلون لهم

علي المناخر في النيران والراس

إن تشتكي فاطم الزهراء ما لقيت

أبناؤها من صنيع الأُمة القاسي

تجيئ تحمل رأس السبط مهجتها

وطفله ويدي ذي الفضل عباس

ص: 593

هناك يشتدّ سخط الله إذ غضبت

بنت النبي علي الجاني من الناس

ونكتفي بما ذكره الشيخ المظفر ، وذلك لأنّ كرامات أبي الفضل العباس(عليه السلام) لا تنتهي ولا تعدّ ولا تحصر، وممّا لا شكّ فيه أنّ كلّ شيعي قـد عاش أكثر من كرامـة في حياته، إمّا له شخصـياً أو لأحد القريبين منه أو غيرهم بحيث يكون هو فيها شاهد عيان أو سامع مباشـر، فمن أراد إحصاء كرامات العباس(عليه السلام) فعليه أن يحصي حياة الشيعة، بل وغير الشيعة أحياناً كثيرة.

ص: 594

تأبين أبي الفضل العباس(عليه السلام) ومراثيه

كثر تأبين العباس بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) ورثاه عامّة الشعراء في سائر العصور بمختلف الألسنة، ومتنوع اللهجات من الفارسية والهندية والتركية والانجليزية والفرنسية والكثير من اللغات واللهجات الأفريقية والعربية بنوعيها القريض والحسجة – وهو اللغة الدارجة العامّية – وبلغت في إثارة الحماس وتهييج الحزن فوق ما بلغته اللغة الفصيحة، ولو جمعت تلك المراثي لبلغت عدّة مجلدات ضخمة الحجم.

وسنورد نموذجاً منها وإن تكرّر طبعه وحفظه أكثر الخطباء.

قصيدة الأزري

فمنه قول الحاج محمد رضا الأُزري البغدادي في تأبين أبي الفضل العباس(عليه السلام) من قصيدته التي باري فيها معلقة لبيد، قال :

أوما أتاك حديث وقعة كربلا

أنّي وقد بلغ السماء قتامها

ص: 595

يوم أبو الفضل استجار به الهدي

والشمس من كدر العجاج لثامها

كأنّ هذا الأديب يشير بقوله ((استجار به الهدي)) إلي أنّ أبا الفضل جدير أن يلقّب بمجير الهدي، واشتقاق اللقّب كثيراً ما يكون مشتقّاً من صفات الملقّب به، أو من فعل صادر من أفعاله، فكان البطل العلوي مجيراً للهدي.

والبيض فوق تحسب وقعها

زجل الرعود إذا اكفهرّ غمامها

فحمي عرينته ودمدم دونها

ويذبّ من دون الشري ضرغامها

من باسل يلقي الأسنّة باسماً

والشوس يرشح بالمنيّة هامها

هذه غاية البطولة ونهاية الفروسية أن يخوض التي تزداد فيها وجوه الأبطال كلوحاً وعبوسة، وترشح هامها دماً باسماً مبتهجاً يحسب رشحات قامات الأبطال رشحات وجنات الخدود الموردة.

وأشمّ لا يحتلّ دار هضيمة

أو يستقلّ علي النجوم رغامها

فكما أنّه من المستحيل استعلاء الرغام الذي هو التراب علي أنجم السماء المرتفعة عنه ارتفاعاً لا يحدّ بالضبط والدقّة كان من المستحيل أن يحتلّ العباس(عليه السلام) الأبيّ النفس الحميّ الأنف دار مذلّة وهوان، وهي أبعد من متناول شممه من الرغام من نجوم السماء.

أو لم تكن تدري قريش أنّه

طلّاع كلّ ثنيّة مقدامها

ليست قريش وحدها تدري أنّه طلاع الثنايا المخوفة والنجود المرعبة، بل العرب قاطبة تعلم أنّه الطلاع للثنايا المخوفة والمقدام في

الأهوال ساعة الزحف والسابق إلي خوض تيّار الأخطار، فهو مقدام الأمم لا قريش خاصّة.

بطل أطلّ علي العراق مجلّياً

فاعصوصبت فرقاً تمور شئامها

لا ـ شكّ أنّ الألوية والنواحي المرتبطة بعاصمة من العواصم إذا عصفت إحدي الزوابع فزعزعت ذلك القطر أو انفجرت بعض البراكين فنسفت ذلك الإقليم ارتجت العاصمة وشملها الرعب – وإن بعدت – خوفاً أن تهبّ من ضواحيها تلك الزوبعة الهائلة أو يفجر في نواحيها ذلك البركان الشديد، فتندكّ معاقلها، وتنهار حصونها، وتنسف أبراجها، وتزعزع شوامخ رواسيها، فبركان الشجاعة العباسية المنفجر في الجيش الأموي الكوفي زوبعة البطولة العلوية التي هبّت بمعسكر جند السقيفة وآل حر،ب فمارت لنبئه الشام فرقاً من صدمته وخوفاً من هوله.

وشأ الكرام فلا تري من أُمّة

للفخر إلا ابن الوصيّ إمامها

هو ذاك موئل رأيها وزعيمها

لو جلّ حادثها ولدّ خصامها

وأشدّها بأساً وأرجحها حجي

لو ناص موكبها وزاغ أقدامها

تضرب العرب مثل المبالغة في نعت الجيوش العظيمة ذات الثبات في الزحف والمقاومة عند الضرب والصبر في الجلاد اعتماداً علي قوّتها من حيث الكثرة والاستعداد والصبر، فيقولون: كتائب كالجبال، أو هي جبال من حديد، أو جبال لا تزول من مقرّها إلا أن تضرب بجبال

مثلها، هكذا يقولون، وبهذا ينطقون، وقد قال معاوية يوم صـفين في ربيعة العراق، وكانوا في ميسـرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام):

إذا قلت قد ولّت ربيعة أقبلت

كتائب منهم كالجبال تجالد

وقولهم جبال من حديد نظراً لما عليهم من الأدراع والمغافر الحديدية، وقد قال بعض قوّاد صـفين: ولقيت جبال الحديد يدكّ بعضها بعضاً، وجبـال الحديـد هـذه يوم الطف قـد لاقاها أبو الفضل العباس(عليه السـلام) بجبال أعظم منها دكّها بها، وهي عزمه وثباته ونجـدته وبأسـه وحفاظه وبصيرته ويقينه، فهو فرد في شخصه جموع في صفاته.

ولكم له من غضبة مضريّة

قد كاد يلحق بالسحاب ضرامها

يشير بهذا البيت إلي قول شاعر مضر وفارسها في عصر الجاهلية:

إذا ما غضبنا غضبة مضريّة

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

واسـتعار المعني الأـديب الاـُزري، لأـنّ أبـا الفضل العباس(عليه السـلام) أحقّ به وأولي، لأنّه صـدّق قوله بفعله، وغضـبة أبي الفضل(عليه السلام) كما يتحدّث بعض الخطباء تركت الخيل يسحق بعضها بعضاً.

أغري به عصب ابن هند فانثنت

كلح الجباه مطاشة أحلامها

ثم انثني نحو الفرات ودونه

حلبات عادية يصلّ لجامها

فكأنّه صقر بأعلي جوّها

جلّي فحلّق ما هناك حمامها

أو ضيغم شثن البراثن ملبد

قد شدّ فانتشرت ثبا أنعامها

لولا أنّ سنّة العرب الجارية عند شعرائهم، وسيرة أُدبائهم المتبعة

ص: 598

منذ أوّل العصور العربية إلي اليوم من تشبيه البطل المرهوب بسباع الطيور الخاطفة كالصقور الكاسرة وضواري الوحوش الهائجة كالضواري المفترسة، وذلك إذا راموا المبالغة في الشجاعة والإقدام لأنكرنا علي هذا الشاعر البليغ تشبيه العباس(عليه السلام) بالصقر والضيغم، فما قيمة الصقر والأسد في جنب شجاعة العباس(عليه السلام).

فأبت نقيبته الزكية ربّها

وحشا ابن فاطمة يشبّ ضرامها

وكذلكم ملأ المزاد وعبّها

وانصاع يرفل بالحديد همامها

حتّي إذا دانا المخيم جلجلت

سوداء قد ملأ الفضا أرزامها

فجلا تلاتلها بجاشٍ رابط

فتقاعست منكوسة أعلامها

ومذ استطار إليهمو متطلّعاً

كالأيم يلهب بالشواظ سمامها

حسمت يديه يد القضاء بمبرم

ويد القضا لم ينتقض إبرامها

وإنما أحال هذا الأديب قطع يد العباس(عليه السلام) علي مبرم القضاء ومحتوم الأقدار، لأنّ الدنو منه ليس في مقدور الأبطال، والاقتراب إليه لم يكن في وسع الشجعان، لصولته المرهوبة، وسطوته المخشيّة، فإنّ الأسد إذا صال أرعب، والصقر إذا انقض خطف، والقنيص لا يفلت من خالب البازي، والفريسة لا تخلص من أنياب الضاري، فكلّ بطل في حربه محايد، وكلّ كمي جريء عن لقائه متباعد، فهم في تأخّر وتقهقر وفرار وإدبار يمطرون عليه من بعد شئآبيب السهام، ويشرعون أجمات الرماح، وهم علي الأدبار مقعون، وعلي الأعقاب ناكصون، حتّي

مكّنهم القضاء المبرم من الاختفاء خلف النخيلات الجاثمة علي ضفاف المسناة، وهذه أُخت السدّة التي مكنت الخوارج من أبيه فارس الإسلام وبطل البشرية، فالقدر أتاح لهذين الصنفين الشريرين مكامن من نخلات وسقوف لاغتيال الليثين والتمكين من الأسدين.

واعتاقه شرك الردي دون الشري

أنّ المنايا لا تطيش سهامها

الله أكبر أيّ بدر خرّ من

أُفق الهداية فاستشاط ظلامها

فمن المعزّي السبط سبط محمد

بفتي له الأشراف طأطأ هامها

وأخ كريم لم يخنه بمشهد

حيث السراة كبا بها إقدامها

أيّها الأديب من بقي مع السبط فيعزيه بهذا الأخ الكريم وقد قتل جميع الأحبّة، لعلّك تستنهض النسوة المذاعير إلي تعزيته، وتستصرخ العقائل الثكلي في الإسراع إلي تسليته؟ نعم قمن بذلك المهم عند عودته من مصرعه، هذه تقول: أين أخي؟ وهذه أين عمّي؟ وهذه أين حماي وحارسي؟ وهذه أين كفيلي في مسيري؟ وهذه أين مروّي لهفة ظمأي؟

تالله لا أنسي ابن فاطم إذ جلا

عند العجاج يكفهر قتامها

من بعد أن حطم الوشيج وثلّمت

بيض الصفاح ونكست أعلامها

وافي به نحو المخيم حاملاً

من شاهقي علياء عزّ مرامها

وهوي عليه ما هنالك قائلاً

اليوم بان عن اليمين حسامها

اليوم سار عن الكتائب كبشها

اليوم بان عن الصلاة إمامها

ص: 600

اليوم آل إلي التفرّق جمعنا

اليوم حلّ عن البنود نظامها

اليوم خرّ عن الهداية بدرها

اليوم غاب عن البلاد غمامها

اليوم نامت أعين بك لم تنم

وتسهّدت أُخري فعزّ منامها

نحن لا ـ نتفق مع هـذا الأـديب في رأيه أنّ الحسـين حمـل العباس(عليهما السـلام) إلي المخيم، وقـد سـبق ذلك، لكنّا نتّفق معه علي رأيه الأخير: اليوم نامت أعين، والصواب داعي الوفاق حيث أنّ أهل الكوفة مع كثرتهم وكثافة جيشهم كانوا لا ينامون الليل في حياة العباس(عليه السـلام)، فهم يتحارسون خوفاً منه أن يهجم عليهم أو يبيّتهم كما هجم عليهم في ورد الشريعة ليلة العاشر قهراً بحدّ السيف واستولي عليها بالغلبة،

وانشـمرت تلك الأُلوف انشمار الريشة في الهواء العاصف، فملأ الأسقية والقرب وأوصلها إلي مخيم الحسين(عليه السلام)، وجيش الأعداء راغم، فلبقاء أثر تلك الرهبة في صدورهم فهم لا ينامون، ويتحسّسون أنباءه كما يتحسّس القطا شخص الصائد.

ومن في مخيم الحسـين(عليه السـلام) كانوا واثقين بحراسـته لهم ((والليث في باب العرينة يزأر من يقتحم))، فكلّ من في الخيم من رجال ونساء مطمئن بحياطة لهم منه في حمي منيع الجانب، وحصن راسخ الأركان وثيق الرتاج، فهدأوا وأطمأنوا فناموا، وعند فقده تبدّلت الأحوال وانعكس الوضع، فأمن الخائف فنام، وانزعج الآمن فساهر، وما غفت له عين واكتحل بغمض مقلة.

أشقيق روحي هل تراك علمت إذ

غودرت وانثالت عليك لئامها

إن خلت أطبقت السماء علي الثري

أو دكدكت فوق الربي أعلامها

لكن أهان الخطب عندي أنّني

بك لاحق أمراً قضي علامها

ولهذه القصيدة بقية.

***

وقال آخر في رثاء العباس الأكبر(عليه السلام):

أنّي ويوم الطف أضرم في الحشا

جذوات وجد من لظي سجين

يوم أبو الفضل استفزّت بأسه

فتيات أحمد أو بنو ياسين

في خير أنصار براهم ربّهم

للدين أوّل عالم التكوين

نعم، هم خير أنصار باعتبار اجتماع صفات الفضل ومزايا الحمد فيهم بحيث لم يفقدوا خصلة واحدة من خصال المجد والفخر، ولا فضيلة من فضائل الإنسانية، فقد تكاملت لهم صفات المفاخر، واجتمعت فيهم متفرّقاتها .

وبالإضافة إلي ما تحمّلوا من عظيم البلاد، وقد صحّ الحديث المروي من الطريقين، ومعناه أنّ الأجر يتضاعف بتضاعف البلاء، ولهذا كان البدريون أفضل الصحابة، وكلّما كانت المشقّة أشدّ والابتلاء أعظم كان الجزاء أوفر والأجر أكبر والحباء أكثر، لأنّ الأجر علي قدر المشقّة، وأفضل الأُمور أحمزها، ولا نعرف في كلّ الأنصار من يمكن أن يقاس

بأنصار الحسين(عليه السلام).

وقال أيضاً:

فأصدر النصر لم يعبأ بمورده

فعاد حيران بين الورد والصدر

فرقي علي نهر الجزارة هيكل

أنجبن فيه نتائج الميمون

متقلّداً عضباً كأنّ فرنده

نقش الأراقم في خطوط بطون

وأغاث صبيته الظما بمزادة

من ماء مرصود الوشيج معين

حتّي إذا قطعوا عليه طريقه

بسداد جيش بارز وكمين

فثني مكردسها نواكص وانثني

بنفوسها سلباً قرير عيون

ودعته أسرار القضا لشهادة

رسمت له في لوحها المكنون

حسموا يديه وهامه ضربوه في

عمد الحديد فخرّ خير طعين

فمشي إليه السبط ينعاه كسرت

الآن ظهري يا أخي ومعيني

عباس كبش كتيبتي وكنانتي

وسريّ قومي بل أعزّ حصوني

يا ساعدي في كلّ معترك به

أسطو وسيف حمايتي بيميني

لمن اللوا أعطي ومن هو جامع

شملي وفي ضنك الزحام يقيني

أمنازل الأقران حامل رايتي

ورواق أخبيتي وباب شؤوني

لك موقف بالطفّ أنسي أهله

حرب العراق بملتقي صفّين

أو لست تسمع ما تقول سكينة

عمّاه يوم الأسر من يحميني

ص: 603

***

قصيدة السيّد صالح الحلّي

عبست وجوه الناس خوف البا

س والعباس فيهم ضاحك متبسم

قلب اليمين علي الشمال وغاص في الأ

وساط يحصد بالرؤوس ويحطم

وثني أبو الفضل الفوارس نكّصاً

فرأوا أشدّ ثباتهم أن يهزموا

ما كرّ ذو بأس له متقدّماً

إلا وفرّ ورأسه المتقدّم

صبغ الخيول برمحه حتّي غدا

سيّان أشقر لونها والأدهم

ما شدّ غضباناً علي ملمومة

إلا وحلّ بها البلاء المبرم

وله إلي الإقدام سرعة هارب

فكأنّما هو بالتقدّم يسلم

حتّي إذا اشتبك النزال وصرّحت

صيد الرجال بما تجنّ وتكتم

وقع العذاب علي جيوش أمّية

من باسل هو في الوقائع معلم

ما راعهم إلا تقحّم ضيغم

غيران يعجم لفظه ويدمدم

بطل تورّث من أبيه شجاعة

فيها أنوف بني الضلالة ترغم

يلقي السلام بشدّة من بأسه

فالبيض تثلم والرماح تحطّم

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر

صمّوا عن النبأ العظيم كما عموا

وانصاع يخطب بالجماجم والكلي

فالسيف ينثر والمثقّف ينظم

أو تشتكي العطش الفواطم عنده

وبصدر صعدته الفرات المفعم

ص: 604

لو سدّ ذي القرنين دون وروده

نسفته همّته بما هو أعظم

ولو استقي نهر المجرّة لارتقي

وطويل ذابله إليها سلّم

حامي الظعينة أين منه ربيعة

أم أين من عليا أبيه مكدّم

في كتفه اليسري السقاء يقلّه

وبكفّه اليمني الحسام المخذم

مثل السحابة للفواطم ريّه

ويصيب حاصبه العدوّ فيرجم

بطل إذا ركب المطهّم خلته

جبل أشمّ يخبّ فيه مطهّم

قسماً بصارمه الصقيل وإنّني

في غير صاعقة السما لا أقسم

لولا القضا لمحي الوجود بسيفه

والله يقضي ما يشاء ويحكم

حسمت يديه المرهفات وإنّه

لولا القضا من حدّهنّ لأحسم

فغدا يهمّ بأن يصول فلم يطق

كالليث إذ أظفاره تتقلّم

أمن الردي من كان يحذر بأسه

أمن البغاث إذا أصيب الضيغم

وهوي بجنب العلقمي وليته

للشاربين يداف فيه العلقم

فمشي لمصرعه الحسين وطرفه

بين الخيام وبينه متقسّم

ألفاه محجوب الجمال كأنّه

بدر بمنحطم الوشيج ملثّم

فأكبّ منحنياً عليه ودمعه

صبغ البسيط كأنّما هو عندم

قد رام يلثمه فلم ير موضعاً

لم يدمه عضّ السلاح فليثم

نادي وقد ملأ البوادي صيحة

صمّ الصخور لهولها تتألّم

أأخي يهنيك النعيم ولم أخل

ترضي بأن أرزي وأنت منعّم

أأخي من يحمي بنات محمد

إن صرن يسترحمن من لا يرحم

ما خلت بعدك أن تشلّ سواعدي

وتكفّ باصرتي وظهري يقصم

لسواك يلطم بالأكفّ وهذه

بيض الضبا لك في جبيني تلطم

***

قصيدة الشيخ المظفر

أشكو قساوته عليّ وجوده

من دون صحبي فيّ للعباس

شبل الوصيّ وناصر الدين الذي

تغني مهابته عن الحرّاس

قمر العشيرة ليثها ومدامها

قنّاص آساد الشري ذو الباس

صعب المراس إذا تظافرت القنا

ما أن سواه بحصن صعب مراس

هو صاحب السيف الصقيل يسلّه

لا يتّقي في الحرب بالأتراس

روّاه من هام الكماة ورمحه

ينقضّ مختطفاً سراة الناس

حامي ظعينة كربلاء بصارم

صادي الحديد رواه قحف الراس

سل عنه يوم الطفّ لمّا أقبلت

ملأ القفار كتائب الأرجاس

يوماً عبوساً قمطريراً شرّه

متطاير بتهافت الأنفاس

جلّاه والمغوار فيه عابس

سيف تشعشع في يد العباس

ما قطّبت فرسانها إلا سطا

متبسماً بطلاقة استئناس

ص: 606

يسطو عليهم في بسالة حيدر

في عزم حمزة فارس المهراس

متمايلاً بين القنا كتمايل ال-

-نشوان بين شقيقها والآس

متسربلاً في الروع درعاً ضافياً

من عزمه وحفاظه والباس

يرتاح للبيض الحداد وومضها

مثل ارتياح أخي الطلا للكاس

سلّ الحسام فلا تري مذ سلّه

إلا هويّ يد وقحفة راس

ثلّت عروش الكفر شفرة حدّه

والدين أصبح ثابت الآساس

بأبي ابن خير الناس بعد محمد

من لا نظير له بكلّ الناس

نعم المواسي للحسين بنفسه

وبسيفه للدين نعم الآسي

***

وله أيضاً:

لا أنس موقف عباس بن حيدرة

يوم الطفوف ولا آثاره أبدا

واسي أخاه بنفس لا عديل لها

ودونه قدّم الإخوان والولدا

كي يفتدي سبط خير الأنبياء بهم

أبا الأئمة حقّاً سيّد الشهدا

لمّا تفاني سراة الناصرين له

وكلّ شهم كريم ماجد فقدا

ولم ير في خيام السبط من رجل

غير العليل ولم يسمع مجيب ندا

أتي الحسين ودمع العين منحدر

مثل الجمان علي الأبريز قد نضدا

ص: 607

نادي أيبن رسول الله أوحشني

أن لا أري في خيامي باقياً أحدا

وإنّني لم أطق صبراً ولا جلداً

فقد الأحبّة منّي أذهب الجلدا

نفسي تحبّ لقاء الله عن عجل

كيما ترافق في جنّاته السعدا

دعني أموت فموت العزّ أشوق لي

ولا أراك لدي الأعداء منفردا

لا أستطيع دفاع الموت عنك لما

باليت في دفعه بالنفس مجتهدا

لكنّما الموت أمر لا مردّ له

وما بدفع القضا من حيلة أبدا

ولست أملك إلا النفس أجعلها

لك الفدا ووقاء لم أقل فندا

أتيت أطلب منك الإذن قد سئمت

نفسي الحياة وعيشي قد غدا نكدا

إنّي أري كلّ حرّ من ذوي رحمي

ورد المنيّة قبلي ظامئاً وردا

من مات تحت ظلال السمر ميتتهم

فذاك حيّ يلاقي عيشة رغدا

وعد المهيمن حتّي لا خلاف له

والنفس راغبة فيما به وعدا

قال الحسين له أما عزمت علي

قتال الذي بغياً عليّ عدا

خذ السقاء لتستسقي لصبيتنا

ماء فجمر الظما في قلبها اتّقدا

قد كنت حدّ حسامي أن أجرّده

علي الأعادي ولي في الشدّة العضدا

هذا رضيعي منذ اليوم قد ذبلت

منه الشفاء وما درّت عليه ثدا

فقال سمعاً لأمر ابن الرسول ومن

عليّ طاعته مفروضة أبدا

فودّع السبط والهنديّ في يده

مع السقا وعلي جمع العدوّ عدا

لمّا رأته جنود الكفر عن كثب

قالوا أبو الفضل هذا أم عليّ بدا

أم إنّه قابض الأرواح لاح لنا

أم نافخ الصور وافي لابساً جسدا

كأنّما آذن الباري بقدرته

محو البريّة حتّي لن يدع أحدا

ما راعهم غير صوت ابن الوصيّ أنا

نجل الوصيّ ألا فلتخسأ البعدا

صيد الكماة لوت أعناقها هرباً

مثل العفرني رأي دون الشري نقدا

والضأن تذهب في البيداء مجفلة

عن الرعاة إذا ما عاينت أسدا

والثابتون حياء في مراكزهم

لدي القراع فما لاقوا بها رشدا

إنّ المنيّة من ستّ الجهات بهم

محيطة وأقام المشرفي رصدا

فلم يزل يحصد الهامات مرهفه

حصد الزروع ولم يضبط بهم عددا

فأورد الناكثي الميثاق صارمه

ناراً تلظّي وبئس الورد إذ وردا

نزّاعة للشوي ناراً مسجّرة

من عصبة الله لا تطفي إذن أبدا

إنّ الزبانية الأفظاظ تضربهم

مقامعاً مذ بهم حادي الفناء حدا

لولا القضاء وأمر كان عنّ له

إذ رام أن يلحق الأبرار بالسعدا

لم يبق من جيش أهل الغدر مرهفه

من نافخ ضرمة أو مخبر أبدا

لكن أتي القدر الجاري بمبرمه

فأورد البطل المرهوب بحر ردي

حتّي هوي في ضفاف النهر منجدلاً

ومخّ يافوخه في عينه جمدا

ونبلة العين قد أودت بناظرها

ونبلة القلب منه شكّت الكبدا

هذا وأسياف أهل البغي ما تركت

عضواً صحيحاً ولا كفّاً ولا عضدا

لمّا رأي القوم قد طافوا به زمراً

والكلّ منهم يراه حانقاً حردا نادي

نادي أغثني أبا السجاد يا بن أبي

لكن لنزف الدما لم يفصحن بندا

فأقبل السبط مثل الصقر حين هوي

علي البغاث فخلّي جمعهم بددا

ثم انحني يلثم العباس منتحباً

وقد تنفّس من حرّ الأسا صعدا

يدعو كسرت أخي ظهري وقد شمتت

بي العداة وهم والله شرّ عدا

وإنّ أعظم ما لاقي أخو كرم

شماتة من عدوّ خالطت حسدا

ماذا أقول لأطفال ومرعبة

من النساء إذا ما عدت منفردا

إن قلن لي أين حامينا وحارسنا

إذا العدوّ لنا بالسوء قد قصدا

فما الجواب وما قولي لظامئة

تقول أبعد عمّي اليوم لا بعدا

***

وله أيضاً:

يا حامل العِلم بل يا حامل العَلَم

والقائل الفضل في الأحكام والحكم

ونائلاً كلّ مطلوب بهمّته

ما لم تنله كبار العزم بالهمم

فإنّ يومك يوم الطفّ سدت به

يابن الوصي سراة العرب والعجم

يا جامعاً لخصال المجد أجمعها

وحائزاً لمزايا الحمد والشيم

إن يذكر العلم منكم كان منبعه

أو يوصف الجود كنتم منتهي الكرم

سر يا أبا الفضل للعليا علي مهل

مداك ما رامه ماش علي قدم

لم يخلق الله بعد الأنبياء فتي

والأوصياء بصلب طاب أو رحم

يحكي علاك فلا والله ما نظرت

عين العلا شبه العباس في شهم

والدين يشكر أعمالاً نهضت بها

والمجد يحسبها من أفضل النعم

وكيف تنسي العلا يوماً لقيت به

داعي المنون بثغر منك مبتسم

حفظت حقّ حسين حين ضيّعه

أهل الشقاء بنو عبّادة الصنم

وفيت إذ نقضوا ما أكّدوه له

أهل الضلال من الأيمان والقسم

لمّا دعا السبط أين الحافظون بنا

محمّداً خيرة الباري من النسم

أجبت لبّيك داعي الله حفظكموا

فرض من الله محتوم علي الأمم

فقد أجابك قلبي يابن فاطمة

كما أجابت يدي داعي الهدي وفمي

فكنت في ذاك أولي العالمين به

وكنت أوفاهموا بالعهد والذمم

قام الحسين بوعظ القوم ممتطياً

لناقة المصطفي العضباء من قدم

عليه برد يمان كان يلبسه

خير البريّة في الأعياد ذي علم

وقد تعمّم محتجّاً بعمّته

وهي السحاب وطرف الناس عنه عمي

في كفّه سوطه الممشوق يحمله

وسيفه الصارم المعروف بالخذم

نادي انصتوا فاسمعوا قولي وموعظتي

وراجعوا عقلكم يا أسفه الأمم

فهل يحلّ لكم قتلي وسفك دمي

لفاجر جاهر في فسقه أثم

رماه شمر بسهم من جهالته

والشمر شرّ امرء يمشي علي قدم

وقال هذا جواب الوعظ فابتدرت

سهامهم نحوه كالقطر من ديم

ثم انكفا قابضاً بالكفّ شيبته

يشكو ظلامته لله ذي الحكم

نادي الحسين كماة الحرب أسرته

وصحبه سرواة العرب والعجم

قوموا إلي الموت ذي رسل العدو لكم

تواثبوا كأسود الغاب والأجم

وقد دعا بأخيه وابن والده

عباس حلو السجايا طاهر الشيم

وقال يا بطل الهيجا وفارسها

أنت العميد فقف في القلب بالعلم

وفي اليمين زهير الليث قائدها

وفي اليسار حبيب الخير ذو الشمم

فلم يزل ثابتاً في خطّ مركزه

حتّي قضي كلّ قرم باسل وحمي

ولم يري في خيام السبط من أحد

سوي الأرامل والأيتام والخدم

أتي الحسين ودمع العين منحدر

وقلبه من حماس الجدّ ذا ضرم

ناده يابن رسول الله قد فنيت

أهل الحفاظ جميعاً من ذوي رحمي

لم يبق غيري ومن عزمي اللحاق بهم

ولا أراك خضيباً في نجيع دم

فودّع السبط توديع الفراق له

ولم يرد عودة حيّاً إلي الخيم

ثم امتطي الأدهم الميمون فارسه

وسار يمسح وجه الأرض بالقدم

وصاح فيهم أنا العباس فانقسمت

أبطالها بين مصروع ومنهزم

وهكذا صولة الضاري وصيحته

فيها تشتّت قطعان من الغنم

ولم يزل يحصد الهامات مبتدراً

شطّ الفرات بقلب عاد ذا ضرم

حتّي إذا ملك الأوفي شريعتها

وزمّ من مائها كفّاً لبلّ فم

تذكّر السبط والأطفال ثمّ رمي

بالماء من كفّه فعل التقي الشهم

قال المواساة للأطهار من خلقي

وإنّ إيثار آل الله من شيمي

وعاد للحرب والفسّاق قد قطعوا

طريقه فانتحي ضرباً علي القمم

وجلّل الأرض بالقتلي وصيّرها

بحراً عظيماً ولكن زاخراً بدم

حتّي إذا اجتاز في خطّ الكمين برا

كفّيه رجسان من عبّادة الصنم

وشكّ مقلته سهم وهامته

مفضوخة بعمود الملحد الأثم

فخرّ حول ضفاف النهر سافحة

دماؤه فاحصاً للترب القدم

يدعو الحسين أغثني يا أخي وقضي

ظامي الحشا واللوا حول العميد رمي

1432/8/16

1432/4/6

ص: 613

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹